

الدكتور احمد مطلوب



الجزء الاول

أ - ذ

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ــ ١٩٨٩

طباعه و نشر
دار الشؤون الثقافية العامة . « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
ص٠ب٠ ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

معجم

النقد العربي القديم

الدكتور احمد مطلوب

الجزء الاول

(أ ـ ذ)

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٨٩

بســم الله الرحمن الرحيــم

المقدمـــة

أنهيت في عام ١٩٦٠ كتابة رسالة الماجستير، وقد تعرضت فيها لمصطلحات السكاكي الذي مخض زبدة البلاغة، وحدّد أقسامها المعلومة، وأرسى قواعدها المرسومة، وجاءت رسالة الدكتوراه عام ١٩٦٣ معمقة الموضوع وملقيةً ضوءاً على البلاغة التي استقرت شروحاً وحواشيَ وتقريرات. وشاء الله أن أسير في هذا الحقل تأليفاً وتدريساً، وأن تظل المصطلحات البلاغية والنقدية تجول في خاطري وتتحرك في مخيلتي حتى أصدرت عام ١٩٧٢ كتاب « مصطلحات بلاغية » تعرضت فيه لخمسة منها هي: الفصاحة، والبلاغة، والمعاني، والبيان، والبديع، ودعوت الى تقويمه فلم أجد إلاّ كلمات الثناء، وكنت أطمع في النقد والتوجيه.

وعقدت العزم على الاستمرار في النهج الذي سلكته، وبعد عشر سنوات وضعت « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » في ثلاثة أجزاء وقد أصدره المجمع العلمي العراقي. وكنت قد جردت منه مصطلحات النقد إلاّ ما ذكرته كتب البلاغة، وعدت اليها في هذا العام بعد أن ارتفعت صيحة «إشكالية المصطلح النقدي» لأجمعها في معجم يكلل جهدي وينفع الدارسين، فكان « معجم النقد العربي القديم » الذي أريد به أن يكون أساساً لوضع

المعجم النقدي في عهد تعددت فيه المناحي واختلفت الآراء ، وأصبح الرجوع الى معجم موحد ضرورةً مُلحّة ، ليصدر الباحثون عن منهج واضح .

ضم « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » مائة وألف مصطلح ، ويضم « معجم النقد العربي القديم » ثمانية عشر وثمانمائة مصطلح ، ورد بعضها في المعجم الاول لارتباطها بكتب البلاغة . وكان المعجمان ثمرة عمل متواصل استغرق أعواماً ، وقد أريد بهما رسم الطريق لوضع معجم نقدي بلاغي معاصر يكون مرجعاً للنقاد ومصدراً للباحثين ، بعد أن ظل المصطلح النقدي والبلاغي بعيداً عن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية .

ولم يخرج هذا المعجم عن النهج الذي اتضح في المعجم الأول ، وهو ترتيب المصطلحات بحسب توالي حروفها ليكون ميسّراً لمن يبحث عن المصطلح . ولأن المعنى اللغوي يسبق المعنى الاصطلاحي ليتضح سبيل الأنتقال من المعنى الأول الى المعنى الثاني . ولم يكن بدّ من التعرض لبعض مصطلحات العروض الكبيرة وبعض عيوب القافيه لصلتها بنقد الشعر ، ومن الوقوف عند مصطلحات الأدب لاكمال الصورة ، ومن ذكر بعض ما جاء في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » لانها مشتركة بين الفنين ، ولا يصح إغفالها وقد أريد للمعجم الجديد أن يكون مستغنياً بنفسه محققاً للهدف المرسوم .

وقد اتضح في هذا المعجم :

١ ــ ان المصطلح النقدي القديم عربيّ أصيل .

٢ ــ انه قد يكون اسماً أو مصدراً ، وقد يكون كلمة واحدة أو أكثر .

٣ ــ انه قد يطلق على عدة فنون .

٤ ــ انه قد يتعدد وتكون دلالته واحدة .

٥ ـــ انه شمل الشعر والنثر بفنونهما المختلفة ، والأساليب المتنوعة .

وهذه الخصائص تنقض ما قيل عن قصوره واقتصاره على الشعر ، وتفتح الطريق لمن يريد أن يعرف تراث أمته وما قدّمه الأوائل في دأب واخلاص ، وتضع المعالم لمن يريد أن يبني نقداً عربياً أصيلا .

وقد أوضح مبحث « المصطلح النقدي » سبيل وضع المعجم النقدي الحديث ، وانها لواضحة لمن يحرص على توحيد المصطلح واشاعة العربي منه بعد أن تسربت الالفاظ الاجنبية ، وأصبحت ترتق صفاء اللغة وأصالتها ، وتحيل النقد طلاسم لا يتفق على حلها كثير من الدارسين .

إن صدور المعجمين دعوة مخلصة الى وضع المعجم النقدي الحديث ، وإذا كانا قد وقفا عند القديم فذلك ما أريد لهما ، ليكونا منطلقاً لا رسوماً تقيّد الخطى . وفي علماء اللغة والنقاد والباحثين أمل عظيم سيثمر حينما تعقد النية ، ويتضح الهدف ، وتستقيم السبيل ، وما ذلك ببعيد على المخلصين من أبناء الأمة وقد تفتحت لهم أبواب البحث والتأليف .

« وقُلِ اعملوا ، فسيرى اللهُ عملكم ورسولُه والمؤمنون » .

الدكتور أحمد مطلوب

عضو المجمع العلمي العراقي

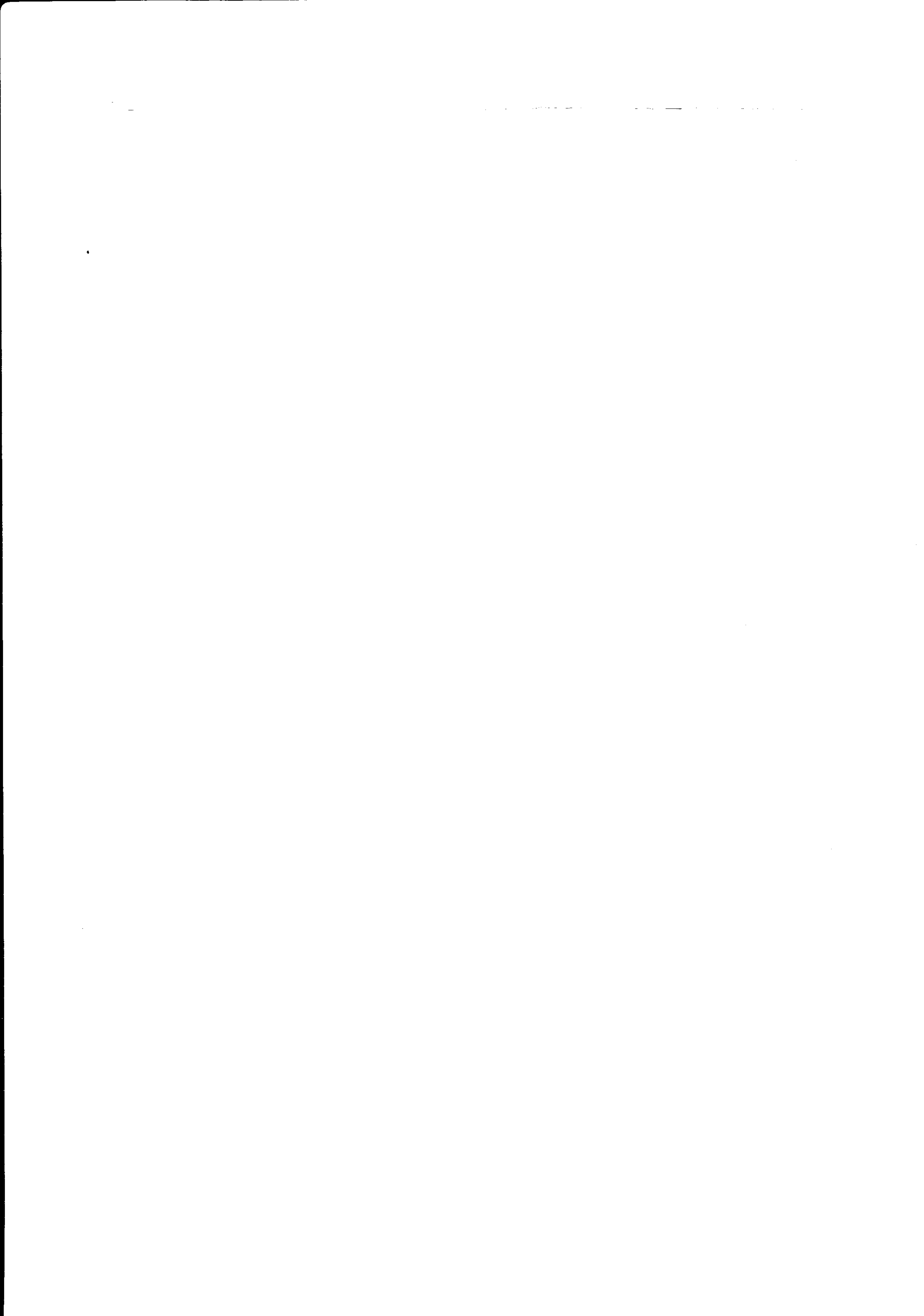
الأمين العام

للهيئة العليا للعناية باللغة العربية

بغداد ـــ الأحد

الاول من ذي الحجة ١٤٠٧ هـ

٢٦ تموز ١٩٨٧ م



المصطلح النقدي

المصطلح :

المصطلح مهم في تحصيل العلوم ، لانه يحدد قصد الباحث أو المجادل أو المتحدث ، وكان السلف الصالح يعنون به كثيراً ، قال التهانوي : « إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة الى الاساتذة هو اشتباه الاصطلاح ، فان لكل علم اصطلاحاً إذا لم يُعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه الى الاهتداء سبيلا ولا الى فهمه دليلا »[1] . وحدّد طريق علمه بوسيلتين :

الأولى : الرجوع الى أساتذة العلم .

الثانية : الرجوع الى الكتب التي جمعت فيها اللغات المصطلحة .

والمصطلح أو الاصطلاح : « هو العرف الخاص ، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع شيء » . والاصطلاحي هو « ما يتعلق باصطلاح ويقابله اللغوي »[2] .

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ج١ص١ ، وفي الاصل : الى انفهامه دليلا .
(٢) البستان ج١ص١٣٤٩ .

ولا يخرج اللغويون والباحثون عن هذا المعنى ، قال الشريف الجرجاني : « الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول »[٣] . وقال أبو البقاء الكفوي : « الاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع الشيء ، وقيل : اخراج الشيء عن المعنى الى معنى آخر لبيان المراد»[٤]. وقال الزَّبيدي : « الاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص »[٥]. وقال مصطفى الشهابي : « هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية »[٦]. وقال : « والاصطلاح يجعل إذن للالفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية » . ثم قال : « والمصطلحات لا توجد ارتجالاً ولا بدَّ في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي » . وقال : « ومن الواضح ان اتفاق العلماء على المصطلح العلمي شرط لا غنى عنه ، ولا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة ، واختلاف المصطلحات العلمية في البلاد العربية داء من أدواء لغتنا الضادية » .

وقال الدكتور علي القاسمي : « المصطلح كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمي مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما »[٧] .

فشروط المصطلح كما يتبين من هذه التحديدات هي :

١ ــ اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢ ــ اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى .

---

(٣) التعريفات ص٢٨ .
(٤) الكليات ج١ص٢٠١
(٥) تاج العروس ج٢ص١٨٣ (مادة ــ صلح ــ المستدرك) .
(٦) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص٦ .
(٧) مقدمة في علم المصطلح ص٢١٥ .

٣ ــ وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي •

٤ ــ الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد •

ولخص الدكتور علي القاسمي صفة المصطلح الجيد بشرطين :

الأول : تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل •

الثاني : عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح واحد(٨) •

وهذان الشرطان ربما لا يتحققان في كثير من المصطلحات ، فهناك مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء ، وهناك أكثر من مصطلح للدلالة على شيء واحد • ويرجع ذلك الى تعدد واضعي المصطلح والاختلاف في الترجمة ، وهذا من مشكلات المصطلح في الوطن العربي • ولا بدّ من أن يبذل اتحاد المجامع العربية جهداً كبيراً لتوحيد المصطلحات أو تقريبها ليصدر الباحثون والمترجمون عن منهج واحد في استعمال المصطلحات •

الاهتمام بالمصطلح :

بذل العرب جهداً كبيراً في وضع المصطلح بعد أن اتسعت العلوم وتنوعت الفنون وتقدمت الحياة • وأول المصطلحات العربية ما جاء في القرآن الكريم ، وكان لكثير منها معنى لغوي فنقلت من معناها الأول الى المعنى الجديد • وكانت الحقيقة الشرعية(٩) من أسباب نمو اللغة وفتح باب تطور

---

(٨) المصدر نفسه ص٦٨ •

(٩) الحقيقة الشرعية : هي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي وهي قسمان : أسماء شرعية كالصلاة والزكاة ، واسماء دينية كمسلم وكافر • (ينظر فنون بلاغية ص٨٣) •

الدلالة وانتقال الالفاظ من معنى الى آخر يقتضيه الشرع وتتطلبه الحياة الجديدة • وكان المتكلمون أول من اهتم بالمصطلحات ، قال الجاحظ عنهم : « وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرض ، والجوهر ، وأيس ، وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي ، وذكروا الهذية ، والهُوية ، والماهية[10] وأشباه ذلك »[11] • وذكر وضع علماء العروض والنحاةوأصحاب الحساب لمصطلحاتهم فقال : « وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الاراجيز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الالقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء • كما ذكر الطويل ، والبسيط ، والمديد ، والوافر ، والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتاد ، والاسباب ، والخرم والزحاف » • ثم قال : « وكما سمى النحويون فذكروا الحال ، والظرف ، وما أشبه ذلك ، لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماءً جعلوها علامات للتفاهم » •

وتحدث الجاحظ عن التحول الذي طرأ على الالفاظ بظهور الاسلام ، وأشار الى ترك الناس لالفاظ كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج « أتاوة » وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : « الحملان » و « المكس » والى استحداثهم ألفاظاً لم تكن ، وانما اشتقت من أسماء أو ألفاظ متقدمة على التشبيه والمجاز مثل قولهم لمن أدرك الاسلام « مُخَضْرَم » وللأرض التي لم تحفر ولم تحرث إذا فعل بها ذلك « مظلومة » ، ولمن راءى بالاسلام

---

(١٠) نسبة الى : هذا ، وهو ، وما هو .

(١١) البيان والتبيين ج١ص١٣٩ •

واستتر بالكفر « المنافق » ، ولم يحج إما لعجز ، واما لتضييع ، وإما لانكار « الصَّرورة »[12] .

واتسعت حركة وضع المصطلحات والالفاظ الجديدة باتساع الحياة وتقدّم الحركة الفكرية ، وقد نجح السلف في ذلك كل النجاح واستطاعوا أن يستوعبوا العلوم والفنون ، ولولا ما أصابهم من انتكاسات لظل العلماء يرفدون الفكر بكل جديد بديع • وخيمت الغيوم على الوطن العربي قروناً وحينما أراد الله لها أن تتبدد بدأ العرب في أواخر القرن الماضي يبنون حاضراً مجيداً ويقيمون حضارة جديدة • وكان للمجامع العلمية العربية واللغوية في الوطن العربي أثر في الحركة العلمية التي أخذت تمدّ العرب بما يحيي المجد التالد ويبني الحاضر الزاهر • وقد عُنيت تلك المجامع أول ما عنيت بالمصطلحات ، لأنها مفتاح العلوم والفنون ، وكان لمجمع دمشق ومجمع القاهرة فضل عظيم ، وكان للمجمع العلمي العراقي يد لا تنكر في الاهتمام بالمصطلحات وقد بذل جهداً كبيراً في وضعها إذ ألف منذ عام ١٩٤٨ لجاناً لوضع مصطلحات لما يرد في الكتب التي يقرر ترجمتها أو تدقيق المصطلحات واقرارها ، وأصدر كثيراً من المجموعات التي تضم مصطلحات في علوم مختلفة ونشرها في مجلته أو في كراسات • وأصبحت هذه المصطلحات العمدة في تعريب العلوم • وقد نصت المادة التاسعة من « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » رقم (٦٤) لسنة ١٩٧٧ على أن : « يكون المجمع العلمي العراقي المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الاجهزة

---

(١٢) ينظر الحيوان ج١ص٣٢٧–٣٣٦ ، ص٣٤٧–٣٤٨ . كانت لفظة «الصرورة» قبل الاسلام تطلق على أرفع الناس في مراتب العبادة ، قال الشاعر :

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبد الاله صرورة متبتل
لدنها لبهجتها وحسن حديثها ولهمّ من تاموره بتنزل

التامور : النفس ، دم القلب . وتأتي بمعنى الابريق والخمر .

المعنية الرجوع اليه بشأنها » • ومعنى ذلك أنّ العبء كبير على المجمع وأنّه مسؤول عن سلامة اللغة العربية ووضع المصطلحات العلمية والفنية •

ووضع المجمع بعض القواعد االعامة لوضع المصطلح ، وآخر ما أصدرته لجنة اللغة العربية هذه القواعد :

١ ـ مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللفظة لغة واصطلاحاً لأدنى ملابسة •

٢ ـ الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد •

٣ ـ تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد •

٤ ـ التزام ما استعمل أو ما استقر قديماً من مصطلحات علمية وعربية وهو صالح للاستعمال الجديد •

٥ ـ تجنب المصطلحات الاجنبية •

٦ ـ إيثار اللفظة المأهولة على اللفظة النافرة الوحشية أو الصعبة النطق •

٧ ـ لا يشتق من المصطلح إلاّ بقرار هيئة علمية مختصة بوضع المصطلحات•

٨ ـ إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب أو العبارة لتسهل النسبة والاضافة ونحو ذلك •

٩ ـ تجنب الالفاظ العامية •

١٠ ـ تفضل مصطلحات التراث العلمي على المولّدات والمحدثات •

١١ ـ يلجأ الى ترجمة المصطلح الاجنبي عند ثبوت دلالته على معناه الاصطلاحي •

١٢ ـ تجنب تعريب المصطلحات الاجنبية إلاّ اذا تعذر العثور على لفظ عربي ملائم •

١٣ ــ ترى اللجنة أن يُراعى في استعمال الالفاظ الاعجمية ما يأتي :

أ ــ يرجح أسهل نطق في رسم الالفاظ المعربة عند اختلاف نطقها باللغات الأعجمية .

ب ــ احداث بعض التغيير في نطق المصطلح المعرب ورسمه ليتسق مع المنطق العربي .

١٤ ــ تجنب استعمال السوابق واللواحق الاجنبية ، لان اللغة العربية لغة اشتقاقية وليست إلصاقية ، ووجوب اعتماد الاساليب العربية في وضع المصطلحات .

١٥ ــ يستعمل كل لفظ من الالفاظ المترادفة في معناه الخاص في المصطلحات العلمية ، لان الترادف كثيراً ما يكون أوصافاً للأشياء لا يراد بها المطابقة التامة في المعنى . إذ يلحظ أن لكل لفظ معنى خاصاً يختلف عن سواه ولو شيئاً قليلا فيمكن أخذه واستعماله ولو بطريق المجاز ، وكذلك تمكن الاستفادة من المترادفات التي لا تلحظ فيها الوصفية يخص بها كل منها بمصطلح علمي خاص .

ووضعت اللجنة قرار النحت وهو : « عدم جواز النحت إلاّ عند عدم العثور على لفظ عربي قديم واستنفاد وسائل تنمية اللغة من اشتقاق ومجاز واستعارة لغوية وترجمة ، على أن تلجيء اليه ضرورة قصوى وأن يراعى في اللفظ المنحوت الذوق العربي وعدم اللبس » .

ولا تخرج هذه القواعد عما وضعته المجامع العربية وما أقرته ندوة « توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة » التي نظمها مكتب

تنسيق التعريب بالرباط في شباط ١٩٨١ ، واشترك فيها ممثلو المجامع العربية والمراكز اللسانية ووزارات التربية والتعليم في الوطن العربي[١٣] .

ولم تكن العناية بالمصطلحات اللسانية والنقد والبلاغة كبيرة في المجامع العربية ، لانها اتجهت منذ قيامها الى متابعة التقدم العلمي في الغرب ووضع المصطلحات ، وقد وفقت وحاولت أن تلحق بالعلم وتقيّد مصطلحاته . ولعل عناية المجامع بالفاظ الحضارة كانت أوسع مدى ، لانها تتصل بحياة الناس وقد يرجع اهمالها للمصطلحات النقدية الى :

١ ـ ان للنقد العربي مصطلحات كثيرة ، وان الأدباء والباحثين قادرون على أن يأخذوا مصطلحاتهم من القديم .

٢ ـ ان النقد ليس مما يؤثر في اللغة واتجاهاتها كما تؤثر العلوم المستحدثة ومصطلحاتها ، ولذلك لم تكن هناك خشية من المصطلح الاجنبي أو المعرب ما داما قليلين .

٣ ـ ان الأدباء والمؤلفين شرعوا في وضع المصطلحات النقدية منذ عهد مبكر واتفقوا على كثير منها وشاع استعماله بين الناس .

٤ ـ ان النقد ليس مما يتصل بالتقدم العلمي الذي يشهده العالم ، وان الحياة الجديدة تفرض الاهتمام بالعلوم . وقد أدت هذه النظرة الى اهمال الدراسات الانسانية وتعثرها في كثير من الاحيان .

إنّ المصطلح النقدي مهم ولا بدّ من الوقوف عليه ووضع حدّ للفوضى التي تسود كثيراً من المصطلحات والدراسات، ولعل المجامع العربية توليه عناية وتصدر قراراتها بتوحيده وتيسيره للباحثين والمترجمين .

---

(١٣) تنظر هذه الأسس في مقدمة في علم المصطلح ص١٠٧ـ١١٢ .

لا مشاحة في المصطلح :

زادت العناية بالمصطلحات بعد أن تنوعت العلوم وكثرت الفنون ، وكان لا بدّ للعرب من أن يضعوا لما يستجد مصطلحات مستعينين بوسائل أهمها : الوضع والقياس والاشتقاق والترجمة والمجاز والتوليد والتعريب والنحت[١٤] . وكانت هذه الوسائل سبباً في اتساع قدرة اللغة العربية واستيعابها للعلوم والآداب والفنون ، وقد بذل السلف جهداً محموداً في وضع المصطلحات ، وكان الأساس في المصطلح أن يتفق عليه اثنان أو أكثر ، وأن يستعمل في علم أو فن بعينه ليكون واضح الدلالة مؤدياً المعنى الذي يريده الواضعون . ولم يروا بأساً في أن يضع المؤلف مصطلحه فيشيع أو يهمل إذ « لا مشاحة في الاصطلاحات » ، قال قدامة بن جعفر وهو يتحدث عن نقد الشعر : « فاني لما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماءً تدل عليها احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماءً اخترعتها ، وقد فعلت ذلك ، والاسماء لا منازعة فيها إذ كانت علامات . فان قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب ، فليس ينازع في ذلك »[١٥] . وقال ابن وهب الكاتب : « واما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب اسماً مما لم تكن تعرفه ، فمنه ما سموه من عندهم كتسميتهم الباب في المساحة « باباً » والجريب « جريباً » والعشير « عشيراً » . ومنه ما عربته وكان أصل اسمه أعجمياً » . ثم قال : « وكل من استخرج علماً واستنبط شيئاً وأراد أن يضع له اسماً من عنده ويواطىء من يخرجه اليه عليه فله أن يفعل . ومن هذا الجنس اخترع النحويون اسم الحالّ ، والزمان ، والمصدر ، والتمييز ، والتبرية . وأخرج الخليل لغات العروض فسمى بعض ذلك الطويل ،

---

(١٤) للتفصيل ينظر : دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات ص٦٩-٨٩ .

(١٥) نقد الشعر ص٢٢ .

وبعضه المديد ، وبعضه الهزج ، وبعضه الرجز . وقد ذكر أرسطاطاليس ذلك وقال : إنه مطلق لكل أحد يحتاج الى تسمية شيء ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الاسماء . وهذا الباب مما يشترك العرب وغيرهم فيه وليس مما ينفردون به »[16] . وقال حازم القرطاجني : « ولا تشاحّ في الالفاظ كما انه لا حرج على من عدل عما تقتضيه تلك الأسامي في المسميات إذا أراد الافصاح عن جهات مشابهاتها لما نقلت اليها منه التسمية والتمثيل الصحيح في ذلك »[17].

وأدت هذه الحرية الى :

١ ــ تعدد المصطلح للدلالة على شيء واحد ، ومن ذلك «الالتفات» فقد سماه ابن وهب «الصرف» وسماه أسامة بن منقذ «الانصراف» وسماه قوم «الاعتراض»[18] .

٢ ــ اختلاف دلالة المصطلح ، فقد ذهب قدامة الى أن «المطابق» هو « ما يشترك في لفظة واحدة بعينها »[19] مثل :

ونبئتهم يستنصرون بكاهل　　وللؤم فيهم كاهلٌ وسنامُ

وهذا هو التجنيس عند الآخرين .

٣ ــ اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء ، ومن ذلك مصطلح «الاجازة» فهو « ان تتم مصراع غيرك » وهو « أن يكون الحرف الذي يلي حرف الروي مضموماً ثم يكسر أو يفتح ويكون حرف الروي مقيداً » وهو « أن تكون القافية طاءً والاخرى دالاً »[20] .

---

(١٦) البرهان في وجوه البيان ص١٥٨-١٥٩ .
(١٧) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٢٥٢ .
(١٨) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج١ص٢٩٦ .
(١٩) نقد الشعر ص١٨٥ وينظر معجم المصطلحات ج٢ص٥٣ وما بعدها .
(٢٠) ينظر معجم المصطلحات ج١ص٥٠ .

٤ ــ وضع مصطلح لما يستجد من فنون بلاغية ونقدية ، ولولا تلك الحرية لتوقفت الدراسات • وقد أحصى ابن المعتز ثمانية عشر مصطلحاً ، خمسة منها سماها «البديع» وهي : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي • وثلاثة عشر سماها محاسن الكلام • وزاد عليها قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري ، وظلت المصطلحات تزيد حتى وصلت الى المئات • ولولا حرية الوضع ما كثرت المصطلحات وتشعبت الدراسات ونمت اللغة العربية وأصبحت قادرة على استيعاب الجديد بما فيها من قدرة على التوليد والمجاز والاشتقاق •

وضع المصطلح :

وضع المصطلح مباح للعلماء ومطلق لكل من احتاج الى تسمية شيء ليعرف به • ولم يحدد الجاحظ وقدامة وابن وهب والقرطاجني أنواع ذلك الوضع بدقة ووضوح وإن كان كلامهم يومىء الى بعض الوسائل هي :

١ اختراع أسماء لما لم يكن معروفاً كما فعل المتكلمون والنحويون وأصحاب العروض والحساب •

٢ ــ اطلاق الالفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة على سبيل التشبيه والمجاز كما في الاسماء الشرعية والاسماء الدينية[21] وغيرها مما استجد بعد الاسلام من علوم وفنون وآداب •

(٢١) تنقسم الحقيقة الشرعية الى :

١ــ أسماء شرعية : وهي التي لا تفيد مدحاً ولا ذماً عند اطلاقها كالصلاة والزكاة والحج وسائر الاسماء الشرعية .

٢ــ أسماء دينية : وهي التي تفيد مدحاً أو ذماً نحو مسلم ومؤمن وكافر وفاسق . (ينظر فنون بلاغية ص٨٣) •

٣ ــ التعريب وهو نقل الالفاظ الاجنبية الى العربية باحدى الوسائل المعروفة عند النحاة واللغويين •

وهذه من الوسائل التي لا يزال العاملون في حقل اللغة والعلوم يلجأون اليها وهي : الوضع والقياس والاشتقاق والترجمة والمجاز والتوليد والتعريب والنحت • ووقف العلماء من التعريب موقف الحذر وقال أكثرهم: إنه لا يؤخذ به إلاّ عند الضرورة القصوى خشية أن تضيع اللغة العربية في غمرة الدخيل • وكان العرب قد لجأوا اليه في أول عهدهم بنقل العلوم والتأليف ليسدوا حاجة عرضت لهم فقالوا : الارثماطيقي والفيزيقي وقاطيغورياس واسقطس ، للحساب ، والطبيعة والمقولات ، والعنصر •وقالوا: البوطيقا والريطوريقا والقوميذيا والطراغوذيا ، للشعر ، والخطابة، والملهاة ، والمأساة • وسبب ذلك ضعف المترجمين الذين كان أكثرهم لا يحسن العربية ، ولكن الحالة تغيرت بعد أن ازدهرت حركة الترجمة واتسعت آفاقها، وظهر من له معرفة باللغة العربية وغيرها من اللغات ، وأصبحت الكتب العربية تحفل بالمصطلحات العربية الأصيلة ولا سيما كتب الفقه وعلوم اللغة التي نشأت في رحاب الفكر العربي الاسلامي • أما غيرها من العلوم الاجنبية فقد كان الطابع العربي واضحاً عليها وان دخل فيها شيء من اللفظ الاجنبي الذي لم ير المعربون بداً من ادخاله في كتبهم بعد أن ضاقت بهم السبل في تلك العهود •

لقد كانت وسائل وضع المصطلح واضحة ، وفي اللغة العربية طاقة لمن يعرف استخدامها ، وباب القياس والاشتقاق والمجاز واسع ، ولذلك لا ينبغي الأخذ بالتعريب إلاّ عند الضرورة القصوى ، لان فتح الباب أمامه يعني اشاعة الدخيل والقضاء على فاعلية اللغة العربية • ولم ينزع العرب الى التعريب إلاّ مكرهين ، قال اسماعيل مظهر : « إنّ العربي لم ينزع الى التعريب إلا مكرهاً، بدليل القلة النادرة التي تأنسها فيما ورد من الالفاظ المعربة مقيسة على الالفاظ

العربية السليمة »[٢٢] • ثم قال : « إننا في حاجة الى التعريب ولكن بقصد وبقدر معلوم على أن نتقيد في التعريب بقواعد أخصها : أن يكون المعرب على وزن عربي من الاوزان القياسيه أو السماعيه حتى يلائم جَرْسُه جَرْسَ الكلمات العربيه فلا يحس منه العربي نفورا أو يجد فيه تنافراً مع ما تلقى من صيغ لغته الكريمة • كذلك ينبغي أن نعرف ان التعريب انما تدعونا اليه ضرورة قصوى يقف عندها جهدنا في البحث والاستقصاء وتقليب أساليب اللغة على وجوهها المستطاعة »[٢٣] •

فالنزعة الى التعريب دعتها الضرورة القصوى ، وجاءت معظم الالفاظ مقيسة على الأبنيه العربية السليمة ، وإذا ما عرّبنا في هذا العهد فينبغي مراعاة:

١ ـ الاقتصاد في التعريب •

٢ ـ أن يكون المعرب على وزن عربي من الاوزان القياسية أو السماعية •

٣ ـ أن يلائم جرس المعرب الذوق العربي وجرس اللفظ العربي •

٤ ـ أن لا يكون نافراً عما تألفه اللغة العربية •

وهذا رأي سليم ينبغي الأخذ به عند اقتضاء الحاجة ، وهو ما سارت عليه المجامع العربية • ومن قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة : « يجيز المجمع أن يستعمل بعض الالفاظ الأعجمية ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب في تعريبهم » • و « يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلا اذا اشتهر المعرب » و « ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب »[٢٤] •

---

(٢٢) تجديد العربية ص٨ .

(٢٣) تجديد العربية ص٩ـ١٠ .

(٢٤) مجموعة القرارات العلمية ص٨٢ـ٨٥ .

وهذه القرارات الثلاثة تصون العربية من الدخيل ولا تسد الطريق ، ولو اخذ بها الباحثون والمترجمون والادباء لصانوا لغتهم ومنعوا تسرب الالفاظ الاجنبية الى اللغة العربية ، وما زال كثير منهم يقول : دراما ، وتراجيدي ، وكوميدي ، وتيمه ، على الرغم من أنها من الالفاظ التي لها مقابل في العربية • وقد أدى اصرار بعضهم الى ان تشيع الفاظ اجنبية لتكون تحلية لكتاباتهم أو دليلاً على معرفتهم لها ، وما هكذا تصون الأمم كيانها وتحافظ على لغاتها • ولم يكن هؤلاء وحدهم يتخذون هذا الموقف وانما سبقهم اليه بعض علماء العربية كالشيخ عبدالقادر المغربي الذي كان من أشد الناس تحمسا للتعريب ، وكان يراه طبيعياً في العربية وغيرها من اللغات ، لأن المعرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام وانه ليس عملاً بدعاً ، وليس وجوده في جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسم الانسان من حيث يضر بقاؤه وتجب ازالته • والتعريب تحويل طبيعي أو تغيير تدريجي يطرأ على اللغة ويجري بها في ناموس مطرد ، وقد خضعت له اللغة العربية من أول نشأتها كما تخضع له الآن وبعد الآن • وتعريب الكلمات الأعجمية في اللغة بمثابة حركة الاستمرار، أي انه عمل قام به واضعو اللغة أنفسهم مضطرين اليه بسائق طبيعي في أول عهد الوضع ، ثم اتصل بنا نحن وجرينا عليه ، وليس هو مما حدث فينا أو اصطلحنا عليه ولم يعرفه الواضعون الاولون[٢٥] • وقال : « لا يشترط في التعريب أن يحصل على لسان طبقة خاصة من العرب أو من رجال معينين منهم، بل هو شائع بينهم يتناوله كل واحد منهم • ولو قلت : ان التعريب من وظائف عامة الناس وذوي التجارات والصنائع منهم لا خاصتهم وذوي الشأن منهم لما كنت مجازفاً أو مباعداً »[٢٦] • ويرى أن يرسل الى أصحاب الصناعات والحرف والتجار ليستفهم منهم عن اسم كل أداة أو آلة أو أي شيء ، ثم

---

(٢٥) ينظر الاشتقاق والتعريب ص١٦–١٨ •

(٢٦) الاشتقاق والتعريب ص٢٥ •

يدوّن كل ذلك ويثبت في كتب اللغة كما أثبتت سائر كلماتها العربية المعربة والمنقولة عن العرب انفسهم لاننا « إن لم نرجع في هذه الكلمات الدخيلة الى اصحاب الشان ، بل رجعنا الى مواضعات الخاصة وهم ــ متعددون متشاكسون ــ تعددت الاسماء واضطرب امر اللغة ، وكانت العاقبة الى الخيبة »[٢٧] • ولا يشترط في المعرب ان يأتي على اوزان العرب ، قال : « فرتب الكلم ــ إذن ــ عند سيبويه عربية ومعربة ، ومدار التعريب عنده على الاستعمال وحده ، وقد ذهب مذهبه عامة أهل اللغة فصرحوا بانه لا يلزم في المعربات أن تجري على أمثلة الاوزان العربية ، بل إن جاءت فحسن لتكون مع اقحامها على العربية شبيهة بأوزانها ، وقد يتفق أن تغير العرب الاسماء الأعجمية التي تعربها تغييرا لا يكون معه إلحاق باوزانها ومناهج كلامها » •
ثم قال : « على اننا مهما استحسنا رأي سيبويه في عدم اشتراطه رد الكلمة المعربة الى مناهج اللغة واوزانها ينبغي أن نقف من تسامحه عند حدّ محدود وإلا تكاثرت الكلمات الاعجمية ذات الاوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى ، وخرجت على تمادي الأيام بذلك عن صورتها وشكلها ، وعادت لغة خلاسية لا عربية ولا أعجمية كاللغة المالطية أو كسائر اللغات العربية العامية في مختلف الأقطار الاسلامية »[٢٨] • وقال : « إذا لم نُعْنَ بالتعريب ونفسح مجالاً للمعربات على أسلات ألسنتنا وأسنان أقلامنا كنا عاملين على إماتة اللغة أو وقوف نموها »[٢٩] •

لقد كان المغربي من دعاة التعريب وان احتاط بعض الاحتياط ، وكان يستعمل المعرب والدخيل في مقالاته فيتعرض لتعقب العلماء ، وكان يقول : « لا أرى رأيهم في أن القليل من هذه الكلمات يفسد المقال الطويل أن تتوفر

(٢٧) الاشتقاق والتعريب ص٢٦ •
(٢٨) الاشتقاق والتعريب ص٤٣ــ٤٤ .
(٢٩) الاشتقاق والتعريب ص٥٤ .

فيه سائر صفات الحسن ، وكان يحتدم الجدال بيني وبينهم حتى تخطى الجدل القول الى الكتابة في الصحف ، وكنت أكتب في المؤيد ردوداً أحتج بها لنفسي »[٣٠] • وهذا موقف يدل على صرامة الشيخ ولا مبرر له في المقالات الصحفية والأدبية ، لان في اللغة العربية متسعاً من القول وكثيراً من الالفاظ التي تدل على المعاني المقصودة • وقد تكون الحاجة الى المعرب في لغة العلم أكثر منها في المقالات الصحفية والدراسات الانسانية ، ولعل ظهور الشيخ في مرحلة الانتقال واصطراع الأفكار دفعه الى التشبث بالمعربات وإدخالها في مقالاته وكتبه مما أثار عليه حفيظة الحريصين على سلامة اللغة العربية •

هذان رأيان في التعريب ، فما موقفنا بعد الموجة العاتية التي ارتطمت بها اللغة العربية منذ اتصال العرب بالغرب؟

نحن لا ننكر المعرب ولا نرفضه كل الرفض ، لان العرب عرفوه وأدخلوه في لغتهم ، ولأن الحاجة اشتدت إليه بعد أن اتصلوا بالثقافات المختلفة ، ولم يكن في وسعهم أول الامر أن يضعوا ألفاظاً عربية للمصطلحات الاجنبية ، أو انهم استساغوا اللفظ الاجنبي واستحسنوه • وكان بعض الشعراء يستعير الكلمة من كلام العجم للقافية ، وقد ذكر أبو حاتم : « ان رؤبة بن العجاج والفصحاء كالأعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية لتستطرف »[٣١] • ولكن اللغويين رفضوا شعر من أدخل الاعجمي في شعره كالطرماح الذي ذكر أبو عمرو بن العلاء رآه في سواد الكوفة وهو يكتب ألفاظ النبيط ويتعلمها ليدخلها في شعره ، قيل له : ما تصنع بهذه ؟ قال :

---

(٣٠) الاشتقاق والتعريب ص١ •

(٣١) المعرب ص٩ •

أعربها فأدخلها في شعري[32] • ولم يجوز اللغويون والنحاة ــ حرصاً منهم على سلامة اللغة العربية ونقائها ــ الاستشهاد بالبيت الذي لا يعرف قائله ولم يتخذوه حجة ، قال ابن الانباري عن أحد الأبيات : « إنّ هذا البيت غير معروف ولا يعرف قائله ، فلا يكون حجة »[33] •

ونحن ــ على الرغم من حرصنا على اللغة ــ لا نحجر على أحد الأخذ بالمعرب إذا اقتضت الضرورة القصوى ، مؤيدين في ذلك ما ذهب اليه مجمع القاهرة والمجامع العربية الأخرى ، ولا ندعو في الوقت نفسه الى الانفتاح من غير قيد على اللغات الاجنبية ــ ولا سيما في مصطلحات الأدب ونقده ــ لئلا تفسد العربية وتضيع في غمرة الدخيل كما حدث في هذا العهد حيث تدفقت آلاف المصطلحات في كل علم وفن ، ولم يكن أمام المخلصين الحريصين على اللغة العربية إلاّ أن يتخذوا الوسائل لوضع المصطلحات العلمية والفنية، وأن يعربوا قسماً منها أو يدخلوا قسماً منها بصيغته الاجنبية • وكان الأدب ونقده من تلك الفنون التي ارتطمت بمشكلة المصطلح ، وقد بذل العلماء العرب جهداً عظيماً لحل هذه المشكلة ، وكان للرواد في القرن الماضي فضل لا ينكر • وعلى الرغم من الجهد المتواصل في هذا القرن لا تزال كثير من المصطلحات الأدبية والنقدية أجنبية ، وهي تزداد بتقدم الزمن • ونظرة عابرة في كتاب « المصطلح في الادب الغربي » الذي صدرت طبعته الثانية عام ١٩٦٨

---

(٣٢) الموشح ص٣٢٥ ، وينظر العربية ص٣٧ وحركة التعريب في العراق ص٦٠ • ومن الجدير بالذكر ان الدكتور عزة حسن حقق هذه المسألة في مقدمة ديوان الطرماح ولم يجد شيئاً من الفاظ النبط • ولو كان ما قيل عن الطرماح صحيحاً ما اهتم اللغويون بشعره . (ينظر ديوان الطرماح ص٣٧) •

(٣٣) الانصاف في مسائل الخلاف ص٣٤٢ .

توضيح ذلك ، فقد التزم المؤلف ببعض المصطلحات الاجنبية على الرغم من ثقافته الواسعة ومعرفته الكبيرة باللغة العربية[٣٤] .

لقد جابه العرب في القديم ما يجابههم اليوم ، ولكنهم استطاعوا أن يتغلبوا على المشكلة ويضعوا لكل فنون الأدب والبلاغة والنقد مصطلحات عربية إلا ما جاء في بعض كتب الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد ــ وهم من الذين لخصوا كتابي الشعر والخطابة لارسطو ــ . ولم تدخل تلك المصطلحات كتب البلاغة والنقد ، لان النقاد والبلاغيين لم يحتاجوا اليها ، بل ان المصطلحات العربية انتقلت الى الشعوب الاسلامية واستعملت بدلالتها العربية في الكتب البلاغية والنقدية مثل «ترجمان البلاغة» للرادوياني و « حدائق السحر في دقائق الشعر » لرشيدالدين الوطواط .

واستمر ذلك التيار يرفد النقد والبلاغة حتى القرن العشرين ، وقد وفق كثير من علماء اللغة والأدباء في وضع مصطلحات أدبية ونقدية كان لها أكبر الاثر في تقدم الحركة الأدبية الحديثة . ويبدو أن الاتجاه ــ في السنوات الاخيرة ــ بدأ يميل الى الغرب وصار المؤلفون والمترجمون والنقاد يغرفون من المصطلحات الاجنبية ادعاءً أو استسهالاً مما أدى الى طغيان المصطلحات الاجنبية فيما ينشر ويترجم ، وبدأت الاصوات ترفع شعار « إشكالية المصطلح النقدي » وتعقد من أجله الندوات والمؤتمرات .

مشكلة المصطلح :

تثار بين حين وآخر مشكلة المصطلح النقدي أسوة بما يثار من مشكلات أدبية أو فكرية . ومن يتابع حركة التأليف في هذا القرن لا يجد مشكلة بالمعنى

---

(٣٤) ينظر المصطلح في الأدب الغربي ص٣١ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ .

الدقيق ، فهناك تراث عربي ضخم يتمثل في أكثر من ألف وخمسمائة مصطلح أدبي وبلاغي ونقدي ، ولو رجع من يرفع شعار « إشكالية المصطلح » الى ذلك التراث لوجد الطريق ممهدا • إن انقطاع بعض المهتمين بقضايا الادب ونقده عن التراث العربي أدى الى هذه المشكلة المتصورة أو المفتعلة ، ولو أدرك المنقطعون مسالك الغربيين وعودتهم الى التراث اليوناني والروماني لرأوا السبيل واضحه للعيان • ومما أدى الى هذه المشكله أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح والأسباب التي دفعت الى وضعه ، ولم يطلع على الأدب الاجنبي اطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهماً دقيقا ،واكتفى بما يكتب عن الأدب من مقالات أوقعته في الخلط والاضطراب •

إن مشكلة المصطلح النقدي حدثت من الفوضى التي يعيشها التأليف والترجمة ، ومما زادها خللا واضطراباً :

١ـ اختلاف ثقافة المؤلفين أو الباحثين وهم ثلاثة أنواع :

الاول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الادب الاجنبي ونقده باللغة الاجنبية •

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الادب ونقده باللغة العربية •

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف •

لقد أدى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها الى أن يأخذ من يقرأ باللغة الاجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما حصل بين المغرب العربي والمشرق العربي • أما ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات فأمره أكثر اضطراباً ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤيا ولم يستطع أن يوازن بين ما كان وما يفرضه الواقع الجديد • وهذان الصنفان في حيرة من الامر فهما يتأرجحان بين المصطلحات العربية والاجنبية • ولن يكون هناك مصطلح عربي إن لم يتوفر عليه رجال يحملون

من الثقافة العربية والثقافة الاجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل ، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات .

٢ ــ اختلاف الاوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم اليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الادبي والنقدي . ويتجلى ذلك في مصطلح «الصورة» فهي عند العرب غيرها عند الغربيين ، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والافكار الذاتية ، وهي عند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس الى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعنى بالدلالة النفسية[٣٥] وهي عند غيرهم « رسم قوامه الكلمات »[٣٦] وهي « اعادة انتاج عقلية ، ذكرى لتجربة عاطفية أو ادراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية »[٣٧] .

كيف يفهم العربي هذا التفاوت إن لم يفهم الروح الأدبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور؟ وكيف يحدد مصطلحها ويستعمله ويديره في كتاباته وهو يجهل دلالته الدقيقة ؟

٣ ــ الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة[٣٨] .

٤ ــ الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء ، ومن ذلك «التضمين» ، ومن معانيه الاصطلاحية :

الاول : التضمين في العروض : هو أن يبنى بيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضباً ، أو هو : « أن يكون الفصل الاول مفتقراً الى

(٣٥) ينظر النقد الأدبي الحديث ص٤١٧ وما بعدها .
(٣٦) الصورة الشعرية ص٢١ .
(٣٧) نظرية الأدب ص٢٤٠ .
(٣٨) ينظر مقدمة في علم المصطلح ص٨٢-٨٤ .

الفصل الثاني والبيت الاول محتاجاً الى الاخير » ، أو هو : « أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها فيما بعدها » كقول الشاعر :

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغدى ... بليلى العامريــة أو يُــراحُ

قطاةٌ عزّها شَركٌ فباتت ... تُجـاذبه وقد علق الجناحُ

الثاني : التضمين هو : « حصول معنى فيهمن غير ذكــر له باسم أو صفة هي عبارة عنه » وهو على وجهين :

١ ـ ما كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار .

٢ ـ ما يدل عليه دلالة القياس .

أي : ان العبارة تتضمن المعنى من غير اشارة صريحة اليه وهو تضمين توجيه البنية مثل «معلوم» يوجب انه لا بدّ من عالم ، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلاّ به كالصفة بـ «ضارب» يـدل على «مضروب» .

الثالث : التضمين هو : « استعارتك الانصاف والأبيات من غيرك وادخالـك إياها في أثناء أبيات قصيدتك » .

الرابع : التضمين هو : « اعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الاســماء وفي الافعال وفي الحروف »[٣٩] .

هذه الاسباب وغيرها خلقت جواً غير محمود في الدراســات الاديبـة والنقدية وجعلت بعض الدارسين يتعثرون .

---

(٣٩) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٢ص٢٦٠ــ٢٦٤ .

المعجم النقدي:

إنّ التخلص من هذه المشكلة المفتعلة أو الحقيقية يتطلب دراسة عميقة للمصطلحات والعودة الى مظانها للوقوف على معانيها ودلالاتها قبل اشاعتها في الدراسات الحديثة • ويقتضي ذلك وضع معجم نقدي حيث يسهم فيه المعجميون والمؤلفون والمترجمون والأدباء والنقاد • ويتم ذلك بخطوات أهمها :

الأولى : رَصْد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالاتها وتغيرها في العهود المختلفة ، والاخذ بما ينفع في النقد الادبي الحديث • وسيجد الباحثون كثيراً من المصطلحات التي تعينهم في نقد الشعر وصياغة الكلام وتنوع الاساليب • وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب أن المصطلح النقدي يخص الشعر وحده ، وهذا وهم كبير ، وما جاء في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » بأجزائه الثلاثة و « معجم النقد العربي القديم » يبين أن المصطلح لم يكن خاصاً بالشعر وانما شمل النثر بألوانه المعروفة في ذلك العهد ، وتضمن ما يتصل باللفظ والصياغة والتصوير والتحسين • فمما يتصل باللفظ الكلام على اللفظة المفردة وجرسها وايحائها وما يجوز منها في الشعر وما يجوز في النثر وما يجوز في الاثنين • ومما يتصل بالصياغة ما أطلق عليه اسم « علم المعاني » أو «النظم» وهو يتصل بتحليل العبارة وما تؤدي صياغتها أو نظمها من معانٍ يحددها نظم الكلام • ومما يتصل بالتصوير التشبيه والتمثيل والمجاز بأنواعه ـ المجاز العقلي والمجاز اللغوي (الاستعارة ، والمجاز المرسل) ـ والكناية والتورية ، وما يرتبط بها من وسائل الايضاح أو الابهام والغموض • ومما يتصل بالتحسين ما أدخلوه في « علم البديع » وهو محسنات لفظية ومعنوية لا يستغني عنها الكلام ، لانها تزيده روعة وجمالاً إذا وضعت حيث ينبغي لها أو توضع •

فهذه المصطلحات ليست خاصة بالشعر كما يظن بعضهم ، وانما هي عامة ترفد النقد الحديث وتقدم للناقد المعاصر مصطلحاته وهو يحلل ويقوّم ويطلق الاحكـام النقدية .

ولكن هل تكفي هذه المصطلحات ؟

الجواب : لا ، فهناك فنون استحدثت في العصر الحديث وتعاطاها العرب تقليداً أو ابداعاً ووضعت لها مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها ، ولا بدّ من جمع هذه المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والأخذ بما ينسجم وروح اللغة العربية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظر فيما يستجد من مصطلحات . وهناك عدة وسائل لوضعها منها : الاشتقاق ، والمجاز ، والترجمة ، والتوليد ، فان تعذرت هذه الوسائل كان التعريب وهو نقل الكلمة الاجنبية الى العربية على أن لا تخرج عن المنهج الذي تفوهت به العرب في التعريب .

ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان منها :

١ ـ كتب البلاغة والنقد وهي كثيرة مثل قواعد الشعر لثعلب ، والبديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ، وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، والموازنة للآمدي ، والوساطة للقاضي الجرجاني ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق ، وسر الفصاحة لابن سنان ، والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، والجامع الكبير ، والاستدراك لضياءالدين بن الأثير الجزري ، وبديع القرآن ، وتحرير التحبير لابن أبي الاصبع المصري ، ونضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ، والمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لابي محمد القاسم السجلماسي ، والروض المريع في صناعة البديع لابن

البناء المراكشي ، وجوهر الكنز لابن الاثير الحلبي ، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي ، وأنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني .

٢ ــ كتب الأدب ومنها : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والاغاني لأبي الفرج ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، وزهر الآداب للحصري القيرواني ، ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لاحمد بن محمد المقري التلمساني .

٣ ــ كتب اللغة وأهمها المعاجم .

٤ ــ كتب التفسير وعلوم القرآن مثل : معاني القرآن للفراء ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، والكشاف للزمخشري ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، والاتقان في علوم القرآن ، ومعترك الاقران في إعجاز القرآن للسيوطي .

٥ ــ كتب الفلاسفة المسلمين مثل : الخطابة ، والعبارة ، والشعر ، والمجموع ــ أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ــ لابن سينا ، وقوانين صناعة الشعراء ، وجوامع الشعر ــ أو الشعر ــ لأبي نصر الفارابي ، وتلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر ، وتلخيص الخطابة لأبي الوليد بن رشد .

٦ ــ كتب المصطلحات وأهمها : التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ، والكليات لأبي البقاء الكفوي ، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي المعروف بالتهانوي .

وفي هذه الكتب كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية ، وقد تضمنها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » بأجزائه الثلاثة و « معجم النقد

العربي القديم » وبذلك تيَسَّرَ الوقوفُ على المصطلحات وتطورها من خلال هذين الكتـابين •

الثانية : جرد أهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة مثل : كتب طه حسين، وأحمد حسـن الزيات ، وعباس محمود العقـاد ، ومحمد مندور ، ومحمـد النويهي ، ومحمد غنيمي هلال ، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن ، والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد •

الثالثة : جرد أهم كتب مصطلحات الأدب والنقد الحديثة مثل : المصطلح في الادب الغربي للدكتور ناصر الحاني ، ومعجم مصطلحات الادب لمجـدي وهبة ، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والادب لمجدي وهبـة وكامـل المدرس ، والمعجم الادبي للدكتور جبور عبدالنور •

الرابعة : جرد أهم كتب الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفنون ، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الادبي أو تعين عليه • وهذه الكتب مهمة بعد أن أصبحت المعارف الانسانية متداخلة ، وأصبح الادب يعتمد على الفنون التشكيلية ، ويقتبس من علم النفس وعلم الاجتماع والفلسـفة بعض أصولـه وتظرياته •

الخامسة : جرد أهـم كتب الادب والنقد والترجمة مثل : نظـرية الأدب لاوستن وارين ورينيه ويليك ، ومناهج النقد الادبي لديفد ديتش ، وسـيرة أدبية لكولردج ، والنقد الادبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمان، والتجربة الخلاقة لبورا ، وأسس النقد الادبي الحديث ، ونقاد الادب لجورج واتسون، وغيرها من الكتب المهمة التي ترجمت في السنوات الاخيرة ، وهي كتب ضمت كثيراً من المصطلحات التي تنفع في وضع المعجم ، وإن كان بعضها بحاجـة الى اعادة النظـر أو التعديل •

السادسة : الاطلاع على بعض موسوعات الادب الاجنبي ونقده بلغـاتها الاصلية كموسوعة كاسل للأدب العالمي ، وموسوعة النقد الادبي .

السابعة : الاسـتعانة ببعض المعاجم الاجنبيـة لتحديد المعنى اللغـوي للمصطلح والوقوف على دلالته كما تصوّرها المعاجم الاجنبية ولا سيما معجم اكسـفورد الكبير .

الثامنة : تصنيف ما يجمـع من التراث القديم والفكر الجـديد بحسب حروف الكلمة لتسهل مراجعة المصطلـح مثل : « الاخبارية ، الارجوانيـة ، الاسطورة ، الاسلوب الساخر ... » . وهذه هي الطريقة المتبعة في وضـع معاجم المصطلحـات .

التاسعة : تعريف المصطلح تعريفاً وافياً ، والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده ، وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الاجنبي والاستفادة منه عند الترجمـة أو التأليف . ويبقى المصطلح العربي الأصيـل أساساً في عرض المصطلحات ولا سيما ما استقر منه وأصبح أكثر دلالة مـن غيره . وينبغي أن تكتب المواد بأسلوب واحد ومنهج واحد ، وأن تراعى فيها الدقة العلمية ، وينبغي أن يضاف الى المعجم بين حين وآخـر ، ما يستجد من مصطلحات وأن يعدل بعضها ليواكب الحياة الادبية المتجددة .

وليس هذا العمل بمستحيل إذ يقدر عليه عدة باحثين من ذوي النظـرة الموسوعية والذوق السليم ، وقد ينهض به مجمع عربي أو اتحـاد المجامـع العربية أو مؤسسة ثقافية تعي قيمة هذا المشروع الجليل .

إن الشكوى من « إشكالية المصطلح » ستظل ما دام المعجـم النقـدي الحديث بعيداً عن التحقيق ، وسيظل الأدباء والنقاد والمؤلفون والمترجمـون

في نقاش لا يوصل الى السبيل القويم ما داموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق أمامهم ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد فيه الدقة ووضوح الرؤية . وقد تقف أمام المشروع مشكلات وعقبات ، ولكن الاصرار على العمل يذلل المصاعب ، وما نظن أن ما قام به عالم في القديم يعجز عنه العلماء والأدباء والنقاد في العصر الحديث .

* * *

المصادر :

١ ـ الاشتقاق والتعريب : عبدالقادر المغربي . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م .

٢ ـ الانصاف في مسائل الخلاف : أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٣م .

٣ ـ البرهان في وجوه البيان : أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . بغداد ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

٤ ـ البستان : عبدالله البستاني . بيروت ١٩٢٧م .

٥ ـ البيان والتبيين : أبو عثمان الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م .

٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . ج٢ (طبعة القاهرة) .

٧ ـ تجديد العربية : اسماعيل مظهر . القاهرة .

٨ ـ التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني . مكتبة لبنان ـ بيروت١٩٨٥م

٩ ـ حركة التعريب في العراق ـ الدكتور احمد مطلوب . الكويت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٠ـ الحيوان : ابو عثمان الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م .

١١ـ دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات : الدكتور احمد مطلوب ـ بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

١٢ـ ديوان الطرماح : تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .
١٣ـ الصورة الشعرية : سي.دي.لويس . ترجمة الدكتور أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم . بغداد ١٩٨٢م .
١٤ـ العربية : يوهان فك . ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار . القاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .
١٥ـ فنون بلاغية : الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
١٦ـ كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي الفاروقي التهانوي . تحقيق الدكتور لطفي عبدالبديع . القاهرة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .
١٧ـ الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري . الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٨١م .
١٨ـ مجموعة القرارات العلمية : مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ القاهرة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .
١٩ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ـ مصطفى الشهابي. الطبعة الثانية ـ دمشق ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .

٢٠ـ المصطلح في الأدب الغربي : الدكتور ناصر الحاني . بيروت ١٩٦٨م .
٢١ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : الدكتور أحمد مطلوب .

ج١ بغداد ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ المجمع العلمي العراقي .
ج٢ بغداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م : المجمع العلمي العراقي .
ج٣ بغداد ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م : المجمع العلمي العراقي .

٢٢ـ المعرب : أبو منصور الجواليقي . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة .
٢٣ـ مقدمة في علم المصطلح : الدكتور علي القاسمي ـ بغداد ١٩٨٥م .
٢٤ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني . تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦م .

٢٥- الموشح : أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موســـى المرزباني . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ١٩٦٥م .

٢٦- نظرية الأدب : اوستن وارين ، ورينيه ويليك . ترجمة محيي الدين صبحي . دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٢٧- النقد الأدبي الحديث : الدكتور محمد غنيمي هـــلال . الطبعـة الثالثـة - القاهرة ١٩٦٤م .

٢٨- نقد الشـعر : قدامـة بن جعفر . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة ١٩٦٣م .

* * *

الهمـــزة

الائتلاف :

الائتلاف : الاجتماع ، يقال : ائتلف الشيء : ألِفَ بعضُه بعضا ، قال العلوي : « وهو افتعال مـــن قولهـــم : ألّف الخرز بعضها الـــى بعض : إذا ضمها »[1] . وفي اللسان : « وقـــد ائتلف القوم ائتـــلافاً وألّف الله بينهـــم تأليفا »[2] .

وكان قدامة بن جعفر قد بنى على الائتلاف منهج كتابه « نقد الشعر » حينما عرف الشعر بقوله : « إنه قول موزون مقفى يدل على معنى »[3] ، أي: انه يتألف من أربعة أركان : الوزن ، والقافية ، واللفظ ، والمعنى . وقد تولد من ذلك ستة أضرب من التأليف ، غير انه وجد اللفظ والمعنى والوزن تأتلف فيحدث من ائتلاف بعضها الى بعض معانٍ يتكلم بها ولم يجد للقافيـــة ائتلافاً إلا مع المعنى فكان ما ذكره أربعة : ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية . وذكـــر بدرالدين بن مالك والعلوي والسبكي : ائتلاف اللفظ مـــع اللفظ وائتلاف

---

(١) الطراز ج٣ص١٤٤ .
(٢) اللســـان (ألف) .
(٣) نقد الشـــعر ص١٥ .

المعنى مع المعنى[٤] وسمّى ابن حجة الحموي مراعاة النظير ائتلافاً وتناسباً وتوفيقاً ومؤاخاة وعرفه بقوله : « وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم او الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى ، أو لفظاً للفظ ، أو معنى لمعنى ، إذ القصد جمع شيء الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه »[٥] . وقال المدني عن مراعاة النظير : « هذا النوع أعني مراعاة النظير ، سماه قوم بالتوفيق ، وآخرون بالتناسب ، وجماعة بالائتلاف ، وبعضهم بالمؤاخاة . قالوا : هو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى ، أو لفظاً للفظ ، أو معنى لمعنى ، إذ القصد جمع شيء وما يناسبه من نوعه أو ملائمه من أحد الوجوه »[٦] . ثم قال : « ولا يخفى أن هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى . وكل هذه الأقسام عدّه أرباب البديعيات نوعاً برأسه ، ونظموا له شاهداً مستقلاً وجعلوه مغايراً لهذا النوع ، مع أنهم مثلوا لائتلاف اللفظ بما مثلوا به لمراعاة النظير بعينه . ولا وجه لذلك ، بل كان الصواب تنويع هذا النوع الى هذه الانواع الثلاثة كما فعل صاحب التبيان حيث قال : مراعاة النظير ، هو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، وهو أصناف :

الاول : ائتلاف اللفظ والمعنى .

الثاني : ائتلاف اللفظ مع اللفظ .

الثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى .

---

(٤) المصباح ص١١٤ ، الطراز ج٣ص١٤٤ ، عروس الافراح ج٤ص٤٧٢ .

(٥) خزانة الأدب ص١٣١ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص١٢٨ .

(٦) انوار الربيع ج٣ص١١٩ .

وهذا كتنويعهم اللف والنشر الى أنواعه المذكورة ، والالتفات الى أنواعه الستة ، وغير ذلك من أنواع البديع التي تتنوع الى أنواع . وإذ قد اصطلح أرباب البديعيات على جعل مراعاة النظير نوعاً برأسه ، وكل من ائتلاف اللفظ والمعنى ، وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى نوعاً برأسه ، فينبغي أن يحد كل منها بحدّ لا يشمل الآخر » .

وعلى هذا الأساس بحث كل نوع في عنوان مستقل .

ائتلاف الفاصلة :

الفواصل هي مقاطع القرآن ، ولا تسمى سجعاً ولا قوافي ، لأنّ هذين المصطلحين مختصان بكلام العرب نثره وشعره ، وقد أفرد المصري هذا البحث بباب وقال : إنه من مخترعات قدامة وسماه من بعده التمكين ، ولكنه عرّفه تعريفاً أدخل فيه الاسجاع والقوافي فقال : « هو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته والشاعر لقافية بيته تمهيداً تأتي به القافية متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضوعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً ،بحيث لو طرحت من البيت لأختلّ معناه ، واضطرب مفهومه . ولا يكون تمكنها بحيث يتقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت أو في أثناء الصدر أو معنى يدل عليها ، ولا أن تعد معنى زائداً على معنى البيت، فان الاول تصدير، والثاني توشيح ، والثالث إيغال ، ولا يسمى شيء من ذلك تمكيناً . وكل مقاطع آي الكتاب العزيز لا تخلو من أن تكون أحد هذه الاقسام الاربعة ولهذا تسمى مقاطعه فواصل ، لا سجعاً ولا قوافي ، لاختصاص القوافي بالشعر، والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام مأخوذ من سجع الطائر[٧].

(٧) بديع القرآن ص٨٩ ، تحرير التحبير ص٢٢٤ .

ومما جاء منه على هذا الباب ، وهو باب التمكين قوله تعالى : « قالوا: يا شُعيبُ ، أصلاتُك تأمرك أنْ نتركَ ما يعبُــدُ آباؤنا أو أن نفعــلَ في أموالنا ما نشاءُ ؟ إنّكَ لأنت الحليمُ الرشيدُ »[8] • فانه لما تقدم في الآيــة ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الاموال ، اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب ، لان الحلم العقــل الذي يصحّ به تكليف العبــادات ويحضّ عليها ، والرشد حسن التصرف في الاموال •

وقوله : « قالــوا : ربّنا يعلمُ إنّا اليكم لمرسَــلونَ • وما علينا إلاّ البلاغ المبينُ »[9] • فان ذكر الرسالة مهّد لذكر البلاغ والبيان فيه •

وقوله : « قيل : ادخُلِ الجنةَ ، قال : يا ليتَ قومي يعلمونَ بما غَفَرَ ربّي وجَعلني من المُكْرَمينَ »[10] ، لان ذكر دخول الجنة مهّد لفاصلتها•

ائتلاف القافية :

تحدث قدامة عن ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال : هو « أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمــة لما مرّ فيه »[11] • وتحدث عن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وهي : التوشيح ، والايغال ، وذكر أن عيوب ائتلاف المعنى والقافية التكلف في طلبها والاتيان بها لتكون نظيرة لأخواتها في السجع • ومثال أن تكــون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاشتغل معنى سائر البيت بها قول أبي تمام:

---

(٨) هــود ٨٧ •
(٩) يس ١٦ – ١٧ •
(١٠) يس ٢٦ – ٢٧ •
(١١) نقد الشــعر ص١٩٠ •

كالظبيـــةِ الأدمـــاءِ صافَتْ فارْتَعَتْ

زَهْــرَ القــرارِ الغضّ والجثجـاثا[١٢]

فجميع البيت مبني لطلب هذه القافية ، وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترعى «الجثجاث» كبير فائدة ، لأنه انما توصف الظبيـــة إذا قصد لنعتها بأحســـن أحوالها بأن يقال : انها تعطو الشجر ، لانها حينئذ رافعـــة رأسها ، وتوصف بأنّ ذعرا يسيراً قد لحقها كما قال الطرماح :

مثلما عـــاينت مخروفةً نصَّها ذاعرُ رَوْعٍ مُؤامْ[١٣]

فأما أن ترعى « الجثجاث » فلا معنى له في زيادة الظبية من الحسن ، لان هذا النبت ليس من المراعي التي توصف بالطيب .

ومثال الاتيان بالقافية لتكون نظــيرة لأخواتها في الســـجع قول علي بن محمد البصري :

وسابغةُ الأذيال زغْفٌ مُفاضَةٌ تكنَّفها مني نِجادٌ مخطَّطُ[١٤]

في وصف الدرع وتجويد نعتها ، ولا يزيد في جودتها أن يكون نجادها مخططاً أو غير ذلك[١٥] .

وتحدث المصري عن « ائتلاف القافيـــة مع ما يـــدل عليه سائر البيت » فقال : « وهو الذي سماه مَنْ بعد قدامـــة التمكين ، وهو أن يمهد الناثـــر لسجعة فقرته أو الناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي القافية به متمكنة في مكـــانها ،

---

(١٢) العرار : النرجس البري واحده : عرارة . الجثجاث : نوع من النبات .

(١٣) المخروفة : الظبية التي قد رعت العشب الذي نبت في الخريف . نصهـــا : رفعت رأســـها . مؤام .

(١٤) الزغف : الدرع المحكمـــة .

(١٥) نقد الشـــعر ص٢٥٤-٢٥٦ .

مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى البيت كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت من البيت اختلّ معناه واضطرب مفهومه ، ولا يكون تمكنها بحيث يقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت او معنى يدل عليها في أول الصدر ، أو في أثناء الصدر ، ولا أن يفيد معنى زائداً بعد تمام معنى البيت ، فان الاول يسمى تصديرا ، والثاني توشيحاً ، والثالث إيغالاً . ولا يقال لشيء من ذلك تمكين البته »[١٦] . وسماه في « بديع القرآن » : « ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام »[١٧] . لان نهايات الآيات لا تسمى أسجاعاً بل فواصلَ ، لأنّ السجع مأخوذ من «سجع الطائر» ولا يليق ذلك بكتاب الله العزيز . ولكن البلاغيين الآخرين كابن مالك وابن الاثير الحلبي والحلي والحموي والسيوطي والمدني[١٨] سموه «تمكينا» ، ومعظم شعر الفحول من هذا اللون . ومن ذلك قول أبي تمام :

ومن يأذَنْ الى الواشين تُسلَقْ   مسامِعُه بألسنةٍ حِدادِ

وقول البحتري :

فلم أرَ ضِرغامين أصْدَقَ منهما
عِراكاً إذا الهيّابةُ النِكْسُ أكْذَبا[١٩]
حَمَلْتَ عليه السَّيفَ لا عَزْمُكَ انثنى
ولا يدُكَ ارْتَدَّت ولا حدُّه نَبا

---

(١٦) تحرير التحبير ص٢٢٤ .
(١٧) بديع القرآن ص٨٩ .
(١٨) المصباح ص١١٧ ، جوهر الكنز ص٢٠٠ ، شرح الكافية البديعية ص٢٦٧ ، خزانة الأدب ص٤٣٩ ، معترك الاقران ج١ ص٣٩ ، شرح عقود الجمان ص١٥٥ ، أنوار الربيع ج٦ ص١٥١ .
(١٩) الهيابة : الهيوب . النكس : الجبان .

وقول المتنبي :

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وِجْداننا كلَّ شيءٍ بَعْدكم عَدَمُ
إنْ كان سَرَّكم ما قال حاسِدُنا فما لجُرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

قال ابن مالك : « هو أن يكون في الكلام معنى يصحُّ معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها ما بينه وبين بعض الكلام ائتلاف الاشتراك في الحقيقة أو ملاءمة المزاج أو نحو ذلك »[٢٠] . وقال العلوي : « هو أن تريد معنى من المعاني تصح تأديته بألفاظ كثيرة ، ولكنك تختار واحداً منها لما يحصل فيه من مناسبة ما بعده وملاءمته »[٢١] .

وقال الحموي : « هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع، ويأخذ عدة معانٍ فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف »[٢٢] .

وقال السيوطي : « أن تكون الالفاظ تلائم بعضها بعضاً بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة »[٢٣] .

وذكر المدني أن لهذا النوع تعريفين عند البديعيين :

---

(٢٠) المصباح ص١١٤ .

(٢١) الطراز ج٣ص١٤٦ .

(٢٢) خزانة الأدب ص٤٣٨ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص٢٢٦ ، نفحات الأزهار ص٥ .

(٢٣) الاتقان ج٢ص٨٨ .

الاول : ما ذكره صفي الدين ، وعليه أصحاب البديعيات وهو : « أن يكون في الكلام معنى يصح معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها ما بين لفظه وبين الكلام ائتلاف وملاءمة وإن كان غيره يسدّ مسدّه »[٢٤] .
كقول البحتري :

كالقِسيّ المعطّفات بل الأسـ ـهُم مبريـة بل الاوتار[٢٥]

فان تشبيه الإبل بالقِسيّ من حيث هو كناية عن هزالها يصح معه تشبيهها بالعراجين والأهلة والاطناب ونحوها ، فاختار من ذلك تشبيهها بالاسهم والاوتار لما بينهما وبين القِسيّ من الملاءمة والائتلاف .

الثاني : ما ذكره السيوطي ، وهو التعريف السابق ، كقوله تعالى : « تالله تفتأُ تذكرُ يوسفَ حتى تكونَ حرَضاً »[٢٦] . أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء ، فانها أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة الى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الافعال التي ترفع الاسماء وتنصب الاخبار وهو « تفتأ » ، فان « تزالُ » أقرب الى الافهام وأكثر استعمالاً من « تفتأ » ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو «الحرَض» فاقتضى حسن الوضع أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف اللفظ لتتعادلَ في الوضع وتتناسب في النظم . ولما أراد غير ذلك قالَ : « وأقسَموا بالله جَهْدَ أيْمانِهم »[٢٧] فأتى بجميع الالفاظ متداولة لا غرابة فيها .

---

(٢٤) شرح الكافية البديعية ص٢٢٦ ، ولم ترد فيه العبارة الاخيرة .
(٢٥) القسي : جمع قوس ، وهي آلة رمي السهام . المعطفات : المحنية . مبرية : النبال منحوتة . الأوتار : جمع وتر ، وهو ما يشد بين طرفي القوس لينبض عند الرمي .
(٢٦) يوسف ٨٥ .
(٢٧) النور ٥٣ .

وهذا التعريف والتمثيل له هو الذي ينبغي المصير اليه والتعويل عليه ، ليكون نوعاً مستقلا مغايراً لمراعاة النظير ، أما التعريف الاول والتمثيل له فهما شـاملان لمراعاة النظير »[٢٨] .

ومن أمثلة هذا الفن قول المتنبي :

على سابحٍ موجَ المنايا بنحرِهِ   غداةَ كأنَّ النَّبْلَ في صَدْرِه وَبْلُ

فالسابح الحصان ، فلما وصفه بالسباحة عقبه بذكر الموج ، وذكر النبل وعقبه بذكر الوبل لما كان يشبه النبل في شدة وقعه وسرعة حركته ، ثم واصـل بين الوبل والموج لما بينهما من الملاءمة[٢٩] .

ائتلاف اللفظ مع المعنى :

أشار بشر بن المعتمر في صحيفته الى هذا الفن وقال : « ومن أراغ معنى شريفاً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فان حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف »[٣٠]. وقال الجـاحظ : « إلا أني أزعـم ان سخيف الالفـاظ مشـاكل لسخيف المعاني»[٣١] ، وقال : « ومتى شاكل ـ أبقاك الله ـ ذلك اللفظ معناه وأعرب عـن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفقاً ، وخرج من سـماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قَميناً بحسن الموقـع وبانتفـاع المستمع ، وأجدر بأن يمنع جانبه من تناول الطـاعنين ، ويحمي عرضـه مـن

(٢٨) أنوار الربيع ج٦ص٢٣٤ـ٢٣٥ .
(٢٩) الطراز ج٣ص١٤٦ .
(٣٠) البيـان ج١ ص١٣٦ .
(٣١) البيـان ج١ص٤٥ .

اعتراض العائبين ، وألاّ تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة »[٣٢].
وقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل »[٣٣] وهذا هو التناسب بين اللفظ والمعنى ، وقد سماه قدامة « ائتلاف اللفظ مع المعنى»[٣٤] وتحدث فيه عن المساواة والاشارة والارداف والتمثيل . ولم يبين معناه غير أنّ الآمدي شرحه ولم « توف عبارته بايضاحه »[٣٥] ، وتحدث عنه القاضي الجرجاني فقال : « لا آمرك باجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الالفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزْلُكَ بمنزلة جِدّك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفّيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخّم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملكَ به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه »[٣٦] .

وعدّ المرزوقي « مشاكلة اللفظ للمعنى » أحد أبواب عمود الشعر ، وقال : « وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام المدارسة ، فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها

---

(٣٢) البيان ج٢ص٧-٨ .
(٣٣) الحيوان ج٣ص٣٩ .
(٣٤) نقد الشعر ص١٧١ وما بعدها .
(٣٥) تحرير التحبير ص١٩٤ ، خزانة الأدب ص٤٣٧ .
(٣٦) الوساطة ص٢٤ .

ولا نبوّ ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص ، والاخس للأخس فهو البريء من العيب »[٣٧] .

وقال المصري : « وتلخيص معنى هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى »[٣٨] .

وقال العلوي : « هو أن تكون الالفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له ، فاذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلاً ، وإذا كان المعنى رقيقاً كان اللفظ رقيقاً فيطابقه في كل أحواله ، وهما إذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملاءمة وقعا من البلاغة أحسن موقع ، وتألفا على أحسن شكل وانتظما في أوفق نظام . وهذا باب عظيم في علم البديع وجاء القرآن الكريم على هذا الاسلوب »[٣٩] .

وأجمع الآخرون[٤٠] على هذا المعنى ، وعلى أن تكون الالفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له . فاذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلا ، وإذا كان المعنى رشيقاً كان اللفظ رقيقاً ، وإذا كان غريباً كان اللفظ غريباً ، وإذا كان متداولاً كان اللفظ مألوفاً .

ومثاله قوله تعالى : « إنَّ مَثَلَ عيسى عند اللّه كمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرابٍ »[٤١] ، فعدلَ سبحانه عن «الطين» الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنّه خَلَقَ آدمَ منه ، منها قوله : « إنّي خالِقٌ بَشَراً من طينٍ »[٤٢] ، وقوله حكاية عن ابليس : « خَلَقْتَني من نارٍ وخَلَقْتَهُ من

---

(٣٧) شرح ديوان الحماسة ج١ص١١ .
(٣٨) تحرير التحبير ص١٩٤ ، بديع القرآن ص٧٧ .
(٣٩) الطراز ج٣ص١٤٤ .
(٤٠) ينظر المصباح ص١١٣ ، شرح الكافية البديعية ص١٨٣ ، خزانة الأدب ص٤٣٧ ، الاتقان ج٤ص٨٨ ، انوار الربيع ج٦ص٧ ، نفحات الأزهار
(٤١) آل عمران ٥٩ .
(٤٢) سورة ص٧١ .

طين »[٤٣] ، فعدل ــ عز وجل ــ عن ذكر «الطين» الذي هو مجموع التراب والماء الى ذكر مجرد التراب ، لأنه أدنى العنصرين وأكثفهما لما كان المقصود مقابلة من ادّعى في المسيح الالهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ، فلهذا كان الاتيان بلفظة «التراب» أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر ، ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود . ولما أراد ــ سبحانه ــ الأمتنان على بني (اسرائيل) بعيسى ــ عليه السلام ــ أخبرهم عنه أنّه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيماً لأمر ما يخلقه باذنه ، إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به .

ومن طريف ما يتصل بهذا الفن ما جاء عن بشار ، فقد قيل له : انك لتجيء بالشيء المتفاوت . قال : وما ذاك ؟ قيل : بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً
هتكنا حجابَ الشمس أو قطَّرت دما

إذا ما أَعَرْنا سيداً من قبيلة
ذُرى منبرٍ صلّى علينا وسلّما

تقول :

ربابةُ ربّةُ البيْتِ تصبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ وديكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل شيء وجه وموضع ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريتي ربابة[٤٤] .

(٤٣) سورة ص٧٦ .
(٤٤) الأغاني ج٣ص١٦٢ ، أنوار الربيع ج٦ص٢١٨ .

ومن ذلك قول زهير :

أثافيَّ سُفْعاً في معرّسِ مِرْجَلٍ

ونُؤْياً كجِذْمِ الحوض لم يتثلَّمِ [٤٥]

فلما عَرَفْتُ الدارَ قلتُ لرَبْعها :

ألا انْعِمْ صباحاً أيُّها الربْعُ واسْلَمِ

فانه لما قصد الى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى عربي لكن المعنى غريب ركّبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ، ولما قصد في البيت الثاني الى معنى أبيَن من الاول وأعرف — وإن كان غريباً — ركّبه من ألفاظ مستعملة معروفة .

ومن هذا الباب ملاءمة الالفاظ في نظم الكلام على مقتضى المعنى لا من مجرد جملة اللفظ ، فان الائتلاف من جهة ما تقدم من ملاءمة الغريب للغريب والمستعمل للمستعمل لا من جهة المعنى ، بل ذلك من جهة اللفظ . وأما الذي من جهة المعنى فقوله تعالى : « ولا تَرْكَنُوا الى الذين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النارُ »[٤٦] ، فانه — سبحانه — لما نهى عن الركون للظالمين ، وهو الميل اليهم والاعتماد عليهم — كان ذلك دون مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم وهو مسّ النار دون الاحراق والاصطلاء ، وإن كان المسّ قد يطلق ويراد به الاستئصال بالعذاب وشمول الثواب أكبر مجازاً ، ولما كان المسّ أول ألم أو لذة يباشرها الممسوس ، جاز أن يطلق على

(٤٥) الأثافي : ما توضع عليه القدور وهي احجار . السفع : السود . المرجل : القدر . النؤي : ما يحفر حول الخيمة ليمنع السيل . جذم الحوض : أصله . يتثلم : يتكسر .

(٤٦) هود ١١٣ .

ما يدل عليه استصحاب تلك الحال مجازاً ، والحقيقة ما ذكر ، وهو في هـذه الآية الكريمـة على حقيقته(٤٧) .

فائتلاف اللفظ مع المعنى أساس الكلام البليغ ، وهو سـمة الشـعراء الفحول ، لا سمة الصغار الذين يقعون بعيداً عنه .

ائتلاف اللفظ مع الوزن :

هو أحد أقسـام الائتلاف عند قدامة ، وقد عرفه بقوله : « هو أن تكون الاسماء والافعال في الشعر تامة مستقيمة كما بُنيت ، لم يضطر الأمر في الوزن الى نقضها على البنية بالزيادة عليها والنقصان منهـا ، وأن تكون أوضـاع الاسماء والافعال والمؤلفة منها وهي الأقـوال على ترتيب ونظام لم يضطـر الوزن الى تأخير ما يجب تقديمـه ، ولا الى تقديم ما يجب تأخـيره منها ، ولا أضطر أيضاً الى اضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقولة عليها »(٤٨) .

ومن هذا الباب أيضاً « ألاّ يكون الوزن قد اضطر الى ادخـال معنى ليس الغرض في الشـعر محتاجاً اليه حتى انه إذا حـذف لم تنتقص الدلالـة لحذفه أو اسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلاّ به ، حتى أن فقده قد أثر في الشعر تأثيراً بان موقعه »(٤٩) .

وعيوب هذا الفن : الحشو ، والتثليم ، والتذنيب ، والتغيير ، والتفصيل. ومثال الحشو قول أبي عدي القرشي :

---

(٤٧) تحرير التحبير ص١٩٦ ، بديع القرآن ص٧٨ .
(٤٨) نقد الشـعر ص١٨٩ .
(٤٩) نقد الشـعر ص١٩٠ .

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سَمَتْ   في المجد للأقوام كالأذْنابِ

فقوله « للأقوام » حشو .

ومثال التثليم قول علقمة بن عبدة :

كأنَّ ابريقَهم ظبيٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بسبا الكَتّانِ ملثوم[٥٠]

أراد : « بسبائب » فحذف للوزن .

ومثال التذنيب قول الكميت :

لا كعبد المليكِ أو كيزيدٍ   أو سليمانَ بَعْدُ أو كهشامِ

وأراد : عبد الملك .

ومثال التغيير قول الأسود بن يعفر :

ودعا بمحكمة أمين سكّها   من نَسْجِ داودٍ أبي سَلاّمِ

أي : أبي سليمان .

ومثال التفصيل قول دريد بن الصمة :

وبلّغ نُميراً إنْ عَرَضْتَ ابنَ عامر   فأيّ أخٍ في النائبات وطالبِ

ففرق بين نمير بن عامر بقوله : « إن عرضت »[٥١] .

ولم يخرج الآخرون كالمصري ، وابن مالك ، والحلي ، والحموي ، والسيوطي ، والمدني[٥٢] ، عما قاله قدامة ، ولم يخرجوا على أمثلته التي هي

---

(٥٠) يروى : مفدوم . فدم الابريق وعلى الابريق : وضع الفدام عليه ، والفدام مصفاة صغيرة أو خرقة توضع على فم الابريق ليصفى بها ما فيه .

(٥١) نقد الشعر ص٢٤٨ ، الموشح ص١٢٧ .

(٥٢) تحرير التحبير ص٢٢١ ، المصباح ص١١٦ ، شرح الكافية البديعية ص٢٥٤ ، خزانة الأدب ص٢٣٧ ، شرح عقود الجمان ص١٥٦ ، أنوار الربيع ج٦ ص٢٢٣ ، نفحات الازهار ص٣٣ .

من باب الضرائر ، ولعل حجتهم في ذلك أنَّ كل شعر سليم ليس فيه خروج على اللغة والوزن يدخل في هذا الباب .

الائتلاف مع الاختلاف :

هو الصنف السابع من الائتلاف عند ابن مالك ، والصنف الرابع عند العلوي[٥٣] . وهو ضربان :

الاول : ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة وأحدهما منتهى عن الآخر . ومثاله قول الشاعر :

أبى القلب أنْ يأتي السديرَ وأهلَه ... وإنْ قيل عيشٌ بالسدير غريرُ

بك البقُّ والحمى وأُسْدٌ تحفَّه ... وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ

الثاني : ما كانت المؤتلفة فيه مداخلة للمختلفة كقول العباس بن الأحنف يهجو قوماً :

وصالكمُ هَجْرٌ وحبكمُ قِلىً ... وعطفكم صَدٌّ وسلمكم حَرْبُ

فكل واحد من هذه مقرون مع ضده ، مؤلف معه .

ولم يذكر الحموي هذا النوع ، وانما تحدث عن « ائتلاف اللفظ مع المعنى » و « ائتلاف اللفظ مع الوزن » و « ائتلاف المعنى مع الوزن » « وائتلاف اللفظ مع اللفظ » . وتحدث المدني عن هذه الأربعة الى جانب « ائتلاف المعنى مع المعنى » ، وبذلك يكون ابن مالك والعلوي قد انفردا بهذا الفن كما تذكر المصادر التي بين أيدي الباحثين .

---

(٥٣) المصباح ص١١٨ ، الطراز ج٣ ص١٥٠ .

ائتلاف المعنى مع المعنى :

وهذا الفن قسم من المناسبة المعنوية وهو قسمان :

الأول : أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران : أحدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرن بالملائم ، كما قال المتنبي :

فالعُرْبُ منه مع الكدريّ طائرةٌ والرومُ طائرةٌ منه مع الحجَلِ

فان «الكدريّ» ــ وهو ضرب من القطا ــ من طير السهل ، والعرب بلادها المفاوز ، فقارن بينهما لمكان هذه الملاءمة الدقيقة . والحجل من طير الجبل ، والروم بلادها الجبال ، فقارن بينهما لهذا التناسب الدقيق .

الثاني : أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن به منهما ما لاقترانه به مزية ، كما في قول المتنبي :

وَقَفْتَ وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ
كأنّك في جَفْنِ الردى وهو نائمُ
تمرّ بك الأبطالُ كلمى هزيمةً
ووجهُك وضّاحٌ وثغرُك باسمُ

فان عجز كل من البيتين يلائم كلا الصدرين وصالح لأن يؤلف معه ، ولكن الشاعر اختار ما أورده لامرين :

أحدهما : ان قوله : « كأنك في جفن الردى وهو نائم » مسوق لتمثيل السلامة في مقام العطب فجعله مقرراً للوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه بالهلاك ، أنسب من جعله مقرراً لثباته في حال مرور الابطال به مهزومة.

وثانيهما : ان في تاخير قوله : « ووجهك وضّاح وثغرك باسم »
تتميما للوصف وتفريعا على الاصل اللذين يفوتان بالتقديم ، فالوصف هو
ثباته في الحرب ، والتتميم هو ان ثباته في الحرب لاحتقاره كل خطب عظيم
كما يفيده وضاحه الوجه وتبسّم الثغر في ذلك الموقف ، لا لضرورة فقدان
المهرب • والتفريع على الاصل هو ان وضاحه وجهه وابتسام ثغره عند مرور
الابطال مكلومين مهزومين فرع ثباته في الحرب حين لاشك لواقف في الموت،
والردى محيط به من جميع الجوانب ، ثم انه يسلم منه •

واستنشد سيف الدولة المتنبي يوماً قصيدته التي أولها :

على قَــدْرِ أهْلِ العــزم تأتي العزائــمُ
وتأتي على قَــدْرِ الكــرام المكــارمُ

فلما بلغ قوله : « وقفت وما في الموت شك لواقف » قال له سيف الدولة : قد
انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه وهما :

كأنيَ لــم أركب جوادخ للذّةٍ   ولم أتبطن كاعبــاً ذاتَ خلخــالِ
ولم أسبأ الزقّ الرويّ ولم أقل   لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفــالِ

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شطرا هذين البيتين • كان ينبغي لامرىء
القيس أن يقول :

كأني لم أركب جــواداً ولم أقل   لخيلي كرّي كــرّةً بعــد إجفالِ
ولــم أسبأ الزق الرويّ للذّةٍ   ولم أتبطن كاعبــاً ذاتَ خلخــالِ

ولك أن تقول :

وَقَفْتَ وما في الموت شَــكٌ لواقفٍ
ووجْهُك وضّــاحٌ وَثَغْرُكَ باســمُ

تمرُّ بـك الأبطـالُ كلمى هزيمـةً

كأنّكَ في جَفْنِ الردى وهـو نائـمُ

فقال : أيّد الله مولانا ، إنّ صح الذي استدرك على امرىء القيس هـذا كان أعلم بالشـعر منه فقد أخطأ امـرؤ القيس وأخطأت أنا • ومـولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبيـة ، وإنما قـرن امرؤ القيس لذة النسـاء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شـراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء • وأنا لما ذكرت المـوت في أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المهزوم لا يخلو من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية ، قلت : « ووجهـك وضاح وثغرك باسم » لاجمع بين الاضـداد في المعنى وإن لم يتسـع اللفظ لجميعها »[٥٤] •

وكان ابن طباطبا قد ذكر بيتي امرىء القيس حينما تكلم على تأليف الشعر وقال : « هكذا الرواية ، وهما بيتان حسنان ، ولو وضع مصراع كل واحـد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج »[٥٥] • وذكـر قول ابن هرمـة :

واني وتركي ندى الاكرميـ   نَ وقَدْحي بكفي زنـاداً شـحاحا

كتاركةٍ بيضَها في العـرا   ءِ وملبسـةٍ بيضَ أخرى جناحـا

(٥٤) يتيمة الدهر ج١ص٣٣ ، المصباح ص١١٥ ، الطـراز ج٣ص١٤٧ ، شـرح الكافية ص١٧٢ ، خزانة الأدب ص٢٣١ ، أنوار الربيع ج٤ص١٩٨ ، نفحات الازهـار ص٢٧٤ •

(٥٥) عيـار الشـعر ص٢١٠ •

وقول الفرزدق :

وانك إذ تهجو تميماً وترتشي سرابيلَ قيس أو سحوقَ العمائمِ

كمهريق ماءٍ بالفلاة وغرّه سرابٌ أذاعته رياحُ السمائمِ

وقال : « وكان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق ، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة فيقال :

فاني وتركي ندى الاكرميـن وقدْحي بكفي زناداً شحاحا

كمهريق ماءٍ بالفلاة وغرّه سرابٌ أذاعته رياحُ السمائمِ

ويقال :

وانك إذ تهجو تميماً وترتشي سرابيلَ قيس أو سحوقَ العمائمِ

كتاركةٍ بيضَها في العرا ءِ وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

حتى يصح التشبيه للشاعرين ، وإلا كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذي أريد له . وإذا تأملت أشعار القدماء لم تعدم فيها أبياتاً مختلفة المصاريع، كقول طرفة :

ولستُ بحلّال التلاع مخافةً ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أرْفِدِ

فالمصراع الثاني غير مشاكل للأول . وكقول الاعشى :

وان امرءاً أهواه بيني وبينه فيافٍ تنوفاة وبهساءُ خَيْفَقُ

لمحقوقةٌ أن تستجيبي لصوته وأن تعلمي أنّ المعان موفّقُ[56]

فقوله : « وأن تعلمي أن المعان موفق » غير مشاكل لما قبله . وكقوله :

أغرّ أبيض يُسْتَسْقى الغمامُ به لو قارعَ الناس عن أحسابهم قرعا

---

(٥٦) التنوفة : القفر . الخيفق : الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب .

فالمصراع الثاني غير مشاكل للأول وإن كان كل واحد منهما قائماً بنفسه » .

ومن هذا الفن قوله تعالى : « إنَّ لكَ ألاّ تجوعَ فيها ولا تَعْرى . وأنّكَ لا تظمأُ فيها ولا تَضْحى »[57] فانه لم يراعِ فيه مناسبة الريّ للشبع ، والاستظلال للبس ، بل روعيت المناسبة بين اللبس والشبع في عدم الاستغناء عنهما ، وانهما من أصول النعمة ، وبين الاستظلال والري في كونهما تابعين لهما ومكملين لمنافعهما . وهذا أدخل في الامتنان لما في تقديم أصول النعم وإرداف التوابع في الاستيعاب .

ائتلاف المعنى مع الوزن :

قال قدامة : « هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن الى نقصها عن الواجب ، ولا الى الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ، ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته »[58] . وعيوب ائتلاف المعنى والوزن : المقلوب ، والمبتور ، ومثال المقلوب قول عروة بن الورد :

فلو أني شهدتُ أبا سعادٍ ... غداةَ غدا بمهجته يفوقُ[59]

فديتُ بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوك إلاّ ما أطيقُ

أراد أن يقول : « فديت نفسه بنفسي » ، فقلب المعنى .

ومثال المبتور قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان عليّ أمري ... ومَنْ لك بالتدبر في الأمور

---

(57) طه 118–119 .

(58) نقد الشعر ص190 ، 252 ، الموشح ص128 .

(59) فاق الرجل : أشرفت نفسه على الخروج أو الموت .

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى ، ولكنه أتى بالبيت الثاني بتمامه فقال:

إذن لملكتُ عصمةَ أمِّ وَهْبٍ   على ما كان من حَسَكِ الصدور[٦٠]

وتبعه البلاغيون الآخرون في هذا الفن ، ومنهم : المصري ، وابن مالك ، والحموي ، والسيوطي ، والمدني ، والنابلسي[٦١] .

ائتلاف الوزن مع المعنى :

سماه المدني : « ائتلاف المعنى مع الوزن » وقال في تعريفه : « هذا النوع عبارة عن أن يكون البيت صحيح المعنى مستقيم الوزن ، لا يضطر الشاعر فيه لاقامة الوزن الى اخراج المعنى عن وجه الصحة أو تقديم ، أو تأخير ، أو حذف »[٦٢] وذكر أمثلة السابقين . ولكن القرطاجني تحدث عن صلة الوزن بالمعنى ، أي ان للأعاريض اعتباراً من جهة ما تليق به من الاغراض، فمنها أعاريض فخمة تصلح للفخر ، ومنها أعاريض رقيقة تصلح لاظهار الحزن، وعلى هذا الاساس قسّم أوزان الشعر الى السبط ، والجعد ، واللين الشديد، والذي بين بين . ويقوم هذا التقسيم على اعتبار الحركات والسكنات . والسبطات : هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحركات . والجعدة : هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن من جزءين أو ثلاثة من جزء ــ أي لا يكون بين ساكن منها وآخر إلاّ حركة ــ والمعتدلة : هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن من جزءين أو ساكنان في جزء . والقوية : هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على وتد أو سببين . والضعيفة : هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها

---

(٦٠) الحسكة : العداوة والحقد .

(٦١) تحرير التحبير ص٢٢٣ ، المصباح ص١١٦ ، شرح الكافية البديعية ص٢٥٤، خزانة الادب ص٤٣٨ ، شرح عقود الجمان ص١٥٥ ، أنوار الربيع ج٦ ص٢٢٧ ، نفحات الازهار ص٣٣٤ .

(٦٢) أنوار الربيع ج٦ ص٢٢٧ .

على سبب واحد،ويكون طرفاه قابلين للتغيير[٦٣] . وهذه الحركات والسكنات لها ميزة في السمع وصفة أو صفات تخصه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش ، ومن جهة ما يوجد له سباطة وسهولة ، أو جعودة وتوعر . ولما كانت أغراض الشعر مختلفة وجب أن تحاكى تلك الاغراض والمقاصد بما يناسبها من الاوزان ، وأعلى البحور درجة الطويل ، والبسيط ، ويتلوهما الوافر ، والكامل . ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره ، ويتلو ذلك الخفيف . أما المديد والرمل ففيهما ضعف ولين ، وأما المنسرح ففيه اضطراب وتقلقل ، وفي السريع والرجز كزازة ، وفي المتقارب سذاجة لتكرار أجزائه وإن كان الكلام فيه حسن الاطراد ، وفي الهزج سذاجة وحدّة ، وفي المجتث والمقتضب حلاوة قليلة على طيش فيهما ، وفي المضارع قبح ، ولذلك ينبغي أن يصاغ الشعر في الوزن الذي يلائم معناه .

ولم يتحدث البلاغيون والنقاد الآخرون مثل هذا الحديث وانما تابعوا قدامة على الرغم من أن الفلاسفة المسلمين أشاروا الى هذه المسألة فقال الفارابي وهو يتحدث عن اليونان : « جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعاً من أنواع الوزن ، مثل أنّ أوزان المدائح غير أوزان الأهاجي ، وأوزان الاهاجي غير أوزان المضحكات ، وكذلك سائرها »[٦٤] .

وقال ابن سينا : « واليونانيون كانت لهم أغراض محدودة فيما يقولون الشعر ، وكانوا يخصون كل غرض بوزن على حدة ، وكانوا يسمون كل وزن باسم على حدة »[٦٥] . ولكن القرطاجني أراد أن يثبت غير ما قاله هذان الفيلسوفان حينما نسب هذه المزية الى اليونان وحدهم ، فتحدث عن صلة

---

(٦٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٢٦٠ .
(٦٤) رسالة في قوانين صناعة الشعراء (فن الشعر) ص١٥٢ .
(٦٥) كتاب المجموع ص٣٠ .

الوزن بأغراض الشعر العربي أو « ائتلاف الـوزن مع المعنى » ولكنه لـم يفصّل القول في ذلك وظل بعيـداً عن كشف أسرار هـذا الائتلاف ، وظـل البلاغيون والنقاد الآخرون مرتبطين بما قاله قدامة في هذا الفن .

الابانـة :

الابانة : الظهور ، أبان يبين إبانة فهو مبين(٦٦) .

والابانة : ايضاح المعنى ، وهي بخلاف الاغلاق ، قال الجاحظ : « فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب ، والاغلاق والابانة ، والملحون والمعرب ، كله سواءً وكله بياناً »(٦٧) . فالابانة من صفات الكلام الحسن بخلاف الاغلاق والابهام .

الابتـداء :

ينبغي أن يتأنق الأديب في ثلاثة مواضع من كلامـه حتى يكون أعـذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأوضح معنى . وهـذه المواضع هي : الابتـداء ، والتخلص ، والانتهاء.

والابتداء : أن يكون مطلع الكلام شـعراً أو نثراً أنيقاً بديعاً ، لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السـامع على الكـلام ويعيه ، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإنْ كان في غاية الحسن . وقد استحسن القدماء مطلع النابغة الذبيـاني :

كِليني لهم يا أميمـة ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

---

(٦٦) اللسـان (بين) .
(٦٧) البيـان ج١ ص١٦٢ .

وقالوا : ان الابتداءات البارعة التي تقدم أصحابها معروفة ، ومنها قول النابغة المتقدم ، وقول علقمة بن عبدة :

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب بُعيدَ الشباب عَصْرَ حان مشيبُ

وقول امرىء القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول القطامي :

إنّا محيوك فاسْلَمْ أيّها الطّلَلُ وإن بليتَ وإن أعيا بك الطِيَلُ

وقول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أَجْملي جزعا إنّ الذي تحذرين قد وقعا

إنّ الذي جمع الشجاعة والنجْ دةَ والحزمَ والندى جُمعا

الألمعيّ الذي يظن بك الظنْ نَ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا

وقالوا : « لم يبتدىء أحد من الشعراء بأحسن مما ابتدأ به أوس بن حجر ، لأنه افتتح المرثية بلفظ نطق به على المذهب الذي ذهب اليه منها في القصيدة فأشعرك بمراده في أول بيت »(٦٨) .

وقول أبي ذؤيب :

أَمِنَ المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومثل هذه الابتداءات كثير في شعر القدماء والمحدثين .

واستقبحوا مطلع اسحاق الموصلي :

يا دارُ غَيّرك البلى ومحاكِ يا ليت شعري ما الذي أبْلاكِ

(٦٨) حلية المحاضرة ج١ ص٢٠٦

لان القصيدة في تهنئة المعتصم بالله لما بنى قصره بالميدان وجلس فيه ، وقيل : إنّ المعتصم تطيَّرَ بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

ووقع شعراء آخرون في مثل ذلك منهم المتنبي الذي له « ابتداءات ليست من أحرار الكلام وغرره بل هي ــ كما نعاها عليه العائبون ــ مستشنعة »[٦٩] ، من ذلك قوله :

هذي بَرَزْتِ لنا فَهِجْتِ رسيسا ثم انصرفْتِ وما شفيتِ نَسيسا

فانه لم يرضَ بحذف علامة النداء من «هذي» حتى ذكر « الرسيس » و «النسيس» فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ، ويسمى « براعة الاستهلال » كقول أبي تمام يهنىء المعتصم بفتح عمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السيفُ أَصْدَقُ أنباءً من الكتبِ
في حدّه الحد بين الجدِّ واللَّعِبِ

بيضُ الصفائحُ لا سُودُ الصحائف في
مُتونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرِيَبِ

وهذا ما ذهب اليه البلاغيون والنقاد وأكدوه[٧٠] ، ومنهم من يسمي هذا الفن « حسن المطالع والمبادي » كالثعالبي الذي عقد فصلاً للكلام على ابتداءات المتنبي الحسنة[٧١] ، وابن قيم الجوزية الذي قال : « وذلك دليل

(٦٩) يتيمة الدهر ج١ ص١٦١ .
(٧٠) التلخيص ص٤٢٩ ، الايضاح ص٤٢٨ ، عروس الافراح ج٤ص٥٣١ ، المختصر ج٤ص٥٣١ ، المطول ص٤٧٧ ، مواهب النقاح ج٤ص٥٣١ .
(٧١) يتيمة الدهر ج١ص١٩٠ .

على جودة البيان وبلوغ المعاني الى الاذهان فانه أول شيء يدخل الأذن ، وأول معنى يصل الى القلب ، وأول ميدان يجول فيه تعبير العقل »[٧٢] .
وقسمه قسمين :

الأول : جلي ، كقوله تعالى : « الحمدُ لله ِ ربِّ العالمينَ »[٧٣] . وأكثر مطالع سور القرآن الكريم على هذا النمط .

الثاني : خفي ، كقوله تعالى : « ألم . ذلك الكتابُ »[٧٤] ، وما يجري مجرى ذلك من السور التي افتتحت بالحروف المفردة والمركبة .

ومنهم من يسميه « المبادي والافتتاحات » كابن الاثير الجزري[٧٥] .

والابتداء : هو الجزء الواقع في صدر البيت ، قال الشريف الجرجاني : « هو أول جزء من المصراع الثاني »[٧٦] .

الابتداع :

بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : أنشأه وبدأه ، وفلان بدع في هذا الامر ، أي : أول لم يسبقه أحد[٧٧] .

الابتداع : « أن يبتدع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبع فيه »[٧٨] كقول عنترة :

---

(٧٢) الفوائد ص١٣٧ .
(٧٣) الفاتحة ٢ .
(٧٤) البقرة ٢ .
(٧٥) المثل السائر ج٢ص٢٣٥ ، الجامع الكبير ص١٨٧ ، وينظر نصرة الثائر ص ٨٧–٨٨ .
(٧٦) التعريفات ص٤ .
(٧٧) اللسان (بدع) .
(٧٨) جوهر الكنز ص١٥٩ .

وخلا الذبابُ به فليس ببارحٍ غَـرِداً كفِعْلِ الشاربِ المترنمِ

هَزِجاً يحكُّ ذراعَه بذراعـه قَدْحَ المُكبِّ على الزناد الأجذَمِ

فقد ابتدع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يشبهه آحد فيه ، وقالوا : « لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذه إلا بيت عنترة[٧٩] .

والابتداع أساس الشعر ، قال ابن رشيق : « فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما أطاله سواه من الالفاظ أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير »[٨٠] .

فالابتداع هو الاتيان بالجديد الذي لم يسمع ، وهو مما يصبو اليه القلب والطرف[٨١] . وباب ابتداع المعاني « مفتوح الى يوم القيامة ، ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له »[٨٢] . ورَدَّ ابن الاثير رأيَ من ذهب الى أن باب الابتداع مسدود ، لان الاوائل لم يتركوا للمتأخرين شيئاً[٨٣] . ونظرة في الشعر العربي ــ قديمه وحديثه ــ تؤكده وهذه مسألة تحدث عنها الجاحظ فقال : « ما على الناس شيء أضر من قولهم: « ما ترك الأول للآخر شيئاً »[٨٤] أي انه دعا الى فتح باب الابتداع والابداع .

---

(٧٩) البيان ج٣ ص٣٢٦ .
(٨٠) العمدة ج١ ص١١٦ .
(٨١) زهر الآداب ج١ص٧ .
(٨٢) المثل السائر ج٢ص٢٦٣ .
(٨٣) ينظر المثل السائر ج٢ ص٢٦٢-٢٦٣ .
(٨٤) ينظر الخصائص ج١ص١٩٠ ، دلائل الاعجاز ص٢٢٦ .
(٨٥) اللسان (بذل) .

الابتـذال :

الابتذال ضد الصيانة ، وابتذال الثوب وغيره امتهانه . يقال : تبذَّلَ في عمل كذا وكذا : ابتذل نفسه فيما تولاه من عمل[٨٥] .

الابتذال : هو استعمال الساقط العامي لفظاً أو معنى ، قال الجاحظ : « لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً سُوقياً »[٨٦] . ومثل له ابن سنان بقول ابن نباتة :

أقام قوامَ الدين زيغُ قناته وأنضج كيَّ الجرح وهو فطيرُ

فان لفظة «فطير» عامية مبتذلة ، ومن شرط اللفظة الفصيحة أن تكون « غير ساقطة عامية »[٨٧] . وأكد البلاغيون والنقاد هذا الشرط ، قال الباقلاني : « ويجب أن يتنكب ما كان عاميَّ اللفظ ، مبتذل العبارة ، ركيك المعنى ، سَفْسافيَّ الوضع ، مجتلب التأسيس على غير أصل ممهد ولا طريق موطد »[٨٨] .

والكلمة المبتذلة بين الناس قسمان :

الأول : ما كان من الالفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل اللغة فغيَّرته العامة وجعلته دالاً على معنى آخر ، وهو ضربان : ما يكره لفظه كقول المتنبي :

أذاق الغواني حسنه ما أذقنني وعفَّ فجازاهن عني بالصَّرْم

فان معنى « الصَّرْم » : القطع ، وغيَّرته العامة وجعلته دالاً على المحل المخصوص من الحيوان .

---

(٨٦) البيان ج١ ص١٤٤ .
(٨٧) سر الفصاحة ص٧٨ .
(٨٨) اعجاز القرآن ص١٧٨ .

والآخر : انه وضع في أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالاً على غيره إلاّ انه ليس بمستقبح ولا مستكره ، وذلك كتسميتهم الانسان ظريفاً إذا كان دمث الاخلاق ، حسن الصورة أو اللباس . والظرف في أصل اللغة مختص بالنطق فقط .

الثاني : هو الذي لم تغيره العامة عن وضعه ، وانما أنكر استعماله لانه مبتذل بينهم ، لا لأنه مستقبح ، ولا لانه مخالف لما وضع له ، وإنما لانه سخيف ضعيف كقول المتنبي :

وملمومة سيفية ربعية يصيح الحصا فيها صياحَ اللقالقِ

فان لفظة « اللقالق » مبتذلة بين العامة(٨٩) .

وأوضح القرطاجني رأيه في الابتذال والغرابة من خلال تقسيمه الكلمة فقال ما ملخصه : « الكلام على أقسام :

الاول : ما استعملته العرب دون المحدثين ، وكان استعمال العرب له كثيراً في الاشعار وغيرها ، فهذا حسن فصيح .

الثاني : ما استعملته العرب قليلاً ولم يحسن تأليفه ولا صيغته ، فهذا لا يحسن ايراده .

الثالث : ما استعمله العرب وخاصة المحدثين دون عامتهم ، فهذا حسن جداً ، لانه خلص من حوشية العرب وابتذالَ العامة .

الرابع : ما كثر في كلام العرب وخاصة المحدثين وعامتهم ، ولم يكثر في ألسنة العامة ، فلا بأس به .

---

(٨٩) المثل السائر ج١ص١٨٠ ، الجامع الكبير ص٤٩ ، وينظر جوهر الكنز ص٣٩ ، الأقصى القريب ص٣٦ .

الخامس : ما كان كذلك ، ولكنه كثر في السنة العامة ، وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصة عن هذا ، فهذا يقبح استعماله لابتذاله .

السادس : ان يكون ذلك الاسم كثيرا عند الخاصة والعامة وليس له اسم آخر ، وليست العامة احوج لذكره من الخاصة ، ولم يكن من الاشياء التي هي انسب باهل المهن ، فهذا لا يقبح ، وليس يعد مبتذلاً ، مثل لفظ « الراس » و « العين » .

السابع : أن يكون ــ كما ذكرناه ــ إلاّ أن حاجة العامة له أكثر ، فهو كثير الدوران بينهم كالصنائع ، فهذا مبتذل .

الثامن : أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنى وقد استعملوها دون الخاصة ، وكان استعمال العوام لها من غير تغيير ، فاستعمالها على ما نطقت به العرب ليس مبتذلاً ، وعلى التغيير قبيح مبتذل »[90] .

ولا يتضح كلام القرطاجني كثيراً ، لان القسم الاول من كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » مفقود ، ولعله أوضح هذه المسألة فيه . وقد ألحق السيوطي بعبارة القرطاجني قوله : « ان الابتذال في الالفاظ وما يدل عليه ليس وصفاً ذاتياً ولا عرضاً لازماً ، بل لاحقا من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان وصقع دون صقع[91] ولعلها عبارة بهاءالدين السبكي صاحب « عروس الافراح » .

وكان عبدالقاهر قد أشار الى هذه المسألة وذكر ان كثرة الاستعمال يجعل اللفظ أو المعنى مبتذلاً ، قال : « لا يمتنع أن يسبق الأول الى تشبيه

---

(٩٠) عروس الافراح ج١ص٩٣ ، المزهر ج١ص١٩٠ ، منهاج البلغاء ص٣٨٥ .
(٩١) المزهر ج١ص١٩١ .

لطيف بحسن تأمله وحدة خاطره ، ثــم يشيع ويتسع ويذكر ويشــهر حتى يخرج الى حد المبتذل والى المشترك في أصله ، وحتى يجري مع دقة تفصيل فيه مجرى المجمل الذي تقوله الوليدة الصغيرة والعجوز الورهــاء ، فانك تعلم أنّ قولنا : « لا يشق غباره » الآن في الابتذال كقولنا : « لا يلحــق ولا يدرك » و « هو كالبرق » ونحو ذلك ، إلاّ أنا إذا رجعنا الى أنفســنا علمنا أنه لم يكن كذلك من أصله ، وأن هذا الابتــذال أتاه بعد أن قضى زمــانا بطراءة الشباب وجدة الفتاء وبعزة المنيع »(٩٢) ..

الابــداع :

الابداع : من أبدع ، وهو أن يأتي الشاعر بالبديع ، والبديع : الشــيء الذي يكون أولاً(٩٣) .

والابداع سمة الشــاعر المبتكر والكاتب المقتدر ، وقد وضعه البلاغيون والنقاد في قمة الانتاج . قال ابن رشيق : « الأبداع : هو اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجرِ العادة بمثله ، ثم لزمته هــذه التسمية حتى قيل له : بديع وان كثر وتكرر . فصار الاختراع للمعنى والابــداع للفظ ، فاذا تــمّ للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمــد ، وحاز قصب السبق »(٩٤) .

وقال الوطواط : « قال أرباب البيان : إن هذه الصنعة عبارة عــن نظم المعاني البديعة في ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف . وفي رأيي أن ذلك لا يدخل

---

(٩٢) أسـرار البلاغة ص١٧٤ .
(٩٣) اللســان (بدع) .
(٩٤) العمــدة ج١ص٢٦٥ .
(٩٥) حـدائق السـحر ص١٨٨ .

في جملة الصناعات ، لأن كلام العقلاء سواء المنظوم منه أو المنثور يجب أن يكون على هذا النسق ، فان لم يكن كذلك اعتبر من أحاديث العوام »[٦٥].

وقال ابن الاثير : « إن المعاني المبتدعة شبيهه بمسائل حساب المجهول من الجبر والمقابله ، فكما انك إذا وردت عليك مسأله من المجهولات تأخذها وتقلبها ظهراً لبطن ، وتنظر الى أوائلها وأواخرها ، وتعتبر أطرافها وأوساطها، وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم ، فكذلك إذا ورد عليك معنى من المعاني ينبغي لك أن تنظر فيه كنظرك في المجهولات الحسابية إلاّ أن هذا لا يقع في كل معنى ، فان أكثر المعاني قد طرق وسبق اليه ، والابداع إنما يقع في معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك إلاّ في أمر غريب لم يأتِ مثله ، وحينئذ إذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الابداع فيه »[٦٦] • وقسم المعاني الى ضربين :

أحدهما : يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه ، وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، ويتنبه له عند الأمور الطارئة، ومن ذلك ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصلّبين :

بكروا وأسْرَوا في متون ضوامرٍ قيدت لهم من مَرْبَطِ النجارِ

لا يَبْرحونَ ومَنْ رآهم خالَهم أبداً على سَفَرٍ من الأسفارِ

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كلفة كبيرة لشاهد الحال الحاضرة • ومن هذا الضرب ما جاء في شعر المتنبي في وصف الحمى ، وهو قوله :

وزائرتي كأنّ بها حياءً فليس تزور إلاّ في الظلامِ

(٩٦) المثل السائر ج١ص٣٣٣ •

بَذَلْتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتَتْ في عظامي
كأنَّ الصبحَ يطردها فتجري مدامِعُها بأربعةٍ سجامِ
أراقبُ وقتها من غير شَوْقٍ مراقبةَ المشوق المستهامِ

وأما الضرب الثاني وهو الذي يُحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جلّ ما يستعمله مؤلفو الكلام ، ولذلك قال عنترة :

هل غادر الشعراءُ من متردمٍ أم هل عَرَفْتَ الدار بعد تَوَهُّمِ[97]

ولكن قول القائل : « لم يترك المتقدم للمتأخر شيئاً » لا يؤخذ به ، لان في كل زمان جديداً ، وفي كل عصر بديعاً ، وقد أكثر المتأخرون من الابداع .

وقال المصري : « وهو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة متضمنه بديعاً بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينه الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته ، وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان فصاعداً من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع »[98] . واستخرج آحد وعشرين ضرباً من المحاسن البديعية في قوله تعالى : « وقيل : يا أَرْضُ ابْلَعي ماءَكِ ، ويا سماءُ أَقْلعي ، وغِيضَ الماءُ وقُضيَ الأمْرُ ، واستوتْ على الجوديِّ ، وقيلَ : بُعْداً للقومِ الظالمينَ »[99] . ومن هذه الفنون : المناسبة ، والمطابقة ، والاستعارة ، والتمثيل ، والإرداف ، والتعليل ، وصحة التقسيم[100] .

---

(٩٧) المثل السائر ج١ص٣١٢ .
(٩٨) تحرير التحبير ص٦١١ ، بديع القرآن ص٣٤٠ .
(٩٩) هود ٤٤ .
(١٠٠) السابقان ، حسن التوسل ص٣١٣ ، نهاية الارب ج٧ص١٧٥ ، جوهر الكنز ص٢٣١ ، شرح الكافية البديعية ص٢٩٢ ، خزانة الأدب ص٣٧٠ ، الاتقان ج٢ص٩٦ ، معترك الاقران ج١ص٤١٩ ، أنوار الربيع ج٥ص٣٢٨ ، نفحات الازهار ص٢١٢ .

وقال السبكي : « هو ما يتدع عند الحوادث المتجددة كالأمثـال التي تخترع وتضرب عند الوقائع »[101] • وهذا ما أفاض فيه ابن الاثير عندما تكلم على المعـاني • وذكر السيوطي أن الطيبي سمى هذا النوع « إبداعا » وسماه أصحاب البديعيات « سلامة الاختراع »[102] • وتعريفهم للأخير يخرجـه من الاول الذي عرّفه المصري ومن سـار على نهجه تعريفا يختلف عـن تعريف سلامة الأختراع ، قال المدني : « هذا النوع عبارة عن أن يخترع الشـاعر معنى لم يسبق اليه ، وسماه بعضهم الأبداع وهو اسم مطابق للمسمى ، غـير أن أصحاب البديعيات وكثيرا من علماء البديع اصطلحوا على جعـل الأبداع اسماً للاتيان في البيت الواحد والفقرة الواحـدة بعدة أنواع من البـديع ، وسموا هذا النوع بسلامة الأختراع ، ولكلٍ ما اصطلح »[103] •

فالابداع عند بعضهم هو « سلامة الاختراع » والابداع عند آخـرين هو أن يكون البيت من الشـعر أو الفصل من النثر مشتملاً على عدة ضروب من البديع ، وهو ما ذهب اليه المصري وأصحاب البديعيات • ولذلـك كان للابداع وسلامة الاختراع تعريفان مختلفان عندهم ، وإن ذهب المدني الى أن « الابداع » اسم مطابق للمسمى ، غـير انه خصّ بضروب البديع ، وخصّ « سلامة الاختراع » بالمعنى الجديد •

إبراز الكلام صورة المستحيل :

قد يبرز الكلام في صورة المستحيل ، وذلك على طريق المبالغـة ليدلّ على بقية جمله ، كقوله تعالى : « ولا يَدْخُلونَ الجنّةَ حتى يَلِجَ الجملُ

---

(101) عروس الافراح ج4ص473 .
(102) شرح عقود الجمـان ص163 •
(103) انوار الربيع ج6ص204 ، وينظر شرح الكافية البديعية ص219 •

في سَمِّ الخِياط »[104] . وغالى بعض الشعراء في وصف النحول فقال :

ولو أنَّ ما بي من جَوىً وصبابةٍ على جمل لم يَبْقَ في النار خالدُ

وهذا الفن من صور المبالغة المتناهية ، وقد تحدث الزركشي عنه في فنون البديع[105] .

أبكار المعاني :

بكر كل شيء : أوله ، وكل فعلة لم يتقدمها مثل بكر ، والبكر : أول ولد الرجل غلاماً كان أو جارية[106] .

وأبكار المعاني : هي المعاني الجديدة ، وقد عقد الثعالبي مبحثاً لابكار المعاني في المراثي والتعازي في شعر المتنبي[107] ، ويبدو من الاشعار التي ذكرها ان المتنبي سبق الى بعض المعاني وكان ابن بجدتها كقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته :

ولعمري لقد شغلْتَ المنايا بالأعادي فكيف يطْلبْنَ شغلا

وكم انتشت بالسيوف من الدهْـ ـر أسيراً وبالنوال مقتّلا

خطبة للحمام ليس لها ردٌّ وإن كانت المسماة ثكلا

وإذا لم تجد من الناس كفواً ذاتُ خدر أرادت الموتَ بَعْلا

قال الثعالبي : « هذا أحسن ما قيل في مرثية حرم الملوك »[108] .

(١٠٤) الأعراف ٤٠ .
(١٠٥) البرهان في علوم القرآن ج٣ص٤٧ .
(١٠٦) اللسان (بكر) .
(١٠٧) ينظر يتيمة الدهر ج١ص٢٢٨ .
(١٠٨) يتيمة الدهر ج١ص٢٣٠ .

ويتصل موضوع ابكار المعاني بالابداع الذي يفتح السبيل أمام الاديب ليأتي بكل مبتـدع طريف •

الإبهــام :

الابهام ــ بالباء الموحدة ــ : هو الكلام الموهم ، لان له أكثر من وجه • وابهام الامر ان يشتبه فلا يعرف وجهه ، وقد ابهمه • واستبهم عليهم الامر : لم يدروا كيف يأتون له • واستبهم عليه الامر : استغلق[109] •

والابهام عند البلاغيين والنقـاد : « ايراد الكـلام محتملاً لوجهـين مختلفين »[110] ، وسماه السكاكي التوجيه ، وسماه السيوطي كذلك ، ولعله يريد السـكاكي حينما قال في التوجيه : « وعرّفه قوم بأن يحتمل الكـلام وجهين متباينين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح او ذم أو غيره » ، وذكر تعريفا آخر ينطبق على الابهام فقال : « وقوم بان يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذم ، وهذا رأي لا نرضاه • والذي عليه حذاق الصنعة وأصحاب البديعيات وأولهـم الصفي الحلي أن هـذا التفسير للنوع المسمى بالأبهـام ــ بالباء الموحدة ــ كما اخترعه ابن أبي الاصبع وسماه وعرّفه بذلك »[111] •

وفرق المصري بين الابهام والاشتراك فقال : « الاشـتراك لا يقع إلاّ في لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيهما أراد المتكلم • والابهام لا يكون إلاّ في الجمل المؤتلفة المفيـدة ، ويختص بالفنون كالمـدح ، والهجاء ، والعتـاب ، والاعتـذار ، والفخـر ، والرثـاء ، والنسـيب ، وغـير ذلك ، ولا كذلك الاشتراك »[112] • أي : ان الابهام عنده « أن يقول المتكلم كلامـاً يحتمـل

---

(109) اللسـان (بهم) •
(110) مفتاح العلوم ص٢٠٢ ، وينظر الكشاف ج١ص٤٠٠ ، الكليات ج١ص٢٧ •
(111) شرح عقود الجمان ص١٢٧ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص٨٩ •
(112) بديع القرآن ص٣٠٦ ، تحرير التحبير ص٥٩٦ •

معنيين متضادين لا يتميز أحدهما على الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك ، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصداً »(١١٣) .

وسار البلاغيون على خطى المصري في التسمية والتعريف(١١٤) ، وقال المدني : « وزاد بعضهم : وينبغي أن يكون المراد انه إذا جرد عن القرائن ولم ينظر الى القائل والمقول فيه كان احتماله للمعنيين على السوية »(١١٥) . وعقد العلوي فصلا للابهام والتفسير وقال : « ان المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فانه يفيده بلاغة ويكسبه اعجاباً وفخامة ، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الابهام فان السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب . ومصداق هذه المقالة قوله تعالى : « وقَضَيْنا اليه ذلك الأمْرَ »(١١٦) ثم فسره بقوله: « إنَّ دابِرَ هؤلاءِ مقطوعٌ مُصْبِحينَ »(١١٧) . والابهام عند المتأخرين ــ ولا سيما أصحاب البديعيات ــ هو ما ذهب اليه المصري الذي ذكر له قول الشاعر مثالا :

جاء من زيد قباء ليت عينيه سواء

فما علم أحد هل أراد ان الصحيحة تساوي السقيمة أو العكس .

وكان ابن الاثير قد عقد فصلا للحكم على المعاني ، وقال : إنَّ المتنبي كثيراً ما يقصد الابهام في كافورياته ، ومن ذلك قوله في كافور :

فما لك تُعْنى بالأسنّةِ والقنا وجَدُّكَ طعّانٌ بغير سنانِ

---

(١١٣) السابقان .
(١١٤) حسن التوسل ص٣١١ ، نهاية الارب ج٧ص١٧٤ ، شرح الكافية البديعية ص٨٩ ، خزانة الأدب ص٧٩ ، نفحات الازهار ص٦ .
(١١٥) أنوار الربيع ج٢ص٥ .
(١١٦) الحجر ٦٦ .
(١١٧) الطراز ج٢ص٧٨ .

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح ، لانه يقول : « لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجد وسعادة ، وهذا لا فضل فيه ، لان السعادة تنال الخامل والجاهد[118] ومن لا يستحقها »[119] .

ومن أمثلة الابهام التي ذكرها المدني قوله تعالى حكاية عن اليهود : « من الذين هَادوا يُحرّفونَ الكَلِمَ عن مواضِعه ، ويقولون سَمِعْنا وعَصَيْنا ، واسْمَعْ غيرَ مُسْمَعٍ ، وراعِنا لَيّاً بألسِنَتِهِم وطعْناً في الدّين »[120] . قال الزمخشري : « قولهم : « غير مسمع » حال من المخاطب ، أي : اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين ، يحتمل الذم أي : اسمع منا مدعواً عليك — بلا سمعت — لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع . قالوا ذلك اتكالاً على أنّ قولهم « لا سمعت » دعوة مستجابة ، أو اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه . ومعناه غير مسمع جواباً يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه فسمعك عنه نابٍ . ويجوز على هذا أن يكون « غير مسمع » مفعول « اسمع » أي : اسمع كلاماً غير مسمع إياك ، لان اذنك لا تعيه نُبُوّاً عنه . ويحتمل المدح ، أي : اسمع غير مسمع مكروهاً من قولك : اسمع فلان فلاناً إذا سبّه . وكذلك قولهم : « راعِنا » يحتمل « راعنا نكلمك » أي : ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسّابون بها ، وهي « راعينا » فكانوا سخرية بالدين وهزؤاً برسول الله — صلى الله عليه وسلم — يكلمونه بكلام محتمل ، ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام . ليّاً بألسنتهم : فتلاً بها وتحريفاً أي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون « راعنا » موضع « انظرنا » أو « غير مسمع » موضع :

---

(118) كذا في طبعات المثل السائر ، وفي أنوار الربيع ج٢ص١٦ : الجاهل .
(119) المثل السائر ج١ص٣٥ .
(120) النساء ٤٦ .

لا اسمعت مكروهاً . أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً .

فإن قلت : كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا : سمعنا وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء . ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به »[١٢١] .

ومنه قول النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — وقد ذكر عنده سريح بن الحضرمي وهو من الصحابة : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » فيحتمل وجهين ذكرهما ثعلب عن ابن الأعرابي :

أحدهما : المدح وهو : انه لا ينام الليل حتى يتوسد القرآن معه فيكون مدحاً .

والثاني : الذم وهو أنّه ينام ولا يتوسده معه ، أي لا يحفظه ، فيكون ذماً .

ومن أمثلة الابهام قول محمد بن حازم الباهلي في الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بأبنته بوران :

بارك اللهُ للحسن ولبورانَ في الخَتَنْ

يا ابنَ هرون قد ظفرْ تَ ولكن ببنت مَنْ

فلا يُعلم ما أراد بـ « بنت مَنْ » في الرفعة أو الحقارة ، ولما نمي هذا الشعر الى المأمون قال : « والله ما ندري أخيراً أراد أم شرا » .

---

(١٢١) الكشاف ج١ص٤٠٠ .

ومن ذلك قول الشـــاعر :

ويرغب أنْ يبني المعاليَ خالدٌ ويرغب أنْ يرضى صنيع الألائم

فان هذا يحتمل المدح والذم ، لانه إن قدر «في» أولاً و«عن» ثانياً فمـدح ، وإن عكس فذم إذ يقال : رغب فيه ، ورغب عنه .

ومنه قول المتنبي في مدح كافور :

ويغنيك عما ينسب الناس أنه اليك ترامى المكرماتُ وتُنْسَبُ

فقد يريد به المدح ، أو السخرية ، أي : انه لا نسب لكافور .

وقوله :

وما طربي لمّا رأيتك بِدْعـةً لقد كنت أرجو أن أراك فأطْرَبُ

فقد يحتمل السخرية والاستهزاء ، أو المدح .

وتحدث السجلماسي عن الابهام وقال : إنّ تحته نوعين هما : التنويـه ، والتعمية ، وذكر للتنويه التفخيم والايماء ، وللتعمية اللحن ، والرمز ، والتورية والحذف[١٢٢] ، وهذه من الموضوعات التي بحثها كثير من البلاغيين والنقـاد في فصول مسـتقلة .

الأبيـــات الغـر :

الغُرَّة : بياض في جبهة الفرس وقيل : الأغر من الخيل : الذي غـرّته أكبر من الدرهم وقد وسطت جبهته . وغرّة الفرس : البياض الذي يكـون في وجهه[١٢٣] .

---

(١٢٢) ينظر المنزع البديع ص٢٦٢ وما بعدها وص٤٢٣-٤٢٤ .
(١٢٣) اللســـان (غرر) .

قال ثعلب : « الأبيات الغُرّ : واحدها «أغَرّ» وهو ما نجم من صدر البيت بتمام معناه دون عجزه ، وكان لو طرح آخره لاغنى أوله بوضوح دلالته • وانما ألفنا هذه الابيات مصلية وجعلناها بالسوابق لاحقة لملاءمتها إياها وممازجتها لها في اتفاق أوائلها وإن افترقت أواخرها ، لان سبيل المتكلم الافهام ، وبغية المتعلم الاستفهام • فأخف الكلام على الناطق مؤونة وأسهله على السامع محملاً ما فهم عن ابتدائه مراد قائله وأبان قليله ووضح دليله »[124] •

ومنها قول الخنساء :

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به   كأنّهُ عَلَمٌ في رأْسِه نارُ

وقول النابغة :

فانكَ كالليل الذي هو مُدْركي   وإن خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسع

فمعنى كل صدر من البيتين تام وجيء بالعجز زيادة في الايضاح أو التقرير •

الأبيات المحجلة :

الفرس المُحجّل : هو الذي يرتفع البياض في قوائمه في موضع القيد[125] • قال ثعلب : « الأبيات المحجلة ما تُنتج قافية البيت عن عروضه وأبان عجزه بغية قائله ، وكان كتحجيل الخيل والنور يعقب الليل • وإنما رتبنا هذه في الطبقة الثالثة وجعلناها للمصلية تالية لشبهها بها ومقاربتها لها وانتظامها معها ، وإنه إذا أُلّف بين أوائل الطبقة الثانية وأواخر الرتبة الثالثة خلصت سليمة معتدلة ، فاذا وصل بين أعجاز الابيات المصليّة وأوائل شطور الطبقة الثالثة حصلت بها مظنة على جودة أعجازها وحسن مقاطيعها في الاستقلال

(١٢٤) قواعد الشعر ص٦٧ •
(١٢٥) اللسان (حجل) •

كالألفات المفردة بشهرتها عن الايغال كعبد المدآن ، وآكل المـرار ، وملاعب الاسنة ، وذي الرمحين ، وذي البردين »[١٢٦] .

ومنها قول امرىء القيس :

من ذكر ليلى وأين ليلى   وخير ما رمت لا ينـال

وقول عنترة :

فاقْنَي حياءَكِ لا أباً لكِ واعلمي   أنّي أمرؤٌ سأموت إن لم أُقْتَلِ

الابيـات المرجلـة :

الرجلة والترجيل : بياض في إحدى رجلي الدابة لا بياض به في موضـع غير ذلك . والأرجل من الخيل : الذي في إحـدى رجليه بياض[١٢٧] . قال ثعلب : « الابيات المرجَّلة : التي يكمل معنى كل بيت منها بتمامه ولا ينفصـل الكلام منه ببعض يحسن الوقوف عليه غـير قافيته ، فهو أبعدها من عمـود البلاغة وأذمها عند أهل الرواية إذ كان فهم الابتداء مقروناً بآخره وصـدره منوطاً بعجزه ، فلو طرحت قافية البيت وجبت استمالته ، ونسب الى التخليط قائله »[١٢٨] .

ومنها قول امرىء القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانَه   فليس على شيء سواه بخزّانِ

وقول زهـير :

فانّ الحـقّ مقطعُه ثلاثٌ   يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

وقول جـرير :

لو كنت أعلم أنّ آخر عهدكم   يوم الرحيل فَعَلْتُ ما لم أفْعَلِ

---

(١٢٦) قواعد الشـعر ص٧١ .
(١٢٧) اللسـان (رجل) .
(١٢٨) قواعد الشـعر ص٧٩ .

أبيـات المعـاني :

أبيات المعاني : هي التي يصعب فهمها لما فيها من تلويح أو إشارة ، وقد تحدث عنها قدامة في « الإرداف » ــ وهو من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى ــ فقال : « وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فاذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع ، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة :

بعيدةُ مهوى القُرط إمّا لنوفلٍ　　أبوها وإما عبدُ شَمْسٍ وهاشم

وإنما أراد هذا الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بُعْدُ مهوى القرط »[١٢٩] . ثم قال: « ومن هذا النوع مايدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات معانٍ وذلك اذا ذكر الرِدف وحده ، وكان وجه اتّباعه لما هو رِدْف له غير ظاهر ، أو كانت بينه وبينه أرداف أُخر كأنها وسائط ، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة . وهذا الباب إذا غمض لم يكن داخلاً في جملة ما ينسب الى جيد الشعر ، إذ كان من عيوب الشعر الانغلاق في اللفظ وتعذّر العلم بمعناه»[١٣٠].

الأبيـات المعدلة :

الاعتدال : توسط حال بين حالين ، وكل ما تناسب فقد اعتدل ، واعتدل الشعر : اتزن واستقام[١٣١] .

قال ثعلب : « المعدّل من الأبيات ما اعتدل[١٣٢] شطراه ، وتكافأت حاشيتاه . وتمّ بأيهما وقف عليه معناه . وإنما بذها سائقاً ولاح دونها نيراً

(١٢٩) نقد الشعر ص١٧٨ .
(١٣٠) نقد الشعر ص١٨١ .
(١٣١) اللسان (عدل) .

لاختصاصه بفضلها ، وسلبه محاسنها ، وانها مستعيرة بغير زنة ، ومتجملة بما ناسبها منه لتوسطه دونها ، ونأيه عن التعدي والتقصير دونها . والتوسط ممدوح بكل لغة موسوم بكمال الحكمة » . وقال : « وبعد فهذا أقرب الأشعار من البلاغة ، وأحمدها عند أهل الرواية ، وأشبهها بالامثال السائرة »[133] .

ومنها قول امرىء القيس :

الله أنجح ما طلبت به　　　والبرُّ خَيْرُ حقيبةِ الرحْلِ

وقول طرفة :

سَتُبْدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً　　　ويأتيك بالاخبار مَنْ لم تزوّدِ

أرى الدهرَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ　　　وما تَنْقِص الأيام والدهر يَنْفَدِ

الابيات الموضحة :

الواضح : بياض الصبح والقمر والغرّة والتحجيل في القوائم . ووضح الشيء يضح وضوحاً واتضح : بان ، وهو واضح ووضّاح[134] .

قال ثعلب : « وهي ما استقلت أجزاؤها ، وتعاضدت فصولها ، وكثرت فقرها ، واعتدلت فصولها ، فهي كالخيل الموضّحة ، والفصوص المجزعة ، والبرود المحبرة »[135] .

---

(132) في طبعة خفاجي ص63 : « أبلغ الشعر ما اعتدل شطراه ... » والتصحيح من طبعة الدكتور رمضان عبدالتواب ص70 .

(133) قواعد الشعر ص63-64 .

(134) اللسان (وضح) .

(135) قواعد الشعر ص75 .

ومنها قول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً   كجلمودِ صَخْرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ

وقول ذي الرمــة :

كحلاءُ في بَرَجٍ صَفراءُ في دَعَجٍ   كأنّها فِضّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

الاتبـــاع :

تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال ، وتبعت الشيء تبوعاً : سرت في أثره ، واتبعه وتتبعه : قفاه وتطلبه متبعاً له . والاتباع : موضع التتبع[١٣٦] . الاتباع « هو أن يأتي المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات التي وجب للمتأخــر استحقاق معنى المتقدم ، إمــا باختصار لفظه أو قصر وزنه أو عذوبة قافيته وتمكنها ، أو تتميم لنقصــه أو تكميل لتمامــه أو تحليته بحلية من البــديع يحســن بمثلهــا النظم ويوجب الاستحقاق »[١٣٧] . وهذا « حسن الاتباع »[١٣٨] ، ومن مليحــه ما وقع بين ابن الرومي وأبي حية النميري فيما قاله في زينب أخت الحجاج :

تضوّع مسكاً بطنُ نُعمانَ إذ مَشَتْ   به زينبٌ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ[١٣٩]

يُخمِّرْنَ أطــرافَ البنــانِ من التقى   ويبرزْنَ شــطر الليل مُعْتَجِراتِ

فهــنّ اللــواتي إنْ بَرَزْنَ قتلنني   وإن غِبْنَ قطّعْنَ الحشاحَسَراتِ

---

(١٣٦) اللســان (تبع) .

(١٣٧) تحرير التحبير ص٤٧٥ ، بديع القرآن ص٢٠١ .

(١٣٨) ينظر حسن التوســل ص٢٩٨ ، نهاية الأرب ج٧ص١٦٥ ، شرح الكافيــة البديعيــة ص٢٢١ ، خزانة الادب ص٤٠٩ ، انوار الربيع ج٦ ص٥ .

(١٣٩) اعتجرت المرأة : لبست المعجر ، وهو ثوب تشده على رأسها .

أتبع ابن الرومي أبا حية في البيت الأخير فقال :

ويلاه إنْ نظرتْ وإنْ هي أعرَضَتْ

وَقْعُ السهام ونَزعهنّ أليمُ

وسماه القلقشندي « حسن الاتباع والقدرة على الاختراع »[١٤٠] وهو نوعان : الاتباع في الالفاظ ، والتقليد في المعاني . ولكل منهما أضرب وأقسام ولولا ذلك لتوقف الابداع .

الاتساع :

السعة : نقيض الضيق . وسِعَه يَسَعَه ، واتسع كوسِعَ ، وأوسعه ووسّعه : صيّره واسعاً ، وأوسعه الشيءَ : جعله يسعه[١٤١] .

قال ابن رشيق : « هو أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى . وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى»[١٤٢].

وقال المصري : « هو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمله ألفاظه »[١٤٣] .

وقال السبكي : « هو كل كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته ، لنكتة ما كفواتح السور »[١٤٤] .

---

(١٤٠) ينظر صبح الأعشى ج٢ص٢٩٢ وما بعدها .
(١٤١) اللسان (وسع) .
(١٤٢) العمدة ج٢ص٩٣ ، وينظر الكليات ج١ص٣٤ .
(١٤٣) تحرير التحبير ص٤٥٤ ، بديع القرآن ص١٧٣ .
(١٤٤) عروس الافراح ج٤ص٤٦٩ .

وقال الحموي : « هذا النوع اي الاتساع يتسع فيه التاويل على قـدر قوى الناظر فيه ، وبحسب ما تحتمل الفاظه من المعاني »[١٤٥] .

وقال السيوطي : « هو ان ياتي بلفظ يتسع فيه التاويل بحسب قـوى الناظر فيه وبحسب ما يحتمل اللفظ من المعاني كما وقع في فواتح السور »[١٤٦] .

وقال المدني : « وهذا النوع عبارة عن ان ياتي المتكلم في كلامه نثرا كان او نظما بلفظ فاكثر يتسع فيه التاويل بحسب ما يحتمله من المعاني »[١٤٧] .

وقال الحلي : « هو ان يجيء الشاعر ببيت يتسع فيه التاويل على قـدر قوى الناظر فيه ، وبحسب ما تحتمل الفاظه من المعاني »[١٤٨] .

وقال السجلماسي : « والاتساع : هو اسم مثال أول منقول الى هـذه الصناعة ، ومقول بجهة تخصيص عموم الاسم على امكان الاحتمالات الكثيرة في اللفظ الواحد بحيث يذهب وهم كل سامعٍ سامعٍ الى احتمال احتمال من تلك الاحتمالات ، ومعنى معنى من تلك المعـاني . وقول جوهـره في صنف البديع والبيان هو صلاحية اللفظ الواحد بالعدد للاحتمالات المتعـــدد من غير ترجيح »[١٤٩] .

وهذه التعريفات ترجع الى ما بدأه ابن رشيق وقرره المصري وهي تشير الى أن الاتساع يشمل الشعر والنثر . وكان ابن جني قد سمى هـذا الفـن « توجه اللفظ الواحد الى معنيين اثنين »[١٥٠] وعقد له باباً وقال إنه في الكلام على ضـربين :

---

(١٤٥) خزانة الأدب ص٤٢٠ .

(١٤٦) شرح عقود الجمان ص١٣٩ .

(١٤٧) انوار الربيع ج٦ ص٥٣ .

(١٤٨) شرح الكافية البديعية ص٢٧٨ ، وينظر نفحات الازهار ص١٦٩ .

(١٤٩) المنزع البديـع ص٤٢٩ .

(١٥٠) الخصـائص ج٣ص١٦٤ .

الاول : ـ وهو الاكثر ـ أن يتفق اللفظ البنه ويختلف في تأويله ، نحو قولهم : « هذا امر لا ينادي وليده » فاللفظ غير مختلف فيه ، لكن يختلف في تفسيره .

الثاني : ـ وهو الاضيق ـ الذي ترى لفظه على صورة ويحتمل ان يكون على غيرها . ومن ذلك بيت المثقب العبدي :

أفاطم قبل بينك نوليني ومنعك ما سألت كأن تبيني

أي : منعك تبينك وأنت كنت مقيمة .

ومن أمثلة الاتساع قوله تعالى : « والشَّفْعِ والوَتْرِ »[151] ، فقد اتسع التأويل في هاتين اللفظتين على ثلاثة وعشرين قولاً ، منها : هما الزوج والفرد من العدد ، وهما كل ما خلقه الانسان ، والشفع هو الخلق لكونه أزواجاً ، والوتر هو الله تعالى وحده ، وهما الصلاة لان فيها شفعاً ووتراً[152] .

ومنه قول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمود صخر حطّه السيلُ من عَلِ

فانه أراد : انه يصلح للكر والفر ، ويحسن مقبلاً مدبراً ، ثم قال : « معاً » أي جميع ذلك فيه . وشبّهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطّه السيل من أعلى الجبل ، فاذا انحط من عال كان شديد السرعة فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه . وذهب قوم الى أن معنى قوله : « كجلمود صخر حطه السيل من علل » انما هو الصلابة ، لان الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب . وقال بعضهم : إنما أراد الافراط فزعم

---

(١٥١) الفجر ٣ .
(١٥٢) ينظر أنوار الربيع ج٦ص٥٣ وما بعدها .

أنه يُرى مقبلاً ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته،واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عياناً فمثله بالجلمود المنحدر من قُنَّة الجبل ، فانك ترى ظهره في النصبة على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل اليك .

قال ابن رشيق بعد هذه التفسيرات : « ولعل هذا ما مرَّ ببال امرىء القيس ، ولا خطر في وهمه ولا وقع في خلده ولا روعه »[153] .

وقال المصري : « ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشاعر في وقت العمل ، وانما الكلام إذا كان قوياً من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوهاً من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ولذلك قال الاصمعي: « خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة »[154] .

وباب الاتساع واسع يجول فيه النقاد والمفسرون ويتأولون الكلام ، وفي ذلك حرية عظيمة وتفنن في القول .

اتساق البناء :

وسق الليل واتسق : انضم ، والطريق يأتسق ويتسق : ينضم . اتسق القمر : استوى ، واتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة ، وقال الفراء : الى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه[155] .

ذكر قدامة « اتساق البناء »[156] وقرنه بالسجع وقال انه كقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لجرير بن عبدالله البجلي : « خير الماء الشبم ، وخير

---

(١٥٣) العمدة ج٢ص٩٣ .
(١٥٤) تحرير التحبير ص٤٥٥ .
(١٥٥) اللسان (وسق) .
(١٥٦) جواهر الالفاظ ص٣ .

المال الغنم ، وخير المرعى الأراك والسلم ، إذا سقط كان لجيناً ، وإذا يبس كان درينا ، وإذا أكل كان لبينا »[١٥٧] .

اتساق النظم :

هذا الفن من صفات الشعر الجيد ، قال ثعلب : « اتساق النظم : ما طاب قريضه ، وسلم من السناد ، والاقواء ، والاكفاء ، والاجازة ، والايطاء[١٥٨] وغير ذلك من عيوب الشعر ، وما قد سهل العلماء إجازته من قصر ممدود ، ومدّ مقصور ، وضروب أخر كثيرة ، وإن كان ذلك قد فعله القدماء وجاء عن فحولة الشعراء »[١٥٩] .

ومعظم الشعر يتصف باتساق النظم ، ولا يخرج منه إلاّ ما وقع فيه عيب أو ضرورة مخلة بالاصول .

الاتفاق :

الاتفاق : التوافق والتظاهر ، والوفاق : الموافقة[١٦٠] .

والاتفاق : « هو أن يتفق للشاعر شيء لا يتفق عاجلا كثيراً »[١٦١] .وقد سماه ابن منقذ وابن قيم الجوزية « الاتفاق والاطراد » وعرفه الأول بما تقدم

(١٥٧) الشبم : البارد . الاراك والسلم : من أنواع النبات الطيب . اللجين - بفتح اللام - الخبز وذلك ان ورق الاراك والسلم يخبط حتى يسقط ويجف ثم يدق حتى يتلجن أي يتلزج . الدرين : حطام المرعى . اللبين : المدر للبن ، يعني ان النعم إذا رعت الاراك والسلم غزرت ألبانها . (ينظر النهاية في غريب الحديث ج٤ص٢٢٩) .

(١٥٨) تنظر هذه المواد في هذا المعجم .

(١٥٩) قواعد الشعر ص٥٩ .

(١٦٠) اللسان (وفق) .

(١٦١) البديع في نقد الشعر ص٨٧ .

وعرفه الثاني بقوله : « هو أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلا »[162] وسماه المصري والسيوطي والمدني : «الاتفاق» وعرفوه بما يشبه التعريفين السابقين ، فقال المصري : « هو ان تتفق للشاعر واقعة تعلمه العمل في نفسها فان للسبق الى معاني الوقائع التي يشترك الناس في مشاهدتها او سماعها فضلاً لا يجحد كما اتفق لبعض شعراء مصر ، ويقال انه الرضي بن أبي حصينة وقد أغزى الملك الناصر صلاح الدين حاجبه حسام الدين لؤلؤ الافرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم ، فظفر الحاجب بهم ، فقال ابن أبي حصينة في تهنئته مخاطباً للافرنج :

عدوكم لؤلؤ والبحر مَسْكَنُه   والدرُّ في البحر لا يخشى من الغِيَرِ

ثم قال بعد أبيات مخاطباً الملك الناصر — رحمه الله — :

فامُرْ حسامك أن يحظى بنحرهمُ   فالدرُّ مذْ كان منسوبٌ الى البحرِ [163]

ثم قال : « ومن الاتفاق أن يتفق للشاعر أسماء لممدوحه ولآبائه يمكنه أن يستخرج منها مدحاً لذلك الممدوح ولو لم تتفق تلك الاسماء على ما هي عليه لما اتفق استخراج ذلك المدح كقول أبي نواس :

عباسُ عباسٌ إذا احتدم الوغى   والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

وقد وقع في هذا البيت مع لطيف الاتفاق مليح الازدواج في قوله : « عباس عباس » و « الفضل فضل » و « الربيع ربيع » .

ونقل الحلي ، والحموي هذا التعريف[164] ، وقال السيوطي : « وهو

(162) الفوائد ص243 .
(163) تحرير التحبير ص503 .
(164) شرح الكافية البديعية ص252 ، خزانة الأدب ص369 .

عـزيز الوقوع جداً ، وهـو أن يتفق للشاعر واقعـة واسـم مطـابق لتلك الواقعة »[١٦٥] .

وقال المدني : « هذا النوع ــ وإن سمي بالاتفاق ــ إلاّ انه قليل الاتفاق لعزة وقوعه . وهو عبارة عن أن يتفق للمتكلم واقعة وأسماء يطابقهـا ، إما مشاهدة أو سماعاً »[١٦٦] . ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام :

لسلمى سُلامان وعمرةَ عامرٌ وهند بني هند وسُعدى بني سعْدِ [١٦٧]

ومن ذلك ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيدالـدين العلقمـي :

يا عصبةَ الاسلام نُوحي والطمي حُزْناً على ما حلّ بالمستعصمِ

دَسْتُ الوزارةِ كان قبل زمانه لابن الفراتِ فصار لابن العلقمي

فاتفق أنّ المذكورين كانا وزيرين وان المورّى بهما نهران ، وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو ، والعلقم المر .

اتفاق القرائح :

اتفاق القرائح : هو أن يتفق اثنان في قول شعر ، ويكون هذا « اتفـاق قرائح وتحكيكاً من غير أن يكون أحدهما أخـذ من الآخر »[١٦٨] . كقـول امرىء القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تَهْلكْ أسىً وتجمّلِ

(١٦٥) شرح عقود الجمـان ص١٣٦ .
(١٦٦) أنوار الربيع ج٥ ص١٦٤ ، وينظر نفحات الأزهار ص٢١٨ .
(١٦٧) السـلامان : شجر وماء لبني شيبان ، واسم .
(١٦٨) قراضـة الذهب ص٤٢ .

وقول طرفـة :

وقوفا بها صحبي عليَّ مطيَّهم   يقولون لا تهلكْ أسىً وتجلَّـدِ

ومن الاتفاق قول صريع الغواني :

تجود بالنفس إن ضنَّ الجوادُ بها   والجودُ بالنفْس أقصى غايةِ الجُودِ

وقول أبي الشيص :

أمسى يقيك بنفسٍ قد حَباكَ بها   والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

وكان أبو عمرو بن الطلاء يقول : « عقول رجال توافت على ألسنتها » . وكان هذا كثيراً ما يعرض للفرزدق ، إما نسياناً وإما تغلباً ، لانه كان راوية للشـعر مكثراً منه ، قاهراً لشعراء عصره ، مهيباً فيهم ، ولم يكن أحد يرميه بالعجـز والتقصير فينسب ما يأخذه الى السـرق . ويرى ابن وكيع هذا من السـرق وليس من اتفاق الخواطر أو القرائح(١٦٩) .

الاتكـاء :

الاتكاء : الاحتمال على الشيء والاعتماد عليه(١٧٠) . والاتكاء : الحشـو الذي يحتمل عليه ويعتمد ، قال ابن رشيق : هو « أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى وإنما أدخله الشاعر لاقامة الوزن ، فان كان ذلك في القافية فهو استدعاء . وقد يأتي في حشـو البيت ما هو زيادة في حسـنه وتقوية لمعناه »(١٧١) .

(١٦٩) المنصف ج١ص٣١ .
(١٧٠) اللسـان (وكا) .
(١٧١) العمـدة ج٢ ص٦٩ .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها ظالمينَ سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فقوله : «ظالمين» حشو أقام به الوزن ، وبالغ في المعنى أشد مبالغة من جهته •

الاجـازة :

الاجازة : مشتقة المعنى من الاجازة في السقي ، يقال : أجاز فلان فلاناً إذا سقى له أو سقاه ، ويقال للذي يرد على أهل الماء فيستقي : مستجيز ، قال القطامي :

وقالوا فُقيمٌ قَيِّمُ الماء فاستجزْ عُبادةَ إنَّ المستجيزَ على قُتُرِ [172]

ويجوز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وسقيت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها •

والاجازة في الشعر : أن تتم مصراع غيرك ، وقيل الاجازة في الشعر أن يكون الحرف الذي يلي حرف الروي مضموماً ثم يكسر أو يفتح ، ويكون حرف الرويّ مقيداً • والاجازة في قول الخليل : أن تكون القافية طاءً والاخرى دالاً ونحو ذلك ، وهو الاكفاء في قول أبي زيد ، ورواه الفارسي: الاجازة ــ بالراء غير معجمة ــ[173] • وفسرها ثعلب بقوله : « اجتماع الأخوات كالعين والغين ، السين والشين ، والتاء والثاء »[174] ، كقول الشاعر:

قبّحت من سالفة ومن صُدُغ كأنها كشية ضب في صقع

---

(۱۷۲) استجز : اطلب أن تسقى ابلك . على قتر : على خوف ، ويقال على خطر وخدر من أن لا يسقى .

(۱۷۳) العمدة ج١ص١٦٦ ، ج٢ص٩٠ ، اللسان (جوز) ، كفاية الطالب ص٤٩ .

(١٧٤) قواعد الشعر ص٦٢ .

وكقوله :

أَلَذّ من ظهـر فرس ... يوم على بطن فرش

وكقوله :

رُبَّ شـتمٍ سـمعت فتصامَمْـ ... تُ ولَعْنٍ تركتـه فكفيتُ

ينفـع الطيبَ القليلُ من الـرز ... ق ولا ينفع الكثيرُ الخبيثُ

والاجازة : أن تكون القوافي مقيدة فتختلف الأرداف ، كقول امرىء القيس : « لا يدعي القوم أني أفِرْ » فكسر الردف ، وقال في بيت آخر : « وكنـدة حولي جميعاً صُبُرْ » فضم الردف ، وقال في بيت آخـر : « ألحقت شـراً بشَرّ » ففتح الردف(١٧٥) .

وإجازة الأبيات غير ذلك ، وهو أن يأتي في المعارضة كأن يقول شـاعر شـطراً ويقول الآخر شطراً كما فعل امرؤ القيس فقال :

أحارِ ترى بريقاً هَبَّ وَهْناً

فقال الحارث : ... كنار مجوس تستعر استعارا

قال الخطابي : « هذه مباراة عجيبة ومعارضة تامة مستوفاة فصلاً فصلاً ، ومصراعاً مصراعاً . وللحـارث فيها ما ليس لامرىء القيس ، لان المبتـدىء متمكن من الاختبار موسع عليه الطرق يسلك أيها شاء ، والمجيـز مقصـور القيد ممنوع من التصرف إلاّ في الجهة التي هو بازائها »(١٧٦) . فالاجـازة بهذا المعنى هي « بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً يزيده على ما قبله ، وربما أجـاز

(١٧٥) الشعر والشعراء ج١ص٩٧ .
(١٧٦) بيان اعجـاز القرآن ص٥٦ .

بيتاً أو قسيباً بأبيات كثيرة »[177] . والاجازة في هذا الموضع مشتقة من الاجازة في السقي[178] .

وأجاز علي بن ظافر أن تكون لمتعاصرين أو غير متعاصرين ، قال : « الاجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكماله. وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين »[179] .

الإجبال :

أجْبَلَ القومُ : إذا حفروا فبلغوا المكان الصلب ، وفي حديث عكرمة أن خالداً الحذاء كان يسأله فسكت خالد فقال له عكرمة : ما لك أجبلت؟أي: انقطعت من قولهم : أجبل الحافر إذا أفضى الى الجبل أو الصخر الذي لا يحيك فيه المعول[180] . ويقال لحافر البئر إذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء : أجبل[181] .

فالإجْبال : انقطاع الشاعر عن قول الشعر فكأنَّ قريحته تصل الى حدّ لا تقدح فيه . وروي أن حسان بن ثابت أرِقَ ذاتَ ليلة فعنَّ له الشعر وعنده ابنته ليلى في خدرها فقال بيتاً :

متاريكُ أذناب الأمور إذا اعترت

أخَذْنا الفروع واجتنينا أصولَها

(177) العمدة ج2ص89 ، وينظر المثل السائر ج1ص176 ، صبح الأعشى ج2 ص221 ، نضرة الاغريض ص194 .
(178) العمدة ج2ص90 .
(179) بدائع البدائه ص61 .
(180) اللسان (جبل) .
(181) العمدة ج1 ص205 .

ثم أجبل ـ أي انقطع ـ ولم يستطع إكمال القول ، أو لم يجد شيئاً ، فقالت له ابنته : يا أبتاه كأنك أجبلت . قال: أجل . فقالت : فهل لك أن أجيز عنك؟ قال :نعم . قالت : أعد . فأعاد قوله فقالت :

مقاويلُ بالمعـروف خُرْسٌ على الخنـا

كـرام يعاطون العشـيرةَ سُولَها [181]آ

الاجتـلاب :

جذبه : حَوَّله عن موضعه ، واجتذبه : استلبه[182] .

فالاجتذاب : السلب ، وهو من باب السـرقة ، قال ابن رشيق : « وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط ،والتلفيق، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب »[183] .

الاجتـلاب :

اجتلاب الشعر : سوقه واستمداده من الغير ، وهـو من اجتلب أي : سـاق واستمد[184] .

وقرن الحاتمي والصنعاني الاجتـلاب بالاستلحاق ، وقال الثاني عـن الأخذ والاستعانة : « فمنها المحمود ، ومنها المذموم ، فأحد رتبـه أن يأخـذ اللفظ جميعاً والمعنى كالبيت والبيتين والسجع التام والسـجعتين وذلك على

(181 آ) الموشـح ص86 ، 510 .
(182) اللسـان (جذب) .
(183) العمـدة ج2ص282 .
(184) اللسـان (جلب) .

وجهين : اما أن يكون اجتلاباً واستلحاقاً فلا يدعي أنه له ، بل يستعين به ويكون مُقِرّاً به ، مثل ما فعل عمرو بن كلثوم ببيتي عمرو ذي الطوق وهما:

صَدَدْتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو — وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو — بصاحِبِك الذي لا تُصبحينا

فانه استلحقه بكلمته « ألا هبي بصحنك فاصبحينا »[١٨٥] . وكان ابن رشيق قد ذكر البيتين وقال : « وربما اجتلب الشاعر البيتين فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطوق : صددت ... فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته . وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً ، وقد يصنع المحدثون مثل ذلك . قال زياد الأعجم :

أشم إذا ما جئت للعُرف طالبا — حباك بما تحوي عليه أنامِلُه

ولو لم يكن في كفّه غير نفسه — لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائِلُه

واستلحق البيت الأخير أبو تمام في شعره . وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الاخطل بن غالب :

ستعلم مَنْ يكون أبوه قَيْناً — ومن كانت قصائدُه اجتلابا

فإنما وضع الاجتلاب موضع السرق والانتحال لضرورة القافية ، هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجمحي فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلاباً مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

تلك المكارم لا قَعْبانِ من لبنٍ — شِيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبْوالا[١٨٦]

ثم قال بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ،

---

(١٨٥) الرسالة العسجدية ص٥٢ ، ينظر حلية المحاضرة ج٢ص٥٨ .
(١٨٦) القصب : القدح الضخم .

والرواة مجمعون أنه لأبي الصلت ، فقد ذهب الجمحي في الاجتلاب مذهب جرير انه انتحال ، ولم أرَ محدثاً غيره يقول هذا القول »[187] .

فالاجتلاب والاستلحاق ليسا عيباً ، والى ذلك ذهب الحاتمي وقال : « وبعض العلماء لا يراهما عيباً ، ووجدت يونس بن حبيب وغيره من علماء الشعر يسمي البيت يأخذه الشاعر على طريق التمثيل فيدخله في شعره اجتلاباً واستلحاقاً فلا يرى ذلك عيباً . وإذا كان الامر كذلك فلعمري انه لا عيب فيما هذه سبيله ... عن الاصمعي قال : ربما اجتلب الشاعر البيت ليس له فاجتذبه من غيره فيورده شعره على طريق التمثيل لا على طريق السرق له »[188] . وقال ابن رشيق : « إن الاجتلاب يكون لغير معنى السرق ، وهو أن يرى الشاعر بيتاً يصلح لموضع من شعره فيجتلبه ، وقد فعل ذلك جرير في بيت المعلوط السعدي :

إنَّ الذين غَدَوا بلبك غادروا وَشَلاً بعينك لا يزالُ معينا

غَيَّضْنَ من عبراتهنَّ وقُلْنَ لي: ماذا لقِيت من الهوى ولقينا

وهما من أفضل ما في قصيدته »[189] .

وقال التنوخي : « وهو التضمين الذي لم ينبَّه عليه ولم يك مشهوراً لقائله وان ادعاه لنفسه فهو انتحال »[190] .

---

(187) العمدة ج2ص283 . قال الجمحي : « وسألت يونس عن البيت فقال : هو للنابغة ، أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه لا مجتلباً له . وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة » ، قال أبو الأصلت بن ربيعة الثقفي : (تلك المكارم ... أبو الا) . (ينظر طبقات فحول الشعراء ج1 ص58) .

(188) حلية المحاضرة ج2ص58 .

(189) قراضة الذهب ص43 وينظر العمدة ج2ص282 ، وكفاية الطالب

(190) الأقصى القريب ص108 .

أجزاء الشعر :

أجزاء الشعر : هي ما يتركب هو منه وهي ثمانية : فاعلن ، وفعولن ، ومفاعيلن ، ومستفعلن ، وفاعلاتن ، ومفعولات ، ومفاعلتن ، ومتفاعلن[191] . وهذه هي الأمثلة التي يقطع بها الشعر ، اثنان منها خماسيان ، وستة سباعية[192] .

الأحاجي :

يقال : كلمة محجية أي مخالفة المعنى للفظ ، وهي الأحجية والاحجوة والاحجية . والحجيا لعبة واغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، وهي من نحو قولهم: أخرج ما في يدي ولك كذا ، وفلان يأتينا بالأحاجي : أي الاغاليط[193] .

والأحاجي : هي الاغاليط من الكلام ، وتسمى الالغاز ، وقد يسمى هذا النوع « المُعَمَّى » قال ابن الاثير : « وأما اللغز والأحجية فانهما شيء واحد، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ولا يفهم من عرضه ، لان قول القائل في الضرس :

وصاحب لا أمَلُّ الدهْرِ صُحْبَتَهُ
يَشْقى لنفعي وَيَسْعى سَعْيَ مجتهدِ
ما إنْ رأيتُ له شخصاً فمذ وقعتْ
عيني عليه افترقنا فُرْقَةَ الأبَدِ

(١٩١) التعريفات ص٩ .
(١٩٢) ينظر الوافي ص٣١ .
(١٩٣) اللسان (حجا) .

لا يدل على أنه الضرس ، لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ، ولا من طريق المفهوم ، وانما هو شيء يحدس ويحزر [١٩٤] ثم قال : « واذا ثبت هذا فاعلم أن هذا الباب الذي هو اللغز والأحجية والمعمى يتنوع أنواعاً : فمنه المصحف ، ومنه المعكوس ، ومنه ما ينقل الى لغة من اللغات غير العربية » .

وقد ورد من الالغاز شيء في كلام العرب المنثور ، غير انه قليل بالنسبة الى ما ورد في أشعارها ، وليس في كتاب الله شيء منها ، لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز .

الإحالــة :

المحال من الكلام ما عدل به عن وجهه ، وحوّله : جعله محالاً ، وأحال: أتى بمحال ، يقال : أحلت الكلام أحيله إحالة : إذا أفسدته[١٩٥] .

الاحالة : أن يذكر الشاعر أو غيره معنى يستحيل وقوعه كقول ابن مقبل:

أمّا الأداة ففينا ضُمَّرٌ صنعٌ   جودٌ حواجزُ بالالباد واللجمِ

ونسج داود من بيض مضاعفةٍ   من عهد عاد وبعد الحيّ من إرَمِ

قال ابن رشيق : « فكيف يكون نسج داود من عهد عاد ؟ اللهم إلاّ أن يريد : فينا ضمر صنع من عهد عاد ، فذلك على سبيل المبالغة ، مع ان الاحالة لم تفارقه ، وكم بين قيس عيلان وبين عاد فضلاً عن بني العجلان »[١٩٦] .

وللاحالة معنى آخر هو : ارجاع الشيء الى الشيء ، قال الدمنهوري : « الاحالة : مصدر أحالته على كذا وهي قسمان : خفية وجلية ، كقوله تعالى:

---

(١٩٤) المثل السائر ج٢ص٢٢٤ .
(١٩٥) اللسان (حول) .
(١٩٦) العمدة ج٢ص٢٦٨ .

« وقد نَزَّلَ عليكم في الكتاب »[197] إحالة على قوله : « وإذا رأيتَ الذين يَخوضُونَ في آياتِنا فاعْرِضْ عنهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غيرِه ، وإمّا يُنسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذكرى مع القَوْمِ الظالمين »[198] ، وكقوله : « وآتَيْنا داوُدَ زَبُورا »[199] . والاحالة في الآية الأولى ظاهرة ، وفي الثانية خفية لما قيل انها إحالة على قوله : « ولقد كَتَبْنا في الزَّبورِ من بَعْدِ الذِكْرِ أنَّ الأرْضَ يَرِثُها عبادِيَ الصالحونَ »[200] لتضمنه تفضيل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ »[201] .

الاحتجاج النظري :

احتج بالشيء : اتخذه حجة ، والحجة : البرهان والدليل ، وأحج خصمي : أغلبه بالحجة[202] .

الاحتجاج النظري لون من ألوان الكلام ، وسماه بهذا الاسم جماعة منهم أبو حيان الاندلسي وابن قيم الجوزية وابن النقيب[203] . وسماه الزركشي « الجام الخصم بالحجة »[204] ، ولكن البلاغيين يسمونه « المذهب الكلامي » .

---

(١٩٧) النساء ١٤٠ .
(١٩٨) الانعام ٦٨ .
(١٩٩) النساء ١٦٣ .
(٢٠٠) الأنبياء ١٠٥ .
(٢٠١) حلية اللب ص١٦٩ .
(٢٠٢) اللسان (حجج) .
(٢٠٣) البحر المحيط ج٣ ص٨٩ ، ٣٠٥ ؛ ج٥ ص٣٥٠ ، الفوائد ص١٣٦ ، شرح عقود الجمان ص١٢٣ ، حلية اللب ص١٢٤ .
(٢٠٤) البرهان ج٣ ص٤٦٨ .

وحقيقه هذا النوع : احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادّعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم . وسمي المذهب الكلامي ، لأنه « يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم . والمراد بأهل الكلام علماء أصول الدين »[٢٠٥] .

والمذهب الكلامي هو الفن الخامس من بديع ابن المعتز ، قال : « وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي ، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً ، وهو ينسب الى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »[٢٠٦] . ولم يحدد هذا الفن ، ولعله يريد به اصطناع أساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاستدلال ، ولذلك نفاه عن القرآن الكريم . ولم نعثر في كتب الجاحظ المعروفة على هذا المصطلح وكان يسخر أحياناً من الذين يتكلفون أداء الكلام تشبهاً بالمتكلمين[٢٠٧] .

والمذهب الكلامي عند المتأخرين : هو ايراد حجة المطلوب على طريقة أهل الكلام ، وذلك أن يكون بعد تسليم المقدمات مقدمة مستلزمة للمطلوب: وهذا ما نجده في كتاب الله وكلام العرب الذي استشهد به البلاغيون . وقد ذكره العسكري وأشار الى أن ابن المعتز نسبه الى التكلف[٢٠٨] ، وتحدث في أول « كتاب الصناعتين » عن وضوح الدلالة وقرع الحجة ، وهو مما يدخل في هذا الباب . قال : « ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه : « وضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال : من يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ ؟ قل : يُحييها الذي أنشأها أوّلَ مَرّةٍ وهو بكلِ خَلْقٍ

---

(٢٠٥) جوهر الكنز ص٣٠٢ .

(٢٠٦) البديع ص٥٣ .

(٢٠٧) ينظر الحيوان ج٥ ص١٠ وما بعدها .

(٢٠٨) كتاب الصناعتين ص٤١٠ .

عليمٌ »[٢٠٩] • فهذه دلالة واضحة على ان الله ـ تعالى ـ قادر على إعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها ، لأن الاعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء ، ثم قال تعالى : « الذي جَعَلَ لكم مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نارا فاذا انتم تُوقِدونَ »[٢١٠] فزادها شرحا وقوة ، لأن من يخرج النار من أجزاء الماء وهما ضدان ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه • ثم قال تعالى : « أوَلَيس الذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهم »[٢١١] ، فقواها وزاد في شرحها وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد ، لأن اعادة الخلق ليست بأصعب في العقول من خلق السماوات والأرض ابتداءاً»[٢١٢] • وهذا هو المذهب الكلامي عند المتأخرين . أما ما ذكره في فصل المذهب الكلامي فهو متابعة لابن المعتز في معنى هذا الفن وأمثلته »[٢١٣] •

وتحدث عنه ابن رشيق في باب التكرار ، ونقل كلام ابن المعتز وأمثلته ، قال : « وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبدالله بن المعتز إلاّ ما لا خفاء به عن أحد من أهل التمييز ، واضطرني الى ذلك قلة الشواهد فيه إلاّ ما ناسب قول أبي نواس :

سَخنت من شدة البرودة حتى صرتَ عندي كأنك النارُ

لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حارُ

---

(٢٠٩) يس ٧٨–٧٩ .

(٢١٠) يس ٨٠ .

(٢١١) يس ٨١ . وتكملتها : « بلى ، وهو الخلاق العليم » .

(٢١٢) كتاب الصناعتين ص١٧–١٨ .

(٢١٣) كتاب الصناعتين ص٤١٠ .

فهذا مذهب كلامي فلسفي»[٢١٤] • ووجد أمثلة أولى بهــذه التسمية لقول ابراهيم بن المهدي يعتذر الى المأمون من وثوبه على الخلافة :

البــرء منك وطــاءُ العــذر عندك لي

فيما فعلتَ فلم تعــذُلْ ولــم تَلُــمِ

وقام علمُــك بي فاحتــجَّ عنــدك لي

مقــامَ شــاهدِ عَــدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ

وبدأ المذهب الكلامي يأخذ صورته الواضحة في كتب البلاغة ، فالتبريزي قال معلقاً على أبيات النابغة الذبياني :

ولكنني كنتُ امرءاً ليَ جانبٌ   من الارض فيه مُستَراد ومَذْهَبُ

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لقيتَهم   أُحكَّــمُ في أموالهــم وأقَرَّبُ

كفعلك في قوم أراكَ اصطنعتهم   فلم ترهــم في مثــل ذلك أذنبــوا

« أي : لا تلمني في مدحي آل جفنة ، وقد أحسنوا اليّ كما لو أحســنت الى قوم فشكروا لك ولم تَرَ ذلك ذنباً • وهذه طريقة الجدل ، وإنما اتفــق له بجودة القريحة وفضل التمييز »[٢١٥] •

وقال المصري : « المذهب الكلامي : عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ، لانه مأخوذ من علم الكــلام الذي هو عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهــين العقلية • وهــو الذي نسبت تسميته الى الجاحظ ، وزعم ابن المعتز انه لا يوجد في الكتاب العــزيز ، وهو محشــوٌ منه »[٢١٦] •

---

(٢١٤) العمــدة ج٢ ص٨٠ •
(٢١٥) الوافي ٢٨٨ ، وينظر قانون البلاغة ص١٢٤ ، رسائل البلغاء ص٤٥ •
(٢١٦) تحرير التحبير ص١١٩ ، بديع القرآن ص٣٧ •

وبدأ هذا الفن يدخل في المحسنات المعنوية على يد أصحاب بلاغة السكاكي ، قال ابن مالك : « المذهب الكلامي : أن تورد مع الحكم ردا لمنكره حجه على طريق المتكلمين ، اي صحيحة مسلمة الاستلزام . وينقسم الى منطقي وجدلي . فالمنطقي : ما كانت حجته برهانا يقيني التاليف قطعي الاستلزام . والجدلي : ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلا الرجحان. وأول من ذكر المذهب الكلامي الجاحظ ، وزعم انه ليس في القران منه شيء[217] ، ولعله إنما عنى القسم المنطقي ، فان الجدلي في القرآن منه كثير »[218] .

وقال الحلبي : «هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام»[219] .

وقال ابن الأثير الحلبي : « وحقيقة هذا النوع احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم »[220] .

وسار القزويني وشراح تلخيصه على مذهب ابن مالك في إدخال هذا الفن في المحسنات المعنوية ، وقال : « هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام »[221] . وقال السبكي : إن هذا ليس من البديع لأنه تطبيق على مقتضى الحال فيكون من علم المعاني[222] .

---

(٢١٧) هذا زعم ابن المعتز ، (ينظر البديع ص٥٣) .
(٢١٨) المصباح ص٩٤ ، وينظر عروس الافراح ج٤ ص٣٦٩ .
(٢١٩) حسن التوسل ص٢٢١ ، نهاية الارب ج٧ ص١١٤ .
(٢٢٠) جواهر الكنز ص٣٠٢ .
(٢٢١) الايضاح ص٣٦٦ ، التلخيص ص٣٧٤ ، شروح التلخيص ج٤ ص٣٦٨ ، المطول ص٤٣٥ ، الاطول ج٢ ص٢٠٩ .
(٢٢٢) عروس الافراح ج٤ ص٣٧٢ .

والمذهب الكلامي نوعان :

الأول : الجدلي ، وهو ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلا الرجحان، وهذا النوع كثير في كتاب الله ، من ذلك قوله تعالى : « وهو الذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثم يُعيده ، وهو أَهْوَنُ عليه »(٢٢٣) . ومنه أبيات النابغة الذبياني: « ولكنني كنت امرءً ... » .

الثاني : المنطقي ، وهو ما كانت حجته برهاناً يقينيَّ التأليف قطعيَّ الاستلزام ، ولعل ابن المعتز على هذا النوع حينما نفاه من القرآن ، ولكن المصري قال : « ومن هذا الباب نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين، فان أهل هذا العلم قد ذكروا أن أول سورة الحج الى قوله : « وأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبُور »(٢٢٤) منطوٍ على خمس نتائج من عشر مقدمات »(٢٢٥) . وذكر أن من هذا الباب جواب سؤال مقدر كقوله تعالى : « وما كانَ اسْتِغْفارُ إبراهيم لأبيه »(٢٢٦) ، لان التقدير : ان قائلا قال بعد قوله تعالى : « ما كان للنَّبِيِّ والذينَ آمنوا أنْ يَسْتَغْفِروا للمشركينَ »(٢٢٧) ، فقد استغفر إبراهيم لأبيه فأخبر بقوله : « وما كان استغفار إبراهيم » والله أعلم »(٢٢٨) .

فالمذهب الكلامي من أساليب القرآن الكريم وكلام العرب ، وقد أوضح الحموي هذه المسألة ورفض ما ذكره ابن المعتز فقال : « وقيل إنّ

---

(٢٢٣) الروم ٢٧ .

(٢٢٤) الحج ٧ .

(٢٢٥) ينظر تحرير التحبير ص١١٩ــ١٢٠ ، بديع القرآن ص٣٨ وما بعدها .

(٢٢٦) التوبة ١١٤ .

(٢٢٧) التوبة ١١٤ .

(٢٢٨) تحرير التحبير ص١٢٢ .

ابن المعتز قال : « لا أعلم ذلك في القرآن ، أعني المذهب الكـلامي » وليس عدم علمه مانعاً من علم غيره »[٢٢٩] .

الاحتـذاء :

حـذا حذوه : فعل فعله ، يقال : فلان يحتذي على مثال فلان إذا اقتدى به في أمـره[٢٣٠] .

الاحتذاء : هو متابعة الشاعر لغيره في اللفظ أو المعنى أو الغرض[٢٣١].

الاحجيـة :

الأحجية : مفرد الاحاجي ، وقد تقدمت . والاحجية : اللغز والمعمَّى ، وهذا قريب من التورية[٢٣٢] .

الاحسـاس :

حسّ بالشـيء يحس وأحسّ به وأحسه : شـعر به . والأحساس : العلم بالحواس ، وهي مشاعر الانسان كالعـين والاذن والانف واللسـان ، واليد ، وحواس الانسان : المشاعر الخمس وهي : الطعم ، والشم ، والبصر ، والسـمع ، واللمس[٢٣٣] .

قال الشريف الجرجاني : « الاحساس : إدراك الشيء بإحدى الحواس،

---

(٢٢٩) خزانة الأدب ص١٦٥ ، وينظر الاتقان ج٢ ص١٣٥ ، شرح عقـود الجمان ص١٢٣ ، حلية اللب ص١٤٤ ، أنوار الربيع ج٤ ص٣٥٦ .

(٢٣٠) اللسـان (حذا) .

(٢٣١) زهـر الآداب ج٢ ص٤٣٤ .

(٢٣٢) عروس الافراح ج٤ ص٤٧٣ ، المثل السائر ج٢ ص٢٢٤ .

(٢٣٣) اللسـان (حسس) .

فان كان الاحساس للحس الظاهر فهو للمشاهدات ، وإن كان للحس الباطني فهو الوجدانيات »[٢٣٤] .

الاختتـــام :

الاختتام : من اختتم ، وهـو نقيض الافتتاح[٢٣٥] . وفي البلاغـه أن يختتم البليغ كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم فانها آخر ما يبقى على الاسماع . وينبغي تضمينها معنى تاماً يُؤذن السامع بأنه الغايـة والمقصـد والنهايه . وهذه تسمية العلوي[٢٣٦] أما غـيره فيسميه « حسن الختام » أو « الخاتمة »[٢٣٧] .

ومن أمثلة ذلك خواتيم القرآن الكريم « فان الله تعالى ختم كل ســورة من سوره بأحسن ختام وأتمها بأعجب إتمام ، ختاماً يطابق مقصدها ويؤدي معناها من أدعية ، أو وعد ، أو وعيد ، أو موعظة ، أو تحميد ، وغير ذلك من الخواتيم الرائعة »[٢٣٨] .

ومن ذلك ما قاله أبو تمام يذكر فتح عمورية ويهنىء المعتصم بها :

إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ ... موصولةٍ أو ذمامٍ غير مقتضبِ
فبين أيامِك اللاتي نُصِرْتَ بها ... وبين أيامِ بَدْرٍ أقربُ النَّسَبِ

(٢٣٤) التعريفـات ص١١ .
(٢٣٥) اللســان (ختم) .
(٢٣٦) الطـراز ج٣ ص١٨٣ .
(٢٣٧) تحرير التحبير ص٦١٦ . بديع القرآن ص٣٤٣ ، خزانة الأدب ص٤٧ ، أنوار الربيـع ج٦ ص٣٢٤ .
(٢٣٨) الطـراز ج٣ ص١٨٣-١٨٤ .

الاختراع :

الاختراع : من اخترع الشيء ، أي : ارتجله[٢٣٩] .

والاختراع عند ابن وهب : « ما اخترعت له العرب أسماً مما لم تكن تعرفه »[٢٤٠] . وليس هذا ما قصد اليه البلاغيون والنقاد ، لان الاختراع عند ابن رشيق : « خلق المعاني التي لم يسبق اليها والاتيان بما لم يكن منها قط . والابداع : إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تَجْرِ العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له « بديع » وإن تكرر . فصار « الاختراع » للمعنى و «الابداع» للفظ »[٢٤١] . ثم قال : « واشتقاق الاختراع هو من التليين ، يقال : « بيت خرع » إذا كان ليناً ، والخِرْوَعْ « فِعْوَل » منه ، فكأن الشاعر سهّل طريقة هذا المعنى وليّنه حتى أبرزه » .

وعدّ القرطاجني الاختراع الغاية في الاستحسان[٢٤٢]، وقال ابن قيم الجوزية: « الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه »[٢٤٣] . وتكلم البلاغيون على هذا الفن في باب « سلامة الاختراع » ولم ينفرد بمثل هذا البحث غير ابن قيم الجوزية .

الاختصار :

لاختصار : هو الايجاز ، قال عياش بن صحار : إنه « اللمحة الدالة » جواباً عن سؤال معاوية : « ما أقرب الاختصار »[٢٤٤] .

---

(٢٣٩) اللسان (خرع) .
(٢٤٠) البرهان في وجوه البيان ص١٥٨ .
(٢٤١) العمدة ج١ ص٢٦٥ ، وينظر كفاية الطالب ص٩٩ .
(٢٤٢) ينظر منهاج البلغاء ص١٩٦ .
(٢٤٣) الفوائد ص١٥٦ .
(٢٤٤) الكامل ج٢ ص٧٠٤ .

وهذا الاسلوب من أبرز أساليب العرب ، فقد اهتموا بالعبارة الموجزة والكلام المختصر ليسهل حفظه ويكون تأثيره في النفوس عظيماً • وحدد البلاغيون والنقاد أسلوب التعبير تبعاً للموضوع ، قال ابن منقذ وهو يتحدث عن الاسهاب والاطناب والاختصار والاقتصار : « اعلم أنّ كل واحد من هذه الاقسام له موضع يأتي فيه فيحمد ، فان أتى في غيره لم يحمد • فان كان في الترغيب والترهيب والاصطلاح بين العشائر والاعتذار والانذار الى الاعداء والعساكر وما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل والشرح ، وأما غير ذلك فيستحب فيه الاختصار والاقتصار »[٢٤٥] •

ومدحت العرب التطويل والتقصير فقال الشاعر :

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِوالِ وتارةً

وَحْيَ المَلاحظِ خيفةَ الرُقَباء[٢٤٦]

وقال السيوطي : « الايجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرّح به الخطيبي • وقال بعضهم : الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الايجاز • قال الشيخ بهاءالدين : وليس بشيء »[٢٤٧] وذلك لأن الايجاز عند البلاغيين قد يكون بحذف الكلمة أو الجملة أو الجمل ، وهو ما سموه « إيجاز الحذف » •

وقال الكفوي : « الاختصار أمر نسبي ، يعتبر تارة اضافته الى متعارف الاوساط وتارة الى كون المقام خليقاً بعبارة أبسط من العبارة التي ذكرت »[٢٤٨] •

(٢٤٥) البديع في نقد الشعر ص١٨٢ •
(٢٤٦) ينظر البيان ج١ ص٤٤ ، كتاب الصناعتين ص٥٨ ، زهر الآداب ج١ ص١١٤
(٢٤٧) معترك ج١ ص٢٩٥ ، الاتقان ج٢ ص٥٤ •
(٢٤٨) الكليات ج١ ص٧٧ •

الاختــلاس :

الخلْس : الأخذ في نهزة ومخاتلة ، والاختلاس كالخلس ، وقيل : إنــه أوحــى من الخلْس وأخص • وخلســت الشــيء واختلســته وتخلسته إذا اســتلبته[٢٤٩] •

الاختلاس : من أنواع السرقات التي ذكرها الاوائل كالقاضي الجرجــاني الذي قال : « ولست تعدّ من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميــز بــين أصنافه وأقسامه وتحيط علماً برتبــه ومنازله فتفصل بين الســرق والغصب ، وبين الاغارة والاختلاس »[٢٥٠]• ولم يذكر الفرق بين الاغــارة والاختلاس ، وذكر ابن رشــيق الاختلاس ولم يحــدده واكتفى بذكر أمثلة له ، كقــول أبي نواس :

مَلِكٌ تصَوَّرَ في القلوب مثالُه فكأنه لم يَخْلُ منه مكانُ

اختلســه من قول كثير :

أُريدُ لأَنسى ذكرَها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى بكل سبيلِ[٢٥١]

وهذا غير الاغارة التي قال عنها : « الاغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً فيروى له دون قائله »[٢٥٢]•

وعرفه التنوخي بقوله : « الاختلاس : وهو أن ينقل المعنى من نــوع الى نوع كنقله من نسيب الى هجاء أو مدح أو غير ذلــك ، لا الى ضده »[٢٥٣] ، وذكر بيتي كثير وأبي نواس •

---

(٢٤٩) اللســان (خلس) •
(٢٥٠) الوســاطة ص١٨٣ •
(٢٥١) العمــدة ج٢ ص٢٨٧ •
(٢٥٢) العمــدة ج٢ ص٢٨٤ •
(٢٥٣) الأقصى القريب ص١٠٩ ، وينظر كفاية الطالب ص١١٣ •

اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها :

عدّ ابن الأثير اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها النوع السادس من الصناعة اللفظية « الالفاظ المركبة » وقال : « وهو من هذه الصناعة بمنزلة عليّة ومكانة شريفة ، وجلّ الالفاظ منوطة به • وقد لقيت جماعة من مدّعي فن الصناعة وفاوضتهم وفاوضوني ، وسألتهم وسألوني ، فما وجدت أحداً منهم تيقّن معرفة هذا الموضوع كما ينبغي ، وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها »(٢٥٤) • ومن ذلك أن الالفاظ إذا انتقلت من هيئة الى هيئة انتقل قبحها فصار حسناً ، وحسنها فصار قبحاً ، مثل لفظة « خَوْد » فانها المرأة الناعمة ، وإذا نقلت الى صيغة الفعل قيل : « خَوَّدَ » ومعناها :أسرع• فهي على صيغة الاسم جميلة رائعة ، وليست حسنة إذا جاءت فعلا ، كما في قول أبي تمام :

والى بني عبدالكريم تواهقت ... رَتَكُ النعام رأى الظلام فخوّدا(٢٥٥)

ومن ذلك لفظة « وَدَع » وهي فعل ماضٍ لا ثقل بها على اللسان ، وحينما جاءت بهذه الصيغة لم تحسن كقول أبي العتاهية :

أَثْرَوا فلم يُدخلوا قبورَهم ... شيئاً من الثروة التي جمعوا

وكان ما قدّموا لأنفسهم ... أعظمَ نفعاً من الذي وَدَعوا

وجاءت حسنة بديعة بصيغة الامر في قوله تعالى : « وَدَعْ أذاهُمْ وتَوَكَّلْ على اللهِ »(٢٥٦) ، وبصيغة المستقبل في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد

---

(٢٥٤) المثل السائر ج١ ص٢٨١ ، الجامع الكبير ص٢٧١ •

(٢٥٥) تواهقت الابل : مدت أعناقها وتبارت في السير . وتك البعير : عدا في مقاربة خطو . خود : سار مسرعاً .

(٢٥٦) الأحزاب ٤٨ •

واصل في شهر رمضان فواصل معه قوم : « لو مُدّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع له المتعمقون تعمقهم » ، وقول المتنبي :

تَشُقُّكمُ بقناها كلُّ سَلْهَبَةٍ والضَّرْبُ يأخذ منكم فوق ما يدعُ[٢٥٧]

ومثل ذلك لفظة « وَذَرَ » فانها لا تأتي بصيغة الماضي وانما بصيغة الأمر ، كقوله تعالى : « ذَرْهُم يأكُلوا ويَتَمَتَّعوا »[٢٥٨] ، وصيغة المستقبل كقوله: «سأُصْليه سَقَرَ . وما أدراك ما سَقَرُ . لا تُبْقي ولا تَذَرُ»[٢٥٩] وقد تكون اللفظة حسنة ، وهي مفردة ، ولكنها تفقد ذلك الحسن حينما تثنى ، ومن ذلك «الأخدع» التي جاءت حسنة رائعة في قول الشاعر :

تَلَفَّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتني

وَجِعْتُ من الاصغاء لِيتاً وأَخْدعا[٢٦٠]

وجاءت ثقيلة مستكرهة في قول أبي تمام :

يا دهرُ قوِّم من أخدعيكَ فقد أضججتَ هذا الأنامَ من خُرُقِك

وعلة ذلك انها في الاول مفردة وفي الثاني مثناة .

ومن الالفاظ ما لا يحسن إلاّ بصيغة الجمع كلفظة « اللبّ » — أي العقل — فانها وردت في القرآن الكريم مجموعة ولم ترد مفردة ، كقوله تعالى : « ولِيَتَذَكَّرَ أولو الألبابِ »[٢٦١] ، وقوله : « إنَّ في ذلك لَذِكْرى لأولي الألبابِ »[٢٦٢] .

---

(٢٥٧) السلهب : الطويل .
(٢٥٨) الحجر ٣ .
(٢٥٩) المدثر ٢٦—٢٨ .
(٢٦٠) الليت : صفحة العنق . الأخدع : عرق في صفحة العنق .
(٢٦١) سورة ص ٢٩
(٢٦٢) الزمر ٢١ .

ومنها ما لا يحسن إلا في الإفراد كلفظة « الطيف » التي تفقد جمالها حينما تجمع فيقال : « طيوف » .

وللصيغ أثر في الحسن والقبح ، والذوق والثقافة والممارسة هي التي تضع الحقيقة أمام المتذوقين ، أي أن هذه المسائل لا تحدد بقواعد ثابتة يرجع اليها الدارسون ، وإن كان الاستقراء يقود الى أسس سامة كما فعل ابن الاثير الذي قال : « وأما «فَعَل» و «افعوعل» فانا نقول : « أعشب المكان » فاذا كثر عشبه قلنا : « اعشوشب » . فلفظة « افْعَوعَلَ » للتكثير ، على أني استقريت هذه اللفظة في كثير من الالفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا : « اخشوشن المكان » و « اغرورقت العين » و « احلولى الطعم » وأشباهها . وأما « فُعَلَة » نحو : « هُمَزَة » و « لُمَزَة » و « جُثَمَة » و « نُوَمة » و «لُكَنَة» و «لُحَنَة» وأشباه ذلك ، فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة . وهذا أخذته بالاستقراء ، وفي اللغة مواضع كثيرة لا يمكن استقصاؤها . فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغ بالألفاظ ، وعليك أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها ، فكثيراً ما يقع فحول الشعراء والخطباء في مثلها ، ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرّت به ألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح ، فما يجد الحسن منها موحّداً وحّده ، وما يجد الحسن منها مجموعاً جمعه ، وكذلك يجري الحكم فيما سوى ذلك من الألفاظ »(٢٦٣) .

اختلاف صيغ الكلام :

يعمد الاديب الى صيغ مختلفة من الكلام لئلا يتكرر فيثقل وتمجه الأسماع . قالَ التنوخي : « وإذا تكرر واختلف المعنى وكان في الكلام دليل

---

(٢٦٣) المثل السائر ج١ ص٢٩١-٢٩٢ .

على معنى كل واحد من المتكررين فهو التجنيس ، وهو مما يستحسن ولا يتجنب ، فان لم يكن في الكلام ما يفي بتبيين المعنيين والحاق كل واحد منهما بلفظه فذلك مما ينبغي أن يتجنب ولا يؤتى لكونه مخلاً بالبيان ، فاجتناب هذا النوع من قواعد علم البيان واجتناب الاول من باب البديع الذي هو من محاسن الالفاظ »(٢٦٤) .

مثال الاول قول ابراهيم بن سيار للفضل بن الربيع :

هَبْني أسأتُ وما أسأتُ وما أسأ ... ت أقرّ كي يزداد طولك طولا

ومثال الثاني وهو مبين في الكلام قول الشاعر :

لعمري لقد حَبَّبتِ كلَّ قصيرةٍ
اليَّ وإن لم تَدْرِ ذاك القصائرُ
عَنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أُرِدْ
قصارَ الخطى ، شرُّ النساء الحباترِ(٢٦٥)

فلو اقتصر على البيت الاول لكان معيباً لاحتماله القصر .

والقبيح قول كشاجم في المديح :

عمرته بفتية صِباحِ ... سُمْحٍ بأعراضهم شحاح

لان الباء في قوله : « باعراضهم » يجوز أن تتعلق بـ «سُمح » فيكون هجواً ، ويجوز أن تتعلق بـ « شحاح » فيكون مدحاً ، فهو ملبس بين المدبح والهجو ، وليس في البيت ما يعين أحدهما .

---

(٢٦٤) الأقصى القريب ص١١٨ .
(٢٦٥) البحتر والبحتري : القصير المجتمع الخلق . والحباتر والحبتر : القصير .

الأخـــذ :

الأخذ : خلاف العطاء من أخذ يأخذ(٢٦٦) ، وآخذه بذنبه : عاقبه .

الأخذ : يأتي بمعنى النقد ، وهو أن يؤخذ على الاديب خطأ من الاخطاء. واستعمل القدماء هذا المصطلح للدلالة على هذا المعنى ، ومن ذلك قولهم : « وأخذ العلماء عليه قوله » و « أخذ عليه قوله » و « مما أخذ عليه »(٢٦٧).

ويأتي بمعنى السرقة ، وقد شاع منذ عهد مبكر فقيل : « ومما أخذته الشعراء من شعر امرىء القيس »(٢٦٨) . وأجازوا الأخذ ، لانه « لا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام ، وفي معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلاّ وكل مَنْ جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إن هو لم يَعْدُ على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره ، فانه لا يَدَعُ أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم ، وأعاريض أشعارهم ، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه . أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط ، وقال إنه خطر على بال الاول . هذا إذا قرّعوه به إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب ، فانه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد . ولقد عرض له بعض المحدثين مما كان يحسّن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر . قال عنترة :

جادت عليها كلُّ عين ثرّةٍ فتركْنَ كلَّ حديقة كالدرهمِ

---

(٢٦٦) اللسان (اخذ) .

(٢٦٧) ينظر الشعر والشعراء ج١ ص١٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٣٥٩ ، ٤١٧ ، ٤٨٧ ج٢ ص٥٩٣ ، زهر الآداب ج٢ ص٤١٤ .

(٢٦٨) الشعر والشعراء ج١ ص١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ٢٦٣ ، ٢٨١ ، ٣٥٤ زهر الآداب ج١ ص٢٠ .

ترى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترنم

غردا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم

... ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة »[269] .

ولأنه « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم . ولكن عليهم — إذا أخذوها — أن يكسوها ألفاظا من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم ، ويوردوها في غير حليتها الأولى ، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تراكيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإن فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق اليها »[270] وهذا هو حسن الأخذ ، أما قبح الأخذ فهو « أن تعمد الى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره او تخرجه في معرض مستهجن »[271] .

والأخذ أنواع ومراتب كثيرة ذكرها القدماء ومثلوا لها ، وفي هذا المعجم ألوان منها .

إخراج الكلام مخرج الشك :

عقد الزركشي باباً في « اعراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد »[272] . وضرب له مثلاً بقوله تعالى : « وإنّا وإيّاكُمْ لعلى هُدىً أوْ في ضَلالٍ مُبينٍ »[273] ، وهو

(٢٦٩) الحيوان ج٣ ص٣١١ .
(٢٧٠) كتاب الصناعتين ص١٩٦ .
(٢٧١) كتاب الصناعتين ص٢٢٩ ، وينظر المنصف ج١ ص٣٠ .
(٢٧٢) البرهان ج٣ ص٤٠٩ .
(٢٧٣) سبأ ٢٤ .

يعلم انه على الهدى ، وأنهم على الضلال ، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك تقاضياً ومسامحة ، ولا شك عنده ولا ارتياب .

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن كقوله تعالى : « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً »(٢٧٤) .

وقد يخرج الاطلاق في صورة التقييد كقوله تعالى : « حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط »(٢٧٥) .

الاخـــلاء :

أخلى : إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه ، وخلى لك الشيء وأخلى : فرغ(٢٧٦) .

الاخلاء : أن تمر أبيات في القصيدة ليس فيها بيت رائع ، قال البحتري: « دعاني علي بن الجهم فمضيت اليه ، فأفضنا في أشعار المحدثين الى أن ذكرنا أشجع السلمي فقال لي : « إنه يُخلي » وأعادها مرات ، ولم أفهمها ، وأنفت أن أسأله عن معناها . فلما انصرفت فكرت في الكلمة ، ونظرت في شعر أشجع السلمي فاذا هو ربما مرّت له الابيات مغسولة ليس فيها بيت رائع ، فاذا هو يريد هذا بعينه ، إنه يعمل الأبيات فلا يصيب فيها ببيت نادر كما ان الرامي إذا رمى برشقه فلم يصب فيه بشيء قيل : أخلى »(٢٧٧) .

واتهم الحاتمي المتنبي بالاخلاء فقال له : « وربما أخليت وأخلفت وأعذرت وهلهلت »(٢٧٨) . وقال : « يقال للشاعر إذا أتى بأبيات مشتملة على

---

(٢٧٤) الاسراء ٧٩ .

(٢٧٥) الأعراف ٤٠ .

(٢٧٦) اللسان (خلا) .

(٢٧٧) أخبار أبي تمام ص٦٣ ، وينظر الأوراق ص٨١ ، الموشح ص٤٥٢ ، اعجاز القرآن ص١٧٥ ، العمدة ج١ ص٢٠٥ .

(٢٧٨) الرسالة الموضحة ص٢٥ .

معان مبتكرة وألفاظ متخيرة ، ثم أورد في أثنائها بيتا خاليا من هذا الوصف: « قد أخلى »[٢٧٩] .

الإخـلاف :

الخلاف : المضادة ، وقد خالفه مخالفة واخلافا[٢٨٠] .

الاخلاف : مخالفة قافية الضرب وقافية المصراع ، وقد اتّهم الحـاتمي المتنبي بأنه يخلف ، قال له : « وربما أخليت وأخلفت وأعذرت وهلهلت »[٢٨١] وفسر الاخـلاف بقوله : « وإذا خالف بين قافية الضرب وقافيـة المصراع في افتتاح القصيدة ، قد أخلف كما قال ذو الرمة :

ألا يا اسلمي يا دارَ ميَّ على البلى ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القَطْر

فكأنه لما قال : « على البلى » وعد بنظم قصيدة على روي الالف وكأنه لمـا قال : « القطر » أخلف ذلك الوعد إذ جعلها رائية»[٢٨٢] .

الإخـلال :

الاخلال : من أخلّ بالشيء أي أجحف . وأخلّ بالمكـان وبمركـزه وغيره : غاب عنه وتركه . أخلّ به : لم يفِ به[٢٨٣] .

الاخلال : من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى ، قال قدامة : « هو أن يترك

---

(٢٧٩) الرسـالة الموضحـة ص٢٦ .

(٢٨٠) اللسـان (خلف) .

(٢٨١) الرسـالة الموضحـة ص٢٥ .

(٢٨٢) الرسـالة الموضحـة ص٢٦ .

(٢٨٣) اللسـان (خلل) .

من اللفظ ما يتم به المعنى »[٢٨٤] ، ومن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى أيضـا ، وهو « أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى »[٢٨٥] .

ومن الأول قول الحارث بن حلزة :

والعَيْشُ خـيرٌ في ظـلا ل النَّوْكِ ممن عاش كَدّا

أراد أن يقول : « والعيش خير في ظـلال النوك من العيش بكد في ظـلال العقل » ، فترك شـيئاً كثيراً .

ومثال الثاني قول بعضهم :

فما نطفـةٌ من مـاء نَحْضٍ عـذية

تمنـع مـن أيـدي الرقـاة رومُهـا

بأطيبَ من فِيهـا لـو انَّك ذُقْتَهُ

إذا ليلةٌ أسْجَتْ وغارَتْ نجومُها[٢٨٦]

الاخوانيـات :

الاخوانيات : أشعار أو رسـائل أدبية يتراسل بها الاخوان والاصدقاء ، وهي بمنزلة « الغزل والنسيب من الشعر »[٢٨٧] . وقد عرفت في الشعر والنثر

---

(٢٨٤) نقد الشـعر ص٢٤٥ ، الموشـح ص٣٦٣ ، نضـرة الاغريض ص٤٢٧ ، قانون البلاغـة ص٥١ ، رسائل البلغاء ص٤١٩ .

(٢٨٥) نقد الشعر ص٢٤٧ ، الموشح ص٣٦٤ ، نضرة الاغريض ص٤٢٨ .

(٢٨٦) النطفة : الماء الصافي قل أو كثر . أسجت : سكنت .

(٢٨٧) المثل السـائر ج٢ ص٤١٦ .

وأكثر الأدباء منها في العصر العباسي[288] ، وعدّها القلقشندي من مقاصد المكاتبات ، وذكر لها سبعة عشر نوعاً هي[289] :

١ــ التهاني ٢ــ التعازي ٣ــ التهادي والملاطفة ٤ــ الشفاعات والعنايات ٥ــ التشوق ٦ــ الاستزارة ٧ــ اختطاب المودّة وافتتاح المكاتبة ٨ــ خطبة النساء ٩ــ الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار ١٠ــ الشكوى ١١ــ استماحة الحوائج ١٢ــ الشكر ١٣ــ العتاب ١٤ــ العيادة والسؤال عن حال المريض ١٥ــ الذم ١٦ــ الأخبار ١٧ــ المداعبة .

الأدب :

سمي الذي يتأدب به الأديب أدباً ، لأنه يأدب الناس الى المحامد وينهاهم عن المقابح . وأدُب فهو أديب من قوم أدباء ، وأدّبه فتأدب : علمه ، وأدَب القوم يأدِبهم أدْباً إذا دعاهم الى طعامه ، والآدب : الداعي الى الطعام[290] .

لم تكن لفظة « الأدب » قبل الاسلام بمعناها الذي استقر ، وإنما كانت تعني الخلق كما في العبارة « إني سآخذ بأدب البعل »[291] ، والدعوة كما في قول الشاعر :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا نرى الآدِبَ منا ينتقِرْ

وتأتي بمعنى التربية والخلق الكريم كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أدّبني ربي فأحسن تأديبي ، ورُبيت في بني سعد » .

---

(٢٨٨) ينظر يتيمة الدهر ج٤ ص٣٥٩ ، حسن التوسل ص٣٨٢ .
(٢٨٩) صبح الأعشى ج٩ ص٥ وما بعدها .
(٢٩٠) اللسان (أدب) .
(٢٩١) الأغاني ج٢ ص١٠٤ .

واتضح معناها الثقافي في القرن الاول للهجرة ، وظهرت طبقة من العلماء سميت « المؤدبين » وكانت تعنى بتربية أولاد الخلفاء والأمراء والميسورين ، وأخذت اللفظة معنى أضيق وانحصرت في الشعر والنثر وما يتصل بهما ، وتحدد معناها في مقدمة ابن خلدون بعد قرون .

ويبدو أن انحصارها بالشعر والنثر وعلوم اللغة كان مبكرا ، وينسب الى الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه قال :

ما ازدت في أدبي حرفاً أُسرُّ به إلاّ تزيدت حرفاً تحته شُوم
إنّ المقدَّمَ في حذق بصنعته أنّى توجه فيها فهو محروم[٢٩٢]

وفي كتب الجاحظ ورسائله إشارات الى لفظة «الأدب» ومن ذلك : « اطلب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب" في الغربة وصلة في المجلس »[٢٩٣] وذكر بعض أهل الأدب[٢٩٤] وكأنه يريد بهم أهل الفهم والمعرفة ، وذكر الأدب بما يقرب من معناه المعروف فقال وهو يتحدث عن الحوليات : « ومن شعراء العرب من كان يترك القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلا ، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ، ويقلّب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماماً على رأيه وعياراً على شعره إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوّله الله تعالى من نعمته »[٢٩٥] . وذكر ما كان يقوم به المؤدبون ، قال عتبة بن أبي سفيان لعبدالصمد مؤدب ولده : « ليكن أول ما تبدأ به من اصلاحك بَنيّ اصلاحك نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، علمهم كتاب

---

(٢٩٢) تحسين القبيح ص٨٠ ، ثمار القلوب ص٦٥٨ .
(٢٩٣) البيان والتبيين ج١ ص٣٥٢ .
(٢٩٤) البيان والتبيين ج١ ص٣٨٩ .
(٢٩٥) البيان ج٢ص٩ . حول كريت : حول كامل تام .

الله ولا تكرهم عليه فيملّوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مَضَلّة للفهم ، وعلّمهم سِيَرَ الحكماء وأخلاق الأدباء »[٢٩٦] .

والمؤدب عند الجاحظ مشتق من «الأدب»[٢٩٧] ، وعلوم الادب هي ما أشار اليها عتبة بن أبي سفيان ، والادب هو الثقافة « وإنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك »[٢٩٨] ، وهو الخلق : « والأدب اما خلق ، واما رواية ، وقد أطلقوا له اسم المؤدب على العموم[٢٩٩] ، فالأدب عند الجاحظ هو كل ذلك ، وهو صناعة الكلام البديع ، وهو الكلام الرائع .

والأدب عند المبرد يمثل الكلام المنثور والشعر والمثل السائر والموعظة والخطبة والرسالة[٣٠٠] ، وهذا ما قصد اليه العسكري في كتابه « المصون في الأدب » إذ تحدث فيه عن الشعر والنثر والنقد وضمنه موازنات بين الشعراء ، وذكر أحسن ما قيل في الاوصاف والتشبيهات وأمثلة من الكتب والجوابات والخطابات وكلام الأعراب والفصحاء والتوقيعات .

والادب عند الثعالبي أصناف كثيرة وعمدتها الشعر[٣٠١] ، ومنها أدب النفس وأدب الدرس[٣٠٢] .

---

(٢٩٦) البيان ج٢ ص٧٣ .
(٢٩٧) رسالة المعلمين ـ رسائل الجاحظ ج٣ ص٣٤ .
(٢٩٨) المعاش والمعاد ـ رسائل الجاحظ ج١ ص٩٦ .
(٢٩٩) رسالة المعلمين ـ رسائل الجاحظ ج٣ ص٣٤ .
(٣٠٠) الكامل ج١ ص٣ .
(٣٠١) يتيمة الدهر ج١ ص١٦ .
(٣٠٢) ثمار القلوب ص٦٥٨ .

وحدث توسّع في فهم الأدب فاذا به الضرب على العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج والطب والهندسة والفروسية والشعر والنسب وأيام الناس ومقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس[٣٠٣] . وانعكس هذا الاتساع على الدراسات فسمّى ابن الانباري أحد كتبه « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » وعلوم الادب عنده ثمانية هي : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم . وأضاف اليها علمين هما : علم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحو[٣٠٤] .

وسمّى ياقوت الحموي أحد كتبه « معجم الأدباء » ولا يخص هذا الكتاب الادب وحده ، وهو قريب من كتاب ابن الانباري .

واتجه السكاكي هذا الاتجاه في فهم الأدب قال : « وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بدّ منه ، وهي عدة أنواع متآخذة »[٣٠٥] . وذكر علم الصرف ، وعلم النحو ، وعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم الحد والاستدلال ، وعلم العروض ، وعلم القوافي . وتبعه بدرالدين بن مالك في هذا الاتجاه وعرّف الأدب بقوله : « هو معرفة ما يحترز به عن جميع وجوه الخطأ في العربية »[٣٠٦] .

واتجه العلوي هذا الاتجاه وحدد العلوم الأدبية بأربعة هي : علم اللغة العربية ، وعلم الإعراب ، وعلم التصريف ، وعلم البلاغة والفصاحة[٣٠٧] .

ونحا هذا النحو القلقشندي الذي ذهب الى أن علوم الأدب عشرة هي: علم اللغة ، وعلم التصريف ، وعلم النحو ، وعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم

---

(٣٠٣) زهرة الآداب ج١ ص١٦٤ .
(٣٠٤) نزهة الالباء ص٦٠ . وينظر الأشباه والنظائر في النحو ج١ ص٦ .
(٣٠٥) مفتاح العلوم ص٣ .
(٣٠٦) المصباح ص٢ .
(٣٠٧) الطراز ج١ ص٢-٢٢ .

البديع ، وعلم العروض ، وعلم القوافي ، وعلم قوانين الخط ، وقوانين القراءة[٣٠٨] .

وسار على هذا النهج الكفوي الذي عرّف الأدب بقوله : « هو علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابةً . أصوله : اللغة، والصرف ، والاشتقاق ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والعروض ، والقافية . وفروعه: الخط ، وقرض الشعر ، والانشاء ، والمحاضرات ومنها التواريخ ، والبديع ذيل للمعاني والبيان »[٣٠٩] .

وتوسع النويري في كتابه « نهاية الأرب » وأدخل في فنون الأدب كل العلوم المعروفة في عهده ، وهذا توسع كبير .

وعلم الأدب عند ابن خلدون : « لا موضوع له ، ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم »[٣١٠] ، فيجمعون لذلك الشعر العالي الطبقة ، والسجع ، ومسائل من اللغة والنحو ، وبعض أيام العرب ، والانساب الشهيرة ، والاخبار العامة ، والهدف من ذلك كله « أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه ، لانه لا تحصل الملكة من حفظه إلاّ بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه » . وربما حدوا هذا الفن بقولهم : « الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والاخذ من كل علم بطرف » . وكانوا يعدون أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر للقالي ، وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها .

---

(٣٠٨) صبح الأعشى ج١ ص٤٦٨ .
(٣٠٩) الكليات ج١ ص٩١ .
(٣١٠) مقدمة ابن خلدون ص٥٥٣ .

الأديـب :

الأديب : هو الشاعر أو الناثر ، وقد وردت اللفظة في شعر أوس بن حجر:

أريب أديب أخو مأزق تعـايا يخبـّر بالغـائب[٣١١]

وبدأت لفظة « الأديب » تأخذ مساراً واضحاً بعد القرن الثاني للهجـرة وأخذت منزلة الاديب تعلو ، وسمى الجاحظ نفسه أديباً[٣١٢] . وذكـر ابن قتيبة أن « أعلى منازل أديبنا أن يقول الشعر أبياتاً في مدح قينـة أو وصف كأس وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب وينظر في شـيء من القضاء وحدّ المنطق »[٣١٣] . وهذا يدل على أن الأديب أرفع من ذلك . وقال بعضهم : « الأديب من يكتب أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب، ويورد أحسن ما يحفظ »[٣١٤] ، وليس هذا الأديب الذي يبـدع الشـعر أو النثر . وقد يطلق على من له ذوق ودرايـة بالادب ، افتخر الأعرابي بنفسـه فقال :

ألا زعمتْ عفـراءُ بالشـام أنّني غلامُ جـوارٍ لا غلامُ حروب

وإني لأهـذي بالاوانس كالـدمى واني بأطراف القنـا للعـوب

وإني على ما كـان مـن عنجهيتي ولوثـة أعـرابيتي لأديب[٣١٥]

وقال الثعالبي إن الأديب غير النحوي والفقيه والطبيب والمنجم[٣١٦]واشترطوا

---

(٣١١) رسالة في نفي التشبيه ــ رسائل الجاحظ ج١ ص٣٠٢ ، وفي الحيوان ج٣ ص٦٠ ، وديوان أوس بن حجر ص١٢ : مليح نجيح أخو مأزق، و: نجيح مليح.

(٣١٢) البيـان والتبيين ج٢ ص٣٣١ .

(٣١٣) أدب الكـاتب ص٢ .

(٣١٤) الغيث المسجم ج١ ص٥ .

(٣١٥) البيان ج١ ص١٦٧ ، زهر الآداب ج٢ ص٤٢١ .

(٣١٦) اللطف واللطائف ص٣٣ .

فيه الموهبة ودعا بشر بن المعتمر من لا موهبة له الى أن يترك الادب ويختار عملاً قريباً الى نفسه[317] .

ورسم القدماء ثقافة الأديب ــ ولا سيما الكاتب ــ وقالوا إنها واسعة ومن « أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم »[318] .

والطبع من أهم ما ينبغي أن يتصف به الأديب قبل معرفته علوم الادب ، قال ابن الاثير : « اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر الى آلات كثيرة ، وقد قيل : ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل : كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول : فلان النحوي ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة فيقول : « فلان الكاتب » وذلك لما يفتقر اليه من الخوض في كل فن . وملاك هذا كله الطبع . فانه إذا لم يكن ثمّ طبع فانه لا تغني تلك الآلات شيئاً . ومثال ذلك كمثال النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها ، ألا ترى انه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئاً »[319] . ويتصل بذلك الذوق فان « مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم »[320] . فاذا ركّب الله ــ تعالى ــ في الانسان طبعاً قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ الى ثمانية أنواع من الآلات هي :

النوع الاول : معرفة علم العربية من النحو والصرف .

النوع الثاني : معرفة اللغة .

---

(٣١٧) البيان ج١ ص١٣٥ ، كتاب الصناعتين ص١٣٤ ، العمدة ج١ ص٢١٢ .
(٣١٨) العقد الفريد ج٢ ص٢٠٨ ، وينظر الغيث المسجم ج١ ص٣ .
(٣١٩) المثل السائر ج١ ص٧ــ٨ .
(٣٢٠) المثل السائر ج١ ص٥ .

النوع الثالث : معرفة أمثال العرب وأيامهم .

النوع الرابع : الاطلاع على تأليفات المتقدمين من أرباب الصناعة المنظومة والمنثور ، والتحفظ للكثير منه .

النوع الخامس : معرفة الاحكام السلطانية كالامامة والامارة والقضاء والحسبة .

النوع السادس : حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوي كلامه .

النوع السابع : حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال .

النوع الثامن : معرفة علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر ، وهو مختص بالناظم دون الناثر(٣٢١) .

وأضاف ابن الاثير الى ذلك الثقافة العامة ، فان الأديب أحوج ما يكون اليها ، قال : « وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث بكل فن من الفنون حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس ، والى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة ، فما ظنك بما فوق هذا ؟ والسبب في ذلك أنه مؤهل لان يهيم في كل واد فيحتاج أن يتعلق بكل فن »(٣٢٢) . وهذا ما ذهب اليه كثير من القدماء(٣٢٣) .

---

(٣٢١) المثل السائر ج١ ص٩-١٠ .

(٣٢٢) المثل السائر ج١ ص٣١ .

(٣٢٣) ينظر كتاب الصناعتين ص١٥٤ ، سر الفصاحة ص٣٤١ ، الرسالة العذراء ، رسالة البلغاء ص٢٢٨ ، الفلك الدائر على المثل السائر ص٤٠ ، نصرة الثائر على المثل السائر ص٦٣ ، تحرير التحبير ص٤٠٦ ، حسن التوسل ص٧٢ ، نهاية الارب ج٧ ص٢٧ ، صبح الأعشى ج١ ص١٤٠ .

والحفظ من أهم ما يعين الأديب ، فاذا حفظ الكثير ووجد في نفسه القدرة على النظم أو الكتابة أقبل عليهما ، قال ابن خلدون : « ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ »[٣٢٤].

ولا بدّ من أن يتدرب الأديب ، وقد وضع ابن الاثير الطريق الى تعلم الكتابة ودعا الى التدريب على حلّ الابيات الشعرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية »[٣٢٥] . وذكر أن القاضي الفاضل تمرن أول ما تمرن بحل الشعر المنظوم[٣٢٦] . وكان للتدريب عند معظمهم أهمية عظيمة للوصول الى الاجادة والابداع .

الارتجال :

ارتجل الرجل ارتجالاً : إذا ركب رجليه في حاجته ومضى ، وشَعْرٌ رَجْل : بَيِّنُ السبوطة والجعودة . وارتجال الخطبة والشعر : ابتداؤه من غير تهيئة . وارتجل الكلام ارتجالاً : إذا اقتضبه اقتضاباً وتكلم به من غير أن يهيئه قبل ذلك[٣٢٧] .

الارتجال : مأخوذ من « الانصباب والسهولة ، ومنه قيل : « شَعْرٌ رَجْلٌ » إذا كان سبطاً غير جعد ومسترسلاً غير منقبض . وقيل : من ارتجال البئر ، وهي أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل ، فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة » .

---

(٣٢٤) مقدمة ابن خلدون ص٥٧٤ .
(٣٢٥) ينظر المثل السائر ج١ ص٧٦ وما بعدها .
(٣٢٦) الوشي المرقوم ص٩ .
(٣٢٧) اللسان (رجل) .

والارتجال : هو « أن ينظم الشاعر ما ينظم في أوحى[٣٢٨] من خطف البارق واختطاف السارق ، وأسرع من التماح العاشق ونفوذ السهم المارق ، حتى يخال ما يعمل محفوظاً أو مرئياً ملحوظاً من غير حاجة الى كتابة ولا تعلل بتقفية . وتنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية ، وهم الشهود العدول الذين يجب الرجوع اليهم ، ولا يجوز العدول بالشهادة على استطاعته وان ذلك المنظوم ابن ساعته »[٣٢٩] .

وكانوا يفخرون بالقدرة على الارتجال ، وعدّه الجاحظ من صفات العرب فقال : « وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام »[٣٣٠] . ومن ذلك ما قاله المأمون ليحيى بن أكثم الذي وصف للمأمون حاله عند الناس : « يا يحيى أتحبيراً أم ارتجالا ؟ » . قال يحيى : « وهل يمتنع فيك وصف ، أو يتعذر على مادحك قول ، أو يفحم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟ »[٣٣١]

وكان الارتجال مرتبطاً بالموضوع وأهميته فيسهل إن كان في مثل مدح المأمون ويصبح الكلام ارتجالا .

وخلط بعضهم بين البديهة والارتجال ، قال ابن رشيق : « البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال ، وليست به ، لان البديهة فيها الفكرة والتأيد ، والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله »[٣٣٢] .

---

(٣٢٨) أوحى : أسرع .

(٣٢٩) بدائع البدائه ص٧ ، وينظر العمدة ج١ ص١٩٦ ، كفاية الطالب ص٤٧ ، منهاج البلغاء ص٢١٣ .

(٣٣٠) البيان والتبيين ج٣ ص٢٨ .

(٣٣١) كتاب الصناعتين ص٤١ .

(٣٣٢) العمدة ج١ ص١٨٩ ، وينظر جوهر الكنز ص٤٣٩ .

وأعظم ارتجال وقع كان قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمرو بن هند فانه يقال : « أتى بها كالخطبة » ومثلها قصيدة عبيد بن الأبرص ، وارتجل الكميت قصيدة في مدح بني أمية ، وارتجل نصيب الأصغر قصيدة في المديح ، وكان أبو نواس قويّ البديهة والارتجال ، وكان مسلم بن الوليد مثله ، وكان أبو العذمية مقتدراً على الارتجال ، واشتهر أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي بالارتجال[٣٣٣] ، وارتجل منذر بن سعيد خطبة وقصيدة طويلة فاعجب بها الناصر وولاه القضاء[٣٣٤] .

والارتجال في الشعر محمود ، والاحتراس في الخطبة معهود ، قالوا عن الخطيب : « ينبغي له أن يتقي خيانة البديهة في أوقات الارتجال ، ولا يغره انقياد القول له في بعض الاحوال فيركب ذلك في سائر الأوقات وعلى جميع الحالات . فان وثق بانقياد القول له ومسامحته إياه فأتى بالبديهة ما يأتي به غيره بعد التروية فذلك الخطيب الذي لا يعادله خطيب ، والأديب الذي لا يوازنه أديب »[٣٣٥] . وقال القرطاجني : إن « مآخذ القول في الارتجال قريبة سهلة لكون ضيق الوقت يمنع من بعد المذهب في ذلك . ولا يخلو الارتجال من أن يكون مستقصى فيه ما كان من صفات الشيء المقول فيه لائقاً بغرض القول ، أو غير مستقصى ، وكلاهما لا يخلو من أن يكون مقروناً فيه بين المعاني المتعلقة بالشيء الموصوف وبين معانٍ أخر يكون لها به علقة ولها اليه نسبة على سبيل تشبيه أو إحالة أو تعطيل أو تتميم ، أو غير ذلك مما يكون به بعض المعاني بسبب من بعض ، أو تكون المعاني المتعلقة بالشيء الموصوف غير مقترن بها شيء من المعاني . فأقاويل البديهة إذن أربعة أنماط : قول مستقصى

---

(٣٣٣) ينظر العمدة ج١ ص١٩٠ ، الاغاني ج٤ ص٤٠ ، ج١١ ص٤٥ ، ج١٧ ص٧، ج٢٣ ص١٠ ، يتيمة الدهر ج٤ ص١٩٤ .

(٣٣٤) ينظر نفح الطيب ج١ ص٣٦٤ .

(٣٣٥) البرهان في وجوه البيان ص٢١٣ .

مقترن ، وقول مستقصى غير مقترن ،و مقترن غير مستقصى ، وغير مستقصى ولا مقترن . وأفضلها الأول وأدناها الآخر ، فعلى أحد هذه الاربعة الانحاء يتخيل المرتجل ما يريد أن يقوله في وصف الشيء ، ثم يأخذ في نظم ذلك الشيء »[٣٣٦] .

الارتفاد :

الرِفْد : العطاء والصلة ، والاسترفاد : الاستعانة . والارتفاد : الكسب[٣٣٧] .

الارتفاد : الاعانة في نظم الشعر ، دخل سلمة بن عياش على الفرزدق السجن وهو محبوس وقد قال قصيدته :

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطْوَلُ

وقد أفحم وأجبل ، فقلت له : ألا أرفدك[٣٣٨]؟ فقال : وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم . ثم قلت :

بيتٌ زرارةُ مُحْتَبٍ بفنائه ومجاشعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

فاستجاد البيت وغاظه قولي »[٣٣٩] .

ويأتي الارتفاد بمعنى الحشو ، وقد ذكره ابن رشيق في باب « الحشو وفضول الكلام » وقال معلقاً على قول الشاعر :

ولو قُبلت في حادث الدهر فديةٌ لقُلْنا على التحقيق نحن فداؤُه

(٣٣٦) منهاج البلغاء ص٢١٣ .
(٣٣٧) اللسان (رفد) .
(٣٣٨) أي : الا أعينك وأمدك ؟
(٣٣٩) الأغاني ج٢٠ ص٢٩٥-٢٩٦ .

فقوله : « على التحقيق » حشو مليح فيه فائدة ، ومن الناس من يسمي هذا النوع من الكلام ارتفادا . وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم :

قضى اللهُ حين صَوَّرها الخا لقُ أن لا يكُنَّها سَدَفُ

والارتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صوّرها الخالق » لان اسم الله — تعالى — قد تقدم »[٣٤٠] .

الأرجوزة :

الرجز : أن تضطرب رجل البعير أو فخذاه إذا أراد القيام أو ثار ساعة ثم تنبسط . والرجز : ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذهما ومؤخرهما عند القيام . وسمي الرجز من الشعر لتقارب أجزائه وقلة حروفه . والرجز: شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل في السمع ويقع في النفس . وقد اختلف فيه ، فزعم قوم انه ليس بشعر وان مجازه مجاز السجع ، وهو عند الخليل شعر صحيح . والارجوزة للواحدة والجمع: الاراجيز . رجز الراجز يرجز رجزاً وارتجز الرجاز ارتجازاً : قال أرجوزة . وتراجزوا وإرتجزوا : تعاطوا بينهم الرجز . والأرجوزة كهيئة السجع إلا انه في وزن الشعر[٣٤١] .

الرجز : من بحور الشعر العربي ووزنه « مستفعلن » ست مرات ، وقد عرف منذ القديم وقيل : إنه الصورة الاولى للشعر العربي . وكان الشاعر يرتجز البيتين والثلاثة إذا حارب أو فاخر . وظهرت قصائد تلتزم ببحر الرجز وعرف شعراء متميزون مثل الأغلب العجلي والعجاج وابنه رؤبة . وتسمى تلك المنظومات أراجيز جمع «أرجوزة» تمييزاً لها عن القصيدة المعروفة .

---

(٣٤٠) العمدة ج ٢ ص٧١ .
(٣٤١) اللسان (رجز) .

وعرفت الارجوزة في العصر العباسي وكانت موضع اعتزاز بعضهم ، فقد أنشد عقبة بن رؤبة عقبةَ بن سلم رجزا يمتدحه به وبشار حاضر فاظهر بشار استحسان الأرجوزة فقال له عقبة بن رؤبة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه . فقال بشار : ألمثلي يقال هذا الكلام ؟ أنا — والله — أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها :

يا طَلَلَ الحيِّ بذات العَمْدِ   بالله خَبِّرْ كيف كنتَ بَعْدي[٣٤٢]

وعرفت الاراجيز في عهودها الاولى بلغتها الغريبة ، ولكن الحال اختلف في العصر العباسي حين استعملت في الاغراض المختلفة كأرجوزة « ذات الامثال » لأبي العتاهية[٣٤٣] ، والشعر الذي نظمت به القصص والتأريخ والعلوم المختلفة ، كالنحو والفقه والطب والفلك والحساب .

ارسال المثل :

ذكره الثعالبي والوطواط والحلبي والنويري ولم يعرفوه[٣٤٤] ، وقال الحموي : « إرسال المثل نوع لطيف في البديع ولم ينظمه في بديعيته غير الشيخ صفي الدين . وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من كلمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به »[٣٤٥] وهذا تعريف الحلي[٣٤٦] ، وقد نقله المدني[٣٤٧] أيضا . وقال السبكي : « هو أن

---

(٣٤٢) البيان والتبيين ج١ ص٤٩ .
(٣٤٣) ينظر الأغاني ج٤ ص٣٦ .
(٣٤٤) يتيمة الدهر ج١ ص٢١٤ ، ٢١٩ ، حدائق السحر ص١٥٥ ، حسن التوسل ص٢٤٢ ، نهاية الارب ج٧ ص١٢٧ .
(٣٤٥) خزانة الأدب ص٨٣ .
(٣٤٦) شرح الكافية البديعية ص١١٨ ، وينظر نفحات الازهار ص١٠٩ .
(٣٤٧) أنوار الربيع ج٢ ص٥٩ .

يورد المتكلم مثلاً في كلامه ، وقد عرف ذلك في علم البيان في مجاز التمثيل »[٣٤٨] .

ومنه قول أبي فراس الحمداني :

تهون علينا في المعالي نفوسُنا ومَنْ نَكَحَ الحسناءَ لم يُغْلِها المهْرُ

ومن ارسال المثل قوله تعالى : « لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون »[٣٤٩] ، وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .

ارسال المثلين :

ذكره الثعالبي[٣٥٠] ، وعرّفه الوطواط بقوله : « وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر مثلين في بيت واحد »[٣٥١] وقال الرازي : « هو عبارة عن الجمع بين المثلين »[٣٥٢] ونقل الحلبي والنويري هذا التعريف[٣٥٣] .

ومنه قول لبيد :

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ

وقول المتنبي :

أعزُّ مكان في الدنا سَرْجُ سابحٍ وخيرُ جليس في الزمان كتابُ

---

(٣٤٨) عروس الافراح ج٤ ص٤٧٣ .
(٣٤٩) آل عمران ٩٢ .
(٣٥٠) يتيمة الدهر ج١ ص١١٧ .
(٣٥١) حدائق السحر ص١٥٦ .
(٣٥٢) نهاية الايجاز ص١١٢ .
(٣٥٣) حسن التوسل ص٢٤٢ ، نهاية الارب ج٧ ص١٢٨ .

الارصـــاد :

الارصاد : الانتظار والاعداد ، يقال : أرصدته إذا قعدت له على طريقة ترقبـــه[٣٥٤] .

الارصاد : هو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي" . ويسمى « التسهيم » وهو مأخوذ من الثوب المسهم ، وهو الذي يدل أحد ســهامه على الآخر الذي قبله لكون لو نه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبلـه . وكان ابن المقفع قد ذكره وإن لـم يسمه حينما قال : « وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خـير أبيات الشعر ، البيت الذي إذا سمعت صـــدره عرفت قافيته »[٣٥٥] . وعلـق الجاحظ عليه بقوله : « كأنه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صــدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبـة التواهب حتى يكون لكل فـن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك ، والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت » .

وسماه قدامة التوشيح وقال : « هو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى أن" الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منهـا إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته »[٣٥٦] .

وفضل العسكري أن يسمى التبيين ، قال : « سمي هذا النوع التوشـيح وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سمي تبييناً لكان أقرب »[٣٥٧] .

---

(٣٥٤) اللســان (رصد) .
(٣٥٥) البيــان والتبيين ج١ ص١١٦ .
(٣٥٦) نقد الشــعر ص١٩١ .
(٣٥٧) كتاب الصناعتين ص٣٨٢ .

وقال ابن الاثير إنَّ تسميته بالارصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به ، أما التوشيح فنوع آخر من علم البيان[٣٥٨] . وسماه القزويني وشراح تلخيصه إرصادا ، وقال انه يسمى التسهيم أيضا[٣٥٩] ، وذكر ابن رشيق تسميه قدامه وإن سماه تسهيماً كما سماه علي بن هارون المنجم . قال الحاتمي : « قلت لعلي بن هارون المنجم : ما رأيت أعلم بصناعه الشعر منك في التسهيم . فقال : وهذا لقب اخترعناه نحن . قلت : وما كيفيته ؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة يحكيها عن غيره : إن صفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهي اليها راويه منذ الشطر الاول قبل أن يخرج الى الشطر الاخير ومن قبل أن يسمعه »[٣٦٠] . وسماه ابن وكيع المطمع[٣٦١] ، وذكر ابن سنان ان بعضهم يسميه توشيحاً[٣٦٢] ، وبعضهم يسميه تسهيماً[٣٦٣] . وسماه توشيحاً المصري وابن مالك وابن الاثير الحلبي[٣٦٤] . والتوشيح عند ابن منقذ : « هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه »[٣٦٥] كقول ابن المعتز :

---

(٣٥٨) المثل السائر ج٢ ص٢٠٥ .

(٣٥٩) الايضاح ص٣٤٧ ، التلخيص ص٣٥٦ ، شروح التلخيص ج٤ ص٣٠٥ ، المطول ص٤٢٢ ، الأطول ج٢ ص١٩٠ .

(٣٦٠) حلية المحاضرة ج١ ص١٥٢ ، وينظر المنصف ج١ ص٦٠ .

(٣٦١) المنصف ج١ ص٦٠ ، وينظر العمدة ج٢ ص٣١ .

(٣٦٢) سر الفصاحة ص١٨٧ .

(٣٦٣) الوافي ص٢٧١ ، قانون البلاغة ١٠١ ، رسائل البلغاء ص٤٤٣ ، البديع في نقد الشعر ص١٢٧ ، الرسالة العسجدية ص١٥٢ ، التبيان ص١٨٣ ، تحرير التحبير ص٢٦٣ ، بديع القرآن ص١٠٠ ، منهاج البلغاء ص٩٤ ، المصباح ص٨٩ ، حسن التوسل ص٢٦٦ ، نهاية الارب ج٧ ص١٤٢ ، جوهر الكنز ص٢٤٨ ، الفوائد ص٢٤٣ ، أنوار الربيع ج٤ ص٣٣٦ ، حلية اللب ص١٣٤ .

(٣٦٤) تحرير التحبير ص٢٢٨ ، بديع القرآن ص٩٠ ، المصباح ص٩١ ، جوهر الكنز ص٢١٣ .

(٣٦٥) البديع في نقد الشعر ص٨٩.

آذريون أتاك في طبقه ... كالمسك في ريحه وفي عبقه

قد نفض العاشقون ما صنع الـ ... هجر بألوانهم على ورقه

فصدار البيت موضوع على أنه أصفر . وليس كذلك الارصاد الذي قال القزويني فيه : « الارصاد ويسمى التسهيم أيضاً وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي[٣٦٦] . وتبعه في ذلك شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والاسفراييني والمغربي[٣٦٧] .

وفرّق الحموي بين التوشيح والتسهيم فقال : « اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالاً على لفظ آخره ، ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح»[٣٦٨] . وقال في التسهيم : « وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي كلب ، فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها : « فأقسم يا عمرو لو نبّهاك » يقتضي أن يكون تمامه : « إذن نبّها منك داءً عضالا » دون غيره من القوافي ، لأنه لو قال مكان « داءً عضالا » : ليثاً غضوبا ، أو : أفعى قتولا ، أو ما ناسب ذلك لكان «الداء العضال» أبلغ إذ كل منهما ممكن مغالبته والتوقي منه ، والداء العضال لا دواء له ، وهذا مما يعرف بالمعنى . وأما ما يدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده :

إذن نبّها ليث عرّيسة ... مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا

وخرقٍ تجاوزت مجهولةٍ ... بوجناء حرفٍ تشكّى الملالا

(٣٦٦) الايضاح ص٣٤٧ ، التلخيص ص٣٥٦ .

(٣٦٧) شروح التلخيص ج٤ ص٣٠٥ ، المطول ص٤٢٢ ، الأطول ج٢ ص١٩٠ .

(٣٦٨) خزانة الادب ص١٠٠ .

فكنت النهـــار به شمســه

يقتضي أن يتلوه :

وكنت دجـى الليـــل فيه الهـلالا

ومنه قول البحتري :

أحَلَّت دمي من غير جُرْمٍ وحَرَّمَتْ بلا سَبَبٍ يوم اللقاء كلامي

فليس الـذي قـد حللـت بمحلّـلٍ

ومن هنا يعرف المتأدب أنّ تمامه :

وليس الذي قد حَرَّمَتْ بحرامِ [٣٦٩]

وهذا الفـن من محمود الصنعة ، لان خـير الكـلام ما دلّ بعضه على بعض [٣٧٠] ، ومن أمثلته في كتاب الله قوله ــ تعالى ــ : « وما كان الناسُ إلاّ أمةً واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سَبَقَتْ من ربـك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون » [٣٧١] . فاذا وقف السـامع على قوله تعالى : « لقضي بينهـم فيما فيه » عرف أن بعده « يختلفون » لما تقدم من الدلالة عليه .

الاستبطاء :

البطء والابطاء : نقيض الاسراع ، استبطأ وأبطأ الرجل : إذا كانت دوابه بطاءً . وأبطأ عليه الأمر : تأخر [٣٧٢] .

---

(٣٦٩) خزانة الادب ص٣٧٤ .
(٣٧٠) المثل السـائر ج٢ ص٣٤٨ ، الجامع الكبير ص٢٣٨ .
(٣٧١) يونس ١٩ .
(٣٧٢) اللسـان (بطأ) .

قسم بعضهم الشعر الى المديح والهجاء والحكمة واللهو ، ومن الهجاء الذم والعتب والاستبطاء[٣٧٣] . ويبدو انه أقل من العتب والذم ، ومن ذلك قول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر :

كلانا غنيّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

وهذا لون أخف من العتب ، وقد ذكره ابن قتيبة في باب « شرار الاخوان » . ويؤيد هذا ما جاء بعده : « وكتب أيضاً الى بعض إخوانه : أما بعد فقد عاقني الشك فيه عن عزيمة الرأي في أمرك . ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ثم أعقبتني جفاء من غير ذنب،فأطمعني أولك في إخائك وآيسني آخرك من وفائك »[٣٧٤].

الاستحالة والتناقض :

الاستحالة من استحال ، وقد قيل : كل شيء تغير عن الاستواء الى العوج فقد حال واستحال وهو مستحيل . وكلام مستحيل : محال ، والمحال ما عدل به عن وجهه . يقال : أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته ، وأحال الرجل : أتى بالمحال وتكلم به أي بما لا يمكن وقوعه[٣٧٥] .

وللاستحالة معنى آخر وهو « حركة في الكيف كتسخن الماء وتبرده مع بقاء صورته النوعية »[٣٧٦] . والاول هو ما يتصل بالاستحالة في البلاغة ، أما الثاني فهو مما يدخل في غير هذا الفن .

والاستحالة والتناقض من عيوب المعاني قال قدامة : « وهما أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة »[٣٧٧] . وقال ابن سنان:

---

(٣٧٣) البرهان في وجوه البيان ص١٧٠ ، العمدة ج١ ص١٢١ .
(٣٧٤) عيون الاخبار ج٣ ص١٧٦ .
(٣٧٥) اللسان (حول).
(٣٧٦) التعريفات ص١٩ .
(٣٧٧) نقد الشعر ص٢٣٢ .

« إن من جهة الصحـة تجنب الاسـتحالة والتناقض ، وذلك أن يجمـع بين المتقابلين من جهة واحدة »[٣٧٨] • وفرق بين المستحيل والممتنـع ، فالمستحيل « هو الذي لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهـم مثل كون الشيء أسـود أبيض » والممتنع « هو الذي يمكن تصوره في الوهم وإن كان لا يمكن وجوده مثل أن يتصور تركيب بعض أعضاء الحيوان من نوع آخر منه كمـا يتصور يد أسـد في جسم انسان »[٣٧٩] •

ومما جاء من الاستحالة والتناقض قول أبي نواس يصف الخمر :

كأن بقايا ما عفى من حبابها   تفاريق شيب في سواد عذارِ [٣٨٠]

فشبه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جائز ، لان الحباب يشبه الشـيب في البياض وحده لا في شيءآخر غيره • ثم قال :

تردّت به ثم انفرى عن أديمها   تفريَّ ليلٍ عن بياض نهارِ [٣٨١]

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب ، والخمر التي كانت في البيت الاول كسواد العِذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار • وليس في هذا التناقض منصـرف الى جهة من جهات العذر ، لان الابيض والاسود طرفان متضادان ولا يجـوز أن يوصف الشيء بالسواد والبياض في آنٍ واحد •

ومن التناقض قول عبدالرحمن بن عبدالله القس :

---

(٣٧٨) سر الفصاحة ص٢٨١ .

(٣٧٩) سر الفصاحة ص٢٨٧ . وينظر : قانون البلاغة ص٣٨ ، رسائل البلغاء ص٤١٣ . وقد تكلم عليه سيبويه في كتابه ج١ ص٢٥ •

(٣٨٠) عفى : أمحى . الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر • العـذار : جانب اللحيـة •

(٣٨١) تردت به : اتخذته رداء • انفرى : انشق .

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيْسَرُ

فاوجب هذا الشاعر الهجر والقتل انهما مثلان ، ثم سلبهما ذلك بقوله : « إنّ القتل أعفى وأيسر » فكأنه قال : إنّ القتل مثل الهجر وليس هو مثله ، ولو قال : « بل القتل أعفى وأيسر » لكان الشعر مستقيماً .

الاستحقاق :

الاستحقاق : الاستيجاب ، يقال : استحق الشيء أي استوجبه[٣٨٢] .

والاستحقاق من أنواع أخذ المعنى ، ويفهم من كلام القرطاجني أن الشاعر يستحق المعنى إذا فضلت عبارته عن عبارة المتقدم ، وهذا حسن جيد في باب الأخذ . قال القرطاجني : « فمراتب الشعراء فيما يلمون به من المعاني إذن أربع : اختراع ، واستحقاق ، وشركة ، وسرقة . فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ، والاستحقاق تالٍ له ، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأولى فهذا لا عيب فيه ، ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الاول فهذا معيب ، والسرقة كلها معيبة وإن كان بعضها أشدّ قبحاً من بعض »[٣٨٣] .ويتضح ان الاستحقاق ليس مما يعاب لانه بعد الاختراع في المنزلة ، وقد أوضح القرطاجني هذه المسألة بقوله : « فاذا تساوى تأليفا الشاعرين في ذلك فانه يسمى الاشتراك ، وإن فضلت فيه عبارة المتقدم فذلك الاستحقاق لانه استحق نسبة المعنى اليه باجادته نظم العبارة عنه »[٣٨٤] .

---

(٣٨٢) اللسان (حقق) .

(٣٨٣) منهاج البلغاء ص١٩٦ .

(٣٨٤) منهاج البلغاء ص١٩٣ .

الاستخراج :

الاستخراج كالاستنباط[٣٨٥] ، وهو من وجوه السرقات ويكون باستخراج معنى من معنى[٣٨٦] .

الاستدراج :

الاستدراج من استدرج ، واستدرجه : أدناه منه على التدريج[٣٨٧] . وهذا من مستخرجات ابن الاثير قال : « وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال . والكلام فيه ــ وإن تضمن بلاغة ــ فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم . وإذا حقق النظر فيه علم أنّ مدار البلاغة كلها عليه ، لأنه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها . والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيراً في خلابه لا قصيراً في خطابه ، فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى إلقاء يده فليس بكاتب ولا شبيه له إلاّ صاحب الجدل . فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية »[٣٨٨] .

وقال في تعريف الاستدراج : « هو التوصل الى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به ، وفي ذلك

---

(٣٨٥) اللسان (خرج) .

(٣٨٦) المنصف ج١ ص١٥ .

(٣٨٧) اللسان (درج) وينظر التعريفات ص٢٠ .

(٣٨٨) المثل السائر ج٢ ص٦٨ .

من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطربه ، لأن مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه »[٣٨٩] .

وقال ابن الاثير الحلبي : « يقال : استدرج فلان فلاناً إذا توصل الى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة . والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب ولزوم الأدب في الكلام مع المخاطب بحيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه »[٣٩٠] . وهذا قريب من قول ابن الاثير السابق ، وذهب العلوي الى مثل ذلك[٣٩١] وذكر أبياتاً للمتنبي وقال انها من لطيف ما جاء في الاستدراج من المنظوم ، وذلك أنّ سيف الدولة كان مخيماً بارض الديار البكرية على مدينة ميافارقين ليأخذها فعصفت الريح خيمته فأسقطتها فتطيّر الناس لذلك وقالوا : إنه لا يأخذها ، فامتدحه المتنبي بقصيدة يعتذر فيهاعن سقوط الخيمة ويستدرج ما أثّر ذلك في صدره بالازالة والمحو تقرباً لخاطره وتطييباً لنفسه ، فأجاد فيها كل الاجادة وأحسن في الاعتذار والاستدراج غاية الاحسان ، ومطلعها :

أينفعُ في الخيمة العُذَّلُ وتشمل من دهرنا يَشْمُلُ

ومنها قوله :

تضيق بشخصك أرجاؤها ويركض في الواحد الجحفلُ

وتقصر ما كنت في جوفها وتركز فيها القنا الذُّبَّلُ

ثم قال :

وإنّ لها شرفاً باذخاً وإن الخيام بها تخجلُ

(٣٨٩) الجامع الكبير ص٢٣٥ .
(٣٩٠) جوهر الكنز ص١٥٦ .
(٣٩١) الطراز ج٢ ص٢٨١ .

فلا تنكرنّ لها صرعةً	فمن فرح النفس ما يقتلُ
ولما أمَرْتَ بتطنيبها	أشيعَ بأنك لا ترحلُ
فما اعتمد اللهُ تقويضَها	ولكنْ أشار بما تفعلُ
وعرّف أنّك من همه	وأنك في نصره ترفُلُ
فما العاندون وما أمّلوا	وما الحاسدون وما قوّلوا
هُمُ يطلبون فمن أدركوا	وهم يكذبون فمن يقبلُ
وهم يتمنون ما يشتهو	ن ومن دونه جَدُّكَ المقبلُ

وقال التنوخي : « ومن البيان الاستدراج ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه • وهذا باب واسع ، وهو أن يقدم المخاطِب ما يعلم انه يؤثر في نفس المخاطَب من ترغيب وترهيب واطماع وتزهيد • وأمزجة الناس تختلف في ذلك ، فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه ، وهذا لا يؤثر فيه التعليم إلا يسيراً • بل ينبغي أن يكون في مزاج الانسان قوة تؤدّيه الى ذلك ، وهي تصرف في الكلام كتصرف الانسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه»(٣٩٢)

ونقل ابن قيم الجوزية (٣٩٣) ما قاله ابن الاثير الذي استخرج هذا الفن، وذكر أمثلته من آيات الذكر الحكيم •

الاستدعاء : من استدعى ، وكان قدامة قد تحدث عن عيوب ائتلاف المعنى والقافية وقال : « ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون

(٣٩٢) الأقصى القريب ص١٠٣ •
(٣٩٣) الفوائد ص٢١٢ •

نظيرة لأخواتها في السجع ، لا لأنّ لها فائدة في معنى البيت »[٣٩٤] ، كقول أبي عدي القرشي :

ووفيت الحتوف من وارث وا ... لٍ وأبقاك صالحاً ربُّ هودِ

فليس نسبة هذا الشاعر الله — عز وجل — الى انه « رب هود » بأجود من نسبته الى انه « رب نوح » ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع لا لإفادة معنى بما أتى به منه .

وسماه ابن رشيق « الاستدعاء » وقال : « هو ألاّ يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط فتخلو حينئذ من المعنى »[٣٩٥] . وذكر البيت السابق وقول السيد الحميري :

أقسم بالفجر وبالعشر ... والشفع والوتر ورب لقمان

قال ابن رشيق : « فانظر الى قوله : «رب لقمان» ما أكثر قلقه وأشد ركاكته » .

الاسترفاد :

الرفد : العطاء والصلة ، والاسترفاد : الاعانة ، والارتفاد : الكسب[٣٩٦] .

الاسترفاد : أن يأخذ الشاعر شعر غيره رفداً أي هبة ، وهو المرافدة والاسترفاد[٣٩٧] . ولا يُعَدُّ ذلك غَصْباً أو إغارة على شعر الآخرين ، لأنه أخذ هِبَةً وعطاءً برضى قائله .

الاستشهاد :

يقال : أشهدت الرجل على إقرار الغريم ، واستشهدته بمعنى .

---

(٣٩٤) نقد الشعر ص٢٥٥ .
(٣٩٥) العمدة ج٢ ص٧٤ .
(٣٩٦) اللسان (رفد) .
(٣٩٧) العمدة ج٢ ص٢٨٢ .

واستشهدت فلاناً على فلان : إذا سألته إقامة شهادة احتملها(٣٩٨) .

ذكر العسكري فناً سماه « الاستشهاد والاحتجاج » وهو من زياداته(٣٩٩) قال : « وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين ، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى ، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الاول والحجة على صحته »(٤٠٠) ومثاله قول بشار :

فلا تجعل الشورى عليك غضاضةً فان الخوافي قوّةٌ للقوادم

وقول أبي تمام :

نقّل فؤادَك حيثُ شِئْتَ من الهوى ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأوّلِ

كـم منزلٍ في الأرض يألفـه الفتى وحنينـه أبـداً لأوّل منزلِ

وأخذ الدمنهوري بهذا المعنى وذكر أبيات العسكري التي ذكرها في الصناعتين وهي :

كان لي ركنٌ شـديدٌ وقعـت فيه الـزلازلْ

زعزعته نـوَب الدهـر وكـرّاتُ النـوازلْ

وقال : « إن الشاهد في البيت الثالث»(٤٠١) ، وهذا من الاطناب عند المتأخرين .

والاستشهاد عند غيرهما هو : الاستشهاد بالآيات القرآنية ، وقد تحدث الحلبي والنويري عن خصائص الكتابة ، ويتصل بها الاقتباس والاستشـهاد والحل . وقالا : إنّ الاستشهاد بالآيات ينبغي أن ينبه عليها(٤٠٢) .

---

(٣٩٨) اللسـان (شهد) .

(٣٩٩) كتاب الصناعتين ص٢٦٧ .

(٤٠٠) كتاب الصناعتين ص٤١٦ .

(٤٠١) حليـة اللب ص١٦٨ .

(٤٠٢) حسن التوسل ص٣٢٥ ، نهاية الارب ج٧ ص١٨٣ .

وقال القلقشندي : « الاستشهاد : وهو أن يورد البيت من الشعر أو البيتين ، أو أكثر في خلال الكلام المنثور مطابقاً لمعنى ما تقدم من النثر ، ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بـ «قال» ونحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية ، فان الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام فلا يحتاج الى التنبيه عليه . وأكثر ما يكون ذلك في المكاتبات والاخوانيات »(٤٠٣) . والاستشهاد : « هو أن يذكر الشاعر اسمه أو لقبه في أثناء نظامه باسلوب حسن تستعذبه الاسماع وتلتذ به الطباع »(٤٠٤) .

الاستطراد :

أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً وجرى ، وأطرد الكلام : تتابع(٤٠٥) .

والاستطراد عند الجاحظ هو الانتقال من موضوع الى آخر لكي لا يمل القارىء أو السامع ، وهذا واضح في معظم مؤلفاته .

والاستطراد عند ثعلب هو حسن الخروج(٤٠٦) ، وكذلك عند تلميذه ابن المعتز(٤٠٧) . وقيل : إنّ أول من ابتدع هذا الاسلوب السموأل في قوله :

وإنّا أُناسٌ لا نرى القتل سُبّةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطولُ

فكان هذا أول شاهد ورد في هذا النوع وسار مسير الامثال . قال ابن رشيق « وهو أول من نطق به »(٤٠٨) ، وقال المصري : « وأحسب أن أول من

---

(٤٠٣) صبح الأعشى ج١ ص٢٧٤ .
(٤٠٤) نفحات الازهار ص٣٢٩ .
(٤٠٥) اللسان (طرد) .
(٤٠٦) قواعد الشعر ص٥٠ .
(٤٠٧) البديع ص٦٠ .
(٤٠٨) العمدة ج٢ ص٣٩ ، وينظر كفاية الطالب ص١٨٦ ، المنزع البديع ص٤٥٧

استطرد بالهجاء السموأل »[٤٠٩] • وقيل : إنّ البحتري الشاعر نقل هذه التسمية عن أبي تمام ، قال الصولي : « حدثني أبو الحسن علي بن محمد الانباري قال : سمعت البحتري يقول : أنشدني أبو تمام لنفسه :

وسابحٍ هَطِلِ التَّعْداء هتّانِ … على الجراء أمين غير خوّانِ
أظمى الغصوص ولم تظمأ قوائمه … فخلّ عينيك في ظمآن ريّانِ
فلو تراه مُشيحاً والحصى زِيَم" … بين السنابك من مثنى ووحدانِ
أيقنت أن لم تثبَّتْ أنَّ حافره … من صخر تدمر أو من وجه عثمانِ

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري • قال : هذا المستطرد ، أو قال : الاستطراد • قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُري أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان »[٤١٠] •

وعلق الآمدي على بعض حسن الخروج عند الشعراء بقوله : « وهذا يسميه قوم الاستطراد ، وهو حسن جداً »[٤١١] • وسماه العسكري الاستطراد وقال : « هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً اليه »[٤١٢] •

وقال ابن رشيق : « الاستطراد أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى

---

(٤٠٩) تحرير التحبير ص١٣٢ ، وينظر بديع القرآن ص٤٩ •
(٤١٠) أخبار أبي تمام ص٦٨ ، وينظر أخبار البحتري ص٥٩ ، حلية المحاضرة ج١ ص١٦٣ ، إعجاز القرآن ص١٥٨ ، زهر الآداب ج٤ ص١٠٤١ ، البديع في نقد الشعر ص٧٥ ، حسن التوسل ص٢٢٧ ، نهاية الارب ج٧ ص١١٩ ، أنوار الربيع ج١ ص٢٢٨ ، المنصف ج١ ص٦٤ ، الاغاني ج٢١ ص٤٨ •
(٤١١) الموازنة ج٢ ص٣٣٠ •
(٤١٢) كتاب الصناعتين ص٣٩٨ •

كلامه الاول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية »[٤١٣] .
وقال : « وهو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره فان قطع أو رجع الى ما كان فيه فذلك استطراد وان تمادى فذلك خروج . وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً ، والصواب ما بينته »[٤١٤] . وقال : « من الاستطراد نوع يسمى الادماج »[٤١٥] مثل قول الشاعر :

أبى الدهرُ من إسعافنا في نفوسنا   وأَسْعَفَنا فيما نحبُّ ونكرمُ

فقلت لـه نُعمـاك فيهـم أتمهـا   ودَعْ أمْرنا إنَّ المهمَّ المقدَّمُ

وسماه الاستطراد ـــ أيضاً ـــ التبريزي والبغدادي وابن مالك[٤١٦] ، وعدّه الصنعاني من أنواع الفصاحة[٤١٧] . وذكر المصري أنه لم يظفر منه بشيء في القرآن المجيد إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى : « أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثمودُ »[٤١٨] ، وقال : « فمن ظفر فيه بشيء فهو المحسن بالحاقه في بابه »[٤١٩] ، وقال مثل ذلك ابن مالك فيما نقله السبكي[٤٢٠] قال : « ان الاستطراد قليل في القرآن الكريم وأكثر ما يكون في الشعر وأكثره في الهجاء ، ولم أظفر به إلاّ في قوله تعالى : « ألا بُعْداً لمدينَ كما بَعُدَتْ ثمود » . وذكر العسكري من قبل غير هذه الآية وهي قوله تعالى : « ومن آياته أنّك

---

(٤١٣) العمدة ج١ ص٢٣٦ .
(٤١٤) العمدة ج٢ ص٣٩ .
(٤١٥) العمدة ج٢ ص٤١ .
(٤١٦) الوافي ص٢٨١ ، قانون البلاغة ص١١٣ ، رسائل البلغاء ص٤٤٩ ، المصباح ص١٠٦ .
(٤١٧) الرسالة العسجدية ص١٥٢ .
(٤١٨) هود ٩٥ .
(٤١٩) بديع القرآن ص٤٩ .
(٤٢٠) عروس الافراح ج٤ ص٣١٥ .

تَرى الأرْضَ خاشِعةً فاذا أَنْزَلْنا عليها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ »[421]، فبينا يدل الله ــ سبحانه ــ على نفسه بانزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها قال : « إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى » فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها واحيائها بعد إرجائها ، وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلاً عليه ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام إلا انه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الاعادة فاستوفى المعنيين جميعاً[422] .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : « يا بَني آدَمَ قد أنزَلْنا عليكم لِباساً يُواري سَوْءاتِكم ورِيشاً ، ولباسُ التقوى ، ذلك خيرٌ ، ذلك من آياتِ اللهِ لعلّهم يَذّكرونَ »[423] : « وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بُدُوّ السوءات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، واشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى »[424] .

وقال السيوطي : « وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى : « لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عَبْداً للهِ ، ولا الملائكةُ المقرّبونَ »[425]، فان أول الكلام ذكر فيه الرد على النصارى الزاعمين بُنُوّةَ المسيح ، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين بُنُوّة الملائكة »[426] . وهذا يدل على أن لاسلوب الاستطراد أمثلة في كتاب الله الخالد غير ما ذكر المصري .

---

(٤٢١) فصلت ٣٩ .
(٤٢٢) كتاب الصناعتين ص٣٩٨ .
(٤٢٣) الأعراف ٢٦ .
(٤٢٤) الكشاف ج٢ ص٧٦ ، وينظر معترك الاقران ج١ ص٥٩ .
(٤٢٥) النساء ١٧٢ .
(٤٢٦) معترك ج١ ص٥٩ .

وقال المظفر العلوي : « ومعنى الاستطراد : خروج الشاعر من ذم الى مدح ، أو من مدح الى ذم »(٤٢٧) ، كقول زهير:

إنَّ البخيل ملوم حيث كان ولـ كنَّ الجواد على عِلاّته هرمُ

وأشار القرطاجني الى الفرق بين الاستطراد والتخلص بقوله : « وأهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه بتدرج تخلصاً ، وما لم يكن بتدرج ولا هجوم ولكن بانعطاف طارىء على جهة من الالتفات استطراداً »(٤٢٨) ، كقول حسان بن ثابت :

إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتني فنجوتِ منجى الحارث بن هشامِ

ولا يراه المدني استطراداً وانما هو تخلص لان « الاستطراد يشترط فيه العود الى الكلام الأول — كما تقدم — وحسان لم يعد الى ما كان عليه من ذكر العاذلة ، بل أتم القصيدة مستمراً على ذكر هزيمة الحارث بن هشام والايقاع بقومه في يوم بدر »(٤٢٩) .

ومضى البلاغيون الآخرون يعرفون الاستطراد بمثل هذا أو قريب منه ويفرقون بينه وبين التخلص ، ويذكرون الأمثلة(٤٣٠) . ومن الامثلة التي أعجبت المصري قول بكر بن النطاح :

عرَضْتُ عليها ما أرادتْ من المنى لترضى فقالت : قم فجئني بكوكبِ

فقلت لها هذا التعنُّتُ كلُّه كمن يتشهّى لحمَ عنقاءَ مُغْرِبِ

(٤٢٧) نضرة الاغريض ص١٠٧ .
(٤٢٨) منهاج البلغاء ص٣١٦ ، وينظر المنزع البديع ص٤٥٧ .
(٤٢٩) أنوار الربيع ج١ ص٢٣٥ .
(٤٣٠) ينظر الطراز ج٣ ص١٢ ، معترك ج١ ص٦١ ، خزانة الأدب ص٤٤ ، الايضاح ص٣٤٩ ، شروح التلخيص ج٤ ص٣١٥ ، شرح عقود الجمان ص١٣٥ ، البرهان ج٣ ص٣٠٠ ، الفوائد ص١٣٥ ، نفحات الازهار ص١٥٠ .

سلي كلَّ شيء يستقيم طلابه ولا تذهبي يا بدر بي كلَّ مَذْهَبِ

فأقسم لو أصبحت في عز مالك وقدرته أعيا بما رمت مطلبي

فتى شقيت أمواله بنواله كما شقيت بَكْرٌ بأرماح تَغْلِبِ

قال: « وهذا أبدع استطراد سمعته في عمري، فانه قد جمع أحسن قسم، وأبدع تخلص، وأرشق استطراد، وتضمن مدح الممدوح بالكرم وقبيلته بالشجاعة والظفر وهجاء أعدائهم بالضعف والخور، وهذا لم يتفق لمن قبله ولا لمن بعده الى وقتنا هذا »(٤٣١).

الاستعارة:

الاستعارة مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص الى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار اليه. واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه(٤٣٢).

والاستعارة من فنون البلاغة المهمة في التصوير وقد أولاها القدماء عناية كبيرة، وهي عند البلاغيين « أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به »(٤٣٣).

والاستعارة: هي أخذ المعاني أو الالفاظ من الآخرين أي أنها الأخذ أو السرقة، وقد سماها بذلك ابن عبد ربه، قال: « لم تزل الاستعارة قديمة

---

(٤٣١) تحرير التحبير ص١٣١.

(٤٣٢) اللسان (عور).

(٤٣٣) مفتاح العلوم ص١٧٤ وينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج١ ص١٣٦.

تستعمل في المنظوم والمنثور ، وأحسن ما تكون أن يستعار المنثور من المنظوم، والمنظوم من المنثور . وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها ، لانك قد نقلت الكلام من حال الى حال ، وأكثر ما يجتلبه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء فانما يجري فيه الآخر على سنن الأول »(٤٣٤) .

الاستعانة :

قال الجاحظ : « حدثني صديق لي قال : قلت للعتّابي : ما البلاغة ؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة فهو بليغ . فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فاظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق . قال : فقلت له : قد عرفت الاعادة والحبسة، فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : « يا هناه » و « يا هذا » و « يا هيه » و « اسمع مني » و « استمع إليّ » و«افهم عني»، « أولست تفهم ؟ » ، « أولست تعقل ؟ » فهذا كله وما أشبهه عيّ وفساد»(٤٣٥). فالاستعانة هنا بمعناها اللغوي وهي ما يستعين به المتحدث أو الخطيب حينما يتوقف ، وهي أقرب الى الجمل الاعتراضية أو علامة التنبيه . وعرّفها المبرد بقوله : « هي أن يدخل في الكلام ما لا حاجة اليه ليصحح به نظماً أو وزناً إن كان في شعر ، أو ليتذكر ما بعده إن كان في كلام منثور كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة مثل قولهم : « ألست تسمع؟ » ، « أفهمت؟ » ، « أين أنت ؟ » وما أشبه هذا . وربما تشاغل العيي بفتل اصبعه ومسّ لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح »(٤٣٦) وهذا قريب مما ذكره العتابي ونقله الجاحظ ، غير أن فيه زيادة وهي الحشو المتصل بوزن الشعر .

---

(٤٣٤) العقد الفريد ج٥ ص٣٣٨ .

(٤٣٥) البيان والتبيين ج١ ص١١٣ ، وينظر زهر الآداب ج١ ص١١٥ .

(٤٣٦) الكامل ج١ ص٣٠ .

ونقل البلاغيون والنقاد هذا المصطلح الى معنى آخـر ، قال المصري : « الاستعانة أن يستعين الشـاعر ببيت لغيره في شعره بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به هنا بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته وخصوصاً أبيات التوطئـة له . وقد شرط بعض النقاد التنبيه عليه إن لم يكن البيت مشهوراً ، وبعضهـم لم يشترط ذلك ، وهو الصحيح فان أكثر ما رأينا ذلك في أشعار الناس غير منبّه عليه . وأما الناثر فان أتى في أثناء نثره ببيت لنفسه سمي ذلك تشهيراً ، وإنْ كان البيت لغيره سمي استعانة »[٤٣٧] .

وهذا قريب من التضمين غير ان المصري فرق بينهما فقال : « والفرق بين التضمين والايداع والاستعانة والعنوان أن التضمين يقع في النظم والنثر ويكون من المحاسن ومن العيوب ، والايداع والاستعانة وإن وقعا معاً في النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظـم دون النثر »[٤٣٨] . وفرّق بين الاستعانة والموازبـة فقال : « إنّ الموازبة تكون في كلام المتكلم نفسه ، والاستعانة لا تكـون إلا بكلام غيره »[٤٣٩] . وقال السيوطي : « وتضمين البيت كاملاً يسمى استعانة، لانه استعان بشعر غيره »[٤٤٠] .

الاستعتاب :

العتب والعتبان : لومك الرجل على إساءة كانت له اليك فاستعتبته منها . والاستعتاب : طلبك الى المسيء الرجوع عن إساءته[٤٤١] .

---

(٤٣٧) تحـرير التحبير ص٣٨٣ ، وينظـر معاهـد التنصيص ج٤ ص١٥٥ ، التعريفـات ٢٢ .
(٤٣٨) تحرير التحبير ص١٤٢ .
(٤٣٩) تحرير التحبير ص٣٨٥ .
(٤٤٠) شرح عقود الجمـان ص١٧٠ .
(٤٤١) البرهـان في وجوه البيان ص٢٨٦ .

قال ابن وهب : « وأما الاستعتاب فان المنفعة به بَيِّنَة في تلافي من تريد تلافيه واستصلاح من لك رأي فيه فانك متى تركت صديقك للذنب يذنبه ، أو للجرم يجرمه ولم تعاتبه على ذنبه ولم تؤنبه وتجرمه بقيت بلا صـديق ، لأنك لا تجد أحداً ممن تصاحبه بعده ، أو ممن يعتاض به منـه إلاّ ولا بدّ أن يأتي بمثل فعلـه لك لما في جبـلاّت الناس من الخلاف وقلة المراقبة » • وفي ذلك يقول الشـاعر :

وكنت إذا الصديقُ أرادَ هَجْري   وأشرقني على حَنَقٍ بريقـي

غفـرتُ ذنوبَـه وصفحتُ عنه   مخافـةَ أن أكونَ بلا صديقِ

وقال ابن وهب إنّ ترك العتاب من دلائل الزهادة ومن دواعي القطيعـة ، واذا أتى في غير موضعه فانه مفصح عن شدة الملل ، وان نتيجة كثرة العتاب في غير موضعه قلة احتفال المعاتَب ، فان الشيء إذا كثر هان • وقال أيضاً : ومن العدل إذا أذنب صديقك اليك أن تفحص عن مخرجه فان كان أتاه عن غير تعمـد له اغتفرته وتناسيته ولم تعاتبه على ارتكابه ، بل تنبهه على موقع خطأه ليحترس من معاودة مثله • وقال : وإذا اعتذر اليك معتذر فاقبل عـذره وصَدِّقْ في ذلك ظنه •

وخلاصة ما ذهب اليه ابن وهب أن لا يتشدد الانسان في معاتبة اخوانـه ونقدهم ، وقد قالَ بشـار :

إذا كنتَ في كـل الأمـور معاتبـاً   صديقَك لم تَلْقَ الذي لا تعاتِبُـه

فَعِشْ واحداً أوْ صِلْ أخاكَ فانّه   مقـارِفُ ذنبٍ مـرةً ومجانِبُـه

إذا أنت لم تشرب مِراراً على القذى   ظمِئْتَ وأيُّ الناس تصفو مشارِبُه

الاستعطاف :

عطفت عليه : أشفقت ، وتعطف عليه : أشفق ، وتعاطفوا : عطف بعضهم على بعض ، واستعطفه فعطف(٤٤٢) .

الاستعطاف : من أغراض الشعر ، وطريقه التلطف الى كل مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيته أو يقدره تأثره لذلك(٤٤٣) .

الاستغراب :

أغرب الرجل جاء بشيء غريب ، واستغرب في الضحك واستغرب أكثر منه(٤٤٤) . والاستغراب : التعجب أو المجيء بالشيء الغريب أو المبالغة فيه .

قال قدامة : « قد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الاستغراب والطرفة وهو أن يكون المعنى مما لم يسبق اليه . وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف ، لان المعنى المستجاد انما يكون مستجاداً إذا كان في ذاته جيداً فأما أن يقال له : جيد ، إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم ، بلى يقال لما جرى هذا المجرى : طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً ، فاذا كثر لم يُسَمَّ بذلك . وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن أو جيد ، لانه قد يجوز أن يكون حسنٌ جيدٌ غيرَ طريف ولا غريب ، وطريفٌ غريبٌ غيرَ حسنٍ ولا جيد »(٤٤٥) .

وسماه الآخرون « إغراباً » ونقل ابن منقذ خلاصة كلام قدامة وقال :

---

(٤٤٢) اللسان (عطف) .
(٤٤٣) منهاج البلغاء ص٣٥٢ .
(٤٤٤) اللسان (غرب) .
(٤٤٥) نقد الشعر ص١٧٠ .

« هو أن يكون المعنى مما لم يسبق اليه على جهة الاستحسان فيقال : طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فاذا كثر لم يُسَمَّ بذلك »[٤٤٦] .

وقرن القرطاجني الشعر الجيد بالاغراب فقال : « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب الى النفس ما قصد تحبيبه اليها ويكرّه اليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك . وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب فان الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها »[٤٤٧] .

ولم يختر معظم البلاغيين والنقاد تسمية قدامة ، وسموه «النوادر» ومنهم المصري الذي قال :«وهو الذي سماه قدامة قديماً الاغراب والطرفة وسماه من بعده التطريف . وسماه قوم النوادر، وقوم أبقوا عليه تسمية قدامة»[٤٤٨] . ثم قال : « وهو أن يأتي الشاعر بمعنى غريب لقلته في كلام الناس . وليس من شرطه على رأي قدامة أن يكون لم يسمع مثله ، وانما شرطه أن يكون قليلاً نادراً . وقد رأى غير قدامة فيه غير ذلك ، وقال : لا يكون في المعنى إغراب إلاّ إذا لم يسمع مثله . والاشتقاق يعضد التفسير الثاني ، والشواهد تعضد تفسير قدامة ، لان شواهد الباب وقع فيها ما يجوز أن يكون قائله لم يسبق اليه ، وما يجوز أن يكون قد سبق اليه على قلته » .

وقال ابن الاثير الحلبي : « ويسمى هذا الباب بالإغراب ، وهو أن يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله أو سمع وهو قليل الاستعمال»[٤٤٩] .

---

(٤٤٦) البديع في نقد الشعر ص١٣٢ .
(٤٤٧) منهاج البلغاء ص٧١ .
(٤٤٨) تحرير التحبير ص٥٠٦ ، بديع القرآن ص٢٢٢ .
(٤٤٩) جوهر الكنز ص٢٢٧ .

وسماه المدني « النوادر » وقال : « النوادر : جمع نادرة ، قال الجوهري : ندر الشيء يندر ندراً إذا شذّ ، ومنه النوادر . وفي القاموس : نوادر الأشياء : ما شذّ وخرج من الجمهور . وسماه قدامة ومن تبعه : الاعراب ـ بالعين المعجمة ـ والطرافة »[٤٥٠] .

ومن الغريب الطريف قول أبي تمام :

لا تُنكروا ضَرْبي له من دونه مَثَلاً شروداً في النَّدى والباسِ

فالله قد ضَرَبَ الأقلَّ لنوره مَثَلاً من المشكاة والنبراسِ

الاستقصاء :

استقصى الأمر واستقصى المسألة واستقصى المعنى : أبعد فيه[٤٥١] .

الاستقصاء : « هو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه الى أن لا يترك فيه »[٤٥٢] . ومنه قول ابن الرومي في الحديث :

وحديثُها السِّحْرُ الحلالُ لو انّه لم يَجْنِ قَتْلَ المسلم المتحرِّزِ

إنْ طال لم يُمْلِلْ وإن هي أوجَزَت ودَّ المحدّث أنّها لم تُوجِزِ

شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعُقْلَةُ المستوفزِ

فقد استقصى وصف حديث هذه المحبوبة استقصاءً تاماً .

وقال المصري ان الاستقصاء « يرد على الكامل فيستوعب كل ما تقع عليه الخواطر من لوازمه بحيث لا يترك لآخذه مجالاً لاستحقاقه من هذه الجملة »[٤٥٣] .

---

(٤٥٠) أنوار الربيع ج٥ ص٣٣٨ .

(٤٥١) اللسان (قصا) .

(٤٥٢) تحرير التحبير ص٥٤٠ ، بديع القرآن ص٢٤٧ .

(٤٥٣) تحرير التحبير ص٥٤٣ ، بديع القرآن ص٢٥١ .

وكان عبدالقاهر قد تحدث عن استقصاء التشبيه[٤٥٤] ، ونقل ابن الأثير الحلبي والسيوطي تعريف المصري[٤٥٥] ، وقال السبكي إنه « قريب من مراعاة النظير »[٤٥٦] .

استكراه اللفظ :

الكره : المشقة ، يقال : قمت على كره أي على مشقة ، وقد كرهه كرهاً واستكرهه ككرهه[٤٥٧] .

استكراه اللفظ : هو أن يأتي الشاعر بألفاظ ثقيلة تفسد المعنى . ومن ذلك ما وصف به المتنبي . قال الثعالبي : « ومنها استكراه اللفظ وتعقيد المعنى ، وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنحها ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضِل ويُضل ويَتعب ويُتعب ولا ينجح إذ يقول في وصف الناقة :

فتبيت تُسْئِدُ مسئداً في نيِّها إسئادها في المَهْمَهِ الأنضاءِ

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الانضاء في نيها إسآدها في المهمه ، أي : كلما قطعت الارض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا »[٤٥٨] .

الاستلحاق :

وهو من باب الأخذ والاستعانة ، وقد قرنه السابقون بالاجتلاب[٤٥٩] ، وتقدم الكلام عليهما .

---

(٤٥٤) ينظر أسرار البلاغة ص١٦١–١٦٢ .
(٤٥٥) جوهر الكنز ص٢٢٣ ، معترك ج١ ص٣٧٠ ، الاتقان ج٢ص٧٥ .
(٤٥٦) عروس الافراح ج٤ ص٤٧٠ .
(٤٥٧) اللسان (كره) .
(٤٥٨) يتيمة الدهر ج١ ص١٦٩ .
(٤٥٩) حلية المحاضرة ج٢ ص٣٠ ، ٥٨ ، الرسالة العسجدية ص٥٢ ، العمدة ج٢ ص٢٨٣ ، الاقصى القريب ص١٠٨ ، كفاية الطالب ص١١٤ .

الاستهلال :

الاستهلال : الابتداء[٤٦٠] ، وهو ان يبتدىء الشاعر أو الكاتب بما يدل على الغرض . قال ابن الزملكاني : « ويقرب من هذا الضرب ضرب يسمى التسهيم كقول البحتري :

وإذا حاربوا أعزّوا ذليلاً   وإذا سالموا أعَزّوا ذليلا[٤٦١]

وتحسين الاستهلالات والمطالع من «أحسن شيء في هذه الصناعة إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها ، المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة . تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقى ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها »[٤٦٢] .

وقد تحدث البلاغيون والنقاد عن « الابتداء » و « براعة الاستهلال » و « الافتتاح » وكلها تتصل بالاستهلال وجمال بداية الكلام .

الاستيعاب :

الاستيعاب : الاستقصاء في كل شيء[٤٦٣] ، وهو « أن يتعلق بالكلام معنى له أقسام متعددة فيستوعبها في الذكر ويأتي عليها »[٤٦٤] ، كقوله تعالى : « يَخْلُقُ ما يشاءُ ، يَهَبُ لمن يشاءُ إناثاً ويَهَبُ لمن يشاءُ الذكورَ . أوْ

---

(٤٦٠) اللسان (هلل) .
(٤٦١) التبيان ص١٨٣ .
(٤٦٢) منهاج البلغاء ص٣٠٩ .
(٤٦٣) اللسان (وعب) .
(٤٦٤) الطراز ج٣ ص١٠٦ .

يزوّجهم ذُكراناً وإناثاً ، ويجعل مَنْ يشاءُ عقيما »[٤٦٥] . فهذا التقسيم حاصر لا مزيد على حصره .

ومنه قول بشار :

فراح فريقٌ في الأسار ومثلُه ... قتيلٌ وقِسْمٌ لاذ بالبحر هاربه

فاستوعب أنواع التنكيل وتفريق الشمل .

الاستيفاء :

وفى : أتم ، استوفاه : لم يدع منه شيئاً[٤٦٦] .

والاستيفاء من وجوه السرقات ، ومنه استيفاء اللفظ الطويل في الموجز القليل كقول طرفة :

أرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله ... كقبر غَويٍّ في البطالة مُفْسدِ

اختصره ابن الزبعرى فقال :

والعطيات خِساسٌ بيننا ... وسواء قبْرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

فقد شغل صدر البيت بمعنى وجاء ببيت طرفة في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح .

ومثله قول بشار :

من راقبَ الناسَ لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتكُ اللّهِجُ

أخذه سلم الخاسر فقال :

مَنْ راقبَ الناسَ مات غماً ... وفاز باللذة الجَسُورُ

---

(٤٦٥) الشورى ٤٩–٥٠ .

(٤٦٦) اللسان (وفى) .

فلما سمع بشار هذا البيت قال : يعمد الى معانيّ التي أسهرت فيها ليلي وأتعبت فيها فكري فيكسوها لفظاً أخف من لفظي ، فيروى شعره ويترك شعري[٤٦٧].

الاسجاع :

سجع سجعاً : استوى واستقام . والسجع : الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع . وسجع : تكلم بكلام له فواصل ، وهو من الاستقامة والاستواء والاشتباه . وسجع الحمام سجعاً : هدل . وأصل السجع : القصد المستوي على نسق واحد[٤٦٨] .

الاسجاع : جمع السجع ، وهو من المحسنات اللفظية عند المتأخرين ولكن الجاحظ ذكرها كأنها فن قائم بنفسه يستعمل في المنافرة والمفاخرة وهو غير المنثور ، قال : « وكذلك الاسجاع عند المنافرة والمفاخرة واستعمال المنثور في خطب الحمالة ، وفي مقامات الصلح وسلّ السخيمة والقول عند المعاقدة والمعاهدة وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته حتى يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف ولا التماس قافية ولا تكلف وزن »[٤٦٩] . وعقد له باباً باسم « الاسجاع في الكلام » وذكر أمثلة من الاسجاع الحسنة[٤٧٠] ، وتحدث عن النهي عنه أو جوازه . قيل لعبدالصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : « لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي واقامة الوزن؟ » قال : « إنّ كلامي لو كنت لا أمل فيه إلاّ سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد

---

(٤٦٧) المنصف ج١ ص١٠-١١ .

(٤٦٨) اللسان (سجع) .

(٤٦٩) البيان والتبيين ج٣ ص٦ . الحمالة : الدية . السخيمة : الحقد .

(٤٧٠) البيان ج١ ص٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٤٠٨ .

المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره »[471] .

ووضع الجاحظ السجع الى جانب المزدوج ، وهما دون القصيد والرجز[472] ، قال : « وقد علمنا أن من يقرض الشعر ويتكلف الأسجاع ويؤلف المزدوج ويقدم في تحبير المنثور وقد تعمق في المعاني وتكلف إقامة الوزن والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهواً ، وهو — مع قلة لفظه وعدد هجائه — أحمد أمراً وأحسن موقعاً من القلوب وأتقع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج »[473] .

وذكر قول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ »[474] وذكر علة كراهيته . ويتضح من الامثلة التي ذكرها ان الاسجاع هي السجع بعينه وهو محسن لفظي ، ويبدو ان القدماء كانوا يعدونه فناً قائماً بنفسه الى جانب الشعر والرجز والنثر .

الاسجال :

أسجل الأمر : أطلقه ، وأسجلت الكلام : أرسلته[475] .

وسماه المصري : « الإسجال بعد المغالطة » وهو من مبتدعاته ، قال : «هو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض فيسجل عليه ذلك ، مثل أن يشترط لبلوغه ذلك الغرض شرطاً يلزم من وقوعه

---

(471) البيان ج1 ص287 .
(472) البيان ج1 ص288 .
(473) البيان ج4 ص28 .
(474) البيان ج1 ص287 .
(475) اللسان (سجل) .

وقوع ذلك العرض ثم يقرر وقوع ذلك الغرض مغالطة ليقع المشروط »[٤٧٦] .

وقد يقع الاسجال لغير مغالطة ، والقسم الاول يأتي في الشعر وغيره من كلام البشر ولا يقع في الكتاب العزيز إلا القسم الثاني وهو الاسجال بغير مغالطة كقوله تعالى : « ربَّنا وآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِك »[٤٧٧] . ومثال القسم الأول وهو ما تقع فيه المغالطة قول الشاعر :

جاء الشتاءُ وما عندي لقِرَّته إلاّ ارتعادي وتصفيقي بأسناني[٤٧٨]

فان هَلَكْتُ فمولانا يكفنني هَبْني هلكتُ فهبني بعضَ أكفاني

وقد تأتي المغالطة بلا اسجال إذا أراد المتكلم إخفاء مراده فسأل عن شيء وهو يريد غيره بشرط أن يكون المسؤول عنه يتعلق بمراده تعلقاً قريباً لطيفاً ، كقول أبي نواس :

أسأل القادمين من حكمان كيف خلفتم أبا عثمان

فيقولون لي جنان كما سَرَّ ك من حالها فَسَلْ عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يَغْنَ عندهم كتماني

فانه سأل عن أخي سيد جنان ــ وهو أبو عثمان الذي ذكره في البيت الأول ــ وانما أراد جناناً .

ونقل الاسجال عن المصري المتأخرون كالحلبي والنويري[٤٧٩] .

---

(٤٧٦) تحرير التحبير ص٥٧٤ ، بديع القرآن ص٢٨٦ .

(٤٧٧) آل عمران ١٩٤ .

(٤٧٨) القرة : شدة البرد .

(٤٧٩) حسن التوسل ص٣٠٩ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٧٣ .

أسر الشعر :

أسره أسراً : شدّه بالاسار ، والاسار : ما شدّ به . والأسْر : شدة الخلق ، يقال : فلان شديد أسر الخلق ، والأسر : القوة(٤٨٠) .

أسر الشعر : أن يكون مؤثراً قوياً ، فمزاحم بن الحارث العقيلي « كان رجلاً غزلاً وكان شجاعاً ، وكان شديد أسْر الشعر حلوه ، وكان مع رقة شعره صعب الشعر هجاءً وصّافاً »(٤٨١) . ووصف زهير بن أبي سلمى بأنه « أشدهم أسْرَ شعر »(٤٨٢) .

الأسريات :

الأسْريات : هي القصائد التي قيلت في الأسْر ، وقد عرف بها أبو فراس الحمداني وله « الفخريات التي لا تعارض ، والأسريات التي لا تناهض »(٤٨٣).

الأسطورة :

الأساطير : الأباطيل ، وهي أحاديث لا نظام لها ، واحدتها : إسطار وإسطارة وأُسطورة ، وسطّرها : ألفها ، وسطّر علينا : أتانا بالأساطير(٤٨٤).

الأسطورة : هي القصة أو الواقعة غير الحقيقية ، ووردت في القرآن الكريم مجموعة ، قال تعالى : « يقول الذين كفروا : إنْ هذا إلاّ أساطيرُ

(٤٨٠) اللسان (أسر) .
(٤٨١) طبقات فحول الشعراء ج٢ ص٧٧٠ .
(٤٨٢) الشعر والشعراء ج١ ص١٤٤ .
(٤٨٣) أعلام الكلام ص٢٥ .
(٤٨٤) اللسان (سطر) .

الأوَّلينَ »[٤٨٥] ، والاساطير : هي الخرافات والاكاذيب[٤٨٦] ، وقد ورد بعضها في قصص الماضين وأحاديثهم وكلامهم •

الاسلاميون :

الاسلاميون : هم الشعراء الذين جاءوا بعد ظهور الاسلام ، وهم عند المرزباني الطبقة الثانية وتأتي بعدها طبقة الشعراء المحدثين[٤٨٧] •

الأسلوب :

يقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب • والاسلوب : الطريق والوجه والمذهب ، يقال : أنتم في أسلوب سوء ، ويجمع أساليب • والاسلوب : الطريق تأخذ فيه • والأسلوب : الفن يقال : أخذ فلان في أساليب من القول ، أي : أفانين منه[٤٨٨] •

أراد ابن قتيبة بالاسلوب طريقة التعبير وطريقة العرب في النظم ، لان « الشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدّل بين هذه الاقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد »[٤٨٩] • وقال أيضاً : « واستحبّ له ألاّ يسلك فيما يقول الأساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو في الأسماع »[٤٩٠] • وأراد به

(٤٨٥) الانعام ٢٥ •
(٤٨٦) الكشاف ج٢ ص١٠ •
(٤٨٧) الموشح ص١٥٦ ، ٣٨٤ •
(٤٨٨) اللسان (سلب) •
(٤٨٩) الشعر والشعراء ج١ ص٧٥ •
(٤٩٠) الشعر والشعراء ج١ ص١٠٢ •

ـ ايضا ـ الافتنان في التعبير قال : « وانما يعرف فضل القرآن من كثر نظره فيه واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الاساليب »[٤٩١] .

والاسلوب عند القاضي الجرجاني طريقة التعبير ، والاساليب مختلفة باختلاف الاغراض والمذاهب وقد « كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه احوالهم فيرق شعر احدهم ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ احدهم ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق »[٤٩٢] . وقال مشيرا الى تعدد الاساليب : « ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك ان تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً على مرتبته وتوفيه حقه فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه »[٤٩٣] .

واستعمل الخطابي الاسلوب بمعنى الطرق والمذاهب وأودية الكلام المختلفة[٤٩٤] ، ولم يخرج الباقلاني والحاتمي وابن رشيق والمصري عن هذا المعنى[٤٩٥] .

---

(٤٩١) تأويل مشكل القرآن ص١٠ .
(٤٩٢) الوساطة ص١٧ .
(٤٩٣) الوساطة ص٢٤ .
(٤٩٤) بيان إعجاز القرآن ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٤٢ ، ٦٠ .
(٤٩٥) إعجاز القرآن ص٧٥ ، حلية المحاضرة ج١ ص١٢٤ ، ٤٩٦ ، العمدة ج١ ص٢٥٧ ، زهر الآداب ج١ ص٦ .

وبدأ تعريف الأسلوب يتضح على يد عبدالقاهر ، وتتجلى الأساليب المختلفة وأثرها في اخراج المعاني ، قال : « واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه ان يبتدىء الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً — والاسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه — فيعمد شاعر آخر الى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلاً على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال : قد احتذى على مثاله »[٤٩٦] . ولا يظهر هذا التقليد إذا اتخذ الشاعر أسلوباً آخر وأظهر المعنى بصورة أخرى .

ولم يحدد ابن الاثير معنى الاسلوب وإن كان يريد به الطريقة ، ولذلك كان يقول : « ومن هذا الأسلوب » و « على هذا الاسلوب » و « مما يجري على هذا الاسلوب » و « على هذا الاسلوب توارد »[٤٩٧] .

والاسلوب عند القرطاجني الطريقة ، والأساليب تتنوع بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من طرق الشعر ، وبحسب تصعيد النفوس فيها الىحزونة الخشونة أو تصويبها الى سهولة الرقة أو سلوكها مذهباً وسطاً بين ما لان وما خشن من ذلك . فالكلام بحسب هذه الأنحاء ثلاثة أساليب ...»[٤٩٨] .

ويأتي الاسلوب عنده بمعنى صورة التعبير أو هيئته قال : « فالاسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية »[٤٩٩] .

---

(٤٩٦) دلائل الاعجاز ص٣٦١ .
(٤٩٧) المثل السائر ج١ ص١١٢ ، ٣٣٠ ، ج٢ ص١٥ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ٢٧٢ ، ٤٠٩ .
(٤٩٨) منهاج البلغاء ص٣٥٤ .
(٤٩٩) منهاج البلغاء ص٣٦٣ .

واستعمل السجلماسي الاسلوب بمعنى الانواع والطرائق ، وأطلق على فنون البلاغه أساليب فسمى كتابه « المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » وقال : « وكان موضع البلاغه تضافر عليه عدة أساليب وهي : الاشارة والمبالغة والتضمين »[٥٠٠] ، وقال : « أسلوب التشبيه واسلوب الاستعارة واسلوب التمثيل واسلوب المجاز »[٥٠١] . فالاسلوب عنده هو الطريقة والمسلك والفن البلاغي . وذهب الى هذا المذهب ابن البناء المراكشي وأطلق الأساليب على فنون البلاغة قال : « إن المحمود في جميع أساليب البلاغة إنما هو ما لا يظهر فيه التكلف »[٥٠٢] .

وجاء الاسلوب عند العلوي بمعنى تركيب العبارة والتفاوت فيه ، ففي قوله تعالى : « ومن آياتِه الجواري في البحْرِ كالأعْلامِ »[٥٠٣] قال : « فانظر الى هذا الأسلوب ما ألطف مجراه وما أحسن بلاغته وأدق مغزاه . قدّم الخبر في قوله : « ومن آياته » ولو أخره ذهبت تلك الحلاوة وبطل ما فيه من الرونق. وأنظر الى طرح الموصوف في قوله : «الجواري» ولم يقل : «الفلك الجواري» وجمعه على «فواعل» ولم يجمعه على جاريات ولو فعل شيئاً من ذلك لنقصت بلاغته ونزلت فصاحته »[٥٠٤] .

وأراد المدني بالاسلوب طريقة التعبير وصياغته[٥٠٥] .

وكان ابن خلدون من أدق القدماء في تحديد الاسلوب ، قال : « ولنذكر هنا سلوك الاسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم. فاعلم

---

(٥٠٠) المنزع البديع ص٢٠٨ .
(٥٠١) المنزع البديع ص٢٦١ .
(٥٠٢) الروض المريع ص١٧٣ .
(٥٠٣) الشورى ٣٢ .
(٥٠٤) الطراز ج١ ص١٥٨ .
(٥٠٥) أنوار الربيع ج١ ص٢٣٨ ، ج٣ ص٢٢٣ .

أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي يُنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه • ولا يرجع الى الكلام باعتبار إفادته اصل المعنى الذي هو وظيفه الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفه البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمه كليه باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيّرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصّاً كما يفعله البناء في القالب أو النسّاج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة »(٥٠٦) • والأساليب عند ابن خلدون تختلف من زمان الى زمان ، ومن موضوع الى موضوع(٥٠٧) •

الأسلوب الحكيم :

عقد الجاحظ في « البيان والتبيين » باباً سماه « اللغز والجواب » وقال : « قالوا : كان الحطيئة يرعى غنماً له وفي يده عصا ، فمرّ به رجل فقال: يا راعي الغنم، ما عندك؟ قال : عجراء من سلم ـــ يعني عصاه ـــ قال : إني ضيف • فقال الحطيئة : للضيفان أعددتها »(٥٠٨) •

وكان مثل هذا الاسلوب يستعمل للتظرف أو التخلص من احراج السائل • ولم يضع الجاحظ مصطلح « الاسلوب الحكيم » وانما قال السكاكي [illegible]

(٥٠٦) مقدمة ابن خلدون ص٥٧٠-٥٧١ •

(٥٠٧) مقدمة ابن خلدون ص٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٦٧ •

(٥٠٨) البيان والتبيين ج٢ ص١٤٧ •

يتحدث عن التصريح والتلويح : « ولا كالاسلوب الحكيم ، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب»[509] . كما قال الشاعر :

أتت تشتكي عندي مزاولة القرى

وقد رأت الضيفان ينحون منزلي

فقلت كأني ما سمعت كلامها

هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال الله — تعالى — : « يَسْأَلونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ ، قُلْ : هي مواقيتُ للنّاس والحجّ »[510] . قالوا : ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا .

وهذان هما قسما الاسلوب الحكيم ، أي تلقي المخاطب بغير ما يترقب ، كالبيتين السابقين ، وتلقي السائل بغير ما يتطلب كالآية السابقة . ولهذا الاسلوب أثر في الكلام ، قال السكاكي : « وان هذا الاسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور . وهل ألانَ شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسلّ سخيمته[511] حتى آثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الاسلوب إذ توعده الحجاج بالقيد في قوله : « لأحملنّك على الأدهم » فقال متغابياً : « مثل الامير يحمل على الأدهم والأشهب » مبرزاً وعيده في معرض الوعد ، متوصلاً أن

(٥٠٩) مفتاح العلوم ص١٥٥ .

(٥١٠) البقرة ١٨٩ .

(٥١١) السخيمة : الضغينة ، يقال : سللت سخيمته باللطف والترضي أي أخرجت ضغينته من صدره .

يريه بألطف وجه أن امرءً مثله في مسند الامرة المطاعة خليق بأن يُصْفِدَ لا أن يَصْفِدَ ، وأن يَعِدَ لا أن يُوعِدَ »[٥١٢] .

وسار القزويني على خطاه وقال : « ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي الاسلوب الحكيم ، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له »[٥١٣] .

وسمى عبدالقاهر هذا الفن «المغالطة»[٥١٤] وذكر السيوطي[٥١٥] المصطلحين أي مصطلح عبدالقاهر ومصطلح السكاكي . وقال الحموي إنَّ هذا الاسلوب هو « القول بالموجب »[٥١٦] ، وليس الأمر كذلك وان ذكر أحد شواهده وهو قصة القبعثرى مع الحجاج ، لان القول الموجب فن آخر . وذهب الى ذلك كثير من البلاغيين كالمدني الذي قال عن القول الموجب : « هو والاسلوب الحكيم رضيعا لبان وفرسا رهان حتى زعم بعضهم أن أحدهما عين الآخر ، وليس كذلك »[٥١٧] . ثم قال : « هذا النوع ــ أعني القول بالموجب ــ يشترك هو والاسلوب الحكيم في كون كل منهما من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، ويفترقان باعتبار الغاية ، فان القول الموجب غايته ردّ كلام المتكلم وعكس معناه ، والاسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير

---

(٥١٢) مفتاح العلوم ص١٥٦ .

(٥١٣) الايضاح ص٧٥ ، التلخيص ص٩٧ ، شروح التلخيص ج١ ص٤٧٩ ، المطول ص١٣٥ ، الأطول ج١ ص١٥٨ .

(٥١٤) الايضاح ص٧٦ ، عروس الافراح ج١ ص٤٧٩ .

(٥١٥) شرح عقود الجمان ص٢٩ .

(٥١٦) خزانة الأدب ص١١٦ ، وينظر القول بالموجب في شرح الكافية البديعية ص١٦

(٥١٧) انوار الربيع ج٢ ص١٩٨ .

ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غـيره تنبيهاً على أنه الأولى بحالـه أو المهـم له »[٥١٨] • وذكر أمثلة الاسلوب الحكيم ليفرق بينه وبين القول الموجب •

الاســـهاب :

أسهب الرجل : أكثر الكلام فهو مُسْهَب ـ بفتح الهـاء ـ ولا يقـال بكسرها وهو نادر • وقال أبو علي البغدادي : رجل مُسْهَب ـ بالفتـح ـ إذا أكثر الكلام في الخطأ ، فان كان ذلك في صواب فهو مُسْهِب ـ بالكسر ـ لا غير »[٥١٩] •

قال الجـاحظ : « قال أبو الحســن قيل لاياس : ما فيك عيب إلا كثرة الكلام • قال : فتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا : بل صواباً • قال : فالزيـادة من الخـير خير • وليس كما قال ، للكلام غاية ولنشاط المستمعين نهاية ، وما فضل على قدر الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر ، وهو الخطل ، وهو الاسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه »[٥٢٠] • وذكـر أنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار لما في ذلك من التزيد والمباهاة[٥٢١] • وذكر أن ناسـاً قالوا لابن عمر : ادْعُ الله لنـا بدعوات ، فقال : « اللهم ارحمنا وعافنـا وارزقنـا » فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبدالرحمن ، قال : « نعوذ بالله من الاسهاب »[٥٢٢] •

ويتضح أن الجاحظ يريد الاسهاب المتكلف ، أما الذي يوجبه المقام فذلك محمود ، قال : « فأما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف والخطل والتزيـد فانما

---

(٥١٨) أنوار الربيع ج٢ ص٢٠٩ •
(٥١٩) اللســـان (سهب) •
(٥٢٠) البيـان ج١ ص٩٩ •
(٥٢١) البيـان ج١ ص١٩١ •
(٥٢٢) البيـان ج١ ص١٩٦ •

يخرج الى الاسهاب المتكلف والى الخطل المتزيد »[٥٢٣] ، وقال : « ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا بين السماطين في مديح الملوك أطالوا ، وللاطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللاقلال موضع، وليس ذلك من عجز »[٥٢٤] .

وهذا ما ذهب اليه ابن منقذ وهو يتحدث عن الاسهاب والاطناب والاختصار والاقتصار وقال إنّ لكل واحد موضعاً يأتي فيه فيحمد[٥٢٥] . وعرّفه الكلاعي تعريفاً بديعاً فقال : إنه « ما رفل ثوب لفظه على جسد معناه »[٥٢٦] ، وذكر ما قاله الجاحظ وابن منقذ .

الاشـــارة :

هي الايماء عند المتقدمين ، وأشار اليه باليد : أومأ ، وأشار الرجل يشير اشارة إذا أومأ بيديه ، وأشرت اليه : لوحت اليه[٥٢٧] .

وعدّ الجاحظ الاشارة من أصناف الدلالات على المعاني[٥٢٨] ، ولكنه لا يريد بها المعنى البلاغي الذي ذكره قدامة في باب « ائتلاف اللفظ والمعنى » قال : « هو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال : هي لمحة دالة »[٥٢٩] .

---

(٥٢٣) البيان ج١ ص٢٠١ .
(٥٢٤) الحيوان ج١ ص٩٢-٩٣ .
(٥٢٥) ينظر البديع في نقد الشعر ص١٨٢ .
(٥٢٦) إحكام صنعة الكلام ص٨٩ .
(٥٢٧) اللسان (شور) .
(٥٢٨) البيان ج١ ص٧٦ .
(٥٢٩) نقد الشعر ص١٧٤ ، وينظر حلية المحاضرة ج١ ص١٣٩ ، نضرة الاغريض ص٣٣ .

وذكرها الجاحظ مرة أخرى بهذا المعنى وربطها بالوحي والحذف ، قال : « ورأينا الله — تبارك وتعالى — إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام »(٥٣٠) . والى ذلك ذهب العسكري والباقلاني(٥٣١) ، وقال ابن رشيق : « والاشارة من غرائب الشعر وملامحه ، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلاّ الشاعر المبرز والحاذق الماهر ، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه »(٥٣٢) . وعدّ من أنواع الاشارة : التفخيم ، والايماء ، والتعريض ، والتلويح ، والكناية ، والتمثيل ، والرمز واللمحة ، واللغز ، واللحن ، والتعمية ، والحذف ، والتورية . وفعل مثل ذلك ابن سنان والتبريزي والبغدادي والمظفر العلوي والحلبي والنويري(٥٣٣) . وقال عبدالقاهر : « كذلك اثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه الى السامع صريحاً ، وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة »(٥٣٤) . وقال المصري : « ومن الاشارة نوع يقال له اللحن والوحي ، وهو يجمع العبارة والاشارة ببعد لا يفهم طريقه إلا ذو فَهْم ، كما قالَ الشاعر :

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحناً ليس بالمرتاب(٥٣٥)

---

(٥٣٠) الحيوان ج١ ص٩٤ .

(٥٣١) كتاب الصناعتين ص٣٤٨ ، إعجاز القرآن ص١٣٦ .

(٥٣٢) العمدة ج١ ص٣٠٢ ، وينظر كفاية الطالب ص١٧٣ .

(٥٣٣) سر الفصاحة ص٢٤٣ ، الوافي ص٢٦٧ ، قانون البلاغة ص٩٥ ، رسائل البلغاء ص٤١٦ ، ٤٤١ ، نضرة الاغريض ص٣٣ ، حسن التوسل ص٢٦٣ ، نهاية الأرب ج٧ ص٨ ، ١٤٠ .

(٥٣٤) دلائل الاعجاز ص٢٣٧ .

(٥٣٥) تحرير التحبير ص٢٠٤ ، بديع القرآن ص٨٢ ، وينظر خزانة الادب ص٣٥٨ ، نفحات الازهار ص٢٢١ .

وقال ابن قيم الجوزية : « الاشارة أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفياً ، وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام »[٥٣٦] . وأدخل في هذا الفن بعض أمثلة الكناية ، وذلك لانه قسم الاشارة الى أربعة أقسام :

الأول : هو ما عرف به .

الثاني : أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكبير .

الثالث : المعميات والالغاز .

الرابع : التورية .

وقال : « إنّ الاشارة في الحسن والكناية في القبيح »[٥٣٧] ، وهذا هو الفرق بين الفنين عنده ، وهذا التقسيم عودة الى تقسيم السكاكي للكناية الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة[٥٣٨] ، وكأن الاشارة جزء أو لون من الكناية وان كانت عبارة عبدالقاهر : « وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة » توحي بأن كل فن من هذه الفنون قائم بنفسه .

ونقل السبكي تعريف قدامة وقال : إنها من الايجاز[٥٣٩] ، وذهب الى ذلك السيوطي وقال : إنها ايجاز القصر بعينه[٥٤٠] . وفرق المصري بينهما وقال: « إنّ دلالة اللفظ في الايجاز دلالة مطابقة ، ودلالة اللفظ في الاشارة إما دلالة تضمن ، أو دلالة التزام[٥٤١] ، أي أن الاشارة كالكناية وليست كالايجاز .

(٥٣٦) الفوائد ص١٢٥ .
(٥٣٧) الفوائد ص١٢٦ .
(٥٣٨) مفتاح العلوم ص١٩٦ .
(٥٣٩) عروس الافراح ج٤ ص٤٧١ .
(٥٤٠) معترك ج١ ص٣٠٤ ، الاتقان ج٢ ص٥٦ ، شرح عقود الجمان ص٧٦ .
(٥٤١) بديع القرآن ص٨٢ .

ولم يخرج المدني[٥٤٢] عما بدأه قدامة ، وأرجع الاشارة اليه وقال إنها من مستخرجاته .

ومن أمثلة الاشارة قوله تعالى : « وَغِيضَ الماءُ »[٥٤٣] ، فان ذلك يشير الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض ومطر السماء ، ولولا ذلك لما غاض .

ومنه قول زهير :

فاني لو لقيتك واتجهنا   لكان لكل منكرة كفاءُ

أي : قابلت كل منكرة بكفئها .

ومن أمثلة الوحي والاشارة بضرب من الاستعارة قول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه عن بيعته : « أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاذا قرأت كتابي هذا فاقعد على أيهما شئت » .

الاشباع :

أشبع الثوب وغيره : روّاه صبغاً ، وقد يستعمل في غير الجواهر على المثل كاشباع النفخ والقراءة وسائر اللفظ ، وكل شيء توفره فقد أشبعته حتى الكلام يشبع فتوفر حروفه[٥٤٤] .

والاشباع في القوافي : هو اشباع حركة الحرف بين ألف التأسيس وحرف الروي ككسرة الصاد من قوله :

كِليني لهمٍّ يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكبِ

---

(٥٤٢) أنوار الربيع ج٥ ص٣٠١ ، وينظر المنزع ص٢٦٢ ، المنصف ج١ ص٤٥ .

(٥٤٣) هود ٤٤ .

(٥٤٤) اللسان (شبع) .

وقيل : إنما ذلك إذا كان الروي ساكناً ككسرة الجيم من قوله :

كنعــاج وجرة ســاقهنّ الى ظلال الصيف ناجِرْ

وقيل : الاشباع اختلاف تلك الحركة إذا كان الروي مقيداً كقول الحطيئة :

الواهب المــائةَ الصفا يا فوقها وَبَرٌ مظاهــر

وقال الاخفش : « الاشباع وهو حركة الحرف الذي بين التأسيس والــروي المطلق »(٥٤٥) .

وقال الغانمي : « هو أن يأتي الشاعر بالبيت معلــق القافية على آخــر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك إلاّ حذاق الشعراء ، وذلك ان الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقــد تمت معانيه واستغنى عــن الزيادة فيه قافية متممة لأعاريضه ووزنه فجعلها نعتاً للمذكور »(٥٤٦) . وذلك كقول ذي الرمة :

قِفِ العيسَ في أطلالَ مَيّةَ فاسألِ رسوماً كأخلاق الرداء المُسَلْسَلِ

وعلق ابن الاثير على ذلك بعد أن أشار الى التبليغ بقوله :

« والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحالٍ ، والدليــل على ذلك أن بيت امرىء القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيته وكذلك بيت ذي الرمة ، ألا ترى أن امرأ القيس لما قالَ :

كأنّ عيونَ الوحش حولَ خبائنا وأرحلنا الجَزْعُ .. .. ..

أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله : « لــم يُثَقَّبِ » وهكذا ذو الرمة فانه لما قالَ :

---

(٥٤٥) القوافي ص٣٧ ، وينظر الموشــح ص١٠ ، اللسان (شبع) .

(٥٤٦) المثل الســائر ج٢ ص٣٥١ ، الجــامع الكبير ص٢٤٠ .

قِفِ العيسَ في أطلالِ مية فاسألِ   رسوماً كاخلاق الرداء ...

أتى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتي بالقافية ، ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله : « المُسَلْسَلِ » . واعلم أنَّ أبا هلال قد سمى هذين القسمين بعينهما الايغال »[٥٤٧] .

الاشتراك :

الشركة : مخالطة الشريكين ، واشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ، وطريق مشترك : يستوي فيه الناس ، واسم مشترك : تشترك فيه معان كثيرة[٥٤٨] .

الاشتراك أو المشاركة عدة أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى . فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء :

الأول : أن يكون اللفظان راجعين الى حد واحد ومأخوذين من حد واحد ، وذلك اشتراك محمود وهو التجنيس[٥٤٩] .

الثاني : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلاّ مملكاً   أبو أمه حيٌّ أبوه يُقارِبُه

فقوله : «حيّ» يحتمل القبيلة ويحتمل الواحد ، وهذا الاشتراك مذموم والمليح الذي يحفظ لكثير في قوله يشبب :

---

(٥٤٧) المثل السائر ج٢ ص٣٥١ ، الجامع الكبير ص٢٤٠ ، وينظر كتاب الصناعتين ص٣٨٠ .
(٥٤٨) اللسان (شرك) .
(٥٤٩) ينظر المنزع البديع ص٥٠٦ .

لعمري لقد حببت كل قصيرة ... اليّ وما تدري بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أُرِدْ ... قصارَ الخطى شرُّ النساء البحاتر(٥٥٠)

فانه لما أحسّ بالاشتراك نفاه وأعرب عن معناه الذي نحا اليه .

الثالث : ليس من هذا في شيء ، وهو سائر الالفاظ المبتذلة للتكلم بهـا ، ولا يسمى تناولها سرقة ولا تداولها اتباعاً ، لانها مشتركة لا أحـد من الناس أولى بها من الآخر فهي مباحة غير محظورة إلاّ أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيهامعنى أو تفيد فائدة ، فهناك يتميز الناس ويسقط اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر . قال الحاتمي عن الاشتراك اللفظي : « وقد اعتبر قوم هذا سرقاً ، وليس بسرق ، وإنما هي ألفاظ مشتركة محصورة يضطر الى المواردة فيها إذا اعتمد الشاعر القول في معناها »(٥٥١) .

والاشتراك في المعاني نوعان :

الأول : أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة فيتباعد اللفظان وذلك هو الجيد المستحسن .

الثاني : وهو على ضربين :

أحدهما : ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر .

والآخر : ضرب كان مخترعاً ثم كثر حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول(٥٥٢) .

---

(٥٥٠) البحاتر : القصار ، وهي جمع : بحترة ، أي : قصيرة . الحبتر: القصير .
(٥٥١) حلية المحاضرة ج٢ ص٦٨ .
(٥٥٢) العمدة ج٢ ص٩٦ ، وينظر كفاية الطالب ص١٠٥ .

ولم يخرج البلاغيون والنقاد عما ذهب اليه الحاتمي وابن رشيق(٥٥٣) .

الاشـراف :

يقال : أشرف لك الشيء : أمكنك ، وشـارف الشيء : دنا منه وقارب أن يظفـر به(٥٥٤) .

قال ابن شيث القرشي : « هو أن ينظر الى القافية فيشرف عليها بخاطـره ويبني الأمر عليها فان ذلك أهون عليه فيما يكتبه ولا يدور على القافية فيطول عليه الكلام فكأنها وإن كانت آخر الكلام مبتدؤه في النفس وهو قول بعضهم: « أول الفكرة آخر العمل »(٥٥٥) .

الاشـعار الغثة :

الغث : الرديء من كل شيء ، وكلام غث لا طلاوة عليه(٥٥٦) .

أراد ابن طباطبا بالاشـعار الغثة المتكلفة ذات الخلل الظاهـر كقصيـدة الأعشـى التي مطلعها :

بانت سعادُ وأمسى حَبْلُها انقطعا واحتلّت الغَمْرَ فالجدين فالفرعا

وهي ستة وسبعون بيتاً التكلف فيها ظاهر" بَيِّن" إلا" في ستة أبيات فيها خلل ظاهر ولكنها بالاضافة الى سـائر الابيات نقية بعيدة من التكلف(٥٥٧) .

---

(٥٥٣) ينظر تحرير التحبير ص٣٤٢ ، حسن التوسـل ص٣١٦ ، نهـاية الأرب ج٧ ص١٧٨ ، شرح عقود الجمان ص١٣٩ ، خزانة الأدب ص٣٦٥ ، أنـوار الربيـع ج٥ ص٣٢٠ .

(٥٥٤) اللسـان (شرف) .

(٥٥٥) معـالم الكتابة ص٧٨ .

(٥٥٦) اللسـان (غثث) .

(٥٥٧) عيـار الشـعر ص١١٠ وما بعدها .

الاشـعار المحكمة :

أحكمت الشيء فاستحكم : صار محكماً ، واحتكم الأمـر واستحكم : وثق . وحكم الشيء وأحكمه : منعه من الفساد(٥٥٨) .

الاشعار المحكمة : هي الاشعار المتقنة المستوفاة المعاني السلسة الالفـاظ التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ، فلا اسـتكراه في قوافيها ، ولا تكلف في معانيها ، ولا عيّ لاصحابها فيها(٥٥٩) .

الاصـراف :

أصرف الشاعر شعره يُصرِفه اصرافاً : إذا أقوى فيه وخالف بين القافيتين ، قال ابن بري : ولم يجيء أصرف غيره(٥٦٠) .

قال ابن رشيق : « ومثل الاجازة الإصراف ــ حكـاه شيخنا أبو عبدالله قال : وهو أن تكون القافية دالاً والأخرى طاءً والقصيـدة مصرفة ، ولذلك قال الشـاعر :

مقوّمـةً قوافيها وليست بمصرفةِ الروي والاسنادِ (٥٦١)

وقال التبريزي وهو يتحدث عن الاقواء : « فاذا كان مع المرفوع أو المجـرور منصوب سمي إصرافاً هكذا ذكره أبو العلاء في قوله :

بُنيَتْ على الايطاء سالمةً من الـ إقواء والاكفاءِ والإصرافِ

وقال : الإصراف : إقواء بالنصب »(٥٦٢) .

---

(٥٥٨) اللسـان (حكم) .
(٥٥٩) عيار الشـعر ص٨٢ .
(٥٦٠) اللسـان (صرف) .
(٥٦١) العمـدة ج١ ص١٦٧ .
(٥٦٢) الوافي ص٢٣٩ـ٢٤٠ .

وقال الدماميني إنه أن يقرن المجرى بما هو بعيد منه كالفتحة مع الضمة أو مع الكسرة[٥٦٣] . وقال ابن الأعرابي أن الاصراف هو الاقواء وقال غيره انه الاكفاء[٥٦٤] .

الاصطراف :

الصرف : رد الشيء عن وجهه ، يقال : فلان يصرف ويتصرف ويصطرف لعياله أي يكتسب لهم ، واصطرف في طلب الكسب[٥٦٥] .

قال الحاتمي : « الإصطراف هو صرف الشاعر الى أبياته وقصيدته بيتاً أو بيتين أو ثلاثة لغيره فيضيفها الى نفسه ويصرفها عن قائلها . وكان كثير كثيراً ما يصطرف شعر جميل الى نفسه ويهتدمه »[٥٦٦] .

وقال ابن رشيق : « الإصطراف : أن يعجب الشاعر بيت من الشعر فيصرفه الى نفسه ، فان صرفه اليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جملة فهو انتحال ... أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين :

أحدهما : الاجتلاب وهو الاستلحاق أيضاً .

والآخر : الانتحال »[٥٦٧] .

ومن الاصطراف قول جرير :

لو شئت قد نقع الفؤاد بمشربٍ يَدَعُ الحوائم لا يجدْنَ غليلا

من ماء ذي رَصَفٍ القِلاة ممنع قطن الأباطح ما يزال ظليلا

---

(٥٦٣) العيون الغامزة ص٢٤٦ وما بعدها .
(٥٦٤) ينظر اللسان (صرف) .
(٥٦٥) اللسان (صرف) .
(٥٦٦) حلية المحاضرة ج٢ ص٦١ .
(٥٦٧) العمدة ج٢ ص٢٨١ ، وينظر كفاية الطالب ص١١٤ .

فقال المهرول العامري واصطرف الاول واهتدم الثاني :

لو شئت قد نقع الفؤاد بمشربٍ   يَدَعُ الحوائم لا يجدن غليلا
من ماءِ ذي رَصَفٍ القلاةممنع   يعلو أشم على الجبال طويلا(568)

الاصفاء :

أصفى الرجل من المال والأدب : خلا ، وأصفت الدجاجة إصفاءً : انقطع بيضها(569) .

الإصفاء : أن ينقطع الشاعر عن نظم الشعر مدة ، قال ابن رشيق : «لا بدّ للشاعر وإن كان فحلاً حاذقاً مميزاً مقدماً من فترة تعرض له في بعض الاوقات إما لشغل يسير أو موت قريحة أو نُبُوّ طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين. وقد كان الفرزدق — وهو فحل مضر في زمانه — يقول : « تمرّ عليّ الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من عمل بيت من الشعر » فاذا تمادى ذلك على الشاعر قيل : أصفى وأفصى كما يقال : « أفصت الدجاجة » إذا انقطع بيضها »(570) .

الاصيل :

أصل الشيء : صار ذا أصل ، وأصل الشيء : قتله علماً فعرف أصله . والأصيل : الذي لا يفنى ، ورأي أصيل : له أصل ، ورجل أصيل : ثابت الرأي عاقل ، وقد أصل أصالة وانه لأصيل الرأي والعقل (571) .

---

(568) ينظر حلية المحاضرة ج2 ص61–62 . القلاة : البئر تكون في الجلد أو في الصخرة من ماء السماء .
(569) اللسان (صفا) .
(570) العمدة ج1 ص204 .
(571) اللسان (أصل) .

والأصيل : هو ذو الفكر السديد ولا تطلق الاصالة على الكلام إلاّ إذا كان عريقاً . قال الشاعر :

لا يعجبنَّك من خطيب قولُه　　　حتى يكون مع البيـــان أصيلا[٥٧٢]

أي عريقاً ســديد القول .

وفَرَّقَ القرطاجني بين ما هو أصيل وغير أصيل في بابي الذم والمـدح ، وذكر ما تعتد به العرب من المدح في الأفعال[٥٧٣] .

الاضــاءة :

الاضاءة : هي الفقرة مثل التنوير ، وهي من تقسيمات القرطاجني في كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » .

الاطالــة :

طال الشيء طولاً وأطلته إطالة : حددته وجعلته طويلاً[٥٧٤] . وكان بعض البلغاء لا يميلون الى الاطالة بل كان بعضهم لا يكاد يتكلم كعمرو بن عبيـد الذي قال الجاحظ عنه : « كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم فاذا تكلم لم يكد يطيل . وكان يقول : لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفســه ، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتيـك به التكلف »[٥٧٥] . وذكر ابن جني أنّ « الاطالة والايجاز جميعاً إنما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه »[٥٧٦] . فالاطالة لها مقتضاها وللايجاز مقتضـاه في

---

(٥٧٢) البيـان والتبيين ج١ ص٢١٨ .

(٥٧٣) ينظر منهاج البلغـاء ص١٦٢ وما بعدها .

(٥٧٤) اللســان (طول) .

(٥٧٥) البيـان ج١ ص١١٥ ، وينظر زهر الآداب ج١ ص١١٣ .

(٥٧٦) الخصـائص ج١ ص١١٢ .

الكلام . وحدد بعضهم موقف الاطالة فقال شبيب بن شيبة : « فاذا ابتليت بمقام لا بدّ لك فيه من الاطالة فقدّم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً فان قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف »[٥٧٧] . وقيل لابن المقفع : « فان ملّ السامع الاطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف . » . قال : « إذا أعطيت كل مقال حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شيء . وأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضى جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال : « رضى الناس شيء لا ينال »[٥٧٨] .

الاعـادة :

عاد اليه يعود عوداً : رجع[٥٧٩] .

الاعادة : هي تكرار بعض الكلام للايضاح أو للاستعانة به . قال الجاحظ : « وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الالفاظ وترداد المعاني عيّاً إلاّ ما كان من النّمّار بن أوس العذري فانه كان إذا تكلم في الخمالات[٥٨٠] وفي الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والبوار ، كان ربما ردّد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى ونخر »[٥٨١] . ورأى العتابي أن الاعادة ليست من البلاغة قال : « كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ »[٥٨٢].

---

(٥٧٧) البيان ج١ ص١١٢ .
(٥٧٨) البيان ج١ ص١١٦ .
(٥٧٩) اللسان (عود) .
(٥٨٠) الحمالة : كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .
(٥٨١) البيان ج١ ص١٠٥ .
(٥٨٢) البيان ج١ ص١١٣ .

اعتدال الوزن :

ذكره قدامة ولم يعرّفه وقال انه كقول من قال « اصبر على حرّ اللقاء ومضض النزال وشدة المصاع ودوام المراس »(٥٨٣) ولو قال « على حر الحرب ومضض النازلة وشدة الطعن ومداومة المراس » لبطل رونق التوازن ، لان «اللقاء» و«النزال» و«المصاع» و«المراس» بوزن واحد في الحركة والسكون والزوائد .

ومثله قول القائل : « إذا كنت لا تؤتى في نقص كرم ، وكنت لا أوتى من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل أو عدولاً عن اغتفار زلل ، أو فتوراً عن لمّ شعث أو اصلاح خلل » . فجعل «نقصاً» بازاء «ضعف» و«كرماً» بازاء «سبب» و«عدولاً» بازاء «فتور» مناسبة في التقدير وموازنة في البناء . ولو جعل مكان « كرم » : سماحة ، ومكان « سبب » : شكراً ، لبطل التوازن »(٥٨٤) .

الاعتذار :

العذر : الحجة التي يعتذر بها ، يقال : اعتذر فلان اعتذاراً .

ويقال : لي في هذا الأمر عذر أي : خروج من الذنب(٥٨٥) .

والاعتذار هو : « محو أثر الذنب »(٥٨٦) ، وفي اشتقاقه ثلاثة أقوال أحدها : أن يكون من المحو ، كأنك محوت آثار الموجدة من قولهم « اعتذرت المنازل » إذا درست .

(٥٨٣) ماصع : قاتل وجالد .
(٥٨٤) جواهر الالفاظ ص٤ .
(٥٨٥) اللسان (عذر) .
(٥٨٦) التعريفات ص٣١ .

الثاني : أن يكون من الانقطاع كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ، يقولون : « اعتذرت المياه » إذا انقطعت .

الثالث : أن يكون من الحجر والمنع ، يقال : « عذرتُ الدابة » أي : جعلت لها عذاراً يحجزها من الشراد ، فمعنى « اعتذر الرجل » : احتجب . وعذرته : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والغضب عليه . ومنه « تعذّر الأمر » : احتجز أن يقضى[587] .

الاعتذار : أحد فنون الشعر القديمة[588] ، وقد وضعوا له أصولاً ، قال ابن رشيق : « وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فان اضطره المقدار الى ذلك وأوقعه فيه القضاء فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر اليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه ، فان اتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ ، لا سيما مع الملوك وذوي السلطان . وحقه أن يلطف برهانه مدمجاً في التضرع والدخول تحت عفو الملك واعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل . ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ، ويحيل الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الاخوان فتلك طريقة أخرى »[589] .

وقال القرطاجني : « فأما طرق الاعتذار والمعاتبات والاستعطاف وما جرى مجراها ، فملاك الأمر فيها التلطف والاثلاج الى كل معتذر اليه أو معاتب أو مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيته أو يقدر تأثره لذلك »[590] .

---

(٥٨٧) العمدة ج٢ ص١٨٠ ، وينظر كفاية الطالب ص٨٣ ، جوهر الكنز ص٥٩٦ ، الفوائد ص٢٠٣ .

(٥٨٨) ينظر قواعد الشعر ص٢٩ .

(٥٨٩) العمدة ج٢ ص١٧٦ .

(٥٩٠) منهاج البلغاء ص٣٥٢ .

ومن أجل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائدالنابغةالذبياني، ومن بديع ما قيل في الاعتذار للشيب وتحسينه قول أبي تمام :

فأصْغِري أنَّ شيباً لاح بي حَدَثاً واكبري أنني في المهد لم أشِبِ

لا تنكري منه تخديداً تجلّله فالسيفُ لا يُزدرى إنكانذا شطبِ

وسلك أبو علي البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بعد انكار الجناية فقال :

لم أجنِ ذنباً فان زعمتَ بأن جنيت ذنباً فغير معتمد

قد تطرف الكفُ عينَ صاحبها ولا يرى قطعها من الرشد(٥٩١)

الإعـذار :

أعذر اعذاراً : أبدى عذراً ، وأعذر فلان : كان منه ما يعذر • وعذّر في الأمر : قصَّر بعد جهد ، والتعذير في الأمر : التقصير فيه • وأعذر : قصّر ولم يبالغ وهو يرى انه مبالغ(٥٩٢) •

الاعذار : هو أن يأتي الشاعر بمعنى لم يستوفه ، وهو مما وصف به الحاتمي المتنبي بقوله : « وربما أخليت وأخلفت وأعذرت وهلهلت »(٥٩٣) •

الاعنات :

العَنَت : دخول المشقة على الانسان ولقاء الشدة ، يقال : أعنت فلان فلاناً إعناتاً إذا أدخل عليه عَنَتاً أي : مشقة • والاعنات : تكليف غير الطاقة(٥٩٤) •

---

(٥٩١) ينظر حلية المحاضرة ج١ ص٤١٨ •
(٥٩٢) اللسان (عذر) •
(٥٩٣) الرسالة الموضحة ص٢٥-٢٦ •
(٥٩٤) اللسان (عنت) •

الاعنات من تسمية ابن المعتز ، قال : « ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له »[٥٩٥] قول الشاعر :

عصانيَ قومي والرشاد الذي به ... أمرت ومن يَعْصِ المجربَ يندمِ
فصبراً بني بكر على الموت إنني ... أرى عارضاً ينهلُ بالموت والدمِ

وسماه بعضهم : لزوم ما لا يلزم ، والتضييق ، والتشديد ، والالتزام[٥٩٦] ، وذكر ابن الاثير الحلبي أن تجاهل العارف يقال للاعنات[٥٩٧] . والفنان مختلفان، وقد شاع في الكتب مصطلح « لزوم ما لا يلزم » أكثر من شيوع مصطلح ابن المعتز . والمصطلحان صحيحان لان الاعنات هو الزام الشاعر نفسه بما لا ينبغي، قال ابن الاثير : « وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً وأبعدها مسلكاً ، وذلك لانّ مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه ، فان اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها ، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً ، وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل رويّ الأبيات الشعرية »[٥٩٨] .

وقال العلوي : « ويقال له «الاعنات» ويرد في المنظوم والمنثور من الكلام. ومعناه في لسان علماء البيان أن يلتزم الناظم قبل حرف الروي حرفاً مخصوصاً

---

(٥٩٥) البديع ص٧٤ ، وينظر الغيث المسجم ج١ ص٧٢ .
(٥٩٦) الوافي ص٢٩٥ ، قانون البلاغة ١٣٣ ، رسائل البلغاء ص٥٨ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٦ ، الفوائد ص٢٣٤ ، شرح الكافية البديعية ص٢٠٣ ، خزانة الأدب ص٤٣٤ ، شرح عقود الجمان ص١٥٥ ، أنوار الربيع ج٦ ص٩٣ .
(٥٩٧) جوهر الكنز ص٢٠٨ .
(٥٩٨) المثل السائر ج١ ص٢٦٧ .

أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي أيضاً . وهكذا القول في الردف فانه يجعله على حد حرف متماثل ، وهكذا إذا ورد في النثر يكون على هذه الطريقة . فحاصل الأمر في لزوم ما لا يلزم هو أن يلتزم حرفاً مخصوصاً قبل حرف الروي من المنظوم أو حركة مخصوصة »[599] .

وقال الحلبي : « هو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروي أو حركة مخصوصة »[600] . وذكر النويري هذا التعريف[601] . وقال ابن مالك : « الالتزام : أن يلتزم المتكلم في السجع أو التقفية قبل حرف الروي ما لا يلزمه من مجيء حرف بعينه أو حرفين أو أكثر ، ويحمد منه ما عدم الكلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة »[602] . وقريب من هذا تعريف المصري وهو : « أن يلتزم الناثر في نثره أو الشاعر في شعره قبل رويّ البيت من الشعر حرفاً فصاعداً على قدر قوته وبحسب طاقته مشروطاً بعدم الكلفة »[603] . ومثله تعريفات الحلبي ، والحموي ، والسيوطي[604] .

وقد ورد هذا الفن في القرآن الكريم إلاّ انه يسير ، ومن ذلك قوله تعالى: « والطّورِ . وكتابٍ مَسْطور »[605] ، وقوله : « فأمّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ . وأمّا السائِلَ فلا تَنْهَرْ »[606] .

---

(599) الطراز ج٢ ص٣٩٨ .
(600) حسن التوسل ص٢٢٠ .
(601) نهاية الأرب ج٧ ص١١٣ .
(602) المصباح ص٨١ .
(603) تحرير التحبير ص٥١٧ ، بديع القرآن ص٢٢٧ .
(604) شرح الكافية البديعية ص٢٠٣ ، خزانة الأدب ص٤٣٤ ، معترك ج١ص٥١، شرح عقود الجمان ص١٥٥ .
(605) الطور ١-٢ .
(606) الضحى ٩ - ١٠ .

ومن الشعر قول عروة بن أذينة :

إنَّ التي زَعَمَتْ فؤادك ملَّها

خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هوىً لها

بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها

بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها

وإذا وَجَدْتَ لها وساوسَ سَلْوة

شَفَعَ الضميرُ الى الفؤاد فسلَّها

وكان هذا الفن يأتي سهلاً منقاداً في البيتين والثلاثة ، وقد يأتي في العشرين كما في قصيدة كثير عزة التي يقول فيها :

خليليَّ هذا ربع عزَّةَ فاعقلا قلوصيكما ثم احللا حيثُ حلَّتِ

وما كنت أدري قبل عزَّةَ ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولَّتِ

وأسرف المتأخرون في استعماله ، ونظم أبو العلاء المعري ديوانا سماه « اللزوميات » التزم فيه بهذا الفن كل الالتزام . ومعظم البلاغيين والنقاد لا يستسيغون «الاعنات» إذا جاءمتكلفاً[٦٠٧] .

الاغــارة :

أغار على القوم إغارة وغارة : دفع عليهم الخيل[٦٠٨] .

والاغارة من السرقات ، قال الحاتمي : « وهو أن يسمع الشاعر المفلق

---

(٦٠٧) ينظر سر الفصاحة ص٢١٢ ، المثل السائر ج١ ص٢٧٥ ، الجامع الكبير ص٢٦٧ .

(٦٠٨) اللسان (غور) .

والفحل المتقدم الأبيات الرائعة ندرت لشـــاعر في عصره وباينت مذاهبـــه في أمثالها من شعره فيكون بمذهب ذلك الشاعر المغير أليق وبكلامه أعلق فيغير عليها مصافحةً ويستنزل شاعرها عنها قسراً بفضل الاغارة فيسلمها اليه اعتماداً لسلمه ومراقبة لحربه ، وعجزاً عن مساجلة يمينه »(٦٠٩) .

وقال ابن رشيق : « الاغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً فَيُروى له دون قائله كمـــا فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد :

ترى النـاس ما سِرنا يســيرون خَلْفَنا

وإنْ نحـــن أومـــأنا الى النـاس وقَفوا

فقال : متى كان المُلْكُ في بني عذرة؟ إنما هو في مضر وأنا شـــاعرها ، فغلب الفرزدق على البيت ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره »(٦١٠) .

وقال المظفر العلوي : « هو ادعاء اللفظ والمعنى من غير أن يفكر الشاعر أو يتعنّى ، فما ذم شـــاعر في السرقات بأقبح منها »(٦١١) . وقال هي : « أقبح وجوه السرقات وأشنعها وأدناها منزلة وأوضعها »(٦١٢) .

الاغراء بالتحريض :

الاغراء بالتحضيض من موضوعات الشعر وغيره ، قال ابن الاثير الحلبي : أغريتَ الكلب بالصيد : إذا حرشته به ودَلَلْته عليه وأغريت بينهم إذا أوقعت

(٦٠٩) حلية المحـاضرة ج٢ ص٣٩ .
(٦١٠) العمـدة ج٢ ص٢٨٤ ، وينظر الرسالة العسجدية ص٥٤ ، كفاية الطـالب ص١١٧ .
(٦١١) نضرة الاغريض ص٤٤٥ .
(٦١٢) نضرة الاغريض ص٢١٧ .

بينهم كلاماً يشوش عليهم ، والاسم الغِراء . وغرى فلان بالشيء : إذا أولـع به . والتحريض هو الحثّ على الشيء وفعله . ولما كان الشاعر إذا ذكر كلاماً فيه مساوئ المهجو أغرى القلـوب عليه ، أو كان له قصـد في أذية قـوم أو الاحسان اليهم عرّض بذكـر ذلك الشـيء فسُمّي هذا النوع : « الاغـراء والتحريض »[٦١٣] . ومن ذلك تحريض سديف للسفاح على قتل الأمـويين ، ومنها اغراء محمد بن عبدالملك الزيات للمأمون بابراهيم بن المهدي .

الاغـراب :

الإغراب : هو الاستغراب وقد تقدم ، وذلك بأن يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لـم يسمع بمثله ، أو سـمع وهو قليل الاستعمال ، وسـماه قـوم : « النوادر »[٦١٤] .

الاغـراق :

أغرق في الشيء : جاوز الحد ، وأصله من نزع السـهم[٦١٥] . والاغراق فوق المبالغة ودون الغلو[٦١٦] . وقد سماه ثعلب « الافراط في الاغراق »[٦١٧] ولم يعرّفه ، كقول امرئ القيس :

وقد اغتدي والطيرُ في وُكناتها ... بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

---

(٦١٣) جوهـر الكنز ص٥٦٣ .

(٦١٤) ينظر نقد الشعر ص١٧٠ ، البديع في نقد الشعر ص١٣٢ ، تحرير التحبير ص٥٠٦ ، بديع القرآن ص٢٢٢ ، جوهر الكنز ص٢٢٧ ، خزانـة الأدب ص٢٢٣ ، أنوار الربيع ج٥ ص٣٣٨ .

(٦١٥) اللسـان (غرق) .

(٦١٦) تحرير التحبير ص٣٢١ ، وينظر المنصف ج١ ص٦٨ .

(٦١٧) قواعـد الشعر ص٤٠ .

وذكر ابن المعتز « الافراط في الصفة »(٦١٨) وسماه الرازي « الاغراق في الصفة »(٦١٩) وهي تسمية الوطواط(٦٢٠) . وتحدث عنه العسكري في باب الغلو وقال : « الغلو : تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها »(٦٢١) ، كقوله تعالى : « وبلغت القلوب الحناجر »(٦٢٢) .

وقال الحاتمي : « وبعضهم يسميه الغلو » ، ثم قال : « وجدت العلماء بالشعر يعيبون على أبيات الاغراق ويختلفون في استهجانها واستحسانها ، ويعجب بعض منهم بها وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرونها من ابداع الشاعر الذي يوجب الفضلة له ، ويقولون : « إنّ أحسن الشعر أكذبه » وان الغلو إنما يراد به المبالغة »(٦٢٣) . وسماه ابن رشيق الغلو وقال: إنّ من أسمائه «الاغراق والافراط» وربط بين الغلو والاغراق في المعنى(٦٢٤). وفرّق المصري بينهما(٦٢٥) .

وآثر معظم البلاغيين والنقاد مصطلح «الاغراق» وقال ابن منقذ : « هو أن يبالغ في الشيء بلفظه ومعناه »(٦٢٦) ، وقال الحلبي : « وهو فوق المبالغة ودون الغلو »(٦٢٧) وقال عن الغلو : « ومنهم من يجعله هو والاغراق شيئاً واحداً »(٦٢٨) . وجمع ابن الأثير الحلبي بين الاغراق والغلو والمبالغة في باب

---

(٦١٨) البديع ص٦٥ .
(٦١٩) نهاية الايجاز ص١١٤ .
(٦٢٠) حدائق السحر ص١٧٥ .
(٦٢١) كتاب الصناعتين ص٣٥٧ .
(٦٢٢) الأحزاب ص١٠ .
(٦٢٣) حلية المحاضرة ج١ ص١٩٥ .
(٦٢٤) العمدة ج٢ ص٦٠ .
(٦٢٥) تحرير التحبير ص٣٢٣ ، وينظر المصباح ص١٠٣ .
(٦٢٦) البديع في نقد الشعر ص٨٣ .
(٦٢٧) حسن التوسل ص٢٧٦ ، وينظر نهاية الارب ج٧ ص١٤٩ .
(٦٢٨) حسن التوسل ص٢٧٦ .

واحد وقال : « هي ثلاث تسميات متقاربة وردت في باب واحد لقرب بعضها من بعض »[629] ، وقال في الاغراق : « هو الزيادة في المبالغة حتى يخرجها عن حدها » ، وفي الغلو : « هو زيادة في الخروج عن الحد » وفي المبالغة : « بلوغ القصد في المعنى من غير تجاوز في الحد » . ومثّل للاغراق بقول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها ظالمينَ سياطنا فطارَتْ بها أيدٍ سِراعٌ وأرْجُلُ

والغلو بقول الشاعر :

تظل تحفر عنه إنْ ضربْتَ به بعد الذراعين والساقين والهادي

وللمبالغة بقول الآخر:

تَصَرَّمَ الدهرُ لا وَصْلٌ فيطمعني فيما لديك ولا تأيٌ فيسليني

وكيف أعجب من عصيان قلبك لي يوماً إذا كان قلبي فيك يعصيني

والاغراق عند العلوي أحد أنواع المبالغة[630] ، وحصر القزويني المبالغة في التبليغ والاغراق والغلو[631] ، وتبعه شراح تلخيصه والسيوطي[632] .

الاغـرام :

قال أبو العلاء المعري : « التضمين : وهو أنْ لا يتم المعنى في البيت الواحد . والاغرام : دون التضمين كأن اقتضاء التضمين أشدّ منه ، إذ كان

---

(٦٢٩) جوهر الكنز ص١٣٥ .
(٦٣٠) الطراز ج٣ ص١٢٧ .
(٦٣١) الايضاح ص٣٦٥ ، التلخيص ص٣٧٠ .
(٦٣٢) شروح التلخيص ج٤ ص٣٦٠ ، المطول ص٤٣٤ ، الأطول ج٢ ص٢٠٧ ، شرح عقود الجمان ص١٢٢ ، حلية اللب ص١٤١ ، وينظر نفحات الأزهار ص٢٠٦ .

التضمين مثل قول النابغة : « وهم أصحاب يوم عكاظ اني » ، ف «إني» يقتضي الخبر اقتضاءً شديداً ، وكذلك قول الآخر :

حيدةً خالي ولقيط وعديّ وحاتم الطائيّ وهاب المئيّ

ولم يكن كخالك العبد الذي يأكل أعوام الجدوب والسنيّ

ف «الذي» يقتضي تماما • والاغرام دون هذا في الاقتضاء كقول النابغة :

فلو كانوا غداةَ البين منّوا وقد رفعوا الخدورَ على الخيام

صفحتُ بنظرةٍ فرأيت منها بجنْبِ الخد واضعة القرام

ترائب يستضيء الحلي فيها كجمر النار بذّر في الظلام

فالبيتان الأول والثاني فيهما إغرام • وكان بعض المتأخرين يزعم أن الاغرام :أن يتم وزن البيت ولا تتم الكلمة • وهذا لا يعرف في شعر العرب وإنما يتعمده المتأخرون كقول القائل :

أبا بكر لقد جاءتك من يحيى بن منصو

ر الكأس فخذها منه صِرْفاً غير ممزو

جة جنّبك اللّه أبا بكر من السو[٦٣٣]

ويسمّى المعري مثل هذا «المجاز» أيضاً ، قال ابن سنان : « ومن عيوب القوافي أن يتم البيت ولا تتم الكلمة التي منها القافية حتى يكون تمامها في البيت الثاني ، مثل أبيات كتبها إليّ الشيخ أبو العلاء بن سليمان في بعض كتبه ،

---

(٦٣٣) الفصول والغايات ص٥٢٧ـ٥٢٨ •

وحكى أن أبا العباس المبرد ذكرها في كتابه الموضوع في القوافي ، وسمى هذا الجنس من عيوب القافية «المجاز» . والأبيات :

شبيه بابن يعقوب   ولكن لم يكن يو
سفُ يشرب الخمر   ولا يزني ولا
ـع الأمواه بالقهو   ة مزجاً لم يكن دو
ن في صبح وإمساء   وهذا منكر يو
شك الرحمن أن يصل   يه في نار خزي هو
لها أهل فلا يكش   ف عنه ربنا السو
ءَ إن الأخضر إلا بطيـ   ـن ذا الفحشاء لا يو
قدُ النار لأضياف   ولو قيل له ذو
دنانير وأموالٍ   فيا رحمن لا تو
سع الرزق على هذا الـ   ـذي منظره لو
لؤٌ والفعل ستّوق   فوزن الريش لا يو[٦٣٤]

الاغلاق :

الاغلاق : هو التعقيد ، قال العسكري : « والتعقيد والاغلاق والتقعير سواء ، وهو استعمال الوحشي وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى »[٦٣٥] .

---

(٦٣٤) سر الفصاحة ص٢١٨–٢١٩ . أي : لا يوزن . ستوق : ذهب بهرج .
(٦٣٥) كتاب الصناعتين ص٤٥ .

افتتاحات الكلام :

هي « الابتداء » أو « حسن الابتداء » أو « حسن الافتتاح » . وهذه تسمية التنوخي ، قال : « وأما افتتاحات الكلام وخواتمه فينبغي لمن نظم شعراً أو ألف خطبة أو كتاباً أن يفتتحه بما يدل على مقصوده منه ويختمه بما يشعر بانقضائه ،وأن يقصد مايروق من الالفاظ والمعاني لاستمالة سامعيه اليه »[٦٣٦] .

الافتخار :

الفخر والافتخار : التمدح بالخصال ، وفخر يفخر وافتخر وتفاخر القوم فخر بعضهم على بعض.والتفاخر : التعاظم ، والمفخرة المأثرة وما فخر به[٦٣٧] .

الافتخار : من فنون الشعر ، وقد أدخله ابن وهب في المدح[٦٣٨] ، لانه المدح نفسه إلاّ أن الشاعر يخص به نفسه . قال ابن رشيق : « الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار »[٦٣٩] . وقال ابن الاثيرالحلبي: « والافتخار الحقيقي انما هو بتقوى الله تعالى كما قال : « إنَّ أكرَمَكُمْ عند اللهِ أتْقاكم »[٦٤٠] . والافتخار عادة الشعراء لا سيما جاهلية العرب. وقد أنكر قدامة الافتخار بالآباء دون أن يكون المفتخر فيه صفات يفتخر بها على غيره »[٦٤١] .

---

(٦٣٦) الأقصى القريب ص٨٥ .
(٦٣٧) اللسان (فخر) .
(٦٣٨) البرهان ص١٧٠-١٧٢ .
(٦٣٩) العمدة ج٢ ص١٤٣ ، وينظر ج١ ص١٢١ . كفاية الطالب ص٦٧ .
(٦٤٠) الحجرات ١٣ .
(٦٤١) جوهر الكنز ص٥١٥ .

الافتنـــان :

يفتن الرجل الكلام : يشتق في فن بعد فن ، ورجل مفنّ : يأتي بالعجائب وأمرأة مفنه • أفتن الرجل في حديثه وفي خطبته : إذا جاء بالأفانين وافتن الرجل في كلامه : إذا توسع وتصرف ، وافتنّ : أخذ في فنون القول[٦٤٢] •

والافتنان من الفنون التي ابتدعها المصري ، قال : « أن يفتن المتكلم فيأتي بفنين متفاوتين من الكلام في بيت واحد ، أو جملة واحدة مثل النسيب والحماسة والهجاء والهناء والعزاء »[٦٤٣] ، كقوله تعالى : « ثُمَّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوا ونَذَرُ الظالمينَ فيها جِثِيّا »[٦٤٤] ، فقد جمعت هذه اللفظات التي هي بعض آية الوعد والوعيد والتبشير والتحذير •

ومن ذلك قول عنترة الذي ذكر النسيب والحماسة في قوله :

إن تُغْدفي دوني القناعَ فانني   طَبٌّ بأخذ الفارسِ المُستلئمِ[٦٤٥]

فأول البيت نسيب ، وآخره حماسة •

ولم يخرج عن مذهب المصري في الافتنان : الحلبي ، والنويري ، والسبكي ، والحلي ، والحموي ، والسيوطي ، والمدني ، والنابلسي[٦٤٦] •

---

(٦٤٢) اللســـان (فنن) •

(٦٤٣) تحرير التحبير ص٥٨٨ • بديع القرآن ص٢٩٥ •

(٦٤٤) مريـم ٧٢ •

(٦٤٥) أغدفت المرأة القناع على وجهها : ارسلته • المستلئم : الذي لبس لأمـــة الحـرب وهي الدرع •

(٦٤٦) ينظر حسن التوسل ص٣٠٩ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٧٣ ، عروس الافراح ج٤ ص٤٧٠ ، شرح الكافية البديعية ص٩٨ ، خزانة الأدب ص٦١ ، معترك ج١ ص٣٨٨ ، الاتقان ج٢ ص٨٧ ، شرح عقود الجمان ص١٣٦ ، أنوار الربيع ج١ ص٣٢٠ ، نفحات الازهار ص٢٣٦ •

الإفحـــام :

المفحم : العيي ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وأفحمه الهمّ أو غيره : منعه من قول الشعر . وهاجاه فأفحمـــه : صادفه مفحماً . وشـــاعر مفحم : لا يجيب مهاجيه(٦٤٧) .

الإفحام : هو أن يصيب العيّ الشاعرَ فلا يستطيع أن يقول ، أو هو عجز الشاعر حينما يجابه بالقول . قال ابن رشيق : « يقال : أفحـــم الشـــاعر على « أفْعَلَ » قالوا : وهو من « فحـــم الصبي » إذا انقطع صـــوته من شـــدّة البكاء »(٦٤٨) ، فكأن الشاعر احتبس وعجز عن القول .

الافراط :

أفرط في الأمر : أسرف ، والافراط : إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت . أفرط عليه : حمله فوق ما يطيـــق ، وكل شـــيء جاوز قـــدره فهو مُفْرِط ، والافراط : الزيادة على ما أمرت(٦٤٩) .

قيل للأصمعي : مَنْ أشْعَرُ الناس؟ قال : من يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه حسناً ، ويأتي الى المعنى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً(٦٥٠)،وذلك عن طريق المبالغة والافراط في الصفة . وذكر الجاحظ الافراط في الصفة ومثّل له بقول مهلهل :

---

(٦٤٧) اللســان (فحم) .

(٦٤٨) العمـدة ج١ ص٢٠٥ .

(٦٤٩) اللســان (فرط) .

(٦٥٠) حلية المحاضرة ج١ ص١٥٦ ؛ العمدة ج٢ ص٥٧ ، وينظر المنصف ج١ص٧١

فلولا الريحُ أُسمِعَ مَنْ بحجرٍ   صليلُ البيض تُقْرَعُ بالذكورِ[٦٥١]

وهذا ما ذكره قدامة فيما بعد وأدخله في المبالغة[٦٥٢] .

واستحسن ابن قتيبة المبالغة والافراط في الاستعارة[٦٥٣] ، وأشار المبرد الى الافراط[٦٥٤] ، وذكره ثعلب[٦٥٥] ، وعدّه ابن المعتز من محاسن الكلام[٦٥٦] . وتكلم عليه القاضي الجرجاني فقال : « فأما الافراط فمذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الاوائل ، والناس فيه مختلفون فمستحسن قابل ومستقبح رادّ ، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص والاعتداء ، فاذا تجاوزها اتسعت له الغاية وأدته الحال الى الاحالة ، وإنما الاحالة نتيجة الافراط وشعبة من الاغراق ، والباب واحد ، ولكن له درج ومراتب »[٦٥٧] .

وتحدث عنه ابن رشيق في باب الغلو والاغراق[٦٥٨] ، وقال ابن الاثير : « وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد »[٦٥٩] وفرّق بينه وبين التفريط فقال : « أما التفريط والافراط فهما ضدان : أحدهما أن يكون لمعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه . والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته » .

---

(٦٥١) الحيوان ج٦ ص٤١٨ ، ٤٢٥ .
(٦٥٢) نقد الشعر ص٦٢ ، ١٦٠ ، ٢٤٣ .
(٦٥٣) تأويل مشكل القرآن ص١٣١ .
(٦٥٤) الكامل ج١ ص٢٥٣ ، وينظر العمدة ج٢ ص٦١ .
(٦٥٥) قواعد الشعر ص٤٠ .
(٦٥٦) البديع ص٦٥ .
(٦٥٧) الوساطة ص٤٢٠ .
(٦٥٨) العمدة ج٢ ص٦٠ .
(٦٥٩) المثل السائر ج٢ ص٣١٦ ، الجامع الكبير ص٢٢٦ .

وعقد ابن الزملكاني فصلا لفن سماه « الافراط والنزول »(٦٦٠) ، وعقد المصري باباً سماه « الافراط في الصفة »(٦٦١) ، وتحدث عنه البلاغيون والنقاد الآخرون(٦٦٢) .

الاقتباس :

قبس منه ناراً أقبس قبس فأقبسني أي : أعطاني منه قبساً ، وكذلك اقتبست منه علماً أيضاً : استفدته(٦٦٣) .

فالاقتباس هو الأخذ والاستفادة ، وقد عرف هذا الفن منذ عهد مبكر وكانوا يسمون الخطبة التي لا توشح بالقرآن بتراء(٦٦٤) . وقد عرّفه الرازي بقوله : « هو أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتفخيماً لشأنه »(٦٦٥) . وقال الحلبي : « هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به »(٦٦٦) . وذكر مثل ذلك الشريف الجرجاني والنويري والكفوي(٦٦٧) . وقال ابن قيم الجوزية : « ويسمى التضمين ، وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره ويدرجه في لفظه لتأكيد

(٦٦٠) البرهان الكاشف ص٣١٠ .
(٦٦١) تحرير التحبير ص١٤٧ ، بديع القرآن ص٥٤ .
(٦٦٢) ينظر منهاج البلغاء ص٧٦ ، الاقصى القريب ص١٠٠ ، الفوائد ص٢٠٨ ، جوهر الكنز ص١٣٩ ، حسن التوسل ص٢٣٤ ، نهاية الارب ج٧ ص١٢٤ ، الطراز ج٢ ص٢٩٩ .
(٦٦٣) اللسان (قبس) ، وللثعالبي كتاب « الاقتباس من القرآن الكريم » .
(٦٦٤) ينظر البيان ج٢ ص٦ ، ١١٨ .
(٦٦٥) نهاية الايجاز ص١١٢ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٩ .
(٦٦٦) حسن التوسل ص٣٢٣ .
(٦٦٧) التعريفات ص٣٣ ، نهاية الارب ج٧ ص١٨٢ ، الكليات ج١ ص٢٥٣ .

المعنى الذي أتى به أو ترتيب ، فان كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين ، وإن كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو ايداع »[٦٦٨] .

وعرّفه القزويني بمثل ما عرفه الحلبي والنويري وأضاف قائلاً : « لا على انه منه »[٦٦٩] ، كقول الحريري : « فلم يكن إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب » . والاقتباس من الآية السابعة والسبعين من سورة النحل وهي : « وما أَمْرُ الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب » .

ومنه قول الحماسي :

إذا رُمْتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحب ميعادُ السلوِّ المقابرُ

ستبقى لها فيمُضْمَرِ القلبِ والحشا سريرةُ ودٍّ يوم تُبْلى السرائرُ

والاقتباس من الآية التاسعة من سورة الطارق وهي : «يَوْمَ تبلى السرائر» .

والاقتباس منه ما لا ينتقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي الى معنى آخر كما تقدم ، ومنه بخلاف ذلك كقول ابن الرومي :

لئن أخطأتُ في مَدْحِـ ـكَ ما أخطأتَ في مَنْعي

لقد أنزلت حاجاتي « بوادٍ غير ذي زَرْعٍ »

والاقتباس من الآية السابعة والثلاثين من سورة ابراهيم وهي : « رَبَّنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ عند بيتك المحرّم ، ربّنا ليقيموا الصلاةَ فاجعلْ أفئدةً من الناس تَهْوي اليهم وارْزُقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

---

(٦٦٨) الفوائد ص١١٧ .

(٦٦٩) الايضاح ص٤١٦ ، التلخيص ص٤٢٢ .

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره[٦٧٠] كقول بعضهم عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خِفْتُ أن يكونا إنّا الى اللهِ راجعونا

والاقتباس من الآية ١٥٦ من سورة البقرة وهي : « الذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا اليه راجعون » •

ومن الاقتباس قول الشاعر :

ولكنها الأقدارُ كلٌّ مُيَسَّرٌ لما هو مخلوقٌ له ومُقَرَّبُ

اقتبس من لفظ الحديث الشريف : « اعملوا ، كل ميسر لما خلق له » •

وسار المتأخرون في هذه السبيل كالسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي[٦٧١] ، وذكر الحموي رأياً جديداً نسبه الى العلماء وهو أن جعل الاقتباس نوعين : فما قام به الناثرون من الخطباء والمنشئين يسمى الاقتباس ، وما يتم على أيدي الشعراء في أشعارهم يسمى التضمين ، وذلكأن العلماء في هذا الباب قالوا : « إنّ الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن ، وأما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشيء والخطيب »[٦٧٢] • وذكر الحموي ــ أيضاً ــ أن الاقتباس من كتاب الله على ثلاثة أقسام : مقبول ومباح ومردود •

فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونحو ذلك •

---

(٦٧٠) الايضاح ص٤١٩ ، التلخيص ص٤٢٣ •

(٦٧١) عروس الافراح ج٤ ص٥٧٣ ، ٥٠٩ ، المطول ص٤٧١ ، المختصر ج٤ ص٥٠٩ ، الاتقان ج١ ص١١٣ ، شرح عقود الجمان ص١١٦ ، الأطول ج٢ ص٢٥٠ ، مواهب ج٤ ص٥٠٩ •

(٦٧٢) خزانة الأدب ص٤٤٤ •

والثاني : ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين :

أحدهما : ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقلـه الى نفسه .

والآخر : تضمين آية كريمة في معنى هزل[٦٧٣] .

وهذه ما ذكر الحلي ونقله المدني ، والسيوطي ، والنابلسي[٦٧٤] .

الاقتدار :

القَدْر والقُدرة والمقدار : القوة ، واقتدر فهو قادر وقدير ، وأقـدره الله عليه . والاقتدار على الشيء : القدرة عليه[٦٧٥] .

والاقتدار من الفنون التي ابتدعها المصري وقال : « هو أن يبرز المتكلـم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض ، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة ، وطوراً يبرزه في صورة الإرداف ، وآونة يخرجه مخرج الايجـاز ، وحيناً يأتي به في ألفـاظ الحقيقة »[٦٧٦] . وسماه في « تحرير التحبير » التصرف[٦٧٧] ، كقول امرىء القيس يصف الليل :

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدولَه ... عليَّ بأنـواع الهمـوم ليبتلي

فقلـت له لمـا تمطـى بصلبــه ... وأردف أعجازاً وناءَ بكلكـلِ

---

(٦٧٣) خزانة الأدب ص٤٤٢ .

(٦٧٤) شرح الكافية البديعية ص٣٢٦ ، انوار الربيع ج٢ ص٢١٨ ، شرح عقود الجمان ص١٦٨ ، نفحات الازهار ص٢٣٩ .

(٦٧٥) اللســان (قدر) .

(٦٧٦) بديـع القرآن ص٢٨٩ .

(٦٧٧) تحرير التحبير ص٥٨٢ .

فانه أبرز هذا المعنى في لفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فأتى به بلفظ الايجاز فقال :

فيا لكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه ... بكل مغارِ الفتْلِ شُدَّت بيذبُلِ

ثم تصرف فأخرجه بلفظ الإرداف فقال :

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي ... بصبحٍ وما الاصباح منك بأمثَلِ

قال المصري : « ولا شبهة في أن هذا إنما يأتي من قوة الشاعر وقدرته ، ولذلك أتت قصص القرآن في صور شتى من البلاغة ما بين الايجاز والاطناب واختلاف معاني الالفاظ »(٦٧٨) .

ولخص السيوطي كلام المصري وسار على مذهبه في بحث هذا الفن وسماه « الاقتدار »(٦٧٩) .

الاقتصاد :

القصد في الشيء خلاف الافراط ، واقتصد فلان في أمره : استقام(٦٨٠) .

فالاقتصاد : هو الاستقامة والاعتدال في الأمور ، قال ابن الاثير : هو « أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته »(٦٨١) . ولخص التنوخي وابن الاثير الحلبي وابن قيم الجوزية كلام ابن الاثير(٦٨٢) ، ونقل العلوي كثيراً منه وقال في الاقتصاد : « ومعناه أن

---

(٦٧٨) تحرير ص٥٨٣ ، بديع القرآن ص٢٩٠ .

(٦٧٩) معترك الاقران ج١ ص٢٨٨ ، الاتقان ج٢ ص٨٧ .

(٦٨٠) اللسان (قصد) .

(٦٨١) المثل السائر ج٢ ص٣١٦ ، الجامع الكبير ص٢٢٦ .

(٦٨٢) الأقصى القريب ص١٠٠ ، جوهر الكنز ص١٣٩ ، الفوائد ص٢٢٦ .

يكون المعنى المتدرج تحت العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه مساوياً له من غير زيادة فيكون افراطا ولا نقصان فيكون تفريطاً »[683] . كقوله تعالى: « هُدىً للمُتّقينَ . الـذين يُؤْمِنونَ بالغَيْبِ ويُقيمونَ الصّـلاةَ ومما رَزَقْناهـم يُنْفِقونَ . والذين يُؤمِنون بمـا أُنْزِلَ اليك ، ومـا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ . أُولئكَ على هُدىً من رَبّهم ، وأُولئكَ هُمُ المفلحونَ »[684] . فهـذه الأوصاف على نهـاية الاقتصاد والتوسط من غير افراط ولا تفريط .

ومنه قـول البحتري :

فلو انّ مشتاقاً تكلّف فوق ما   في وِسْعِهِ لَسَعى اليك المِنْبَرُ

الاقتصاص :

قصّ آثارهم يقصّها قصاً وقَصَصا وتقصصاً : تتبعها بالليـل ، وقيل : هو تتبع الأثر أي وقت كان . وقيل : خرج فلان قَصَصاً في أثر فلان وقَصّاً، وذلك إذا اقتصّ أثره . وقيل : القاصّ يقص القصص لاتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً[685] .

والاقتصاص ــ كما عرّفه ابن فارس ــ : « هو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها »[686] . كقوله تعـالى : « وآتَيْناه أجْرَه في الدنيا وإنّه في الآخرة لمِنَ الصالحينَ »[687] ، فهـذا

(٦٨٣) الطـراز ج٢ ص٣٠١ .
(٦٨٤) البقـرة ٢ــ٥ .
(٦٨٥) اللســان (قصص) .
(٦٨٦) الصاحبي ص٢٣٩ ، وينظر قواعد الشعر ص٣٠ .
(٦٨٧) العنكبـوت ٢٧ .

مقتضٍ من قوله : « وَمَنْ يأتِهِ مُؤمِناً قد عَمِلَ الصالحاتِ فأُولئكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى »[٦٨٨] .

ونقل الزركشي هذا الباب من ابن فارس وأشار الى ذلك[٦٨٩] ، وفعل مثله السيوطي[٦٩٠] . وذكر العسكري الاقتصاص بمعنى سَوْق القصة ، قال : « وإذا دعت الضرورة الى سوق خبر واقتصاص كلام فتحتاج الى أن تتوخى فيه الصدق وتتحرى الحق ، فان الكلام حينئذ يملكك ويحوجك الى اتباعه والانقياد له »[٦٩١] . وكان ابن طباطبا قد ذكر اقتصاص الخبر أو الحكاية عند كلامه على ما يضطر اليه الشاعر ، قال : « على أن الشاعر إذا اضطر الى اقتصاص خبر في شعر دَبَّره تدبيراً يسلس له معه القول ويطرد فيه المعنى فبنى شعره على وزن يحتمل أن يخشى بما يحتاج الى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به ، أو نقص يحذف منه ، وتكون الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان فيه بهما ، وتكون الالفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه »[٦٩٢] . ومثّل له بقصيدة الأعشى فيما اقتصه من خبر السموأل والتي قال فيها :

كُنْ كالسَّموأل إذ طاف الهمامُ به في جَحْفَل كزهاءِ الليل جَرّارِ

ثم قال ابن طباطبا بعد الأبيات : « فانظر الى استواء هذا الكلام وسهولة مخرجه وتمام معانيه وصدق الحكاية فيه ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن . وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه في قوله : « أأقتل ابنك صبراً أو تجيء بها » فاضمر ضمير الهاء في قوله :«واختار

---

(٦٨٨) طـه ٧٥ .
(٦٨٩) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٢٩٧ .
(٦٩٠) الاتقان ج٢ ص٨٨ .
(٦٩١) كتاب الصناعتين ص١٤٧ .
(٦٩٢) عيار الشعر ص٧٢ .

أدرعه أن لا يسبّ بها» فتلا في ذلك الخلل بهذا الشرح فاستغنى سامع هـذه الأبيات عن استماع القصةفيها لاشتمالها على الخبر كله بأوجز كـلام وأبلـغ حكـاية وأحسن تأليف وألطف ايماء .»[٦٩٣].

وتحدث الحاتمي في باب « أوجز شعر تضمن قصصاً »[٦٩٤] عـن هـذه القصيدة وعلق عليها بمثل ما علق عليه ابن طباطبا ، قال : « أجمع علماء الشعر وأرباب الكلام أن أوجز شعر اقتصت فيه قصة فورد منساق القصـة سـهل الكلام منسوق المعاني واقعة كل كلمة منها موقعهـا الذي أريدت به من غـير حشو مختلف ولا خلل شائن ، قول الأعشى فيما اقتصه من خبر السموأل ».

وقال المصري : « هو أن يقتص المتكلم قصة بحيث لا يغادر منها شيئاً في ألفاظ قليلة موجزة جداً بحيث لو اقتصّها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة أتى بها في أكثر من تلك الألفاظ . وأكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل كقصة موسى ــ عليه السلام ــ في « طـه » فان معانيها أتت بألفـاظ الحقيقة تامة غير محذوفة وهي مستوعبة في تلك الالفاظ . وقـد رأيت أكثر العلماء على تقديم الأعشى في اقتصاصه قصة السموأل في أدرع امرىء القيس الشاعر التي أودعها عنده لما قصد قيصر ، ووفاء السموأل بها حتى سلمها لأهل امرىء القيس وبذل دونها دم ولده وهو يشـاهده »[٦٩٥] . ومن ذلك قـول النابغة في اقتصاصه قصة الزرقاء للنعمان[٦٩٦] ، ومنها :

فاحكم كحكم فتاةِ الحيّ إذ نَظَرَتْ إلى حمام شراعٍ واردِ الثمـدِ

لقد تحدث المصري عن « الاقتصاص » في باب الايجاز ، وتحـدث عنه

(٦٩٣) عيار الشعر ص٧٥–٧٦ .
(٦٩٤) حلية المحاضرة ج١ ص٣٦٦ .
(٦٩٥) تحرير التحبير ص٤٥٩ .
(٦٩٦) تحرير ص٤٦٤ .

في باب التنظير أيضاً[٦٩٧] . وتكلم ابن فارس والزركشي والسيوطي عليه في فصول خاصة اتخذت من هذا المصطلح عنواناً .

الاقتضاء :

القضاء : الحكم ، ويرجع الى انقطاع الشيء وتمامه ، وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدي فقد قضي . وقضى الغريم دينه : أداه اليه[٦٩٨] .

والاقتضاء : « هو طلب الفعل مع المنع عن الترك »[٦٩٩] ، قال ابن رشيق: « حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً واقتضاؤه لطيفاً ، وهجاؤه إنْ هجا عفيفاً ، فان الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان وداعية القطيعة والهجران . وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا أرى غير هذا المذهب أصوب ، فالاقتضاء : طلب الحاجة ، وباب التلطف فيه أجود ، فان بلغ الأمر العتاب فانما هو طلب الابقاء على المودّة والمراعاة ، وفيه توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلاّ أن الناس خلطوا هذين البابين وساووا بينهما »[٧٠٠] . فمن أحسن الاقتضاء قول أمية بن أبي الصلت لعبدالله بن جدعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني	حياؤك إنّ شيمتك الحياءُ
وعِلْمُكَ بالحقوق وأنت فَرْعٌ	لك الحَسَبُ المهذّبُ والسناءُ
خليل لا يغيره صَبَاحٌ	عن الخلق الجميل ولا مساءُ
فأرْضُك كل مكرمة بَنَتْها	بنو تَيْمٍ وأنت لها سماءُ

---

(٦٩٧) تحرير ص٥٩ ، بديع القرآن ص٢٣٩ .
(٦٩٨) اللسان (قضى) .
(٦٩٩) التعريفات ص٣٤ .
(٧٠٠) العمدة ج٢ ص١٥٨ ، وينظر كفاية الطالب ص٦٩ .

إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه من تعرّضه الثناءُ

تُباري الريحَ مكرمةً وجوداً إذا ما الكلبُ أحجَره الشتاءُ

قال ابن رشيق : « فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ، ويستنزل القطر ويحط العُصْم الى السهل » ثم قال : «والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ، لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلاّ في حاجة » • فالاقتضاء غرض من أغراض الشعر وقد أفرد له ابن رشيق باباً سماه « باب الاقتضاء والاستنجاز » •

الاقتضاب :

القَضْبُ : القطع ، اقتضب الحديث : انتزعه واقتطعه •

واقتضاب الكلام ارتجاله[٧٠١] ، قال العسكري : « الاقتضاب : أخذ القليل من الكثير ، وأصله من قولهم : « اقتضَبتُ الغصنَ » إذا قطعته من شجرته ، وفيه معنى السرعة أيضاً »[٧٠٢] •

والاقتضاب عند بعضهم[٧٠٣] الاشتقاق ، وعند ابن الأثير خلاف التخلص وهو « أن يقطع الشاعر كلامه الذي فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالأول • وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين ، وأما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فأبدعوا فيه وأظهروا منه كل غريبة »[٧٠٤] • وقال التنوخي : « وأما الاقتضاب فالانتقال من كلام الى غيره بكلمة تدل على الانتقال من غير أن يعلق بعض الكلام ببعض ،

---

(٧٠١) اللسان (قضب) •
(٧٠٢) كتاب الصناعتين ص٣٩ •
(٧٠٣) حدائق السحر ص١٠٣ ؛ الفوائد ص٢٢٠ •
(٧٠٤) المثل السائر ج٢ ص٢٥٩ ، الجامع الكبير ص١٨١ •

الإقــواء :

القوة : الخصلة الواحدة من قوى الحبل ، وأقوى الحبل والوتر : جعـل بعض قواه أغلظ من بعض • يقال : أقويت حبلك وهو حبل مقوى : وهو أن ترخي قوة وتغير قوة فلا يلبث الحبل أن يتقطـع ، ومنه الاقواء في الشـعر • واشتقاقه من قولك : فتل الفاتل الحبل فأقواه • وقيل هو من الأضداد • قال الخليل بن أحمد : « وإنما سميته اقواءً لتخالفه ، لأن العرب تقول : أقـوى الفاتل إذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى »(٧١١) •

الاقواء : من عيوب الشعر ، وهو الاكفـاء وذلك « أن يختلف إعـراب القوافي فتكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو منصوبة • وهو في شـعر الأعراب كثير ودون الفحول من الشعراء ، ولا يجوز لمولّد ، لانهم قد عرفوا عيبه والبدوي لا يأبه له فهو أعذر »(٧١٢) •

وهذا هو المعنى المعروف وقيل : « إنّ الاقواء نقصان حرف من فاصلـة البيت كقول حجل بن نضلة :

حَنَّتْ نوارُ ولاتَ هنّا حنّتِ ... وبدا الذي كانت نوارُ أَجَنَّتِ

لمـا رأَتْ مـاءَ السـلا مشروبا ... والفرث يُعصـر في الاناء أرنّتِ

سمي اقواءً لانه نقص مـن عروضه قوة ، وكان يسـتوي البيت بأن تقول : « متشربا »(٧١٣) • وأوضح ابن عبد ربه هذه المسألة فقال : « فالاقواء عندهم أن تنقص قوة العروض فيكون « مفعولن » في الكامـل ويكون في الضـرب

---

(٧١١) اللسـان (قوي) ، جوهر الكنز ص٢٣٤ ، الموشح ص١٦ •

(٧١٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٧١ ، وينظر الموشح ص٣-٤ ، ٥ ، ٤٥ ، ٨١ ، القوافي للمبرد ص١٢ ، القوافي للأخفش ص٤١ ، القوافي للتنوخي ص١٣٤ •

(٧١٣) الشعر والشعراء ج١ ص٩٥ ، وينظر العمدة ج١ ص١٦٤ ، سر الفصاحة ص٢١٧ •

«متفاعلن» فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة • فيقال : «أقوى في العروض» أي : أذهب قوته »[٧١٤] • وذكر البيت الثاني مثالا •

الإكثـار :

الكثرة : نقيض القلة ، وأكثره : جعله كثيرا[٧١٥] •

جعله الأدباء من سمات بعض الكلام الذي لا يكون موجزاً ، وقالوا : « إذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً ، وإذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عيّاً »[٧١٦] أي أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولذلك كان استعمال الاكثار في مكانه من أسباب البلاغة أي أنه ليس عيباً في موضعه، ولكن إذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عيّاً • قال الجاحظ :« فان كان إياس عند نفسه عيياً فذاك أجدر بأن يهجر الاكثار ، وبعد فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعي وإنما عابوه بالاكثار »[٧١٧] •

الإكـداء :

حفر فأكدى : إذا بلغ الصلب وصادف كدية • لا يكدي : أي لا يقطع عطاءه ولا يمسك عنه • وأكدى : أمسك من العطية وقطع وأصله من الحفر في البئر ، يقال للحافر إذا بلغ في حفر البئر الى حجر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ الى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر[٧١٨] •

---

(٧١٤) العقد الفريد ج٥ ص٥٠٧ •
(٧١٥) اللسان (كثر) •
(٧١٦) عيون الاخبار ج٢ ص١٧٤ •
(٧١٧) البيان ج١ ص٩٩ •
(٧١٨) اللسان (كدا) •

الاكداء : هو امتناع القول على الشاعر ، قال ابن رشيق : « ومثل أجبل[719] أكدى ، إلا أنهم خصوا به العطاء وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئا على ما حفر »[720]. وذكروا أن زهير بن أبي سلمى قال بيتاً ونصفاً ثم أكدى ، فمرّ به النابغة فقال له : يا أبا أمامة أجز . فقال : وما قلت؟ قال : قلت :

تزيد الارض إما متّ خفاً   وتحيا إن حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقر العرض منها   .. ..

أجز ، قال : فاكدى والله النابغة ، وأقبل كعب بن زهير وانه لغلام فقال أبوه : أجز يا بني . فقال : وما أجيز؟ فأنشده فأجاز النصف بيت فقال :

... .   وتمنع جانبيها أن يزولا

فضمه زهير اليه وقال : « أشهد انك ابني »[721] .

الاكفاء :

أكفأ في سيره : جار عن القصد ، وأكفأ في الشعر : خالف بين ضروب إعراب قوافيه ، وقيل : هي المخالفة بين هجاء قوافيه إذا تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت . وقال بعضهم : الاكفاء في الشعر هو المعاقبة بين الراء واللام ،والنون والميم . قال الأخفش : زعم الخليل أنّ الاكفاء هو الاقواء ، وسمعته من غيره من أهل العلم . قال : وسألت العرب الفصحاء عن الاكفاء فاذا هم يجعلونه الفساد في آخر البيت والاختلاف من غير أن يحدوا في ذلك شيئاً إلا أني رأيت

(719) ينظر الاجبال في هذا المعجم .

(720) العمدة ج1 ص205 .

(721) الاغاني ج17 ص73 .

بعضهم يجعله اختلاف الحروف »[٧٢٢] • وقيل انه مأخوذ من « الانكفاء وهو الانقلاب ، لان الشاعر ينقلب بالروي عن طريقه »[٧٢٣] •

الاكفاء : هو الاقواء[٧٢٤] وقال ثعلب إنّه « دخول الذال على الظاء والنون على الميم ، وهي الأحرف المتشابهة على اللسان »[٧٢٥] • كقول أبي محمد القضبي :

يا دار هند وابنتي معاذِ   كأنها والعهد من أيقاظِ

فجمع الذال والظاء • وكقول الآخر :

بُنيَّ إن البرَّ شيء هيّنُ   المنطقُ الطيّبُ والطُّعيّمُ

فجمع النون والميم • وكان الخليل قد قال : « وسميت الاكفاء ما اضطرب حرف رويه فجاء مرة نوناً ومرة ميماً ومرة لاما ، وتفعل العرب ذلك لقرب مخارج الميم من النون »[٧٢٦] • وقال المرزباني : « وأما الاكفاء فاختلاف حرف الروي ، والعرب قد تخلط فيما بين الاكفاء والاقواء ، ولكن وضعنا هذه الاسماء أعلاماً لتدل على ما نريد »[٧٢٧] • وقال الجرمي : « والأخفش يضع الاكفاء في موضع السناد ، والسناد في موضع الاكفاء »[٧٢٨] •

---

(٧٢٢) اللسان (كفأ) .

(٧٢٣) العيون الغامزة ص٢٤٧ .

(٧٢٤) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٧١ ، الشعر والشعراء ج١ ص٩٥ .

(٧٢٥) قواعد الشعر ص٦١ ، وينظر القوافي للمبرد ص١٢ ، القوافي للأخفش ص٤٣ ، القوافي للتنوخي ص١٣٩ ، الكافي في علم القوافي ص١٠٠ •

(٧٢٦) الموشح ص١٦ .

(٧٢٧) الشعر والشعراء ج١ ص٤ •

(٧٢٨) الموشح ص١٧ ، وينظر العمدة ج١ ص١٦٦ .

الالتئام :

يقال : تلاءم القوم والتأموا : اجتمعوا واتفقوا ، ويقال التأم الفريقان والرجلان : إذا تصالحا واجتمعا . والتأم الجرح التئاماً : إذا برأ والتحم[٧٢٩].

الالتئام : أن تكون كلمات النظم متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها . وهذا ما تحدث القدماء عنه في باب التنافر وفصاحة الكلام وخلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات[٧٣٠] ، وذكروا له قول القائل :

وقبر حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرْ ... وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وقول أبي تمام :

كريم متى أمْدَحْهُ أمْدَحْهُ والورى ... معي وإذا ما لُمْته لُمْتُهُ وَحدي

و « عيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع واللسان ، فما لم يتعثّر الطبع بأبنيته وعقوده ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله بل استمر فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً »[٧٣١] .

قال الجاحظ : « ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : إنّ ذلك انما إعتراه إذ كان من

---

(٧٢٩) اللسان (لأم) .

(٧٣٠) ينظر الايضاح ص٥ ، التلخيص ص٢٦ ، شروح التلخيص ج١ ص٧٧ ، المطول ص٢٠ ، الأطول ج١ ص٢٣ .

(٧٣١) شرح ديوان الحماسة ج١ ص١٠ .

أشعار الجن ، صدقوا ذلك • ومن ذلك قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين استبطأه •••• :

لم يَضُرْها ــ والحمد لله شيء ــ واثنت نحو عَزْقِ نَفْسٍ ذَهولِ

فَتَفَقَّد النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض •

وأنشدني أبو العاصي قال : أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد عَلَّة يكدّ لسان الناطق المتحفظ[٧٣٢]

وقال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي :

وشعرٍ كبعرِ الكبش فَرَّقَ بينه لسانُ دعيٍّ في القريض دخيلِ

أما قول خلف : « وبعض قريض القوم أولاد عَلَّةٍ » فانه يقول : إذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العَلاّت • وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً كان على اللسان عند إنشاد الشعر مؤونة • قال: وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً وسُبِكَ سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان »[٧٣٣] •

ومن ذلك قول أبي حية النميري :

رَمَتْني وسِتْرُ الله بيني وبينها عَشِيَّةَ آرام الكِناسِ رَميمُ

رميمُ التي قالت لجارات بيتها ضَمِنْتُ لكم ألاّ يزال يهيمُ

---

(٧٣٢) أولاد علة : بنو رجل واحد من امهات شتى .

(٧٣٣) البيان ج١ ص٦٥ .

ألا رُبَّ يومٍ لو رَمَتْني رميتُها ولكنّ عهدي بالنضال قديمُ

فهذه الأبيات من الشعر المتلائم الجميل :

وذكر الرماني مثل ما ذكر الجاحظ وقال إن « المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله »[٧٣٤] ، ونقل ابن رشيق كلام الجاحظ في باب النظم[٧٣٥] .

الالتـزام :

الالتزام : هو الارتباط بالشيء ، يقال : لزم الشيء يلزمه والتزمه وألزمه إياه فالتزمه[٧٣٦] .

والالتزام : هو الاعنات وقد تقدم . ويسمى التضييق أو التشديد أو لزوم ما لا يلزم ، وهذا الأخير أكثر استعمالاً . وممن سماه التزاماً ابن مالك والمصري والحموي والسيوطي والمدني[٧٣٧] .

الالتفات :

لفت وجهه عن القوم : صرفه ، والتفت التفاتاً . يقال : لفتّ فلاناً عن رأيه أي صرفته عنه ، ومنه الالتفات[٧٣٨] .

الالتفات من أساليب العرب القديمة وقد ورد في قول امرىء القيس :

---

(٧٣٤) النكت في إعجاز القرآن ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٨٨ .

(٧٣٥) العمدة ج١ ص٢٥٧ .

(٧٣٦) اللسان (لزم) .

(٧٣٧) المصباح ص٨١ ، تحرير ص٥١٧ ، بديع القرآن ص٢٢٧ ، خزانة الأدب ص٢٤ ، معترك ج١ ص٥١ ، شرح عقود الجمان ص١٥٥ ، أنوار الربيع ج٦ ص٩٣ .

(٧٣٨) اللسان (لفت) .

تطـاولَ ليلُكَ بالاثمدِ   ونام الخـلـيُّ ولـم ترقـدِ

وباتَ وباتَتْ له ليلـةٌ   كليلة ذي العـائر الأرْمـدِ

وذلك من نبـأ جـاءني   وخُبّرته عن أبي الأسْـوَدِ

قال الزمخشري : «وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات»(٧٣٩).
ثم قال : « وتلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولان الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع وايقاظـاً للاصغاء اليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد»(٧٤٠).

وجاء الالتفـات في كتاب الله العـزيز ، قال تعالى : « الحمـدُ لله ربِّ العالمينَ • الرحمن الرحيم • مالِكِ يَوْمِ الـدينِ • إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نسـتعينُ »(٧٤١) ، فقد التفت من الغيبة الى الخطاب • وجاء في كلام العرب ، وانتبه القدماء لمثل هذا الاسلوب وذكره الفراء ولم يسمّه(٧٤٢) ، وذكـره أبو عبيدة وقال : « والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد فترجـع الى الشـاهد »(٧٤٣) •

ولعل الأصمعي أول من سماه التفاتاً(٧٤٤) ، وأدخله ابن قتيبة في باب « مخالفـة ظاهر اللفظ معناه »(٧٤٥) • وقال المبرد : « والعـرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب • قال الله ـ جلّ وعز ـ:

---

(٧٣٩) الكشـاف ج١ ص١١ .
(٧٤٠) الكشاف ج١ ص١٢ .
(٧٤١) الفاتحـة ٢ـ٥ .
(٧٤٢) معاني القرآن ج١ ص٦٠ ، ١٩٥ ، ٤٦٠ ، وينظر جمهرة أشعار العرب ص١٣
(٧٤٣) مجاز القرآن ج١ ص١٣٩ ، وينظر ج١ ص١١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣ .
(٧٤٤) حلية المحاضرة ج١ ص١٥٧ ، كتاب الصناعتين ص٣٩٢ ، العمدة ج٢ ص٤٦
(٧٤٥) تأويل مشـكل القرآن ص٢٢٣ .

« حتى إذا كُنْتُمْ في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بهم بريحٍ طيِّبَةٍ »[٧٤٦] كانت المخاطبه للأمة ثم انصرفت الى النبي ــ صلى الله عليم وسلم ــ إخباراً عنهم . وقال عنترة :

شَطَّتْ مزارُ العاشقين وأصبحتْ عَسِراً عليَّ طلابك ابنةَ مَخْرَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها »[٧٤٧] .

والالتفات أول محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز بعد فنون البديع الخمسة ، وقال : « هو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار وعن الاخبار الى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه الى معنى آخر »[٧٤٨] . وسماه ابن وهب «الصرف»[٧٤٩] وسماه ابن منقذ وابن شيث القرشي «الانصراف»[٧٥٠] ، وسماه قوم «الاعتراض»[٧٥١] . وقد تحدث عنه قدامة في نعوت المعاني وقال : « هو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن راداً يردّ عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعاً على ما قدمه ، فاما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه »[٧٥٢] . وهذا هو الاعتراض أو الرجوع ، وقد عدّه العسكري النوع الثاني من الالتفات ، أما النوع الاول فهو ما ذكره الأصمعي[٧٥٣] .

---

(٧٤٦) يونس ٢٢ .
(٧٤٧) الكامل ج٢ ص٧٢٩ .
(٧٤٨) البديع ص٥٨ ، وينظر العمدة ج٢ ص٤٦ ، المنصف ج١ ص٥٣ ، المنزع ص٤٤٢ .
(٧٤٩) البرهان في وجوه البيان ص١٥٢ .
(٧٥٠) البديع في نقد الشعر ص٢٠٠ ، معالم الكتابة ص٧٦ .
(٧٥١) حلية المحاضرة ج١ ص١٥٧ ، العمدة ج٢ ص٤٥ .
(٧٥٢) نقد الشعر ص١٦٧ ، وينظر حسن التوسل ص٢٢٤ .
(٧٥٣) كتاب الصناعتين ص٣٩٢ .

ويتضح أنّ الالتفات لم يكن واضحاً عند قدامة والعسكري وضوحه عند المتقدمين •

ونقل الباقلاني رواية الاصمعي ، وقال عن بيت جرير :

متى كان الخيامُ بذي طلوح ... سُقيتِ الغيثَ أيّتُها الخيامُ

« ومعنى الالتفات انه اعترض في الكلام قوله : « سقيت الغيث » ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً وكان الكلام منتظماً »(٧٥٤) ، ولذلك قال الحاتمي: « وقد سماه قوم الاعتراض »(٧٥٥) ، وقال ابن رشيق : « وهو الاعتراض عند قوم ، وسماه الآخرون الاستدراك »(٧٥٦) • وقال الصنعاني : « ويسمى الاعتراض » وعرّفه تعريف الالتفات فقال : « هو الانصراف عن الاخبار الى المخاطبة ، وعن المخاطبة الى الاخبار » • ثم قال : « وقيل : الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعدل عنه الى غيره قبل تمام الأول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة وزيادة حسنة »(٧٥٧) • وهذا هو الاعتراض أو الرجوع •

وتحدث عنه التبريزي في فصل مستقل في حين أنه أفرد الاستدراك والرجوع بفصل آخر(٧٥٨) •

وبدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً بعد ذلك ، وقد عرّفه الرازي بقوله : « انه العدول عن الغيبة الى الخطاب أو على العكس »(٧٥٩) • وأدخله

(٧٥٤) إعجاز القرآن ص١٥٠ .
(٧٥٥) حلية المحاضرة ج١ ص١٥٧ .
(٧٥٦) العمدة ج٢ ص٤٥ ، وينظر كفاية الطالب ص١٩٠ .
(٧٥٧) الرسالة العسجدية ص١٤٦ •
(٧٥٨) الوافي ص٢٧٨ ، وينظر قانون البلاغة ص١١٠ ، ورسائل البلغاء ص٤٧ •
(٧٥٩) نهاية الايجاز ص١١٢ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٨ .

السكاكي في علم البيان ، وذكره في علم البديع أيضاً[٧٦٠] . وتحدث عنه ابن الأثير باسهاب وأوضح حقيقته وذكر أنواعه ، وهي : الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ، والرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر ، والاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي . وسماه « شجاعة العربية »[٧٦١] أيضاً .

وسار معظم البلاغيين على خطى السكاكي في دراسة الالتفات[٧٦٢] ، وفرق المصري بينه وبين غيره فقال : « والفرق بين الاحتراس والالتفات أن الاعتراض والانفصال يكونان في بيت واحد وفي بيتين وفي آية وفي آيتين ، والالتفات لا يكونان فيه إلا في بيت واحد وآية واحدة »[٧٦٣] .

الالتقاط :

لقطه والتقطه : أخذه من الأرض[٧٦٤] .

والالتقاط والتلفيق من أنواع السرقات ، وقد جمعهما الحاتمي في باب واحد وقال : « وهي ترقيع الالفاظ وتلفيقها واجتذاب الكلام من أبيات حتى ينظم بيتاً »[٧٦٥] . ومن التلفيق قول يزيد بن الطثرية :

إذا ما رآني مقبلاً غضَّ طَرْفَهُ ‏ ‏ كأنَّ شعاعَ الشمسِ دوني يقابله

---

(٧٦٠) مفتاح العلوم ص٩٥ ، ١١٨ ، ٢٠٠ .

(٧٦١) ينظر المثل السائر ج٢ ص٤ ، الجامع الكبير ص٩٨ .

(٧٦٢) الايضاح ص٧١ ، التلخيص ص٩٤ ، عروس الافراح ج١ ص٤٦٣ ، المطول ص١٣٠ ، المختصر ج١ ص٤٦٣ ، شرح عقود الجمان ص٢٨ ، الأطول ج١ ص١٥٣ ، مواهب الفتاح ج١ ص٤٦٣ ، الاقصى القريب ص٤٤ ، الطراز ج٢ ص١٣١ ، نفحات الازهار ص٥٣ و٥٤ .

(٧٦٣) تحرير التحبير ص١٢٥ .

(٧٦٤) اللسان (لقط) .

(٧٦٥) حلية المحاضرة ج٢ ص٩٠ .

فقوله : « إذا ما رآني مقبلا » من قول جميل :

إذا ما رأوني طالعاً من ثَنيَّة يقولون : مَنْ هذا؟ وقد عرفوني

وقوله : « غضّ طرفه » من قول جرير :

فَغُضّ الطَّرفَ إنك من نُمير فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كلابا

وقوله : « كأن شعاع الشمس دوني يقابله » من قول عنترة بن عكبرة الطائي:

وإذا أبْصَرْتَني أعرضْتَ عني كأنّ الشمسَ من قِبلي تدورُ

ومن الالتقاط والترقيع قول ابن هرمة :

كأنك لم تَسِرْ بجنوب خلص ولم تُلْمِمْ على الطَّلَلِ المحيلِ

التقطه ولفقه من بيتين أحدهما قول جرير :

كأنك لم تَسِرْ ببلاد نُعْمٍ ولم تنظر بناظره الخياما

فصدر بيت ابن هرمة من صدر البيت ، وعجزه من قول الكميت :

ألم تلممْ على الطلل المحيلِ بفيد وما بكاؤك بالطلول

وذكر ابن رشيق الالتقاط والتلفيق ولم يعرّفهما واكتفى ببعض أمثلة الحاتمي[766] . وعرّف ابن منقذ الالتقاط بقوله : « وهو ما يتطارحه العلماء والشعراء والكتاب بينهم ، وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت أو من كلمتين أو ثلاثة أو غير ذلك مثلما ذكر في كتاب الصناعتين التلفيق والالتقاط ، وهو أن يكون البيت ملفقاً من أبيات قبله »[767] . وذكر أمثلة الحاتمي وابن رشيق .

(٧٦٦) العمدة ج٢ ص٢٨٩ ، وينظر كفاية الطالب ص١٢٠ .
(٧٦٧) البديع في نقد الشعر ص٢٠١ .

الجام الخصم بالحجة :

الجام الخصم بالحجة هو الاحتجاج النظري وقد تقدم ، أو المذهب الكلامي ، وقد سماه الزركشي « الجام الخصم بالحجة » وقال : « هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه . والعجب من ابن المعتز في بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه »(٧٦٨) .

الالغاز :

ألغز الكلام وألغز فيه : عمّى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره . واللغز : ما ألغز من كلام فشبّه معناه ، واللغز : الكلام الملبس ، وقد ألغز في كلامه إلغازاً : إذا ورّى فيه وعرّض ليخفى . واللغز واللغيزى والالغاز : حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الارض(٧٦٩) .

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد ذكره فقال : « رأيت أعرابياً يسأل أعرابياً عن البلصوص ما هو ؟ فقال : طائر . قال : فكيف تجمعه ؟ قال : البلنصى . قال الخليل : « فقد ألغز رجاز فقال : « فما البلصوص يتبع البلنصى » كان لغزاً »(٧٧٠) . وعقد الجاحظ باباً في اللغز والجواب(٧٧١) ، وهو أقرب الى أسلوب الحكيم . وقال الحاتمي : « وانما سمي اللغز لغزاً ، لان اللغز والالغاز ما خفي مذهبه وبعد مطلبه ، مأخوذ من الارض اللغز واللغيزى

---

(٧٦٨) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٤٦٨ .
(٧٦٩) اللسان (لغز) .
(٧٧٠) مراتب النحويين ص٦٣ .
(٧٧١) البيان ج٢ ص١٤٧ .

وهي الخفية »[٧٧٢] • وقال ابن وهب : « هو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاياة والمحاجة • والفائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في تصحيح المعاني واخراجها من المناقضة والفساد الى معنى الصواب والحق وقدح الفطنة في ذلك واستنجاد الرأي في استخراجها »[٧٧٣] • ومنه قول الشاعر :

ربَّ ثورٍ رأيتُ في جحر نملٍ ونهارٍ في ليلةٍ ظلماءِ

فالثور ههنا القطعة من الأقط وهي اللبن اليابس ، والنهار : فرخ الحبارى فاذا استخرج هذا صحّ المعنى ، وإذا حمل على ظاهر لفظه كان محالا •

وقال ابن سنان : « إن الموضوع على وجه الالغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه ، وجعل ذلك فناً من الفنون التي يُستخرج بها أفهام الناس وتمتحن أذهانهم »[٧٧٤] • وذكر أن شيخه أبا العلاء المعري كان يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً •

والالغاز عند ابن الاثير الأغاليط من الكلام أو الأحاجي ، وقد يسمّى المُعَمّى ، قال : « وأما اللغز والأحجية فانهما شيء واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ حقيقةً ومجازاً ، ولا يفهم من عرضه ، لان قول القائل في الضرس :

وصاحبٍ لا أملُّ الدهر صُحْبَتَهُ يشقى لنفعي ويسعى سَعيَ مجتهدِ

ما إنْ رأيتُ له شخصاً فمذ وَقَعَتْ عيني عليه افترقنا فُرقَةَ الأبدِ

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ، ولا من طريق المجاز ، ولا من طريق المفهوم ، وإنما شيء يحدس ويحزر »[٧٧٥] •

(٧٧٢) حلية المحاضرة ج٢ ص١٧٨ .
(٧٧٣) البرهان في وجوه البيان ص١٤٧ .
(٧٧٤) سر الفصاحة ص٢٦٥ .
(٧٧٥) المثل السائر ج٢ ص٢٢٤ .

وسماه المصري « الألغاز والتعمية » وقال : « إن الالغاز يسمى المحاجاة . والتعمية أعم أسمائه وهو « أن يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه ، وهو يكون في النثر والشعر »[٧٧٦] .

والألغاز عند العلوي الاحجية قال : « وهو ميلك بالشيء عن وجهه، واشتقاقه من قولهم : « طريق لغز » إذا كان يلتوي ويشكل على سالكه،ويقال له « المعمى أيضاً »[٧٧٧] . وذكر البيتين السابقين في الضرس . ومن ذلك وصف المتنبي للسفن في قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة عند ذكرها لصورة الفرات :

وحشاه عاديةً بغير قوائم عُقُمُ البطون حوالِكُ الأبدانِ

تأتي بما سَبَتِ الخيولُ كأنها تحتَ الحسان مرابضُ الغِزْلانِ

ولا يخرج كلام الحلي ، والحموي ، والسيوطي ، والمدني ، والنابلسي[٧٧٨] عما ذكره المتقدمون .

الالمــام :

ألمَّ إلماماً : اقترب منه، وقد ألمَّ به : نزل . والالمام : النزول والزيارة غباً[٧٧٩] . والالمام بالشيء : معرفته ، وتجيء بمعنى انه لم يتعمق فيه . والالمام من السرقات ، قال ابن رشيق إنه « ضرب من النظر »[٧٨٠] . ومنه قول أبي الشيص :

---

(٧٧٦) تحرير التحبير ص٥٧٩ .
(٧٧٧) الطراز ج٣ ص٦٦ .
(٧٧٨) شرح الكافية البديعية ص٢١٢ ، خزانة الأدب ص٣٩٣ ، شرح عقودالجمان ص١٣٧ ، أنوار الربيع ج٦ ص٤٠ ، نفحات الازهار ص٣٠ .
(٧٧٩) اللسان (لمم) .
(٧٨٠) العمدة ج٢ ص٢٨٧ ، وينظر كفاية الطالب ص١١٠ .

أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً حُبّاً لذكرك فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

وقول المتنبي :

أَأُحِبُّه وأحِبُّ فيه ملامةً إنّ الملامةَ فيه من أعدائِه

قال ابن رشيق : « وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة ، وهو يعدّه في باب السرقات »[781] • وكان الجرجاني القاضي قد علق على البيتين بقوله : « ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب وقصد به النقض »[782] •

وقال القزويني : «وإن كان المأخوذ المعنى وحده سمي إلماماً وسلخاً»[783] وقال التنوخي : « هو أخذ المعنى من ضده »[784] وذكر بيتي أبي الشيص والمتنبي •

وللإلمام معني آخر ، قال ابن شيث القرشي : « الالمام : وهو مصدر قولك: « ألمّ يلم إلماماً » واللمم الصغيرة والكبيرة من الذنوب وهو أن يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبني عليها فصلاً ، ثم يتفق أن يستعمل كلمة أخرى أجنبية فينافر ما بين اللفظين وينافي ما بين المعنيين فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاءً ويعيدها في أول الفصل الثاني وهو مثل قولك : « أفاض الله عليك نعمه وأضاف اليه قسمه » ومنه : « قرّف فلان بتكذيبه ففرق بينه وبين محبوبه » • ويقال : « لاح لفلان سبيل رشده فحال بينه وبين ضده » • ومنه :

جلّ عن مشبهٍ يساويه في الفَضْـ ـلِ كما لجّ في اقتناء الفخارِ[785]

---

(٧٨١) العمدة ج٢ ص١٠٣ .
(٧٨٢) الوساطة ص٢٠٦ .
(٧٨٣) الايضاح ص٤٠٨ ، وينظر زهر الآداب ج١ ص١٢-١٣ •
(٧٨٤) الأقصى القريب ص١٠٨ •
(٧٨٥) معالم الكتابة ص٧٢ •

وهذا هو الضرب الثاني من المشبه بالتجنيس الذي سمي معكوساً ، وقد ذكر ابن الأثير عكس الحروف[786] ، وهو شبيه بما ذكره ابن شيث •

الالهــــام :

ألهمه الله خيراً : لقنه إياه ، والالهام ما يلقى من الروع ، والالهام : أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي يختصّ به من يشـــاء من عباده[787] •

وقد وصف بعض الشعراء بأنهم ملهمون كذي الرمة[788] ، وذكر الجاحظ الالهام عند الحيوان ويريد به ما أوحى الله اليه كالنحل الذي يصنع خلاياه مع عجيب القسمة التي فيها مما لا يحسن أن يعمله مثل بيت العنكبوت ، وليس الانسان كذلك فهو قادر على أن يتعلم أية صنعة إذا ملك التصرف وخــوّل الاستطاعة[789] • ويدعي كثير من الشعراء أنهم يلهمون الشعر الهاماً أي وحياً •

الامتنـــاع :

المنع : أن تحول بين الرجل والشيء الذي يريده[790] •

وكان قدامة قد تحدث في باب العيوب العامة للمعاني عن إيقاع الممتنع ، وفرّق بينه وبين المتناقض قال : « ومن عيوب المعاني ايقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه • والفرق بين الممتنـــع والمتناقض أن المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوّره في الوهم ، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصوّر في

---

(٧٨٦) المثل السائر ج١ ص٢٦٠–٢٦٣ •

(٧٨٧) اللســـان (لهم) •

(٧٨٨) الأغـــاني ج١٨ ص٧ •

(٧٨٩) الحيـوان ج٢ ص١٤٧ •

(٧٩٠) نقد الشـــعر ص٢٤٢ •

الوهم » ومما جاء في الشعر وفد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يا أمينَ اللـه عِشْ أبداً — دُمْ على الأيام والزَّمَنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله : « عِشْ أبداً » أو دعا له ، وكلا الأمرين مما لا يجوز مستقبح •

وقال البغدادي : « وأما الامتناع : فهو الذي وإن كان لا يوجد فيمكن أن يتخيل ، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة ، مثل أن تركّب أعضاء حيوان ما على جثة آخر فان ذلك جائز في التوهم ، ولكنه معدوم في الوجود »(٧٩١) •

الأمثال :

المثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله ، والجمع:الأمثال(٧٩٢)• ولخص الميداني ما قيل في المثل فقال : « قال المبرد : المثل مأخوذ من المثال ، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول ، والاصل فيه التشبيه •••

قال ابن السكيت : المثل : لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره •

وقال غيرهما : سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب •

وقال ابراهيم النظام : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو في نهاية الغاية •

---

(٧٩١) قانون البلاغة ص٣٩ ، رسائل البلغاء ص٤١٣ •

(٧٩٢) اللسان (مثل) •

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث » .

ثم قال الميداني : « فالمثل : ما يمثل به الشيء أي يشبّه كالنكل من ينكّل به عدوه ، غير أن المِثْل لا يوضع في موضع هذا المَثَل وإن كان المثل يوضع موضعه ، فصار المثل اسماً مصرحاً لهذا الذي يضرب ثم يرد الى أصله الذي كان له من الصفة »[٧٩٣] .

وقال ابن وهب : « وأما الأمثال فان الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الامثال ويبينون للناس تصرّف الاحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً وأقرب مذهباً »[٧٩٤] .

وسمى الجاحظ الاستعارة مثلاً ، وقال في تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة :

هُمُ ساعِدُ الدهر الذي يُتّقى به   وما خير كفٍّ لا تَنُوءُ بساعِدِ

« قوله : « هم ساعد الدهر » إنما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع »[٧٩٥] . وهذه تسمية القدماء ، قال المظفر العلوي : « وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون : « فلان كثير الأمثال » ولقبها بالاستعارة ألزم ، لانه أعم ، ولان الامثال كلها تجري مجرى الاستعارة »[٧٩٦] .

والأمثال في القرآن الكريم وكلام العرب كثيرة ، وقد تقدمت صور منها في « إرسال المثل » و « إرسال المثلين » .

---

(٧٩٣) مجمع الامثال ج١ ص٥–٦ .
(٧٩٤) البرهان في وجوه البيان ص١٤٥ .
(٧٩٥) البيان ج٤ ص٥٥ .
(٧٩٦) نضرة الاغريض ص١٣٣ .

الانتحـال :

نحله القول ينحله نحلاً : نسبه اليه ، ونحلته القول : إذا أضفت اليه قولا قاله غيره وأدعيته عليه • وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا : إذا انتسب اليه• ويقال : نُحل الشاعرُ قصيدة : إذا نسبت اليه وهي من قيل غيره[٧٩٧] •

الانتحال : ضرب من السرقة ، وهو أن يأخذ الشـاعر قصيدة أو أبيـاتاً لشاعر آخر وينتحلها لنفسه ، قال جرير :

إنّ الذين غـدوا بلبك غـادروا وشلاً بعينك لا يزال معينـا

غيّضْنَ من عَبَراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهـوى ولقينـا

فان الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي، وقد انتحلها جرير[٧٩٨]• وفرّق القدماء بين الانتحال والادعاء ، قال ابن رشيق : « وإن ادعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقال منتحل إلاّ لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدّعٍ غير منتحل »[٧٩٩] •

والانتحال : أن ينسب الى الشاعر ما ليس له ، أو ينسب الأديب أعمالـه الى غيره لاسباب ذكر الجاحظ منها لونين :

الأول : التأكد من قيمة القصيـدة أو القطعة النثرية قبل نشـرها ، قال الجاحظ : « فان أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب الى هذا الأدب فقرضت قصيدة و حبّرتَ خطبة أو ألّفت رسالة ، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن اعرضه على العلماء

---

(٧٩٧) اللسـان (نحل) •

(٧٩٨) حلية المحاضرة ج٢ ص٣٠ ، العمدة ج٢ ص٢٨٣ ، الرسالة العسجدية ص٥٣

(٧٩٩) العمدة ج٢ ص٢٨٢ ، وينظر كفاية الطالب ص١١٤ •

في عرض رسائل أو أشعار أو خطب ، فان رأيت الاسماع تصغي له ، والعيون تحدج اليه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله »(٨٠٠)

الثاني : حسد المعاصرة ، وكان الجاحظ ينحل بعض كتبه ورسائله غيره ، قال : « وربما ألّفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فاترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدّمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتّابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ ويكتبونه بخطوطهم ويصيّرونه إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة ، ويأتم بهم قوم فيه ، لانه لم يترجم باسمي ولم ينسب الى تأليفي»(٨٠١) .

وأخذت قضية الانتحال عناية كبيرة ، وكان ابن سلام من أعمق الذين بحثوها ، قال : « وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربية ، ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف .وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء »(٨٠٢) . وأرجع الانتحال الى أسباب منها : الرواة ، والعصبية القبلية، ويتجلى عمل الرواة فيما نقلوا من أشعار بلا تدقيق كما فعل حماد الراوية الذي « كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار »(٨٠٣) . قال : « ما من شاعر إلاّ قد زِدْتُ في شعره أبياتاً فجازت عليه إلا الأعشى ،

---

(٨٠٠) البيان ج١ ص٢٠٣ ، وينظر الرسالة العذراء ــ رسائل البلغاء ص٢٤٢ .
(٨٠١) كتاب فصل ما بين العداوة والحسد ــ رسائل الجاحظ ج١ ص٣٥١ .
(٨٠٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٤ .
(٨٠٣) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٤٨ .

أعشى بكر ، فاني لم أزد في شعره قط غير بيت فأفسدت عليه الشعر »[٨٠٤] . وخلف الأحمر الذي كان « مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء »[٨٠٥] .

ويبدو عمل العصبية فيما أضافت القبائل الى نفسها من شعر بعد أن وجدت شعرها قليلاً ، قال ابن سلام : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرواة فزادوا في الأشعار التي قيلت »[٨٠٦] . وقال انه : « ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون » . ووضع بعض الأسس لمعرفة ذلك محتكماً الى التأريخ ولهجات العرب ونزعة الشاعر ، وأشار هو وغيره الى بعض ذلك المنحول من شعر حسان بن ثابت ، ومجنون ليلى ، والفرزدق ، ويزيد بن ضبة ، وذي الرمة ، والأعشى ، وخالد بن يزيد ، وأبي نواس ، والمهلهل[٨٠٧] .

ولم تسلم الخطب من الانتحال ، قال الجاحظ : « وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة صحيحة ومدخولة لا يخفى شأنها على نقاد الالفاظ وجهابذة المعاني متميزة عند الرواة الخلص »[٨٠٨] .

---

(٨٠٤) العقد الفريد ج٥ ص٣٠٧ ، والبيت هو :

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

(٨٠٥) العقد الفريد ج٥ ص٣٠٧ . الامتاع والمؤانسة ج١ ص٥٦-٥٧ ، رسالة الغفران ص٢٨٢ .

(٨٠٦) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٤٦ .

(٨٠٧) ينظر طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢١٥ ، الشعر والشعراء ج٢ص٥٦٣ ، الأغاني ج٢ ص٢٧٤ ، ج٧ ص١٠٣ ، ج١٧ ص١٧٦ ، ٣٤٤ ، ج١٨ ص١٦ ، ٢٦ ، طبقات الشعراء ص٨٩ ، فحولة الشعراء ص٢٢ ، بيان إعجاز القرآن – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٢٢ .

(٨٠٨) البيان ج٤ ص٣١ .

ودخلت لفظة « الانتحال » كتب البلاغة وأصبحت تدل على النسخ . قال القزويني : « فان كان المأخوذ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود ، لانه سرقة محضة ، ويسمى نسخاً وانتحالا ، كما حكي أن عبدالله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده :

إذا أنت لم تُنْصِفْ أخاكَ وَجَدْتَه على طَرَفِ الهجران إن كان يعقلُ

ويركب حدَّ السيف من أنْ تضيمه إذا لم يكن عن شفرةِ السيف مَزْحَلُ

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدي يا أبا بكر ؟ ولما يفارق عبدالله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشد كلمته التي أولها :

لَعَمْرُكَ ما أدري واني لأوْجَلُ على أيِّنا تأتي المنيةُ أوَّلُ

حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبدالله ، فأقبل معاوية على عبدالله وقال له : ألم تخبرني أنهما لك؟ فقال : المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو أخي من الرضاعة وأنا أحق بشعره »[٨٠٩] .

الانتزاع :

نزع الشيء ينتزعه نزعاً وانتزع : اقتلعه . وفرّق سيبويه بين « نزع » و « انتزع » فقال : « انتزع : استلب ، ونزع : حوّل الشيء عن موضعه وإن كان على نحو الاستلاب » . وانتزع بالآية والشعر : تمثل ، ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله — عز وجل — : قد انتزع معنى جيداً ، ونزعه مثله أي : استخرجه [٨١٠] .

---

(٨٠٩) الايضاح ص٤٠٣ .

(٨١٠) اللسان (نزع) .

الانتزاع : هو أخذ معنى غريب من معنى آخر كقول مسلم بن الوليد :

تظلّمَ المالُ والأعداءُ من يَدِهِ   لا زال للمال والأعداء ظلاّمـا

انتزعه من قول أبي نواس :

بُحَّ صوت المال مما   منك يدعو ويصيحُ

قال الصفدي : « فقول مسلم أفصح ، ومعناه أبلغ »(٨١١) .

الانتكـاث :

النكث : نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها ، يقال : نكثه فانتكث ، وتناكث القوم عهودهم : نقضوها(٨١٢) .

سماه ابن منقذ « الانتكاث والتراجع » وقال : « هو أن ينقض الشـاعر قوله بقول آخر ، أو ينقض مما زاد فيه »(٨١٣) . كما عابوا على امرىء القيس قولـه :

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ   كفاني ــ ولم أطلب ــ قليلٌ من المالِ

ولكنما أسعى لمجْـدٍ مؤثَّلٍ   وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثّلَ أمثالي

وقوله :

فتملأُ بيتنا أقطـاً وسَمْناً   وَحَسْبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وريُّ

لانه وصف نفسه في موضع بسمو الهمة الى الأمور العظيمة ، وفي موضع آخر بالقناعة والشبع والري .

---

(٨١٣) البـديع في نقد الشعر ص١٨٢ .
(٨١١) نصـرة الثـائر ص٢٠٩ .
(٨١٢) اللســان (نكث) .

وكان قدامة قد تحدث عن هذه الأبيات في باب مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين ، ورأى أن امرأ القيس لم يناقض نفسه ، قال : « انه لـو تصفح أولاً قول امرىء القيس حق تصفحه لم يوجد ناقض معنى بآخر ، بل المعنيان في الشعرين متفقان إلاّ انه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر وليس أحد ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض ، وذلك انه قال فى أحد المعنيين : « فلو أنني أسعى لأدنى معيشة كفاني قليل من المال » وهـذا موافق لقوله : « وحسبك من غنى شـبع وري » لكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء وهو قوله : « لكنني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجـد أؤثله » . فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الانسـان باليسير في الشـعرين متوافقان ، والزيادة في الشعر الأول التي دلّ بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ولا تنسخه »[814] .

الانتهـاء :

النُهية والنهاية : غاية كل شيء وآخره ، وانتهى الشيء : بلغ نهايته[815] .

قال ابن رشيق : « وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منهـا في الأسماع . وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعـده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه . وقد أربى أبو الطيب على كل شـاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة[816] ، إلاّ انه ربما عقّد أوائل الاشعار ثقةبنفسه وإغراباً على الناس»[817] ، كقوله في أول قصيـدة :

---

(٨١٤) نقد الشـعر ص٢٠ .
(٨١٥) اللسـان (نهي) .
(٨١٦) أي : الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء .
(٨١٧) العمـدة ج١ ص٢٣٩ .

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسِمُه بأن تَسْعدا والدمع أشفاه ساجمه

ثم قال : « ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها راغبة مشتهية ، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة ، كل ذلك رغبة في أخذ العقود واسقاط الكلفة . ألا ترى معلقة امرىء القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل من شدة المطر :

كأنَّ السباعَ فيه غرقى غُدَيَّةً بأرجائه القصوى أنابيش عُنْصُلِ [818]

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات ، وهي أفضلها . وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء » .

وسماه القزويني الانتهاء أيضاً ، وقال : « ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصحَّ معنى . الاول الابتداء ... والثاني التخلص ... والثالث الانتهاء ، لانه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس »[819] . وسار شراح التلخيص على سبيل القزويني في الانتهاء[820] وسماه الحلبي : « براعة المقطع »[821] وفعل مثله النويري[822] وسماه المصري

« حسن الخاتمة » وذكر انه من مستخرجاته[823] وليس الامر كذلك فقد سماه شبيب بن شيبة « جودة القطع »[824] ، وسمي « براعة المقطع » و« الانتهاء»

(818) العنصل : بصل بري يعمل منه خل شديد الحموضة . الأنابيش : العروق.
(819) الايضاح ص٤٣٤ ، التلخيص ص٤٣٤ .
(820) شروح التلخيص ج٤ ص٥٤٣ ، المطول ص٤٨١ ، الأطول ج٢ ص٥٩ .
(821) حسن التوسل ص٢٥٥ .
(822) نهاية الأرب ج٧ ص١٣٥ .
(823) تحرير التحبير ص٦١٦ ، بديع القرآن ص٣٤٣ .
(824) البيان ج١ ص١١٢ .

و « حسن المقطع » ، و « حسن الخاتمة » ، و « براعة الختام » ، و« حسن الختام »[825] .

ومن الانتهاءات المرضية قول أبي تمام في خاتمة قصيدة فتح عمورية :

إنْ كان بين صُروف الدهر من رَحِمٍ
موصولةٍ أو ذِمامٍ غير مقتضبِ

فبين أيامِك اللاتي نُصِرْتَ بها
وبين أيام بَدْر أقربُ النَّسَبِ

أبقت بني الأصفرِ الممراضِ كاسمهم
صُفْرَ الوجوه وجَلَّتْ أوجُهَ العَرَبِ

الانسجام :

انسجم الماء والدمع : انصب ، والانسجام : الانصباب[826] . قال ابن منقذ : « الانسجام أن يأتي كلام المتكلم شعراً من غير أن يقصد اليه ، وهو يدل على فور الطبع والغريزة »[827] .

وقال المصري : « هو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم ، سهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره ، مع خلوه من البديع ، وبعده عن التصنيع . وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود كمثل الكلام المتزن الذي تأتي

(٨٢٥) ينظر الوساطة ص٤٨ ، المصباح ص١٢٦ ، شرح الكافية البديعية ص٣٣٣ ، خزانة الادب ص٤٦٠ ، انوار الربيع ج٦ ص٣٢٤ ، نفحات الازهار ص٣٤١ .
(٨٢٦) اللسان (سجم) .
(٨٢٧) البديع في نقد الشعر ص١٣١ .
(٨٢٨) تحرير التحبير ص٤٢٩ .

به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كمثل أشطار وأنصاف وأبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز »(٨٢٨) .

والانسجام على ضربين : ضرب يأتي مع البديع الذي لم يقصد كقوله تعالى : « إنّما أشْكو بَثّي وحُزْني الى اللهِ ، وأعْلَمُ من اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ »(٨٢٩) ، فقد وقع فيه تعطف في قوله : « الى الله » و « وأعلم من الله » الى جانب ما فيه من سلامة وانسجام .

وضرب لا بديع فيه كقوله تعالى : « خُذِ العَفْوَ وامُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجاهلينَ »(٨٣٠) . وأكثر آي القرآن الكريم من شواهد هذا الباب(٨٣١) .

ويختلف كلام المصري عن كلام سابقه ، فالأول يريد به مجيء الجملة الموزونة أو الشطر أو البيت في الكلام ، وهو ما ذكره المصري في آخر تعريفه ، أما أول كلامه فيريد به الانسجام بمعناه العام ، وهو أن يتحدر الكلام تحدرَ الماء المنسجم ، سهولة سبك ، وعذوبة لفظ . والى ذلك ذهب ابن قيم الجوزية ، والحلي ، والحموي ، والسيوطي ، والمدني ، والنابلسي(٨٣٢) .

ومن الانسجام الذي وقع في الأشعار المقصودة قول أبي تمام :

إن شئتَ ألاّ ترى صَبْراً لمصطبرٍ ... فانظر على أيّ حال أصبح الطَّلَلُ

وقوله :

نَقّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

---

(٨٢٩) يوسف ٨٦ .
(٨٣٠) الأعراف ١٩٩ .
(٨٣١) بديع القرآن ص١٦٦ .
(٨٣٢) الفوائد ص٢١٩ ، شرح الكافية البديعية ص٢٦٤ ، خزانة الأدب ص١٨٩ ، معترك الأقران ج١ ص٣٨٦ ، الاتقان ج٢ ص٨٧ ، شرح عقود الجمان ص١٥٣ ، أنوار الربيع ج٤ ص٥ ، الأزهار

الانشــاء :

أنشأ الله الخلق : ابتدأ خلقهم ، والانشاء : هو الابتداء أو الخلــق أو الابتداع[٨٣٣] .

الانشاء : هو تحبير الكلام ، قال ابن الاثير الحلبي : « وليست صناعــة الانشاء كلاماً مقفى ، ولا لفظاً بالمقاصد غير مـوَفّى ، ولا تلفيقاً حالــه مــن البلاغة حائل ، ولا هذراً كما قيل[٨٣٤] : « قعاقع ما تحتها طائل إنما كاتــب الانشاء مَنْ جَمّلَ كلامه بالفصاحة والبيان والبلاغة والتبيان وقد خصّ في الزمن المتقدم لفظ الكتابة بصناعة الانشاء حتى كانت الكتابة إذا اطلقت لا يراد بها غير كتابة الانشاء ، والكاتب إذا اطلق لا يراد به غير كاتب الانشاء .وسمى أبو هلال العسكري كتابه « الصناعتين : الشــعر والكتابة » وسمى ابن الاثير كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » أي : كتابة الانشاء . وغلــب اسم الكاتب في عهد القلقشندي[٨٣٥] على كاتب المال وصار لصناعــة الانشاء اسمان : خاص يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به ؛ وهو كتابة الانشاء ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع . قال القلقشندي : « فأما تسميتها بكتابة الانشاء فتخصيص لها بالاضافة الى الانشاء الذي هو أصل موضوعها ، وهو مصدر : « أنشأ الشيء » إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتــذيه بمعنى أنّ الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبــه مــن المكاتبات والولايات وغيرهما ، أو أن المكاتبات والولايات تنشأ عنه »[٨٣٦] ، ثم قال : « فأما كتابة الانشاء فالمراد بها كل ما رجــع من صناعة الكتابة الــى تأليف الكــلام وترتيب المعاني من المكــاتبات ، والولايات والمســامحات ،

---

(٨٣٣) اللســـان (نشــأ) .
(٨٣٤) جوهــر الكنز ص٣٣ .
(٨٣٥) توفي القلقشندي سنة ٨٢١هـ ــ ١٤١٨م .
(٨٣٦) صبح الأعشــى ج١ ص٥٢ .

والاطلاقات ، ومناشير الاقطاعـات ، والهدن ، والأمانات والأيمان ، وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها »[٨٣٧] .

والانشاء عند البلاغيين : هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته لانه ليس لمدلول لفظه قبل النطـق واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه ، وهـو قسـمان :

الأول : الانشاء الطلبي ، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء .

الثاني : غي الطلبي ، وهو ما لا يستدعي مطلوباً ، وله أساليب متعـددة مثل : صيغ المدح والذم ، والتعجب ، والقسم ، والرجاء ، وصيغ العقود[٨٣٨].

الانشـاد :

نشدت الضالة : رفعت نشيدي أي صوتي بطلبها ، ومنه : نشد الشـعر وأنشده فنشده : أشاد بذكره ، وأنشده : إذا رفعه . والنشيد : فعيل بمعنى « مُفْعَل » ، والنشيد : الشعر المتناشـد بين القوم ينشـد بعضهم بعضا ، واستنشدت فلاناً شعره فأنشدنيه[٨٣٩] .

قال ابن رشـيق : « ليس بين العرب اختـلاف إذا أرادوا الترنم ومـدّ الصوت في الغناء والحداء في اتباع القافية المطلقـة ، مثلها من حروف المـدّ واللين في حال الرفع والنصب والخفض كانت مما ينوّن أو مما لا ينوّن ، فاذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا ، فمنهم من يصنع في حال الغناء والترنم ليفصل بين

---

(٨٣٧) صبح الأعشـى ج١ ص٥٤ .

(٨٣٨) ينظر الايضاح ص١٣ وما بعدها ، التلخيص ص١٥١ ، الطـراز ج١ ص١ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج١ ص٣٣٢ .

(٨٣٩) اللسـان (نشد) .

الشعر والكلام المنثور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينوّن ما ينون وما لا ينوّن إذا وصل الانشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلاً بين كل بيتين فينشد قول النابغة : « يا دارَ ميّة بالعلياء فالسند »[840] منوناً الى آخر القصيدة لا يبالي بما فيه ألف ولام ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماضٍ ، ولا مستقبل ، وهم ناس كثير من بني تميم • ومنهم من يجري القوافي مجراهـا ولـو لم تكن قـوافي فيقف على المرفوع والمكسـور موقوفين ، ويعوّض المنصوب ألفاً على كل حال ، وهم ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون :

لا يبعد الله جيراناً لنا ظعنوا   لم أدْرِ بعد غداة البين ما صَنَعُ

يريد : « ما صنعوا » • وكذلك ينشدون :

ففاضَت دموع العين منّي صبابةً   على النحر حتى بلّ دمعيَ محملي

فاذا وصلوا جعلوه كالكلام ، وتركوا المدة لعلمهم أنها في أصل البناء »[841] • وتحدث عن الوقف باشباع الحركة وبنقلها ، وعن غناء العرب قديماً ، وهـو على ثلاثة أوجه :

الأول : النصب ، وهو غناء الركبان والفتيان ، وهو الذي يقال له المرائي، وهو الغناء الجنابي ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من أصل الطويل في العروض •

الثاني : السناد ، وهو الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات •

الثالث : الهزج ، وهو الخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ، ويستخف الحليم •

---

(٨٤٠) تمامـه : أقوت وطال عليها سالف الأبد .
(٨٤١) العمـــدة ج٢ ص٢١١ .

إنشـاد الشعر :

كان كثير من العرب ينشد شعره إنشاداً ، ولعل الأعشى أشهر من فعل ذلك قبل الاسلام فسمي « صناجة العرب » . وقد أجاز بعضهم إنشاد الشعر وغناءه ولم يجزه آخرون ، قيل لسعيد بن المسيب : إنّ قوماً من أهل العراق لا يرون إنشاد الشعر ، فقال : لقد نسكوا نسكاً أعجمياً[٨٤٢] .

الانفـاد :

أنفد القوم : إذا نفد زادهم أو أموالهم . ونافدت الخصم إذا حاججته حتى تقطع حجته[٨٤٣] .

وأخذ المظفر العلوي هذا المعنى اللغوي وقال : « الانفاد ــ بالدال غير المعجمة ــ هو من قولهم : خصم منافد : إذا خاصم حتى تنفد حجته . وتقول: نافدت الرجل ، مثل حاكمته . وفي الحديث : « إن نافدتهم نافدوك » . وهو أن يقول الشاعر بيتاً تاماً ويقول الآخر بيتاً »[٨٤٤] . وربط بينه وبين الاجازة فقال : « وأما الانفاد والاجازة فروي أن كعب بن زهير لما تحرك بالشعر كان أبوه زهير ينهاه عنه مخافة ألاّ يكون قد استحكم شعره فيروى عنه ما يعاب عليه . وكان يضربه على ذلك فغلبه وطال ذلك عليه فأخذه وسجنه وقال : « والذي أحلف به لا تتكلم ببيت شعر ولا يبلغني تريغ لشعر ، إلاّ ضربت ضرباً ينكرك عن ذلك . فمكث محبوساً أياماً ثم أخبر انه تكلم به فضربه ضرباً مبرحاً ثم أطلقه وسرّحه في بهمة وهو غُلَيّم صغير فانطلق فرعاها ثم راح بها وهو يرتجز :

---

(٨٤٢) العقد الفريد ج٦ ص٣ ، زهر الآداب ج١ ص١٧٥ .
(٨٤٣) اللسان (نفد) .
(٨٤٤) نضرة الاغريض ص١٩٤ ، وينظر بدائع البدائه ص١٨٨ .

كأننا أحدو ببهمي عيراً   من القرى موقرة شعيرا

وقال زهير :

واني لتعدو بي على الهم جسرة   تخب بوصال صروم وتعنق

وطلب من ابنه أن يجيزه ، ولما اطمأن قال له : «قد أذنت لك في الشعر»[٨٤٥] .

الانفعال :

الانفعال وأن ينفعل : هما الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير[٨٤٦] . أو هو « التأثر وقبول الأثر ، ولكل فعل انفعال إلا الابداع الذي هو من الله »[٨٤٧] .

فالانفعال : هيئة تحصل للمتأثر عن غيره بسبب التأثير ، ووردت بهذا المعنى في كتب البلاغة والنقد المتأخرة ، قال القرطاجني وهو يتحدث عن اقتباس المعاني وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها الى بعض : « ويجب على من أراد جودة التصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحذق بتأليف بعضها الى بعض أن يعرف أن للشعراء أغراضاً أول هي الباعثة على قول الشعر وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس لكون تلك الامور مما يناسبها ويبسطها ، أو ينافرها ويقبضها ، أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين »[٨٤٨] .

وذكر السجلماسي الانفعال والانفعال النفساني والانفعال التخييلي[٨٤٩] . وكان ابن سينا قد ذكرها فقال : « والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس

---

(٨٤٥) نضرة الاغريض ص٢٠٢-٢٠٣ .
(٨٤٦) التعريفات ص٤٠ .
(٨٤٧) الكليات ج٣ ص٢٣١ .
(٨٤٨) منهاج البلغاء ص١١ .
(٨٤٩) المنزع البديع ص٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٥٠١ .

فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار ، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به او غير مصدق به »[850] .

الاهتــار :

أهتر واُهتر الرجل فهو مهتر إذا فقد عقله من الكبر وصار خرفاً[851] .

الاهتار : هو أن تسوء ألفاظ الشاعر وتفسد معانيه . قال ابن رشيق : « فان ساء لفظه وفسدت معانيه قيل له : أهتر فهو مهتر . وقد قيل في الذبياني: انه إنما كان شعره نظيفاً من العيوب ، لانه قاله كبيراً ومات عن قرب ولم يهتر . وأكثر ما جاء الاهتار في صفة الكبير الذي يختلط كلامه »[852] .

الاهتــــدام :

الهدم : نقيض البناء ، هدمه يهدِمه هَدْماً وهدّمه فانهدم .

وقال ابن الأعرابي : الهدم قلع المَدَر يعني البيوت وهو فعل مجاوز ، والفعل اللازم منه الأنهدام[853] .

قال الحاتمي : « الاهتدام وهو افتعال من الهدم فكأنه هدم البيت من الشعر تشبيهاً له بهدم البيت من البناء ، لان البيت من الشعر يسمى بيتاً ، لانه يشتمل على الحروف كما يشتمل البيت على ما فيه »[854] . وكان كثير عزّة

---

(٨٥٠) الشفاء ـ المنطق ـ الشعر ص٢٤ ، فن الشعر ص١٦١ . وينظر المنزع ص٢١٩-٢٢٠ .
(٨٥١) اللسان (هتر) .
(٨٥٢) العمدة ج١ ص٢٠٥ .
(٨٥٣) اللسان (هدم) .
(٨٥٤) حلية المحاضرة ج٢ ص٦٤ .

يهتدم كثيراً من شعر جميل ويتبع آثاره في النسيب . ويروى أن الفرزدق لقي كثيراً فقال : ما أشعرك يا كثير في قولك :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثّلُ لي ليلى بكل سبيلِ

يعرّض بانه اهتدمه من قول جميل :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثّل لي ليلى على كلّ مَرْقَبِ

وقال الصنعاني : « الاهتدام : أخذ قسمي اللفظ مع المعنى أو أكثر أقسامه »[٨٥٥] . ثم قال : « ان المهتدم إن لم يقرّ بانه اهتدم وأخذ واستعار ، أو ادّعى انه ماثل أو عارض فان منزلته تسقط وفضيحته تظهر ولا يسمى ذلك معارضة بل صريح السرق والتغيير والتبديل ، واقراره أيضاً شاهد بنقصه ، لكنه بمنزلة المذنب المعترف لا المصرّ »[٨٥٦] .

فالاهتدام ــ كما يبدو ــ أخذ قسم والتصرف في القسم الآخر تصرفاً يسيراً ويظهر ذلك واضحاً فيما علق به ابن رشيق على قول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجلٍ صحيحة ... ورجل رمت فيها يَدُ الحَدَثانِ

قال : « فأخذ كثير القسم الأول واهتدم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ فقال : « ورجل رمى فيها الزمان فشلّتِ »[٨٥٧] .

أهل الأدب :

أهل الأدب : هم الذين يكتبون الأدب : شعره ونثره ، أو الذين ينقدونه ، قال الجاحظ : « ومن أهل الأدب زكرياء بن درهم ... ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام الى الحرشي السرادق بن عبدالله السدوسي »[٨٥٨] .

(٨٥٥) الرسالة العسجدية ص٥٣ .
(٨٥٦) الرسالة العسجدية ص٥٤ .
(٨٥٧) العمدة ج٢ ص٢٨٧ .
(٨٥٨) البيان ج١ ص٣٨٩ــ٣٩٠ .

الاوابـــد :

ابدت البهيمة تأبد : توحشت ، والتأبـد : التوحش . والأوابد : جمـع آبدة . وهي التي توحشت ونفرت من الانس . والآبدة : الكلمة أو الفعلـة الغريبة ، ويقال للشوارد من القوافي : أوابد . قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي بتنحل الأشـعار

ويقال للكلمة الوحشية : آبدة ، وجمعها : الأوابد(٨٥٩) .

الأوابد من الشعر : هي الأبيات السائرة كالامثال لجودتها ، قال الجاحظ : « وفي بيوت الشعر الامثال والاوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد »(٨٦٠) . وقال ابن رشيق : « وأكثر ما تستعمل الأوابد في الهجاء ، يقال : رماها بآبـدة فتكون الآبدة هنا الداهية . قال الجـاحظ : الأوابد : الدواهي ومنه آوابـد الشعر حكاه عن أبي زيد . وحكى الاوابد : الإبل التي تتوحش فلا يقدر عليها إلا بالعقر ، والأوابد : الطير التي تقيم صيفاً وشتاءً ، والأوابد : الوحشـ. فاذا حملت أبيات الشعر على ما قال الجـاحظ كانت المعاني السائرة كالابـل الشاردة المتوحشة ، وإن شئت المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التي ليست بقواطع . وإن شئت قلت : إنها في بعدها من الشـعراء وامتناعهـا عليهم كالوحشي في نفارها من الناس »(٨٦١) .

والآبدات : القوافي الشرد ، قال سويد بن كراع العكلي :

أهَبْتُ بغرِّ الآبدات فراجعت طريقاً أمَلّتْهُ القصائدُ مَهْيَعا(٨٦٢)

(٨٥٩) اللسـان (أبد) .
(٨٦٠) البيـان ج٢ ص٩ .
(٨٦١) العمـدة ج٢ ص١٨٥ .
(٨٦٢) البيـان ج٢ ص١٢ .

الأواخر والمقاطع :

قال ابن منقذ : « وينبغي أن يتحرز الشاعر فيها مما يتأول عليه ويؤول أمره اليه »[٨٦٣] كما روي أن أبا تمام أنشد : « على مثلها من أربع وملاعب » فقال بعض الحاضرين : « لعنة الله ولعن اللاعنين » مع ان عجزه : « ازيلت مصونات الدموع السواكب » .

وقال ابن منقذ بعد ذلك : « وكذلك ينبغي أن تكون أواخر القصائد حلوة المقاطع توقف النفس بأنه آخر القصيدة لئلا يكون كالنثر ... ولذلك ينبغي أن يكون مقطع البيت حلواً وأحسنه ما كان على حرفين مثل : « منها بها » ، « حطه السيل من عل » ، « ليلة معا » ، « تفريق الأحبة في غد » ، وكقوله :

أتتني تؤنبني في البكا فأهلاً بها وبتأنيبها
وللعين عُذْرٌ إذا ما بكت وقد عانيت وجه محبوبها

ومنه أن يكون في آخر البيت حرف لا يحتاج الى إعراب : واو ، أو ياء ، أو ياء اضافة ، أو ياء جماعة كقوله ، «صحا القلب من سلمى وقد كان لا يصحو» . أو تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها كقوله :

هم البحورُ عطاءً حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهُم بُهَمُ

أوقات الشعر :

يراد بأوقات الشعر الوقت الذي ينظم الشاعر فيه شعره وهو في حالة تدفقه الشعري . وكان القدماء قد تحدثوا عن ذلك فقال ابن قتيبة : «وللشعر أوقات يسرع فيها أتيّه ويسمح فيها أبيّه ، منها أول الليل قبل تغشي الكرى،

---

(٨٦٣) البديع في نقد الشعر ص٢٨٦ .

ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير . ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب »[٨٦٤] .

الايـــداع :

استودعه مالاً وأودعه إياه : دفعه اليه ليكون عنده وديعة . وأودعـه : قبل منه الوديعة . وقد جاء به الكسائي في باب الأضداد[٨٦٥] . وقال المدني: « الايداع في اللغة مصدر أودعته مالاً إذا دفعته اليه ليكون عنده وديعـة ، وأودعته أيضاً : إذا أخذته منه وديعة فيكون من الأضداد ، لكنه بمعنى الأول أشهر ، والثاني بالمعنى الاصطلاحي أنسب »[٨٦٦] .

وقال المصري : « هو أن يعمد الشاعر أو المتكلم الى نصف بيت لغـيره يودعه شعره سواء أكان صدراً أو عجزاً . وأما الناثر فان أتى في نثره بنصف بيت لغيره سمي ايداعاً ، وإن كان لنفسه سمي تفصيلاً »[٨٦٧] . وقال : ان من لا يعرف الاصطلاح يسميه تضميناً ، وفرّق بينهما وبين الاستعانة فقال: « إنّ التضمين يقع في النظم والنثر ويكون من المحاسن ومن العيوب ولكنه لايكون من العيوب إلا إذا وقع في النظـم بالنظم ، والايداع والاستعانة ، وإن وقعـا معاً في النظم والنثر ـ فلا يكونان إلاّ بالنظم دون النثر »[٨٦٨] .

وقال الحلبي : « وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين وهو منه إلاّ انه

---

(٨٦٤) الشعر والشعراء ج١ ص٨١ .

(٨٦٥) اللســـان (ودع) .

(٨٦٦) أنـوار الربيع ج٦ ص٧٣ .

(٨٦٧) تحرير التحبير ص٣٨٠ .

(٨٦٨) تحـرير ص١٤٢ .

مخصوص بالنثر وبأن يكون المودع نصف بيت أما صدراً أو عجزاً »[٨٦٩] .
وذكر النويري هذا التعريف أيضاً[٨٧٠] .

وقال الحموي : « الايداع الذي نحن بصدده ، هو أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له . وأحسن الايداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول ، ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدراً أو صدره عجزاً . وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها وينظم لها المودع صدوراً لغرض اختاره وبالعكس »[٨٧١] . وقال السيوطي : « والمصراع فما دونه يسمى رَفْواً وايداعاً ، لانه رفا بشعر الغير وأودعه إياه »[٨٧٢] .

وقال المدني : « هو أن يودع الشاعر شعره بيتاً فأكثر أو مصراعاً فمادونه من شعر غيره بعد أن يوطىء له في شعره توطئة تناسبه وتلائمه ، ويسمى التضمين والرفو أيضاً »[٨٧٣] . ثم قال : « والايداع عند البديعيين من المحاسن » .

قال المصري : « وكنت نظرت الى بيت لأبي الطيب وهو :

تذكرت ما بين العذيب وبارقٍ   مجرَّ عوالينا ومجرى السوابقِ[٨٧٤]

فأودعت كل قسم منه بيتاً من قصيدة ... والبيتان منها :

---

(٨٦٩) حسن التوسل ص٢٩٥ .
(٨٧٠) نهاية الأرب ج٧ ص١٦٤ .
(٨٧١) خزانة الادب ص٣٧٧ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص٢٦٦ .
(٨٧٢) شرح عقود الجمان ص١٧٠ .
(٨٧٣) أنوار الربيع ج٦ ص٧٣ .
(٨٧٤) العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة . العوالي : الرماح . السوابق : الخيل .

إذا الوهــم أبدى لي لَماها وثَغْرَهــا

تذكّــرْتُ ما بين العُــذيب وبــارِق

ويذكّــرني مــن قــدّها ومــدامعي

مجــرّ عوالينــا ومجرى الســــوابق

وإن أخذ نصف بيت لغيره فابتدأ به وثنى عليه تتمة البيت لا غير فذلك تمليط، وإن بنى عليه كل ما يخطر له من أبيات لتمام غرضــه فذلك توطيد »(٨٧٥) .

ويبدو أن الايداع هو التضمين وان المصري لم يكن دقيقاً حينما أنكــر على البلاغيين خلطهم بين الايداع والتضمين ، وقد أشار المدني الى مثل ذلك فقال: « وانكار كون التضمين بمعنى الايداع بعد أن اصطلح على ذلك كثــير مــن أرباب هذا الفن ، بل هو أشهر من الايداع في هذا المعنى ، لا وجه له »(٨٧٦) .

وذكر تنبيهات منها : ان أحسن التضمين ما صرف عن معنى غرض الشاعر الأول وما زاد على الأصل بنكتة كالتورية ونحو ذلك ، ومثاله قول المصري المتقــدم في بيت المتنبي . وانه يجوز في التضمين أن يجعل صدر البيت عجزاً وبالعكس كقول الحريري :

على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأيَّ فتى أضاعــوا

المصراع الثاني صدر بيت للعرجي وعجزه : « ليوم كريهة وسداد ثغر » . وانه لا يضره التغيير اليسير لما قصد تضمينه ليدخل في معنى الكــلام كقول بعضهم في يهودي به داء الثعلب :

أقول لمعشــر غلطوا وغضــوا من الشيخ الرشــيد وأنكروه

هو ابن جلا وطــلاّع الثنــايا متى يضــع العمامــة تعرفوه

---

(٨٧٥) تحرير التحبير ص٣٨٢ .

(٨٧٦) أنوار الربيع ج١ ص٧٤ ، وينظر نفحات الازهار ص٨٥ .

والبيت لسحيم بن واثلة وهو :

آنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامـــة تعرفـــوني

فغيّره الى طريق الغيبة ليدخل في المقصود •

الايضــاح :

وضح الشيء وضوحاً واتضح : بان ، وهو واضح ووضاح • وأوضـــح وتوضّح : ظهر(٨٧٧) •

والايضاح من مبتدعات المصري ، قال : « هو أن يذكر المتكلم كلامـاً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه »(٨٧٨) • وفرّق بينه وبين التفسير فقال: « ان التفسير تفصيل الاجمال ، والايضاح رفع الاشكال »(٨٧٩) • ومن الايضاح قوله تعالى : « كلما رُزِقُوا منها من ثمرةٍ رِزْقاً قالوا : هذا الذي رُزِقْنا من قَبْلُ وأُتُوا به مُتَشابِهاً »(٨٨٠) • فان هذه الآية لو اقتصر على قوله : « من قبل » دون بقية الآية لأشكل على المخاطب ، فلا يدري هل أراد سبحانه بما حكاه أهل الجنة اشارتهم الى صنف الثمرة أو مقدار ما يؤتون منها بحيث تكون مقادير الثمار متساوية ، فأوضح سبحانه هذا الاشكال بقوله :«وأُتُوا به متشابهاً» أي : يشبه بعضه بعضاً في الكمية وان تغايرت أصنافه •

ومنه قول الشــاعر :

يُذكِرُنيك الخيرُ والشرُّ كلُّه   وقيلُ الخنا والعلْمُ والحلْمُ والجهْلُ

---

(٨٧٧) اللســان (وضح) .
(٨٧٨) تحرير التحبير ص٥٥٩ ، بديع القرآن ص٢٥٩ .
(٨٧٩) تحـرير ص٥٦٠ .
(٨٨٠) البقـرة ٢٥ .

فان هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء ، فلما قال بعده :

فألقاك عن مكروهها متنزّهاً وألقاك في محبوبها ولك الفضلُ

أوضح المعنى المراد ورفع اللبس وأوضح الشك .

ونقل عن المصري هذا الفن ابن مالك ، والحلبي ، والنويري ، والعلوي ، والحلي ، والحموي ، والسيوطي ، والمدني ، وذكروا بعض أمثلته[881] .

الايطاء :

أوطأته الشيء فوطئه ووطئنا العدو بالخيل : دسناهم ، والوطأة موضع القدم والأخذة الشديدة . وأوطأ الشاعر في الشعر : إذا اتفقت له قافيتان على كلمة واحدة معناهما واحد ، فان اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس بايطاء[882] .

فالايطاء : هو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة ، فان كان أكثر من قافيتين فهو أسمج له ، فاذا اتفق اللفظ واختلف المعنى فهو جائز[883] .

---

(881) المصباح ص٦٣ ، حسن التوسل ص٣٠٤ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٦٩ ، الطراز ج٣ ص١١٠ ، شرح الكافية البديعية ص٢١٤ ، خزانة الأدب ص٤١٣ ، شرح عقود الجمان ص١٤٠ ، أنوار الربيع ج٦ ص٣١ ، نفحات الازهار ص٢٧٢ .

(882) اللسان (وطأ) .

(883) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٧٢ ، وينظر قواعد الشعر ٦٢ ، الشعر والشعراء ج١ ص٩٧ ، القوافي للمبرد ص١٢ ، والقوافي للأخفش ص٥٥ ، والقوافي للتنوخي ص١٤٨ ، الكافي ص١٠١ ، سر الفصاحة ص٢١٨ ، العمدة ج١ ص١٦٩ ، العقد الفريد ج٥ ص٥٠٨ ، الحور العين ص١٠٣ .

الايقـــاع :

الميقع والميقعة : المطرقة . الايقاع : من ايقاع اللحن والغناء ، وهـو أن يوقع الالحان ويبينها(٨٨٤) .

الايقاع : هو ما يحدثه الوزن أو اللحن من انسجام ، وقد ربط السجلماسي بينه وبين الوزن فقال : « الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونـة متساوية ، وعند العرب مقفاة »(٨٨٥) . وشرح الموزونة بقوله : « فمعنى كونها موزونة ،أن يكون لها عدد إيقاعي ، ومعنى كونها متساوية ، هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال ايقاعية ، فان عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر » .

ايقـاع الممتنـع :

ايقاع الممتنع من عيوب المعاني ، قال قدامة : « ايقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه . والفرق بين الممتنع والمتناقض أن المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم ، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم »(٨٨٦) . ومنه قول أبي نواس :

يا أمينَ الله عِشْ أبَدَاً ... دُمْ على الأيـام والزَّمَنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهـذا الممدوح بقوله : « عِشْ أبداً » أو دعـا له .

الايمـــاء :

أوميت لغة في أومأت ، والايماء الاشارة بالاعضاء كالرأس واليد والعـين والحاجب(٨٨٧) .

(٨٨٤) اللســان (وقع) .
(٨٨٥) المنزع البـديع ص٢١٨ ، وتنظر ص٤٠٧ .
(٨٨٦) نقد الشـعر ص٢٤٢ .
(٨٨٧) اللســان (ومي) .

قال المبرد : « من كلام العرب الاختصار المفهم ، والاطناب المفخم ، وقد يقع الايماء الى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة »[888] . وقال ابن جني معلقاً على قول الشاعر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيِّ الأباطحُ

« إنَّ في قوله : « أطراف الاحاديث » وحياً خفياً ورمزاً حلواً ، ألا ترى أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح ، وذلك أحلى وأدمث وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفاً ومصارحةً وجهراً »[889] . وذكر المدني أن الايماء عند ابن جني هو الاكتفاء ، قال : « وسماه ابن جني في كتاب «التعاقب» بالايماء وعقد له باباً فقال : « باب الايماء : وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها »[890] . وقال ابن فارس : « العرب تشير الى المعنى اشارة وتومىء ايماءً دون التصريح »[891]ومن ذلك :

إذا غرَّدَ المُكَّاءُ في غيرِ روضةٍ ... فويلٌ لأهل الشاءِ والحُمراتِ

أومأ الى الجدب ، وذلك أن المكاء يألف الرياض فاذا أجدبت الأرض سقط في غير روضة .

وعدَّ ابن رشيق الايماء من أنواع الاشارة ، ومثل له بقوله تعالى : « فَغَشِيَهُم من اليَمِّ ما غَشِيَهُم »[892] فأومأ اليه وترك التفسير معه . ومنه قول كثير :

---

(888) الكامل ج1 ص27 .
(889) الخصائص ج1 ص220 .
(890) أنوار الربيع ج3 ص83 .
(891) الصاحبي ص248 .
(892) طه 78 .

تجافَيْتِ عني حين لا ليَ حيلةٌ وخلّفْت ما خلّفتِ بين الجوانحِ

فقوله : « وخلفت ما خلفت » إيماء مليح[٨٩٣] .

والكناية عند السكاكي تتنوع الى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة[٨٩٤] قال : « وان كانت الكناية لا مع نوع الخفاء كقول أبي تمام :

أبَيْنَ فما يَزُرْنَ سوى سعيدٍ وحَسْبُكَ أن يَزُرْنَ أبا سعيدِ

فانه في إفادته أنّ أبا سعيد كريم غير خاف كان اطلاق اسم الايماء والاشارة عليها مناسباً »[٨٩٥] . ونقل ذلك القزويني وشراح التلخيص . وأدخله السجلماسي في أنواع الاشارة وذكر له الآية السابقة وبيت كثير[٨٩٦] .

الايهـــام :

توّهم الشيء : تخيله وتمثله ، وتوهمت في كذا وكذا وأوهمت الشيء : إذا أغفلته . ووهمت في الشيء أهِمُ وهماً : إذا ذهب وهمك اليه وأنت تريد غيره . وتوهمت : ظننت ، وأوهمت غيري إيهاماً ، والتوهيم مثله[٨٩٧] .

قال أحمد بن فارس : « من سنن العرب التوهم والايهام ، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق . منه قولهم : « وقفتُ بالربع أسأله » وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل لكنه تفجع لما

---

(٨٩٣) العمدة ج١ ص٣٠٣ .
(٨٩٤) مفتاح العلوم ص١٩٦ .
(٨٩٥) الايضاح ص٣٢٧ ، التلخيص ص٣٤٣ ، شروح التلخيص ج٤ ص٢٧٠ ، المطول ص٤١٣ ، الأطول ج٢ ص١٧٦ ، شرح عقود الجمان ص١٠٣ .
(٨٩٦) المنزع البديع ص٢٦٨ .
(٨٩٧) اللسان (وهم) .

رأى السكن رحلوا ، وتوهم أنه يسأل الربع : « أين انتَوَوا ؟ » وذلك كثير في أشعارهم »[898] .

وقال الوطواط : « الايهام في اللغة بمعنى التخييل ، ولذلك يسمون هذه الصنعة بالتخييل أيضاً . وتكون بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه ألفاظاً يكون لها معنيان أحدهما قريب والآخر غريب ، فاذا سمعها السامع انصرف خاطره الى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى الغريب »[899]، ومثال ذلك قول أبي العلاء :

إذا صدق الجدّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تكرى وإن كَذَبَ الخالُ

فكل من سمع الالفاظ الثلاثة «جد» ، و«عم» ، و«خال» انصرف ذهنه الى الأقارب في حين أن المقصود بها أشياء أخرى ، فالجد هو الحظ ، والعم هو الجماعة ، والخال هو مخيلة السحاب وهي ما يرى فيها من علامة المطر[900] .

وقال الرازي : « هو أن يكون للفظ معنيان أحدهما قريب والآخر غريب فالسامع يسبق فهمه الى القريب مع ان المراد هو ذلك البعيد ، وهذا انما يحسن إذا كان الغرض تصوير ذلك المعنى البعيد بالمعنى الظاهر . وأكثر المتشابهات من هذا الجنس »[901] . ومنه قوله تعالى : « والأَرْضُ جميعاً قَبْضَتُه يَوْمَ القيامَةِ ، والسَّماواتُ مطويّاتٌ بِيَمينِه »[902] . وذكر السكاكي هذه الآية شاهداً وقال عن الايهام : « هو أن يكون للفظ

(898) الصاحبي ص225 .
(899) حدائق السحر ص135 .
(900) شروح سقط الزند ج3 ص1262 .
(901) نهاية الايجاز ص113 ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص22 .
(902) الزمر 67 .

استعمالان قريب وبعيد فيذكر لايهام القريب في الحال الى أن يظهر أن المراد به البعيد »[٩٠٣] كقول الشاعر :

حملناهُمُ طُرّاً على الدُّهْمِ بَعْدَما   خَلَعْنا عليهم بالطعان الملابسا

أراد بالحمل على الدهم : تقييد العدى ، فأوهم إركابهم بالدهم ، ومنه قوله تعالى : « الرحمنُ على العَرْشِ اسْتَوى »[٩٠٤] .

فالايهام هو التخييل أو التورية والى ذلك ذهب الحلبي ، والنويري ، والزركشي ، والسيوطي[٩٠٥] ، وفضل الحموي والمدني اسم «التورية»[٩٠٦] لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر : « وريت الخبر تورية » إذا سترته وأظهرت غيره ، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر . وقد فصّل البلاغيون في بحث التورية لانها سمة من سمات الأدب في عهوده المتأخرة .

* * *

(٩٠٣) مفتاح العلوم ص٢٠١ .
(٩٠٤) طه ٥ .
(٩٠٥) حسن التوسل ص٢٤٩ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٣١ ، البرهان ج٣ص٤٤٥ ، معترك ج١ ص٣٧٤ ، الاتقان ج٢ ص٨٣ ، شرح عقود الجمان ص١١٢ .
(٩٠٦) خزانة الأدب ص٢٣٩ ، أنوار الربيع ج٥ ص٥ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص١٣٥ .

البـاء

البـارد :

البرودة : نقيض الحرارة ، وبرد الشيء وبرّده : جعله بارداً[1] . البـارد: هو الشعر الذي لا يستفز القلب ، قال ابن منقذ : « إنّ الشعر النادر هو الذي يستفز القلب ويحمي المزاج في استحسانه ، والبارد بضد ذلك »[2] . كقول أبي العتاهيـة :

مات والله سعيدُ بنُ وَهْبِ   رحم اللّهُ سعيدَ بنَ وَهْبِ
يا أبا عثمان أبكيتَ عيني   يا أبا عثمان أوجعتَ قلبي

قال العسكري : « والبارد في شعر أبي العتاهية كثير ، والشعر كلام منسوج ولفظ منظوم ، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف ، وحسن لفظه ولم يهجن ، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفاً بغيضاً ، ولا السّوقي من الالفاظ فيكون مهلهلاً دونا »[3] .

---

(١) اللسان (برد) .
(٢) البديع في نقد الشعر ص١٦٠ ، وينظر كفاية الطالب ص٢١٦ ، الفوائد ص١٧٨ .
(٣) كتاب الصناعتين ص٦٠ .

وقال : « وإذا كان المعنى صواباً واللفظ بارداً فاتراً ـ والفاتر شر من البارد ـ كان مستهجناً ملفوظاً ومذموماً مردوداً »(٤) .

وكان الجاحظ قد ذكر الشعر البارد ، ويريد به الضعيف الغث(٥) وذكر النادرة الباردة ، والنادرة الحارة ، قال : « وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الالفاظ والشريف الكريم من المعاني ، كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً »(٦) . وأشار الى النادرة الفاترة التي « لا هي حارة ولا باردة »(٧) ثم قال : « وانما الشأن في الحار جداً والبارد جداً » .

وقال قدامة : « وأما غريب وطريف لم يسبق اليه وهو قبيح بارد ، فملء الدنيا مثل أشعار قوم من المحدثين سبقوا الى البرد فيها »(٨) .

البحـــر :

البحر : هو الوزن الخاص الذي على مثاله يجري الناظم في قصيدته وسماه الحميري حداً قال : « وللشعر خمسة عشر حداً »(٩) .

وقد استنبط الخليل بن أحمد الفراهيدي من شعر العرب خمسة عشر بحراً هي :

---

(٤) كتاب الصناعتين ص٥٩ .

(٥) رسالة في الجد والهزل ـ رسائل الجاحظ ج١ ص٢٥٣ .

(٦) البيان ج١ ص١٤٥ .

(٧) البيان ج١ ص١٤٥ .

(٨) نقد الشعر ص١٧٠ .

(٩) الحور العين ص٥١ .

١ ــ الطويل ، وأجزاؤه :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وسمي طويلاً لأنه تام الأجزاء سالم من الجَزْءِ •

٢ ــ المديد ، وأجزاؤه :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعــلاتن

وسمي مديداً لتمدد سباعيه حول خماسييه •

٣ ــ البسيط ، وأجزاؤه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وسمي بسيطاً لأنه انبســط عن مدى الطويل والمــديد ، فجاء وســطه « فَعِلن » وآخره « فَعِلن » •

٤ ــ الوافر ، وأجزاؤه :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

وسمي وافراً لوفور أجزائه وتداً وتداً •

٥ ــ الكامــل ، وأجزاؤه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وسمي كاملاً لاجتماع ثلاثين حركة فيه لم تجتمع في غيره ، وقيل :لكمال أجزائه بعد حروفهــا •

٦ ــ الهزج ، وأجزاؤه :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

وسمي هزجاً تشبيهاً له بهزج الصوت •

٧ ــ الرجز ، وأجزاؤه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن   مستفعلن مستفعلن مستفعلن

٨ ــ الرمـــل ، وأجزاؤه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن   فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وسمي رملاً تشبيهاً له برمل الحصير أي نسجه .

٩ ــ السريع ، وأجزاؤه :

مستفعلن مستفعلن مفعولات   مستفعلن مستفعلن مفعولات

وسمي سريعاً لانه يسرع على اللسان .

١٠ ــ المنسرح ، وأجزاؤه :

مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن   مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن

وسمي منسرحاً لانسراحه وسهولته .

١١ ــ الخفيف ، وأجزاؤه :

فاعـــلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

وسمي خفيفاً لانه أخف السباعيات .

١٢ المضـــارع ، وأجزاؤه :

مفاعيلن فاعـــلاتن   مفاعيلن فاعلاتن

وسمي مضارعاً لمضارعته المقتضب في أن أحد جزئيه مفروق الوتد .

١٣ ــ المقتضب ، وأجزاؤه :

مفعـــولاتُ مفتعلن   مفعولات مفتعلن

وسمي مقتضباً لانه اقتضب من الشعر أي اقتطع منه ، وقيل : لانه اقتضب

من المنسرح على الخصوص •

١٤ ــ المجتث ، وأجزاؤه :

مســتفعلن فاعلاتن　　　مستفعلن فاعلاتن

وسمي مجتثاً لانه اجتث ــ أي اقتطع ــ من طويل دائريه وقيل : هــو من القطــع •

١٥ ــ المتقــارب ، وأجزاؤه :

فعولن فعولن فعولن فعولن　　فعولن فعولن فعولن فعولن

وسمي متقارباً لتقارب أجزائه لانها خماسية ، وقيل : لتقارب أســبابه من أوتاده[١٠] •

وزاد عليها الأخفش الأوسط بحراً آخر سماه «المتدارك» •

١٦ ــ المتدارك ، وأجزاؤه :

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن　　فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

ويرى الخليل انه من المهمــلات[١١] ، وقال الدماميني عــن دائرة المتفق ــ المتقارب ــ : « ويخرج منه بحر وزنه «فاعلن» ثماني مرات ، ولــم يذكره الخليل واستدركه المحدثون ، فسمي بالمتدارك والمخترع »[١٢] • وقال الحميري : « وزاد عبدالله بن المنذر حداً ســماه «المتقاطر» ••• وروي أن الخليــل بن أحمــد ــ رحمه الله ــ كان يرده ويدفعــه ولا يجيزه »[١٣] ، وقال : « المتقاطر : ومنهم من سماه الخبب ، ومنهم مــن

(١٠) تنظر هذه التسميات في العيون الغامزة .
(١١) العيون الغامزة ص٢٢ •
(١٢) العيون الغامزة ص٥٩ •
(١٣) الحور العين ص٥١ •

سماه المخترع ، ومنهم من جعله من المتقارب »[١٤]. فالمتدارك يسمى الخبب ، والمتقاطر ، والمحدث ، والمنسق ، والشقيق ، — لأنه أخو المتقارب — والمتسق ، لأن كل أجزائه على خمسة أحرف .

ولهذه البحور أعاريض وأضرب كثيرة حفلت بها كتب العروض .

البدوي الوحشي :

يراد به الغريب الذي لا يستعمله إلاّ البدوي ، قال القاضي الجرجاني : « ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الاختيار وأبعثه على الطبع وأحسن له التسهيل ، فلا تظنن أني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الوسط ، ما ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوي الوحشي »[١٥] . أي انه فوق النمط الأوسط . وهو ما لا يستعمله المحدثون .

البديهة :

بدهه بالأمر : استقبله وفاجأه ، وبادهني مبادهة أي باغتني مباغتة . والبديهة والبداهة أول كل شيء وما يفجأ منه ، وأول جري الفرس[١٦] .

فالبديهة مشتقة من « بَدَهَ يَبْدَهُ » بمعنى بدأ يبدأ ، أبدلوا الهمزة هاءً لقربها منها كما قالوا : « لِهَنّكَ » بمعنى « لأنّكَ » وكما أبدلوا الحاء أيضاً بالهاء لقرب منها فقالوا : مدح ومَدَهَ[١٧] .

---

(١٤) الحور العين ص٦٩ .
(١٥) الوساطة ص٢٣–٢٤ .
(١٦) اللسان (بده) .
(١٧) العمدة ج١ ص١٩٥ ، بدائع البدائه ص٧ ، كفاية الطالب ص٤٧ .

والبديهة هي : « أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً إن حضرت آلة ، إلاّ انه غير بطيء ولا متراخٍ ، فان أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً »[18] . قال علي بن ظافر : « البديهة أن ينزل عن هذه الطبقة قليلاً ويفكر مقصراً لا مطيلاً ، فان أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية وخرجت من حدّ الروية »[19] . وقال ابن رشيق : « والبديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال،وليست به ، لان البديهة فيها الفكرة والتأيد ، والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله »[20] .

وامتدحوا صاحب البديهة والذكاء ، قال الجاحظ : « وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ومكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وَهْمَهُ الى الكلام والى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو إلاّ أن يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالاً ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا »[21] .

وذكروا الشعراء أصحاب البديهة[22] ، وامتدحوا البديهة[23] ، وقالوا : « إنّ من الناس مَنْ شِعْرُهُ في البديهة أبدعُ منه في الروية ، ومن هو

(١٨) العمدة ج١ ص١٩٢ .
(١٩) بدائع البدائه ص٨ .
(٢٠) العمدة ج١ ص٨٩ ، وينظر جوهر الكنز ص٤٣٩ .
(٢١) البيان ج٣ ص٢٨ . ارسالا : افواجا . انثيالا : انصبابا .
(٢٢) ينظر طبقات فحول الشعراء ج٢ ص٦٩٣ ، طبقات الشعراء ص١٣٦ ، الاغاني ج٤ ص٧٨ ، ٨٤ ، ج١ ص١٥٧ ، الخصائص ج١ ص٣٢٧ .
(٢٣) ينظر حلية المحاضرة ج١ ص٤٣٤ ، نفح الطيب ج١ ص١٩٤ ، ج٣ ص١٥٣ .

مجيد في رويته وليست له بديهة ، وقلما يتساويان . ومنهم إذا خاطب أبدع وإذا كاتب قصّر ، ومنهم مَنْ بضد ذلك »[٢٤] ومن الناس « مَنْ رزق بديهة حسنة ، وحدة خاطر ، ونفاذ طبع ، وسرعة نظم ، يرتجل القول ارتجالاً ويأتي به عفواً صفواً فلا تقعد به عن قوم قد أتعبوا خواطرهم وكدوا نفوسهم في التهذيب وبذلوا جهدهم في التنقيح والتأديب »[٢٥] .

البــراءة :

برىء من الأمر يبرأ ويبرؤ بــراءة وبَراءً ، وبرىء : إذا تخلص ، وتنزّه وتباعــد[٢٦] .

أدخل السبكي البراءة في البديع وقال : « ومحلها الهجاء ، وهو كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء فقال : « هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها »[٢٧] .

البراعــة :

برع براعة : تمّ في كل فضيلة وجمال وفاق أصحــابه في العلم وغــيره ، والبارع : الذي فاق أصحابه في السؤدد[٢٨] .

قال الباقلاني : « وأما البراعة فهي فيما يذكر أهل اللغة : الحذق بطريقــة الكلام وتجويده . وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة »[٢٩] .

---

(٢٤) تحرير التحبير ص٤١٨ ، وينظر صبح الأعشى ج٢ ص٣١٧ .
(٢٥) تحــرير ص٤١٤ .
(٢٦) اللســـان (برأ) .
(٢٧) عروس الافراح ج٤ ص٤٧٠ .
(٢٨) اللســـان (برع) .
(٢٩) إعجــاز القرآن ص١٩٤ .

وقال : « فأما وصف الكلام بالبراعة فمعناه انه حذقت طريقته وأجيد نظمه . وقد يوصف بذلك كل مجيد قول أو صناعة فيجوز أن يوصف القرآن بالبراعة على هذا المعنى . والمراد أنه نظم يخرج عن إمكان الناطقين لا على معنى انه تجويد كلام هو على معنى كلام العرب »[٣٠] وقال السبكي : « مما يوصف به الكلام والكلمة — أيضاً — البراعة ، وأهملها الجمهور ، وقد ذكرها القاضي أبو بكر في الانتصار مع الفصاحة والبلاغة وحدّها بما يقرب من حدّ البلاغة »[٣١] .

وقال السيوطي : « البراعة مثل البلاغة فيقال : متكلم بارع وكلام بارع، ولا يقال : كلمة بارعة »[٣٢] ونظمها في أرجوزته « عقود الجمان » فقال :

يوصف بالفصاحة المركب ومفرد ومنشيء مرتب

وغير ثانٍ صفة البلاغة ومثله في ذلك البراعة

فالبراعة هي البلاغة ، وهذا ما ذهب اليه عبدالقاهر الجرجاني الذي جمع بين البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ، ولم يفصل بينها جميعاً وكل ما شاكل ذلك « مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »[٣٣] .

براعة الاستهلال :

البراعة : هي التفوق ، والاستهلال : الافتتاح والابتداء ، فاستهلّ : رأى الهلال ، واستهل المولود : صاح في أول زمان الولادة ، واستهلت السماء :

(٣٠) نكت الانتصار لنقل القرآن ص٢٦٠ .
(٣١) عروس الافراح ج١ ص٧٥ .
(٣٢) شرح عقود الجمان ص٣ .
(٣٣) دلائل الاعجاز ص٣٥ .

جادت بالهلل وهو أول المطر . قال المدني : « وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه الى المعنى الاصطلاحي وإن خصّه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني . وإنما سمي هذا النوع الاستهلال ، لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به »[٣٤] .

قال ابن المقفع : « ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته »[٣٥] . وقال الجاحظ : « كأنه يقول : فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ، فانه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك ، والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت » . وكانت هذه إشارة الى الاهتمام بمثل ذلك في الشعر والنثر ، ولذلك قال ابن جني : « إذا كان المرسل حاذقاً أشار في تحميده الى ما جاء بالرسالة من أجله »[٣٦] . وعقد الكلاعي فصلاً سماه « الاثارة في الصدور الى الغرض المذكور »[٣٧] . وذكر ابن المعتز فناً سماه « حسن الابتداءات »[٣٨] وقال الحموي عن هذه التسمية : « وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع ، وإن أخلّ الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء »[٣٩] . وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية « براعة الاستهلال » وهي : « أن يبتدىء بمايدل على غرضه »[٤٠] .

---

(٣٤) أنوار الربيع ج١ ص٥٦ .
(٣٥) البيان ج١ ص١١٦ .
(٣٦) إحكام صنعة الكلام ص٦٦ .
(٣٧) إحكام صنعة الكلام ص٦٦ وما بعدها .
(٣٨) البديع ص٧٥ .
(٣٩) خزانة الأدب ص٣ .
(٤٠) الوافي ص٢٨٤ .

قال البغدادي : « وأما براعة الاستهلال فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء الكلام ونقاد الشعر وجهابذة الالفاظ ، فينبغي للشاعر إذا ابتدأ قصيدة مدحاً أو ذماً أو فخراً أو وصفاً أو غير ذلك من أفانين الشعر ابتدأها بما يدل على غرضه فيها ، كذلك الخطيب إذا ارتجل خطبة ، والبليغ إذا افتتح رسالة ، فمن سبله أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه وأوله ملخصاً بآخره »[41] . فبراعة الاستهلال هي : « ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وان وقع في أثناء القصيدة »[42] . ولذلك فرق المصري بين أمثلتها ، وأمثلة حسن الابتداءات .

وقال ابن الاثير الحلبي : « ويسمى حسن الابتداءات ، وهو من نعوت الالفاظ ، وهو أن يكون مطلع الكلام دالاً على المقصود في حسن الابتداء»[43] .

وقال ابن قيم الجوزية : « وهو أن يذكر الانسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه »[44] . ثم قال : « هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المصطلح، لكن الزنجاني — رحمه الله — أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفرده ، وكان في حسن المطلع زيادات يحتاج اليها فذكرناها ههنا ، وهذه الزيادة التي اقتضت افراده »[45] .

وعدّه القزويني من حسن الابتداء ، قال : « وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال »[46] ، كقول أبي تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

---

(٤١) قانون البلاغة ص١١٦ ، رسائل البلغاء ص٤٥٠ .
(٤٢) تحرير التحبير ص١٦٨ ، وينظر كفاية الطالب ص٥٢ .
(٤٣) حسن التوسل ص٢٥٠ ، وينظر نهاية الارب ج٧ ص١٣٣ .
(٤٤) الفوائد ص١٣٩ .
(٤٥) الفوائد ص١٤٠ .
(٤٦) الايضاح ص٤٣١ ، التلخيص ص٤٣١ .

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ   في حدّه الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في   متونهن جلاءُ الشكّ والريبِ

وتبع القزويني في ذلك شراح تلخيصه[٤٧] ، ولم يخرج الآخرون على ما عرّفه المتقدمون[٤٨] .

براعة التخلص :

هو التخلص وحسن التخلص ، ويراد به الانتقال من غرض الى آخر في القصيدة . ولم يكن القدماء يعنون به وإنما هو من حسنات المحدثين أو كما قال ابن طباطبا : « ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم ، لان مذهب الاوائل في ذلك واحد ، وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق وحكاية ما عانوه في أسفارهم : إنا تجشمنا ذلك الى فلان ــ يعنون الممدوح ــ كقول الأعشى :

الى هَوذة الوهّاب أُزجي مطيتي   أرجّي عطاءً صالحاً من نوالكا[٤٩]

وكانوا يقولون عند الانتقال : « دع ذا » و « عدّ عن ذا » ، قال الباقلاني : « ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه ، حتى أن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب الى المديح ، وأطبقوا على أنه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشيء ، وإنما اتفق له في مواضع محدودة خروج يُرتضى وتنقّل يستحسن »[٥٠] .

---

(٤٧) شروح التلخيص ج٤ ص٥٣٣ ، المطول ص٤٧٩ ، الأطول ج٢ ص٢٥٧ .
(٤٨) معترك ج١ ص٧٥ ، الاتقان ج٢ ص١٠٦ ، خزانة ص٨ ، أنوار ج١ص٥٣ــ٥٦
(٤٩) عيار الشعر ص١٨٤ .
(٥٠) إعجاز القرآن ص٥٦ .

وقال الحاتمي : « من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممتزجاً بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما ، غير منفصل منه . فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أجزائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفّي معالم جماله . ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين محترسين من مثل هذه الحال إحتراساً يجنبهم شوائب النقصان ويقفه على محجة الاحسان حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال . وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء كقول مسلم بن الوليد ، وهو من بارع التخلص :

أجدّك هل تَدْرينَ أنْ ربَّ ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونك يُنْشَرُ

نصبت لها حتى تجلّت بغرّةٍ كغرة يحيى حين يُذكر جَعْفَرُ

وقول بكر بن النطاح :

ودويّة خلقت للسراب فأمواجه بينها تَزْخَرُ

كأن حنيفةَ تحميهم فألينهم خشنٌ أزْوَرُ

وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقّد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديعَ وأفانينه في أشعارهم ، فكأنه مذهب سهّلوا حزنه ونهجوا رسمه . وأما الفحول الاوائل ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين فمذهب المتعالم فيه : « عدّ عن كذا الى كذا ، أو قصارى كل رجل منهم وصفه ناقته بالعتق والكرم والنجاء ، وانها امتطاها وادّرع عليها جلبابَ ليل وتجاوز بها جوف تنوفة الى الممدوح . وهذه الطريقة المهيع والمحجة اللهجم ، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف تخلص به الى غرضه ولم يتعمده إلاّ أن طبعه السليم

ساقه اليه وصراطه المستقيم أضاء له مناره وأوقد له باليفاع ناره في الشعر»[٥١].

ومنهم من يسمي هذا خروجاً وتوسلاً[٥٢]، وسماه ابن منقذ وابن الزملكاني «التخليص»[٥٣]؛ وسماه التنوخي «المخلص»[٥٤] وسماه غيرهم «التخلص» قال القزويني: «التخلص: ونعني به الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب أو غيره الى المقصود كيف يكون، فاذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على اصغائه الى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس»[٥٥].

وسماه ثعلب وابن المعتز «حسن الخروج»[٥٦]، وسماه التبريزي والبغدادي والمصري «براعة التخلص»[٥٧] وسماه الحلبي والنويري «براعة التخليص»[٥٨].

ولا يخص «براعة التخلص» أو «التخلص» أو «حسن التخلص» أو «حسن الخروج»[٥٩] النظم وإنما يشمل النثر أيضاً.

براعة الطلب:

قال الحلبي والنويري: «هو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم الممدوح»[٦٠] كقول المتنبي:

---

(٥١) حلية المحاضرة ج١ ص٢١٥.
(٥٢) العمدة ج١ ص٢٣٦.
(٥٣) البديع في نقد الشعر ص٢٨٨، التبيان ص١٨٤.
(٥٤) الأقصى القريب ص٨٣.
(٥٥) الايضاح ص٤٣٢، الأطول ج٢ ص٢٥٧.
(٥٦) قواعد الشعر ص٥٠، البديع ص٦٠.
(٥٧) الوافي ص٢٨٥، قانون البلاغة ص١٢٠، رسائل البلغاء ص٤٥٢، تحرير ص٤٣٣.
(٥٨) حسن التوسل ص٢٥٤، نهاية الارب ج٧ ص١٣٥.
(٥٩) ينظر الطراز ج٢ ص٣٣٠، أنوار الربيع ج٣ ص٢٤٠.
(٦٠) حسن التوسل ص٢٥٥، نهاية الارب ج٧ ص١٣٥.

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتي بيان عندها وخطاب

وسماه ابن قيم الجوزية : « براعة الطلب وحسن التوسل » وقال : « وهو أن تكون ألفاظ الطلب مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح »[٦١] .

وقال الحلي : « هذا النوع من مستخرجات الشيخ عزالدين الزنجاني في كتاب المعيار . وهو أن يلوح بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة ، مقترنة بتعظيم الممدوح . خالية من الالحاف ، يشعر بما في النفس دون كشفه »[٦٢] .

وقال الحموي : « وهذا النوع من مستخرجات الشيخ عزالدين الزنجاني في كتاب المعيار ، وهو أن يلوّح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة ، مهذبة ، منقحة، مقترنة بتعظيم الممدوح ، خالية من الالحاف والتصريح ، بل يشعر بما في النفس دون كشفه »[٦٣] . وذكر السيوطي . والمدني ، والنابلسي مثل ذلك[٦٤] .

براعة القطع :

سماه شبيب بن شيبة « جودة القطع »[٦٥] ، وسماه الحلبي « براعة القطع »[٦٦] ، وسماه النويري « براعة المقطع »[٦٧] ، وهو الانتهاء ، وقد تقدم .

---

(٦١) الفوائد ص٢٣٣ .
(٦٢) شرح الكافية البديعية ص٣١٨ .
(٦٣) خزانة الأدب ص٤٥٩ .
(٦٤) شرح عقود الجمان ص١٧٤ ، أنوار الربيع ج٦ ص٣١٩ ، نفحات الازهار ص٣٠٨ .
(٦٥) البيان ج١ ص١١٢ .
(٦٦) حسن التوسل ص٣٥٥ .
(٦٧) نهاية الارب ج٧ ص١٣٥ .

براعـة المطلـع :

وسو الابتداء ، أو حسن الابتداء ، قال الحلي : « أما براعة المطـلع فهي عبارة عن سـهولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، ورقة التشبيب، وتجنب الحشو ، وتناسب القسمين ، وأن لا يكون البيت متعلقاً بما بعـده . ويسمى أيضا « حسن الابتداء » وقد فرعوا منه « براعة الاستهلال » في النظم والنثر . وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بُنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر ... وفي النثر أن يكون افتتاح الخطبة أو الرسـالة أو غيرهما دالاً على غرض المتكلم »(٦٨) .

وقال المدني : « قال أهل البيان من البلاغـة : حسن الابتداء ويسـمى « براعة المطلع » وهو أن يتأنق المتكلـم أول كلامه ويأتي بأعذب الالفـاظ ، وأجزلها ، وأرقها ، وأسلسها، وأحسنها نظماً وسبكاً ، وأصحها مبنى ،وأوضحها معنى ، وأخلاها من الحشو ، والركة ، والتعقيد ، والتقديم والتأخير المُلْبِس والذي لا يناسب »(٦٩) .

براعـة المقطـع :

هو جودة القطع وبراعة القطع والانتهاء ، وسماه بهذه التسمية النويري والتفتازاني والاسفراييني(٧٠) ، وسـماه التيفاشي « حسـن المقطع »(٧١) ، وسماه المصري « حسن الخاتمة »(٧٢) ، وسماه الحلي « براعة الختام »(٧٣) .

---

(٦٨) شـرح الكافيـة البديعيـة ص٥٧ .
(٦٩) انـوار الربيـع ج١ ص٣٤ .
(٧٠) نهـاية الارب ج٧ ص١٣٥ ، المطول ص٤٨٢ ، الأطول ج٢ ص٢٦٠ .
(٧١) خزانة الأدب ص٤٦٠ ، وينظر المطول ص٤٨٢ ، الأطول ج٢ ص٢٦٠ .
(٧٢) تحرير التحبير ص٦١٦ ، بديع القرآن ص٣٤٣ .
(٧٣) شـرح الكافيـة البديعية ص٣٣٣ .

البسط :

البسط : نقيض القبض ، بسط الشيء : نشره[٧٤] .

والبسط نقيض الايجاز ، وهو غير الاطناب ، وقد عدّه المصري من مبتدعاته وقال : « وهو أن يأتي المتكلم الى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ليضمن اللفظ معاني أُخر يزيد بها الكلام حسناً ، لولا بسط ذلك بكثرة الالفاظ لم تحصل تلك الزيادة »[٧٥] . ومنه قول البحتري :

أخجلتني بندى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ

صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجباً وبرٌّ راح وهو جفاءُ

فان حاصل البيتين أنك قطعتني عنك خجلا من كثرة عطائك فبسط هذا الكلام لتحصل زيادات من البديع لولا البسط ما حصلت كالطباق في البيت الأول بذكر السواد والبياض ، والمقابلة في البيت الثاني بذكر الصلة والقطيعة ، والغدو والرواح ، والبر والجفاء .

وقال السبكي : « وفسروه بما هو في معنى الاطناب »[٧٦] ، وقال الحموي : « والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام ، لكن شروطه زيادة الفائدة »[٧٧] . وذكر المدني مثل ذلك[٧٨] .

---

(٧٤) اللسان (بسط) .

(٧٥) تحرير التحبير ص٤٤ ٥ ، بديع القرآن ص٢٥١ .

(٧٦) عروس الافراح ج٤ ص٤٧١ .

(٧٧) خزانة الأدب ص٤٢٠ .

(٧٨) أنوار الربيع ج٦ ص٢٢ ، وينظر نفحات الازهار ص١٨٣ .

البنيـة :

البني : نقيض الهدم ، وبناه بنية وبناية • والبناء : المبني ، والجمع أبنيه • والبِنْيَه — بكسر الباء وضمها — ما بنيته وهو البِنَى — بكسر الباء وضمها — • والبنيه : الهيئه التي بني عليها[79] •

وبنية الكلام : صياغته ووضع ألفاظه ورصف عباراته ، والى ذلك ذهب قدامه فقال : « بنية الشعر إنما هو التسجيع والتقفيه ، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر »[80] ، وقال : « فبنيه هذا الشعر على ان الفاظه مع قصرها قد أشير بها الى معانٍ طوال »[81] •

وكان ابن طباطبا قد أطلق « البناء » على نظم الشعر ، قال :« فاذا أراد الشاعر بناء قصيدة »[82] ، وأدخل في بنائها اللفظ والمعنى والقافية والوزن ، وربط بناء الشعر بعمل النقاش الرقيق وناظم الجوهر •

البيـت :

البيت من الشِّعَر : ما زاد على طريقة واحدة ، يقع على الصغير والكبير ، وقد يقال للمبني من غير الأبنية التي هي الأخبية بيت • والبيت من الشِّعْر مشتق من بيت الخباء ، وهو يقع على الصغير والكبير كالرجز والطويل ، وذلك انه يضم الكلام كما يضم البيت أهله ، ولذلك سموا مقطعاته أسباباً وأوتاداً على التشبيه لها بأسباب البيوت وأوتادها ، والجمع : أبيات • وحكى سيبويه في جمعه : بيوت ، فتبعه ابن جني[83] •

(٧٩) اللسـان (بني) •
(٨٠) نقـد الشـعر ص٦٠ •
(٨١) نقد الشـعر ص١٧٤ ، وتنظر ص١٨٩ •
(٨٢) عيـار الشـعر ص٧ •
(٨٣) اللسـان (بيت) •

فالبيت : هو الكلام الموزون الذي له شطران ، وعليه بيت الشعر القديم . قال الخليل بن أحمد : « رتبت البيت من الشعر ترتيب البيت من بيوت العرب الشعر ، يريد الخباء »[٨٤] .

ويسمى الشطر الأول «الصدر» والثاني «العجز» ، وتسمى آخر تفعيلة من الصدر «العروض» ومن العجز «الضرب» .

البيت الأجوف :

هو البيت الفاسد الحشو ، قال الحاتمي للمتنبي : « وربما أتيت بالبيت الأجوف والمعتل . قال : وما المعتل والأجوف ؟ فقلت : حكى يونس بن حبيب: ان الأجوف الفاسد الحشو ، والمعتل ما اعتل طرفاه »[٨٥] .

البيت التام :

البيت التام : هو ما استوفى كل تفعيلاته ، فان حذفت تفعيلة من الصدر وأخرى من العجز سمي «مجزوءاً» ، فان حذف نصفه سمي «مشطوراً» ، فان حذف ثلثاه سمي «منهوكاً»[٨٦] .

البيت الشعري :

البيت الشعري : هو الذي عم الشعر جميع أهله أو أكثرهم ، وقد عقد ابن رشيق باباً لبيوتات الشعر والمعرِقين فيه ، منها قبل الاسلام بيت أبي سلمى، ومن المخضرمين حسان بن ثابت ، والنعمان بن بشير ، ومن المعرقين في الشعر

---

(٨٤) الموشح ص١٥ ، وينظر المعيار ص١٢ .
(٨٥) الرسالة الموضحة ص٢٥ .
(٨٦) ينظر العمدة ج١ ص١٨١ .

نهشل بن حري . ومن بيوتات الشعر في الاسلام بيت جرير ، ومن المعرقين عقبة بن رؤبة ، ومنها بيت أبي حفصة ، وبيت أبي عيينة ، وبيت اللاحقيين ، وبيت أمية الكاتب ، وبيت رزين ، وبيت حميد بن عبدالحميد .

وفرّق ابن رشيق بين المعْرِق وذي البيت فقال : « والفرق بين المعرق وبين ذي البيت ، أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعداً ، ولا يكون معرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ... وذو البيت من عمّ الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينهما »(87) .

بيت القصيدة :

قال الثعالبي : « بيت القصيدة يضرب مثلاً في تفضيل الشيء على كله ... يقال : فلان فارس الكتيبة وأول الجريدة وبيت القصيدة . قال المتنبي :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً أنت البديعُ الفَرْدُ في أبياتها

وهذا البيت بيت القصيدة التي عرضها »(88) .

البيت المجزوء :

البيت المجزوء : هو الذي حذفت منه تفعيلة من الصدر ، وأخرى من العجز(89) .

البيت المشطور :

البيت المشطور : هو الذي حذف نصفه(90) .

---

(87) العمدة ج2 ص308 .
(88) ثمار القلوب ص659 .
(89) اللسان (جزأ) .

البيت المعتل :

البيت المعتلّ : هو الذي اعتلّ طرفاه ، قال الحاتمي للمتنبي : « وربما أتيت بالبيت الأجوف والمعتلّ . قال : وما المعتلّ والأجوف ؟ فقلت : حكى يونس بن حبيب : أنّ الاجوف الفاسد الحشو ، والمعتلّ ما اعتلّ طرفاه»[٩١].

البيت المقلد :

قال ابن سلام : « وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً ، والمقلد : البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل »[٩٢] ، ومن ذلك :

فيا عجباً حتى كُلَيبٌ تسبني ۞ كأنّ أباها نَهْشَلُ أو مُجاشعُ

ومنه :

وكنا إذا الجبّارُ صَعّر خدّه ۞ ضربناه حتى تستقيمَ الأخادعُ

ومن الأبيات المقلدة قول جرير :

وليست لسيفي في العظام بقيةٌ ۞ ولَلسَيفُ أشوى وقعةً من لسانيا

وقوله :

لا يلبث القرناءُ أنْ يتفرقوا ۞ ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ

وقوله :

زَعَم الفرزدقُ أنْ سيقتلُ مِرْبَعاً ۞ أبْشِر بطولِ سلامةٍ يا مِربعُ

ومن مقلدات الأخطل قوله :

---

(٩٠) اللسان (شطر) ، العمدة ج١ ص١٨١ .
(٩١) الرسالة الموضحة ص٢٥ .
(٩٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٣٦٠ .

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد   ذخراً يكون كصالح الأعمال[٩٣]

وقال الجاحظ فيمن كانوا ينقحون قصائدهم ويرددون النظر فيها : « وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات ، والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ليصير قائلها خنذيذاً وشاعراً مفلقاً »[٩٤] .

البيت المنهوك :

البيت المنهوك : هو الذي حذف ثلثاه[٩٥] .

البيت النادر :

البيت النادر : هو البيت الفريد الذي يجري مجرى المثل ، قال ابن قتيبة: « ومن قيدها بقوافي الشعر وأوثقها بأوزانه وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف »[٩٦] .

بيوتات الشعر :

بيوتات الشعر : هي التي عمّ الشعر جميع أهلها أو أكثرهم . وقد تقدم الكلام عليها في « البيت الشعري »[٩٧] .

* * *

---

(٩٣) ينظر نفسه ج١ ص٣٦١ ، ٤٠٩ ، ٤٩٣ .
(٩٤) البيان والتبيين ج٢ ص٩ .
(٩٥) اللسان (نهك) ، العمدة ج١ ص١٨١ .
(٩٦) عيون الأخبار ج٢ ص١٨٥ .
(٩٧) ينظر العمدة ج٢ ص٣٠٦ وما بعدها .

التـــاء

التـأبين :

أبن الرجل : اتهمه وعابه ، قال اللحياني : ابنته بخـير وبشرّ آبنه وآبن الرجل تأبيناً : مدحه بعد موته وبكاه[1] .

قال ابن سلام : « وأخبرني يونس بن حبيب ان التأبين مدح الميت والثناء عليه . قال رؤبة : « فامدح بلالاً غير ما مؤبن » والمدح للحي »[2] . فالتأبين هو الرثاء ، قال قدامة : « لأن تأبين الميت انما هو بمثل ما كان يمدح في حياته، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح »[3] .

التـأديب :

التأديب : التوجيه ، وقد أدب الله محمـداً ــ صلى الله عليه وسـلم ــ بأحسن الآداب فقال : « خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[4] .

---

(١) اللســان (أبن) .
(٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٠٩ ، وينظر الكليات ج٢ ص١٠٢ .
(٣) نقد الشــعر ص١١١ .
(٤) البيــان ج٢ ص٢٩ . الأعراف ١٩٩ .

والتأديب : التعليم وتقديم الارشاد والنصائح الى الصبيان ليتعلموا الأدب وما يحتاجون اليه في حياتهم . وقد عقد الجاحظ باباً للخطب القصار من خطب السلف ومواعظ من مواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء[٥].

تارات الشعر :

التارات : هي الأوقات ، والتارة : الحين والمرة ، وأترت الشيء : جئت به تارة أخرى أي مرة بعد مرة . يقال : فعل ذلك تارة بعد تارة أي : مرة بعد مرة ، والجمع : تارات وتير[٦] . قال ابن قتيبة : « وللشعر تارات يبعد فيها قريبه ويستصعب فيها ريّضه ، وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات فقد يتعذر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب ولا يُعرف لذلك سبب إلاّ أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم . وكان الفرزدق يقول : « أنا أشعر تميم عند تميم وربما أتت عليّ ساعة ونزع ضرس أسهلُ عليّ من قول البيت »[٧] .

التأسف :

التأسف من أغراض الشعر ، قال القرطاجني : « سمّي القول في الظفر والنجاة تهنئة ، وسمي القول بالاخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسياً ، وان قصد تحسرها تأسفاً »[٨] .

التأسي :

التأسي من أغراض الشعر ، قال القرطاجني : « سمّي القول في الظفر والنجاة تهنئة ، وسمي القول بالاخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسياً »[٩].

---

(٥) البيان ج١ ص٢٥٧ ، وينظر ج١ ص٣٣٢ ، ج٢ ص١٧٤ .
(٦) اللسان (تور) و (تير) .
(٧) الشعر والشعراء ج١ ص٨٠-٨١ .
(٨) منهاج البلغاء ص٣٣٧ .
(٩) منهاج البلغاء ص٣٣٧ .

التأسيس :

الأسّ والأساس : كل مبتدأ شيء ، وهو أصل البناء[١٠] . والتأسيس في الشعر : هو ألف بينها وبين حرف الروي حرف متحرك نحو قول النابغة :

كِليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصِبِ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ

وإذا أسس بيت ولم يؤسس آخر فهو سناد[١١] .

والتأسيس عند البلاغيين : هو أن يبتدىء الشاعر ببيت غيره ويبني عليه[١٢] . وابتدع السيوطي فناً سماه « التأسيس والتفريع » وهو « أن يمهد قاعدة كلية لما يقصده ثم يرتب عليها المقصود »[١٣] كقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء » . وهذا المعنى للتأسيس غير ما قصد اليه المصري ، فالتأسيس عنده الاستعانة ، وعند السيوطي تفسير ما أسسه أو ذكره ، وذلك واضح في كلمات الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلكل دين خلق ، ولكن ما خلقه ؟ الجواب أو الايضاح أو تفسير قوله: « خلق هذا الدين الحياء » .

التأليف :

التأليف : هو الانشاء ، قال الجاحظ :« ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة »[١٤] .

---

(١٠) اللسان (أسس) .

(١١) الموشح ص٦ ، وينظر العمدة ج١ ص١٦١ ، القوافي للأخفش ص٢٢ ، الوافي ص٢٢٨ ، الحور العين ص٩٩ .

(١٢) تحرير التحبير ص٣٨٥ .

(١٣) شرح عقود الجمان ص١٤١ .

(١٤) البيان ج١ ص٥١ .

والتأليف : التصنيف وهو صناعة ، وقد قيل : « من صَنَّف كتاباً فقد استهدف » ، وقد أشار كثير من القدماء الى هذا المعنى[15] .

والتواليف أقسام : منها حسن الاختيار ، ومنها جمع ما افترق ، ومنها اختصار الطويل ، ومنها رد القصير في معرض الطويل الكثير ، ومنها شرح معاني الأشعار . وقد يعتمد المؤلف في تأليفه على فكره ويغترف من بحره ، أو يغترف من بحر غيره »[16] .

والتأليف : هو الائتلاف ــ وقد تقدم ــ والتلفيق ، والتناسب ، والتوفيق ، ومراعاة النظير ، قال السبكي : « وكان الأحسن تسميته التأليف لمراعاة التوفيق »[17] .

والتأليف : تركيب الجمل والعبارات ، قال القزويني : « وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضَعْف التأليف وتنافر الكلمات »[18] .

التأنيس :

الأَنَس: خلاف الوحشة ، وهو مصدر أنست به ، والأُنْس والاستئناس هو التأنس[19] .

التأنيس : هو الجمع بين المعاني لدفع الوحشة عن النفس ، وهو من صفات الاسلوب ، قال : « انه إذا تمادى استمرار الشاعر في الاسلوب على معان من شأن النفس أن تنقبض عنها وتستوحش منها ، فقد يحق عليه أن يؤنس النفوس

---

(١٥) ينظر البيان ج١ ص٥١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ج٤ ص٢٨ .
(١٦) ينظر أحكام صنعة الكلام ص٢٢٩ وما بعدها .
(١٧) عروس الافراح ج٤ ص٣٠١ .
(١٨) الايضاح ص٤ .
(١٩) اللسان (أنس) .

من استيحاشها ويبسطها من قبضها بمعان يكون حال النفس بها غير تلك الحال لكونها ملائمة للنفوس باسطة لها فيميل بالاسلوب في صفوها ويلتفت من جهات تلك المعاني الموحشة الى جهات هذه المونسة ويتلطف فيما يجمع بين القبيلين من بعض الوصل والمآخذ التي بها ينتقل من بعض المعاني الى بعض »(٢٠) .

التأول :

أوّل الكلام وتأوّله : دَبّره وقدّره وفسّره(٢١) .

التأول : هو صرف المعنى عن لفظه الحقيقي وتوجيهه ، وقد اهتم به النقاد عند كلامهم على التشبيه ، وقالوا إن بعضه لا يُحتاج فيه الى تأول ، والآخر يحتاج الى تأول . وهذا التأول متفاوت « فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول اليه ويعطي المقادة طوعاً حتى انه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء ، ومنه ما يحتاج فيه الى قدر من التأمل ، ومنه ما يدق ويغمض حتى تحتاج في استخراجه الى فضل رويّة ولطف فكرة »(٢٢) . وهنا يبدو التفاوت بين نص ونص ، وناقد وناقد .

التأويل :

التأويل : هو أن يحتمل الكلام أكثر من وجه ، وكان يعد من عيوب الكلام ، لان القدماء كانوا يرون البيان أن يكون الكلام « بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل »(٢٣) . قيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة ؟ قال :

---

(٢٠) منهاج البلغاء ص٣٥٩ .
(٢١) اللسان (أول) .
(٢٢) أسرار البلاغة ص٨٣ .
(٢٣) البيان ج١ ص١٠٦ .

« معرفة السليم من المعتــل ، وفصــل ما بين المضمن والمطلــق ، وفرق ما بين المشترك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد »[٢٤] .

التبيين :

بان الشيء بياناً : اتضح فهو بَيِّن" ، والبيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها[٢٥] .

التبيين :هو كشف المعنى وايضاحــه ، قال علي بن الحسين : « لــو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما يختلج في صدورهم »[٢٦] .

التشبيــج :

ثبج الكتاب والكلام تثبيجاً : لم يبينه ، وقيل : لم يأتِ به على وجهــه . والتثبج : اضطراب الكلام ، والتثبيج : التخليط[٢٧] . قال ابن رشيق : « ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مُثَبَّج ، والتشبيج : جنس من المعاظلة»[٢٨]. وقال : « وأما التشبيج : فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال كلام مثبج حتى يكون هكذا . ويقال : رجل مثبج الخَلْق : إذا كان طويلا في اضطــراب . والتشبيج عند الصولي في الخط ألاّ يكون بيناً ، وكذلك هو الكــلام »[٢٩] . وكان ابن رشيق قد أشار الى التشبيج في باب النظم ثم دمجه بالمعاظلة .

---

(٢٤) البيــان ج٢ ص١٠٤ .
(٢٥) اللســان (بين) .
(٢٦) البيــان ج١ ص٨٤ .
(٢٧) اللســان (ثبــج) .
(٢٨) العمــدة ج١ ص٢٦١ .
(٢٩) العمدة ج٢ ص٢٦٤ ، وينظر كفاية الطالب ص٣١٩ .

التثقيف :

ثقف الشيء ثقفاً : حذقه . والثقاف : ما تسوّى به الرماح ، وأقام أَوَدَه بثقافه : سوّى عوجه[٣٠] .

التثقيف : هو تنقيح القصيدة وتحكيكها حتى تخرج مستوية ، وكان الحطيئة يقول : « خير الشعر الحولي المحكك » . وكانوا يسمون الذين يعتنون بشعرهم : « عبيد الشعر » ، قال الأصمعي : « زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر » وقال الجاحظ : « وكذلك كل مَنْ جوّد في جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة »[٣١] . وقال ابن رشيق بعد أن ذكر زهيراً والنابغة : « ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوي وقد قيل إن زهيراً روى له وكان يسمى « محبراً » لحسن شعره »[٣٢] ، وذكر من المثقفين الحطيئة ، والنمر بن تولب . وكان الأعشى يثقف شعره[٣٣] ، ومدح الشعراء التثقيف فقال كعب بن زهير :

ثُثَقِّفُها حتى تلينَ متونُها   فيقصر عنها كل ما يُتَمثَّلُ[٣٤]

وقال عدي بن الرقاع :

وقصيدة قد بتُّ أَجمع بينها   حتى أقوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها

نَظَرَ المثقفِ في كعوبِ قناته   حتى يُقيمَ ثقافُه منآدَها[٣٥]

---

(٣٠) اللسان (ثقف) .
(٣١) البيان ج٢ ص١٣ .
(٣٢) العمدة ج١ ص١٣٣ .
(٣٣) الاغاني ج١٦ ص٤٠٣ .
(٣٤) شرح ديوان كعب بن زهير ص٦٠ وفيه : « يقومها حتى تقوم متونها » ، الأغاني ج١٧ ص٨٣ .
(٣٥) ينظر الموشح ص٣-٤ .

التثقيل والتخفيف :

ذكر ابن منقذ هذا الفن وقال : « وهو كقول أبي نواس :

دَعْ عنك لومي فانَّ اللومَ إغراءُ   وداوِني بالتي كانت هي الداءُ

أخذه أبو تمام فأتى به في ألفاظ ثقيلة فقال :

قَدْكَ اتئبْ أربيتَ في الغُلواءِ   كم تَعْذُلونَ وأنتمْ سُجرائي[٣٦]

وكما قال مسلم وأحسن :

قد أولعته بطول الهجر غرّته   لو كان يعرف طول الهجر ما هجرا

أخذه أبو تمام فقال :

كشف الغطاء فاخمدي أو أوقدي   لم تكمدي فظننت أن لم تكمدِ[٣٧]

ولم يعرّف ابن منقذ هذا الفن ، ويبدو من الأمثلة أنه يريد به نوعاً من الأخذ الموفق أو غير الموفق ، أي أن الشاعر قد يحيل ما يأخذه جميلا رقيقاً ، أو يصيّره ثقيلاً غليظاً .

التثليم :

ثلم الاناء والسيف ونحوه يثلمه ثلماً وثلّمه فانثلم وتثلم : كسر حرفه . والثَّلَمُ في الوادي أن ينثلم جرفه وكذلك في النؤي والحوض[٣٨] . وقد عدّه قدامة من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن وقال عنه : « هو أن يأتي الشاعر

---

(٣٦) قدك : يكفيك . الاتئاب : الاستحياء . الارباء : الزيادة . الغلواء : ريعان الشباب . العذل : اللوم . سجرائي : أحبابي ، واحده : سجير .

(٣٧) البديع في نقد الشعر ص٢٠٤ .

(٣٨) اللسان (ثلم) .

بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر الى ثلمها والنقص منها »[39] . كقول علقمة بن عبدة :

كأنّ إبريقهم ظبي على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بسَبا الكتان ملثوم[40]

أراد : بسبائب الكتان ، فحذف للعروض . وهذا من الضرورات وقد عقد له ابن منقذ فصلاً وقال : « قد جاء في أشعار العرب الفصحاء نقص في الألفاظ والكلمات وتغيير في الاسماء والأفعال فقيل إنه لغة ، وقيل : إنه ضرورة[41] .

التثمين :

التثمين : هو إضافة ستة أشطر على بيت لشاعر آخر ، ومن ذلك تثمين الشمس بن جابر للبيتين :

يا بدر أهلك جاروا وعلموك التجري
وحرّموا لك وصلي وحللوا لك هجري

وهو :

لم يبق فيّ اصطبار مذ خلّفوني وساروا
وللحبيب أشاروا جار الكرام فجاروا
للّه ذاك الأوارُ بانوا فما الدارُ دارُ
يا بدر أهلك جاروا وعلموك التجري
كانوا من الود أهلي ما عاملوني بعدل

(39) نقد الشعر ص249 .
(40) فدم الابريق : وضع الفدام عليه اي المصفاة أو الخرقة ليصفى بها ما فيه .
(41) البديع في نقد الشعر ص178 .

أصموا فؤادي بنبل   يا بين بيّنت ثكلي

يا روح قلبي قل لي   أهم دعوك لقتلي

وحرموا لك وصلي   وحللوا لك هجري[41]

التجديد :

الجدة : نقيض البلى ، يقال : شيء جديد ، وتجدد الشيء : صار جديداً والجديد: ما لا عهد لك به[42] .

كانت حركة التجديد من سمات المحدثين الذين وقفوا موقف التحدي في العصر العباسي . وقد تجلى تجديدهم في الصياغة والموضوعات والأعاريض واهتم بعضهم بهذا التجديد ، وألف المبرد كتاب « الروضة » اختار فيه من الشعر المحدث ، وفعل مثله هرون بن علي المنجم في كتابه « البارع » ، وابن المعتز في كتابه « طبقات الشعراء » . وجمع بعضهم دواوين الشعراء المحدثين. وكان من اهتمامهم أن استشهدوا به في المعاني ، قال ابن جني : « المولدون يستشهد بهم في المعاني كما كان يستشهد القدماء في الألفاظ »[44] .

وكان التجديد من أسباب الصراع بين القدماء والمحدثين ، فكانت الدعوة الى التجديد أقدم من ذلك ، قال حسان بن ثابت :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا   بل لا يوافقُ شِعْرهم شِعْري

ودعا الجاحظ الى نبذ قول من قال : « لم يترك الأول للآخر شيئاً » لئلا يتوقف الابداع ، ونفى ابن الاثير صحة قولهم ، « ان المعاني المبتدعة سبق اليها ولم

---

(٤٢) نفح الطيب ج٢ ص٦٦٦ .

(٤٣) اللسان (جدد) .

(٤٤) العمدة ج٢ ص٢٣٦ .

يبق معنى مبتدع » . قال : « والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح الى يوم القيامة ، ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له »[٤٥] .

فالتجديد إضافة وابداع ، وهو من سمة الحياة في كل زمان ومكان .

التجربة :

جرّب الرجل تجربة : اختبره ، ورجل مجرَّب قد بلي ما عنده ومجرِب قد عرف الامور وجرَّبها ، وجرّبته الأمور : أحكمته[٤٦] .

يراد بالتجربة الحالة التي يمرّ بها الشاعر قبل نظم القصيدة وفي أثناء النظم ، وقد أولى القدماء تجربة الأدب وبينوا المراحل التي يمرّ بها العمل الأدبي وتحدثوا عن أوقات الكتابة . وفي صحيفة بشر بن المعتمر حديث عن معاناة الكتابة والمراحل التي يمرّ بها الكاتب ، قال : « خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها إياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهراً ، وأشرف حسباً ، وأحسن في الأسماع»[٤٧] . وأوصى أن يصبر الأديب إن لم تواته هذه المنزلة ، وأن لا يعجل ولا يضجر ويدعه بياض يومه وسواد ليله وان يعاوده عند نشاطه وفراغ باله فانه لا يعدم الاجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة وجرى من الصناعة على عرق ، فان تمنع عليه فالمنزلة الثالثة أن يتحول من صناعة الأدب الى أشهى الصناعات وأخفها عليه .

ولعل ابن طباطبا من أوائل النقاد الذين تحدثوا عن نظم القصيدة وبنائها، قال : « فاذا أراد الشاعر بناء قصيدة مَخَضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي

(٤٥) المثل السائر ج٢ ص٣٦٣ .
(٤٦) اللسان (جرب) .
(٤٧) البيان ج١ ص١٣٥ ، العمدة ج١ ص٤٢ ، العقد الفريد ج٤ ص٥٥ .

التي توافقه والوزن الذي سلس له القول عليه • فاذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه اثبته واعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه ، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله ، فاذا كملت له المعاني وكثرت الابيات وفق بينها بابيات تكون نظاما لها وسلكا جامعا لما تشتت منها ، ثم يتامل ما قد اداه اليه طبعه وتتجه فكرته فيستقصي انتقاده ويرم ما وهى منه ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية • وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول ، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الاول نقلها الى المعنى المختار الذي هو أحسن وأبطل ذلك البيت أو نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله ويكون كالنساج الحاذق الذي يفوّف وشيه بأحسن التفويف ، ويسدّيه وينيره ، ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه »(٤٨) •

فالشاعر في هذا النص مبدع وناقد ، ويقرب من هذا قول العسكري: « إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيك ببالك وتنوّق له كرائم اللفظ واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها • ولا يتعبك تطلبها واعمله ما دمت في شباب نشاطك ، فاذا غشيك الفتور وتخونك الملال ، فامسك ، فان الكثير مع المال قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء فتجد حاجتك من الري وتنال أربك من المنفعة ، فاذا أكثرت عليها نضب ماؤها وقلّ عنك غناؤها »(٤٩) • ثم قال : « وإذا أردت أن تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك ، وأخطرها على قلبك ، واطلب لها وزناً يتأتّى فيه أيرادها وقافية يحتملها ، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه في تلك،

(٤٨) عيار الشعر ص٧–٨ •
(٤٩) كتاب الصناعتين ص١٣٣ •

ولأنْ تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورونق ، خير من أن يعلوك فيجيء كزاً فجّاً ومتجعداً جلفاً . فاذا عملت القصيدة فهذّبها ونقّحها بالقاء ماغثّ من آبياتها ورثّ ورذل ، والاقتصار على ما حسن وفخم ، وبابدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوي أجزاؤها وتتضارع هواديها وأعجازها »[٥٠] .

وأوصى ابن منقذ الشاعرَ أن يعمل الأبيات متفرقة على ما يجود به الخاطر، ثم ينظمها في الآخر ، وأن يهذبها وينقّحها[٥١] . وذهب الى مثل ذلك المظفر العلوي ، والنواجي ، وابن خلدون[٥٢] ، وذكر القرطاجني أحوال نظم القصيدة وهي ثمان :

الأولى : أن يتخيل فيها الشاعر مقاصد غرضه التي يريد ايرادها في نظمه .

الثانية : أن يتخيل لتلك المقاصد طريقة وأسلوباً أو أساليب متجانسة أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها .

الثالثة : أن يتخيل ترتيب المعاني في تلك الأساليب .

الرابعة : أن يتخيل شكل تلك المعاني وقيامها في الخاطر عبارات تليق بها .

وهذه أربع أحوال في التخاييل الكلية ، أما أحوال التخاييل الجزئية فهي :

الخامسة : أن يشرع الشاعر في تخيل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر.
السادسة : أن يتخيل ما يكون زينة للمعنى وتكميلاً له .

---

(٥٠) كتاب الصناعتين ص١٣٩ .
(٥١) البديع في نقد الشعر ص٢٩٥ .
(٥٢) نضرة الاغريض ص٣٨٩ ، مقدمة في صناعة النظم والنثر ص٢٩ ، مقدمة ابن خلدون ص٥٦٩ ، ٥٧٤ .

السابعة : أن يتخيل لما يريد أن يضمنه في كل مقـدار من الوزن الذي قصـد عبارة توافق نقل الحركات والسكنات فيها ما يجب في ذلك الـوزن في العدد والترتيب بعد أن يخيل في تلك العبارات ما يكون محسنا لموقعها في النفوس .

الثامنة : أن يتخيل في الموضع الذي تقصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفى معنى يليق أن يكون ملحقاً بذلك المعنى وتكـون عبارة المعنى طبقاً لسد الثلمة التي لم تكن لعبارة الملحق به وفاء بها(٥٣).

والابداع الشعري كان لدى كثير من الشعراء تجربة صعبة ، وقـد قيل « إنّ عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر »(٥٤) ، وكان الشـعر يتعذر على الفرزدق أحياناً ، قال : « أنا عند الناس أشعر الناس وربما مـرّت عليّ سـاعة ونزع ضرس أهون عليّ من أن أقول بيتاً واحداً »(٥٥) . وكان أبو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره ، حكى ذلك عنه بعض أصحابه قال : « استأذنت عليه ــ وكان لا يستتر عني ــ فأذن لي فدخلت فاذا هو في بيت مصهرج قد غسل بالماء يتقلب يميناً وشمالا ، فقلت : لقد بلـغ بك الحر مبلغاً شديداً . قال : لا ، ولكن غيره . ومكث كذلك سـاعة ثم قام كأنما أطلق من عقال ، فقال : الآن وردت . ثم استمد وكتب شيئاً لا أعرفه ثم قال : أتدري ما كنت فيه منذ الآن؟ قلت : كلا . قال : قول أبي نواس : « كالدهـر فيه شراسـةٌ وليانُ » أردت معنـاه فشَمَسَ عليّ حتى أمكن الله منـه فصنعت :

شَرِستَ بل لِنْتَ بل قانيت ذاك بذا ... فأنت لا شكَّ فيه السهلُ والجَبَلُ

(٥٣) منهاج البلغاء ص١٠٩ــ١١٠ .
(٥٤) العمدة ج١ ص١١٧ .
(٥٥) البيان ج١ ص٢٠٩ .

قال ابن رشيق بعد هذه القصة : « ولعمري لو سكت هذا الحاكـي لنمّ هذا البيت بما كان داخل البيت ، لأن الكلفـة فيه ظاهرة والتعمل بيّن ، على أن مثل حكاية أبي تمـام وأشدّ منها وقعت لمن لا يتهم وهو جـرير ، صنـع الفرزدق شـعراً يقول فيه :

فانّي أنا الموتُ الذي هو ذاهبٌ بنفسك فانظر كيف أنت محاوِلُه

وحلف بالطلاق أنّ جريراً لا يغلبـه فيه فكان جرير يتمرغ ويقول : أنا أبـو حزرة حتى قال :

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهر خالدٌ فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

وهذا التمرغ في الرمضاء لا يمنع من نظم الشعر على البديهة والارتجـال ، وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلّزة بين يدي عمرو بن هند فأتى بهـا كالخطبة ، وقصيدة عبيد بن الأبرص ، وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال.

وللشـعر دواعٍ منها : الطمـع ، والشوق ، والشـراب ، والطـرب ، والغضب[٥٦] ، وكانت للشعراء وسائل مختلفة يستدعون بها الشعر ، وكان ذو الرمـة يخلو بذكر الأحباب ، وكثيّر يطوف في الربوع المحيلـة والريـاض المعشبة ، وجرير يشعل سراجه ويعتزل وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة ، والفرزدق يركب ناقته ويطوف خالياً منفرداً وحـده في شعاب الجبال وبطون الأودية والاماكن الخربة الخالية ، وكان أبو نواس يشرب إذا أراد أن يصنع الشـعر ، وكان بعضهم يصعد الى سـطح برج[٥٧] ، وكان

---

(٥٦) ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٨٠ ، منهاج البلغاء ص٢٤٩ .

(٥٧) ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٨٩ ، العمدة ج١ ص٢٠٤ ، العقـد الفريـد ج٥ ص٣٢٦ ، الاغاني ج٩ ص١٠٨ ، ج١٨ ص١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ج١٩ ص٢٦٤ ، ٢٧٩ ، معاهد التنصيص ج٢ ص٢٦٥ .

بعضهم ينظم الشعر وهو نائم[٥٨] ، وكان لغيرهم وسائل أخرى وسلوك قد يكون غريباً في نظم الشعر .

التجزئة :

جَزَّأ الشيءَ وجزّأه : جعله أجزاء ، وكذلك التجزئة[٥٩] .

قال ابن منقذ : « التجزئة : هو أن يكون البيت مجزءً ثلاثة أجزاء أو أربعة »[٦٠] ، كقول المتنبي :

فنحن في جَذَلٍ ، والروم في جَزَلٍ والبحر في خجلٍ والبرُّ في شُغُلِ

وقال المصري : « وهو ان الشاعر يجزىء البيت من الشعر جميعه أجزاء عروضية ويسجعها كلها على رويين مختلفين جزء بجزء الى آخر البيت ، الأول من الجزأين على روي مخالف لروي البيت ، والثاني على روي البيت »[٦١] ، كقول الشاعر :

هندية" لحظاتُها ، خطية" خطرا تها ، دارية" نفحاتها[٦٢]

ومثال الثاني الذي سجع كل ثان من أجزائه زائداً على قافيته قول أبي تمام:

تجلّى به رُشْدي ، وأثرت به يدي
وطاب به ثَمْدي ، وأوْرى به زَنْدي[٦٣]

---

(٥٨) ينظر طرق الحمامة ص٢٠٤ ، رسائل ابن حزم ج١ ص٢٨٤ ، نفح الطيب ج٥ ص٢١٦ .
(٥٩) اللسان (جزأ) .
(٦٠) البديع في نقد الشعر ص٦٣ .
(٦١) تحرير التحبير ص٢٩٩ ، وينظر المصباح ص٧٩ .
(٦٢) الهندية : السيوف . الخطية : الرماح . دارية : نسبة الى دارين ، أي أن لحاظها كالسيوف فتكاً والرماح اعتدالا وكالمسك طيباً .
(٦٣) الثمد : الماء القليل .

وفرّق بينه وبين التسميط من وجهين :

الأول : تقسيم بيتها الى ثلاثة أجزاء مسجعة إن كان سداسياً أو أربعة مسجعة إن كان ثمانياً .

الثاني : التزام السجع في الأجزاء على قافية البيت .

وفرّق بينه وبين التسجيع فقال : « وبينه وبين التجزئة اختلاف زنة أجزائه ومجيئها على غير عدد محصور معين »(٦٤) .

وسماه ابن قيم الجوزية « التجزيء »(٦٥) ، ولا يخرج كلام ابن مالك والحموي والسيوطي والمدني والنابلسي عن هذا التحديد(٦٦) .

التجزيء :

التجزيء : هو التجزئة ، وهذه تسمية ابن قيم الجوزية قال : « هو أن يكون الكلام مجزءً ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء »(٦٧) كقوله تعالى : « إنّا أعْطيناكَ الكَوْثَر ، فَصَلِّ لربّك وانْحَرْ ، إنَّ شانِئَكَ هو الأبْتَر »(٦٨) . وهذا مثال الاجزاء الثلاثة ، أما مثال الأربعة فكقوله تعالى حكاية عن ابراهيم — عليه السلام — يعظ أباه بقوله : « يا أبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ ، ولا يُبْصِرُ ولا يُغْني عنك شَيئا . يا أبَتِ إني قَدْ جاءَني من العِلْمِ ما لمْ يأْتِكَ فاتَّبِعْني أهْدِكَ صِراطاً سَوِيّا . يا أبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إنَّ الشيطانَ كان للرحمنِ عَصِيّا . يا

(٦٤) تحرير التحبير ص٣٠٠ .
(٦٥) الفوائد ص٢٣١ .
(٦٦) المصباح ص٧٩ ، خزانة الادب ص٤٣٥ ، شرح عقود الجمان ص١٥٣ ، أنوار الربيع ج٦ ص٢٠١ ، نفحات الازهار ص٦٥ .
(٦٧) الفوائد ص٢٣١ .
(٦٨) الكوثر ١-٣ .

أبَتِ إنّي أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ من الرحمنِ فتكونَ للشيطانِ وَليّا »[٦٩] •

التجميع :

جمع الشيء عن تفرقه يجمعه جمعاً وجمّعه وأجمعه فاجتمع[٧٠] •

والتجميع من عيوب القوافي ، قال قدامة : « هو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيء لان تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه »[٧١] ، كقول عمرو بن شأس :

تذكرتُ ليلى لاتَ حينَ ادّكارها   وقد حني الأصلاب ضلاً بتضلالِ

وعدّه العسكري من عيوب الازدواج وقال : « هو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني »[٧٢] مثل : « وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وإن كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر وإن كان سالف ودك لم يبقِ منه شيئاً » فالعبودية بعيدة منه • وذكر العسكري وابن سنان[٧٣] ان قدامة مثّل للتجميع بقول سعيد بن حميد هذا ، وليس في « نقد الشعر » هذا المثال •

وقال ابن رشيق إنّ من ابتداء القصائد التجميع ، وهو « أن يكون القسم الأول متهيأ للتصريع بقافية ما فيأتي تمام البيت بقافية من خلالها »[٧٤] ، كقول جميل بثينة :

---

(٦٩) مريم ٤٢–٤٥ •
(٧٠) اللسان (جمع)
(٧١) نقد الشعر ص٢٠٩ •
(٧٢) كتاب الصناعتين ص٢٦٤ •
(٧٣) كتاب الصناعتين ص٢٦٤ ، سر الفصاحة ص٢٠٩ •
(٧٤) العمدة ج١ ص١٧٧ •

يا بَثْنُ إنك قد ملكتِ فاسْجحي   وخُذي بحظك من كريم واصلِ

فتهيأت القافية على الحاء ثم صرفها الى اللام . ثم قال ابن رشيق : « وهو كالاكفاء والسناد[٧٥] في القوافي إلا انه دونهما في الكراهية جداً ، وإذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسوّر الداخل من باب غريب » . وقال ابن سنان إنّ قدامة سمّى « ترك المناسبة في مقاطع الفصول : التجميع »[٧٦]، ثم قال : « ومن عيوب القوافي أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي يُنبىء أن تكون آخر البيت بحسبه فيأتي بخلافه »[٧٧] .

وقال البغدادي ان التجميع من عيوب الالفاظ ومثّل له بقول سعيد بن حميد . وقال القرطاجني : « ويكره أن يكون مقطع المصراع الأول على صيغة يوهم وضعها أنها مصراع ، ثم تأتي القافية على خلاف ذلك فيختلف ظن النفس في القافية لذلك ، وقد سمي هذا تجميعاً »[٧٨] .

التحبير :

حَبَّرت الشعر : حسَّنته ، وحَبَّرت الشيء تحبيراً : حسَّنته ، وكان يقال لطفيل الغنوي « محبِّر » لتحسينه الشعر ، وهو مأخوذ من التحبير وحسن الخط والمنطق[٧٩] .

التحبير : خلاف الارتجال ، وهو أن يهتم الأديب بما يكتب ويحسنه ، واستعملها الجاحظ للخطبة أيضاً فقال : « فان أردت أن تتكلف هذه الصناعة

(٧٥) ينظر ان في هذا المعجم .
(٧٦) سر الفصاحة ص٤١٠ .
(٧٧) سر الفصاحة ص٢٢٠ .
(٧٨) قانون البلاغة ص٣٣ ، رسائل البلغاء ص٤١٠ .
(٧٩) اللسان (حبر) .

وتنسب الى هذا الأدب فقرضت الشعر ، أو حبّرت خطبة ، أو ألّفت رسالة ، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه »[٨٠] • وتستعمل للكلام المنثور : « يا يحيى أتحبيراً أم ارتجالاً ؟ فأجابه يحيى : وهل يمتنع فيك وصف أو يتعذر على مادحك قول أو يفحم فيك شاعر أو يتلجلج فيك خطيب ؟ »[٨١] •

التحكيك :

تقول العرب : « فلان جذل حكّاك » أي : انه منقّح • وقالوا في قول الحباب بن المنذر الأنصاري : « أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرجّب » : انه قد جرب الأمور وعرفها[٨٢] •

قال الجاحظ : « وكنت أظن أن قولهم « مُحَكَّك » كلمة مولّدة حتى سمعت قول الصعب بن علي الكناني :

أبلغ فزارةَ أنّ الذئب آكلُها وجائعٌ سَغِبٌ شرٌ من الذيبِ
أزلُّ أطلسُ ذو نفس محككَة قد كان طار زماناً في اليعاسيبِ

وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي ثم تكلم الحسن وأعرابيان حاضران فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين؟ فقال : أما الأول فقاصٌ مجيد ، وأما الآخر فعربي محكك »[٨٣] •

(٨٠) البيان ج١ ص٢٠٣ .
(٨١) كتاب الصناعتين ص٤١ .
(٨٢) اللسان (حكك) .
(٨٣) البيان ج١ ص٢٠٤-٢٠٥ .

فالتحكيك : هو التنقيح والتثقيف واعادة النظر في الكلام وصَقْله . قال ابن رشيق : « وكان الأصمعي يقول : « زهير والنابغة من عبيد الشعر » يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما . ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوي ، وقد قيل إنّ زهيراً روى له، وكان يسمى « محبّراً » لحسن شعره ، ومنهم الحطيئة والنمر بن تولب »[٨٤] .

وكان البعيث الشاعر يقول : « إني والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك »[٨٥] . وقال عبدالله بن وهب الراسبي : « دعوا الرأي يغب فان غبوبه يكشف لكم عن محضه » . وقال ابن التوأم الرقاشي : « ما اشتهي الخبر إلاّ بائتاً »[٨٦] .

وهذا يدل على أهمية التحكيك واعادة النظر في الكلام قبل اظهاره للناس .

التحليل :

حلّ العقدة يحلها حلاً فتحها ونقضها فانحلّت[٨٧] .

قال السجلماسي : « واسم التحليل هو اسم مثال أول لقولهم : « حلل ومحلل » فرق بين أجزاء ملتئمة فلذلك ما هو خليق أن يلحق الشك في قول اسم التحليل على هذا النوع من جنس الرصف من قبل قد كان — وفي قول جوهر الرصف في وضعي الجمهور والصناعة — بمعنى ما يدل عليه اسم التأليف والتركيب وهو يشك يمكن التحرز منه وازالته بسهولة ، وذلك بصرف التناقض الى جهتي تحليل الجملة ورصف الاجزاء التي حلت اليها بعد »[٨٨] .

(٨٤) العمدة ج١ ص١٣٣ .
(٨٥) البيان ج١ ص٢٠٤ .
(٨٦) البيان ج١ ص٢٠٥ .
(٨٧) اللسان (حلل) .
(٨٨) المنزع البديع ص٣٥٣ .

وكان عبدالقاهر من أكثر القدماء اهتماماً بالتحليل ، لانه يوصل الى الحكم الصحيح ، ويلخص موقفه من التحليل قوله : « انه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياساً ما ، وأن تصفها وصفاً مجملاً وتقول فيها قولاً مرسلا ، بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول وتحصل ، وتضع اليد على الخصائص التي تعرف في نظم الكلام وتعدّها واحدة واحدة وتسميها شيئاً شيئاً ، وتكون معرفتك معرفة الصَّنْع الحاذق الذي يعلم كل خيط من الابريسم الذي في الديباج ، قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع ، وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع »[89] .

التحليل بالعكس :

قال السجلماسي : « وطريق التحليل بالعكس هو مقابل طريق التركيب وذلك أن يؤخذ الشيء المنظور فيه متصوراً بكليته مقاماً في الذهن بجملته ثم يبتدأ من آخره بالتحليل بالعكس ، فأول جزء يلقاك في التحليل فهو الجزء الاول البسيط ، أما أوليته فلقاؤه التحليل أولاً وأما بساطته فبقياسه الى الجملة المحللة إذ كانت أقل تركيباً وما بعد ذلك من الاجزاء فهي بسائط ثوان، أما بساطتها فبيّنة بنفسها وأما ثنويتها فلقاؤها التحليل ثانياً . وقال ذلك أيضاً: المثال تفس من بدن الحيوان ، فانا نقيم جملته في الذهن ثم نحلله الى الأعضاء الأولية وهي بهذا النحو من النظر بسائط أول على ما تقدم والى الاسقطسات البسائط الثواني »[90] .

التخلص :

هو الانفكاك من الشيء ، وخلص الشيء : اذا كان قد نشب ثم نجا

---

(٨٩) دلائل الاعجاز ص٣٠-٣١ .

(٩٠) المنزع البديع ص٣٤٣ . الاسقطسات : العناصر .

وسلم[٩١] . والتخلص : هو براعة التخلص وقد تقدم ، وهو حسن التخلص. ومن سماه « التخلص » القزويني وشراح تلخيصه[٩٢] .

تخليص الالفاظ والمعاني :

التخليص : التنحية من كل منشب ، تقول : خلّصته من كذا تخليصاً : نجيته[٩٣] . قال التنوخي : « ومن البيان تخليص الالفاظ بعضها من بعض ، والمعاني بعضها من بعض ، واجتناب اختلاطها »[٩٤] . ومثال اختلاط الالفاظ بالتقديم والتأخير قول بعض الأعراب :

أحبُّ بلاد الله ما بين منعج   اليّ وسلمى أنْ يصوبَ سحابُها

والترتيب أن يقال : « أحب بلاد الله أن يصوب سحابها اليّ ما بين منعج وسلمى » .

ومثال اختلاط المعاني بالتقديم والتأخير قول الشاعر :

ولم أرَ مثل الحي حيّاً مُصبَّحاً   ولا مثلنا يوم التقينا فوارِسا

أكرَّ وأحمى للحقيقة منهم   وأضربُ منا بالسيوف القوانسا

معناهما : « لم أرَ مثلاً للحي أكرَّ منهم ولا مثلاً لنا أضربَ منا » فخلط المعنيين والالفاظ الدالة عليهما وفي إعرابهما إشكال ، وفيهما شذوذ من بناء « أفعل » التفضيل مما ليس من الغرائز .

---

(٩١) اللسان (خلص) .
(٩٢) الايضاح ص٤٣٢ ، التلخيص ص٤٣٢ ، شروح التلخيص ج٤ ص٥٣٥ ، المطول ص٤٧٩ ، الاطول ج٢ ص٢٥٧ .
(٩٣) اللسان (خلص) .
(٩٤) الاقصى القريب ص١٠١ .

التخليـع :

التخلع : التفكك في المشية ، وتخلّع في مشيه : هزّ منكبيه ويديه وأشار بهما ، وخلع أوصاله : أزالها[٩٥] .

قال قدامة : « التخليع : وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائلـه في تزحيفه ، وجعل ذلك بنيةً للشعر كله حتى ميّله الى الانكسار وأخرجـه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة ، الى ما ينكـره حتى يُنْعِمَ ذوقَه أو يعرضه على العروض فيصحّ فيه ، فان ما جرى مـن الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة قليل الحلاوة »[٩٦] ومنه قصيدة عبيـد بن الابرص ، ففيها أبيات قد خرجت عن العروض وقبّح ذلك جودة الشعر حتى أصاره الى حد الرديء منه ، فمن ذلك قوله :

والمرء لو عاش في تكذيبٍ   طولُ الحيـاة له تعـذيبُ

فهذا معنى جيد ولفظ حسن إلاّ أن وزنه قد شـانه ، وقبّحَ حسنه ، وأفسد جيده . فما جرى من التزحيف هذا المجرى في القصيدة أو الأبيات كلهـا أو أكثرها ، كان قبيحاً من أجل افراطه في التخليـع واحدة ثم من أجل دوامـه وكثرته ثانية ، وانما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط أو كان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير توالٍ ، ولا اتساق ، ولا إفراط يخرجه عن الوزن. مثل ما قال متمم بن نُويرة :

وَفَقَدْتُ بني أمٍّ تداعَوا فلم أكنْ   خِلافَهم لأستكينَ وأضرعا

فأما الافراط والدوام فقبيح .

---

(٩٥) اللسـان (خلع) .

(٩٦) نقد الشعـر ص٢٠٦ .

التخميس :

المخمس من الشعر : ما كان على خمسة أجزاء ، قال أبو اسحاق : إذا اختلطت القوافي فهو المخمس ، وشيء" مخمس أي : له خمسة أركان[٩٧] .

التخميس : هو اضافة ثلاثة أشطر على بيت لشاعر آخر . وفي الشعر العربي كثير من التخميس ، منه تخميس هذين البيتين :

رضيت بما قسم اللهَ لي   وفوضت أمري الى خالقي

كما أحسن اللهُ فيما مضى   كذلك يحسن فيما بقي

وتخميسهما :

إذا أزمة نزلت قبلي   وضقت وضاقت بها حِيَلي

تذكرت بيت الامام علي   رضيت بما قسم الله لي

وفوضت أمري الى خالقي

لأن الاله اللطيفَ قضى   على خلقه حُكْمَه المرتضى

فسلّمْ وقُلْ قولَ من فوّضا   كما أحسن الله فيما مضى

كذلك يحسن فيما بقي[٩٨]

التخيير :

خيرته بين الشيئين : فوّضت اليه الخيار ، تخير الشيء : اختاره[٩٩] . وقد أشار أبو العلاء المعري الى احتمال تغيير القوافي ، وذكر قول من قال :

---

(٩٧) اللسان (خمس) .
(٩٨) نفح الطيب ج٢ ص٤٧٥ .
(٩٩) اللسان (خير) .

ألَمَّ بصحبتي وهم هجوع خيال طارق من أمّ حِصْنِ
لها ما تشتهي عَسَلاً مصفّى إذا شاءت وحوّارى بسَمْنِ

فهذان البيتان يصلحان للتغيير وابدال قافيتهما ، وفعل أبو العلاء ذلك ، فأمّ حصن : أم حفص وأم جزء وأم حرب وأم صمت ، وحوارى بسمن : بلمص وبكشء وبضرب وبكمت[100] • ولم يعرفه أبو العلاء أو يسمه ، ولكن المصري سماه « التخيير » وقال : إنه من مبتدعاته وعرفه بقوله : « هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ أن يقفى بقواف شتى ، فيتخير منها قافية مرجّحة على سائرها بالدليل ، تدل بتخيرها على حسن اختياره »[101] ، كقول الحريري :

إنّ الغريبَ الطويلَ الذيلِ مُمْتَهنٌ فكيف حالُ غريبٍ ما له قوتُ

فانه يسوغ أن يقول : فكيف حال غريب ما له حال ، أي : ما له مال ، ما له نشب ، ما له سبب • ولكن « ما له قوت » أدل على الفاقة وأمسّ بذكر الحاجة •

وقال الحلي : « وهو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يقفى بقوافٍ شتى فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها يدل بتخيرها على حسن اختياره »[102] ، كقول ديك الجن :

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي عند المنام
فعسى أنام فتنطفي نار تأجج في عظامي
جَسَد تقلّبه الأكف على فراش من سقام

(١٠٠) رسالة الغفران ص١٥٤ •
(١٠١) تحرير التحبير ص٥٢٧ ، بديع القرآن ص٢٣٣ •
(١٠٢) شرح الكافية البديعية ص٩٤ ، وينظر نفحات الازهار ص٢٢٩ .

أمــا أنا فكمــا عَلِمــتِ فهل لوصْلــك مــن دوام

فانه يصلح مكان « منام » : الرقاد ، الهجوع ، الهجود ، الوسن •

ومكان « عظامي » : فؤادي ، ضلوعي ، كبودي ، البدن •

ومكان « سقام » : قتاد ، دموع ، وقود ، حزن •

ومكان « دوام » : معاد ، رجوع ، وجود ، ثمن •

ثم قال الحلي : « فهذه القوافي المثبتة بعد كل بيت لائق كل منهــا به ، والأولى أولى وأرجح » •

ولم يخرج الآخرون على ما ذكره المصري والحلي[١٠٣] •

التخييل :

خال الشــيء : ظنــه وتفرسه ، وخيّــل عليه : شبه ، وآخال الشــيء : اشتبه[١٠٤] • قال ابن سينا : « التخييل : هو انفعال من تعجب أو تعظيــم أو تهوين أو تصغير أو غم أو نشــاط من غير أن يكون الغرض بالمقول ايقــاع اعتقاد البتة »[١٠٥] • وقال : « والمخيل : هو الكلام الذي تذعن لــه النفس فتنبسط عن أمــور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار •وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكــري سواء كان المقول مصــدقاً به أو غــير مصدق به »[١٠٦] •

---

(١٠٣) عروس الافراح ج٤ ص٤٧٠ ، ٤٧٤ ، خزانة ٧٨ ، ٢٣٩ ، شرح عقــود الجمان ص١٥٥ ، أنوار الربيع ج٢ ص١٤٩ .

(١٠٤) اللســان (خيل) .

(١٠٥) المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ص١٥ .

(١٠٦) الشفاء ــ المنطق ــ الشعر ص٢٤ ، فن الشعر ص١٦١ ، وينظر منهـــاج البلغــاء ص٨٥ ، المنزع البديع ص٢١٩ــ٢٢٠ ، ٥٠١ .

وقال الفارابي : « الغرض المقصود بالأقاويل المخيلة أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه أمر ما من طلب له أو هرب منه » ثم قال : « سواء صدّق بما يخيل اليه من ذلك أم لا ، كان الأمر في الحقيقة على ما خيل له او لم يكن » وعلق القرطاجني على ذلك بقوله : « فأنت ترى هذين الرجلين كيف جعلا التخييل قد يكون بما هو حقيقة في الشيء ، وقد يكون بما لا حقيقة له ، وانما غلط في هذا فظن أن الأقاويل الشعرية لا تكون إلاّ كاذبة قوم من المتكلمين لم يكن لهم علم بالشعر لا من جهة مزاولته ، ولا من جهة الطرق الموصلة الى معرفته »(١٠٧) .

وقال عبدالقاهر : « وأما القسم التخييلي فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وان ما أثبته ثابت وما نفاه منفي »(١٠٨) ، وقال : « وجملة الحديث الذي أريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلا ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى »(١٠٩).

وقال ابن الزَّمْلَكاني : « هو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد ، وأنه مما يظهر في العيان »(١١٠) كقوله تعالى : « والأرض جميعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامة والسماوات مطويّاتٌ بيمينه »(١١١) .

وسمى الحلبي والنويري الايهام والتورية تخييلا(١١٢) ، وربما كان ذلك قريباً ، لان الرازي(١١٣) ذكر مثالاً للتورية هو قوله تعالى : « والأرض جميعاً قبضته ... » وهي من التخييل .

---

(١٠٧) منهاج ص٨٦ .
(١٠٨) أسرار البلاغة ص٢٤٥ .
(١٠٩) أسرار البلاغة ص٣٥٢ .
(١١٠) التبيان ص١٧٨ .
(١١١) الزمر ٦٧ .
(١١٢) حسن التوسل ص٢٤٩ ، نهاية الارب ج٧ ص١٣١ .
(١١٣) نهاية الايجاز ص١١٣ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص٢٢ .

وتحدث العلوي عنه وقال بعد أن ذكر تعريفي ابن الزملكاني والمطرزي: « هو اللفظ الدال بظاهره على معنى ، والمراد غيره على جهة التصوير »[١١٤]. وقال الزركشي وهو يتحدث عن الاستعارة : « ومنها جعل الشيء للشيء وليس له من طريق الادعاء ، والاحاطة به نافعة في آيات الصفاء »[١١٥] ، وذكر الآية السابقة ثم قال : « ويسمى التخييل » ، وقال : إنّ التورية تسمى إيهاماً وتخييلا[١١٦] . أي : أنه ذهب الى ما ذكره الرازي والحلبي والنويري .وذكر الدمنهوري مثل ذلك حينما عرّف التخييل بقوله : « ويقال له الايهام ، وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ، ويراد البعيد »[١١٧] ، وهذا تعريف التورية عند البلاغيين .

والتخييل من أهم الفنون البلاغية والنقدية ، لانه يتصل بالابداع الفني، وقد أولاه عبدالقاهر عناية كبيرة عند كلامه على التشبيه واظهار الفرق بين المعاني العقلية والمعاني التخييلية ، وقد أرجع الى اللون الثاني الحذق والبراعة في التصوير . وقال الزمخشري : « ولا ترى باباً في علم البيان أدقّ ، ولا أرق ، ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع ، وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن ، وسائر الكتب السماوية ، وكلام الأنبياء ، فان أكثره وعليته تخييلات قد زلّت بها الأقدام قديماً »[١١٨] . وأشار المتأخرون الى هذا الأثر ونقلوا عبارة الزمخشري[١١٩] .

(١١٤) الطراز ج٣ ص٥ .
(١١٥) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٤٤٠ .
(١١٦) البرهان ج٣ ص٤٤٥ .
(١١٧) حلية اللب ص١٦٩ .
(١١٨) الكشاف ج٤ ص١١١ .
(١١٩) التبيان ص١٧٨ ، الطراز ج٣ ص٣ ، البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٤٤٠

والتخييل أساس الشعر الأصيل ، قال القرطاجني : « وانما تكون أصيلة في الشعر إذا كان غرض الكلام مبنياً على محاكاتها وايقاع التخييل فيها بالقصد الاول ، فان للشاعر أن يبني كلامه على تخيل شيء من الموجودات ليبسط النفوس له أو يقبضها عنه • ولا يكون كلامه في ذلك معيباً إذا كان الغرض مبنياً على ذلك ، فان لم يكن قصده بنية الكلام على تخييل ما لا يعرفه الجمهور ولا تتأكد علقته بالأغراض ولكن يورد ذلك على سبيل التبعية على جهة من المحاكاة أو غير ذلك فان ذلك غير أصيل في الشعر ويكون الكلام معيباً بذلك »[١٢٠] • والشعر عنده : « كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية الى ذلك والتئامه من مقدمات مخيلة صادقة كانت أو كاذبة ، لا يشترط فيها ــ بما هي الشعر ــ غير التخييل »[١٢١] • ويقع التخييل في الشعر من أربعة أنحاء : من جهة المعنى ، ومن جهة الاسلوب ، ومن جهة اللفظ ، ومن جهة النظم والوزن • وأدخل تصور القصيدة ونظمها في التخييل ، وذكر ثماني أحوال في مزاولة النظم[١٢٢] ، وانتهى الى أن التخييل « قوام المعاني الشعرية ، والاقناع هو قوام المعاني الخطابية »[١٢٣] •

والتخييل عند السجلماسي هو : التشبيه ، والاستعارة ، والمماثلة ، أو التمثيل ، والمجاز[١٢٤] ، وعرف القول المخيل كما عرفه ابن سينا[١٢٥] وقال إنّ التخييل « عمود علم البيان ، وأساليب البديع ، من قبل أنه موضوع الصناعة الشعرية وبخاصةٍ نوع المجاز منه »[١٢٦] •

---

(١٢٠) منهاج البلغاء ص٢٣ •
(١٢١) منهاج البلغاء ص٨٩ •
(١٢٢) منهاج ص١٠٩ وما بعدها •
(١٢٣) منهاج ص٣٦١ •
(١٢٤) المنزع البديع ص٢١٨ وما بعدها •
(١٢٥) المنزع ص٢٢٩ •
(١٢٦) المنزع ص٢٦٠ •

وقرن ابن البناء المراكشي الشعر بالتخيل وقال : « وكل ما في التشبيه من كذب أو غلو فلا يكون في الحكمة ويكون في الشعر ، لأنه مبني على المحاكاة ، والتخييل ، لا على الحقائق »[١٢٧] .

التداخل :

تداخل المفاصل ودخالها : دخول بعضها في بعض ، وتداخل الأمور : تشابهها والتباسها ودخول بعضها في بعض[١٢٨] .

تداخل الكلام : هو التعقيد ، وكان الفرزدق « يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو »[١٢٩] . ومنه قوله :

وما مثله في الناس إلا مملكاً   أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

وقوله :

تعالَ فانْ عاهَدْتني لا تخونني   نكنْ مِثْلَ مَنْ يا ذئبُ يصطحبانِ

تداعي المعاني :

تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا وهو التداعي . وتداعى البناء والحائط : إذا تكسر وآذَنَ بانهدام . وتداعى الكثيب من الرمل : إذا هيل فانهال . وتداعى عليه العدو من كل جانب : أقبل من ذلك . وتداعت القبائل على بني فلان : إذا تألبوا ، ودعا بعضهم بعضاً الى التناصر عليهم[١٣٠] .

---

(١٢٧) الروض المريع ص١٠٣ .
(١٢٨) اللسان (دخل) .
(١٢٩) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٣٦٤ .
(١٣٠) اللسان (دعا) .

تداعي المعاني : هو أن تنثال الافكار انثيالا على الأديب ويقود بعضها الى بعض . وقد تحدث الجاحظ عن التأليف فقال : « فما أكثر من يبتدىء الكتابَ وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة »[131] .

التداول والتناول :

تداولته الأيدي : أخذته هذه مرة وهذه مرة[132] . وتناول الأمر : أخذه، وناولت فلاناً شيئاً مناولة : إذا عاطيته[133] .

عقد ابن منقذ باباً سماه « السابق واللاحق والتداول والتناول » وقال : « هو أن يأخذ البيت فينقص من لفظه أو يزيد في معناه ، أو يحرره فيكون أولى به من قائله ، لكن الاول سابق والآخر لاحق »[134] . كقول علي بن الجهم :

وكم وقفةٍ للريح دونَ بلادِها ... وكم عَقَبَةٍ للطير دُونَ بلادي

أخذه المعري فقال :

وسألْتُ كم بين العقيق الى الحمى ... فجزعْتُ من بعد النوى المتطاولِ

وعذرتُ طيفَكِ في الجفاء لأنّه ... يسري فيصبح دُونَنا بمراحلِ

التذنيب :

ذَنَب ذنباً : تبعه[135] . والتذنيب الزيادة قال قدامة هو : « أن يأتي

(١٣١) الحيوان ج١ ص٨٩ .
(١٣٢) اللسان (دول) .
(١٣٣) اللسان (نول) .
(١٣٤) البديع في نقد الشعر ص٢٢٢ .
(١٣٥) اللسان (ذنب) .

الشاعر بألفاظ تقصـر عن العروض فيضطر الى الزيادة فيها »[١٣٦] . كقـول الكميـت :

لا كعبد المليـك أو كيزيد   أو سليمان بَعْدُ أو كهشـامِ

فالملك والمليك اسمان لله ــ عز وجل ــ والخليفة هو عبدالملك بن مروان ، وقد اضطر الشاعر الى أن يجعله « عبدالمليك » للضرورة الشعرية .

الترتيـب :

رَتَبَ الشيء : ثبت فلم يتحرك ، ورتّبه ترتيباً : أثبته[١٣٧] .

الترتيب من استخراج شرفالدين التيفاشي وهو الذي سماه بهذا الاسم ، وقال عنه : « هو أن يجنح الشـاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحـد ، أو في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ، ولا يدخل الناظم فيها وصفاً زائداً عما يوجبه علمه في الذهن ، أو في العيان »[١٣٨] .

وقال السيوطي هو « الترتيب والمتابعة »[١٣٩] ، ومنه قول زهير :

يؤخَّرْ فيوضـعْ في كتاب فيدّخـره   ليوم الحساب أو يعجلْ فينتقمِ

ومنه قوله تعالى : « هو الذي خَلَقَكم من تراب ، ثمَّ من نُطْفَةٍ ، ثمَّ من عَلَقَةٍ ، ثمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً لتبلغوا

---

(١٣٦) نقد الشـعر ص٥٠٢ .
(١٣٧) اللسـان (رتب) .
(١٣٨) خزانة الادب ص٣٦٧ ، الاتقان ج٢ ص٩٠ ، أنوار الربيـع ج٥ ص٣١٧ ، نفحات الازهـار ص٤٥ .
(١٣٩) شـرح عقود الجمان ص١٣٤ .
(١٤٠) غـافر ٦٧ .

أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لتكونوا
شُيوخاً »(١٤٠) .

الترجمة :

التَرجمان والتُرجمان : المفسر ، وقد ترجمه وترجم عنه . ويقال : ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر(١٤١) .

الترجمة : هي التعريف أو التفسير ، قال السجلماسي في الاتساع: « وبهذا ترجم عليه أبو الفتح فيكتابه الخصائص، والترجمة للباب كالحد للمفرد»(١٤٢).

والترجمة : النقل من لغة الى أخرى وقد عرفها العرب ونقلوا العلوم من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية.وتحدث الجاحظ عن ترجمة الشعر وصعوبتها وعن قيمة الترجمة وشرائط الترجمان . قال : « والشعر لا يُستطاع أن يترجم ومتى حوّل تقطّع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنثور »(١٤٣) .

الترجيع :

رجّع الرجل وترجّع : ردّدَ صوته في قراءة ، أو أذان ، أو غناء ، أو زمر ، أو غير ذلك . والترجيع : ترديد القراءة(١٤٤) .

قال العلوي : « الترجيع : تفعيل من قولك : رجّعت الشيء : إذا ردّدته، ويسمى الترجيع رجيعاً وهو ما يخرج من بطن ابن آدم ، لانه يتردد فيه، ويقال

---

(١٤١) اللسان (رجم) .
(١٤٢) المنزع البديع ص٤٢٩ ، وينظر الخصائص ج٣ ص١٦٤ .
(١٤٣) ينظر الحيوان ج١ ص٧٥ وما بعدها .
(١٤٤) اللسان (رجع) .

للسماء : « ذات الرَّجْع »[145] ، لأن المطر يتردد في نزوله منها . وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ، ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة ، وأخصر لفظ ، فينزل في البلاغة أحسن المنازل ، وأعجب المواقع »[146] .

ومن جيد ما يورد من ذلك ما قاله وضاح اليمن :

قالت : ألا لا تلجَنْ دارنا	إنَّ أبانا رجلٌ غائرُ
أما رأيتَ الباب من دوننا	قلت : باني واثبٌ ظافرُ
قالت : فإنَّ الليثَ عاديةٌ	قلت : فسيفي مُرْهَفٌ باترُ
قالت : أليس البحرُ من دوننا	قلت : فاني سابحٌ ماهرُ
قالت : أليس اللهُ من فوقنا	قلت : بلى وهو لنا غافرُ
قالت : فامّا كنت أعييتنا	فأتِ إذا ما هَجَعَ السّامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى	ليلةَ لا ناهٍ ولا آمرُ

وسماه المصري « المراجعة » وقال انه من مبتدعاته وهو « أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة في الحديث جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة ، وأرشق سبك وأسهل ألفاظ ، أما في بيت واحد أو في أبيات أو جملة واحدة »[147] كقول عمر بن أبي ربيعة :

بينما يَنْعتْنَني أبْصَرْنَني	مثل قَيْدِ الرمح يعدو بي الأغَرّ
قالت الكبرى : ترى من ذا الفتى	قالت الوسطى لها : هذا عُمَر

(١٤٥) الآية ١١ من سورة الطارق : « والسماء ذات الرجع » .
(١٤٦) الطراز ج٣ ص١٥١ .
(١٤٧) تحرير التحبير ص٥٩٠ ، بديع القرآن ص٣٠ .

قالت الصغرى وقـد تيّمتهـا   قد عرفنـاه ، وهل يخفى القمر ؟

وكان الرازي قـد تحدث عن « السـؤال والجواب »[148] ومثل له بقـول البـاخرزي :

قد قلت : هجرتني فما العلّـة   صَدّتْ وتمايلتْ وقالت : قله

وأشار الى ذلك الحلي وهو يتحدث عن المراجعة : « ومنهم من سـمى هـذا النوع « السؤال والجواب » كالامام فخرالدين الرازي ـ رحمه الله ـ وذكر ابن أبي الاصبع انه من مخترعاته ، وقد وجدناه في كتب غيره بالاسم الثاني ، وهو أن يحكي المتكلم ما جرى بينه وبين الغير من سؤال وجوابه بأوجز عبارة وألطف معنى وأرشق سبك وأسهل لفظ »[149] .

ونقل ابن مالك تعريف المصري وأمثلته[150] ، وقال السـبكي : « هي حكاية محاورة بين المتكلم وغيره ، وهو أعم من الايحاء »[151] ومثـل لـه بأبيات وضاح اليمن .

وقال الحموي : « المراجعة ليس تحتها كبير أمر ، ولو فوّض إليّ حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه ... ومنهم من سَمّى هـذا النـوع ـ أعني المراجعة ـ : « السؤال والجواب »[152] .

ولم يخرج السيوطي والمـدني عما ذكره السابقون[153] ، ويستدل مـن الأمثلة الكثيرة التي ذكرها المـدني شيوع مثل هذا الاسلوب بين الشعراء .

---

(١٤٨) نهاية الايجاز ص١١٤ .
(١٤٩) شرح الكافية البديعية ص٩٩ ، وينظر أنوار الربيع ج٢ ص٣٥٠ .
(١٥٠) المصبـاح ص١٢١ .
(١٥١) عروس الافراح ج٤ ص٤٧١ .
(١٥٢) خزانـة الأدب ص٩٩ .
(١٥٣) شرح عقود الجمان ص١٣٤ ، معترك ج١ ص٤١٨ ، الاتقان ج٢ ص٩٦ ، انوار الربيع ج٢ ص٣٥٠ .

الترسـل :

الرَّسل : قطيع بعد قطيع ، والترسل كالرِسل في القراءة والترسيل واحد ، وهو التحقيق بلا عجلة • وقيل : بعضه على أثر بعض ، وترسل في قراءته : اتّأدَ فيها • وترسل الرجل في كلامه ومشيه : إذا لم يعجل • وأرسل الشيء : أطلقه[١٥٤] •

الترسل : هو فن الكتابة ، وقد تحدث المرزوقي عن المترسلين وقلتهم فقال: « إنّ مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى متسع الباع واسع النطاق ، تدل لوائحه على حقائقه وظواهره على بواطنه ، إذ كان مورده على أسماع مفترقة من خاصيّ وعاميّ ، وأفهام مختلفة من ذكيّ وغبيّ • فمتى كان متسهلاً متساوياً ومتسلسلاً متجاوباً ، تساوت الآذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيسمح شارده إذا استدعي ، ويتعجل وافده إذا استدني ، وإن تطاول أنفاس فصوله وتباعد أطراف حزونه وسهوله »[١٥٥] •

والمترسل محتاج الى مراعاة أمور كثيرة منها :

١ـ تبين مقادير من يكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً •

٢ـ وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها •

٣ـ أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها في النقض والابرام ، والبسط والانقباض •

٤ـ أن يعرف أوقات الاسهاب ، والتطويل ، والايجاز ، والتخفيف •

---

(١٥٤) اللسان (رسل) •

(١٥٥) شرح ديوان الحماسة ج١ ص١٨ •

٥ـ أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل ولا يشتط في الحكومة .

ولهذا « صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعز ، وعددهم أنزر ، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رياستها »[١٥٦] .

والترسل أو الترسيل مختلف ومتنوع ومنه ما يسمى العاطل لقلة تحليته بالاسجاع والفواصل وهو الأصل ، ومنه ما يسمى الحالي ، لأنه حلي بحسن العبارة ، ولطف الاشارة ، وبدائع التمثيل ، والاستعارة وجاء فيه من الاسجاع والفواصل ما لم يأت في العاطل . ومنه ما يسمى « المصنوع » لانه نمق بالتصنيع ، ووشح بأنواع البديع . ومنه ما يسمى « المغصن » لانه ذو فروع وأغصان ، ومنه ما يسمى « المفصل » لانه فصل فيه المنظوم بالمنثور فجاء كالوشاح المفصل ، ومنه ما يسمى «المبتدع» لامتزاج المنظوم فيه بالمنثور[١٥٧] وقال أبو اسحاق الصابي : « الترسل : هو ما وضح معناه ، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه »[١٥٨] . ورد ابن الاثير على الصابي قوله هذا وقال : « إن هذه دعوى لا مستند لها ، بل الأحسن في الأمرين معاً انما هو الوضوح والبيان »[١٥٩] .

وقال القلقشندي إن « الترسل والمكاتبات أعظم كتابة الانشاء وأعمها من حيث لا يستغني عنها ملك ولا سوقة »[١٦٠]

---

(١٥٦) شرح ديوان الحماسة ج١ ص٢٠ .
(١٥٧) أحكام صنعة الكلام ص٩٦ وما بعدها .
(١٥٨) المثل السائر ج٢ ص٤١٤ .
(١٥٩) المثل السائر ج٢ ص٤١٥ .
(١٦٠) صبح الأعشى ج١ ص٥٣ .

الترسيل :

الترسيل : هو الترسل ، وقد تقدم[١٦١] .

الترصيع :

رصع الشيء : عقده عقداً مثلثاً متداخلا ، والترصيع : التركيب ، ورصّع العقد بالجوهر : نظمه فيه وضمّ بعضه الى بعض[١٦٢] .

فالترصيع مأخوذ من ترصيع العقد ، وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلىء مثل ما في الجانب الآخر . وقال ابن شيث القرشي :

« وهو مأخوذ من رصيعة اللجام ، وهي العقدة التي تكون على صدغ الفرس من الجانبين ، ولا يجوز أن تكون إحدى العقدتين معقودة والأخرى محلولة ، ولا أن تكون إحداهما حالية والأخرى عاطلة »[١٦٣] .

والترصيع من نعوت الوزن عند قدامة ، قال : « وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف »[١٦٤] . وقال : « فالترصيع أن تكون الالفاظ متساوية البناء ، متفقة الانتهاء ، سليمة من عيب الاشتباه وشين التعسف والاستكراه ، يتوخى في كل جزئين منها متواليين أن يكون لهما جزءان متقابلان يوافقانهما في الوزن ، ويتفقان في مقاطع السجع من غير استكراه ولا تعسف »[١٦٥] .

---

(١٦١) ينظر أحكام صنعة الكلام ص٩٦ .
(١٦٢) اللسان (رصع) .
(١٦٣) معالم الكتابة ص٧١ .
(١٦٤) نقد الشعر ص٣٨ .
(١٦٥) جواهر الالفاظ ص٣ .

وقال العسكري : « هو أن يكون حشو البيت مسجوعاً »[١٦٦] ، وذكر الباقلاني نوعاً سماه « الترصيع مع التجنيس »[١٦٧] كقول ابن المعتز :

ألمْ تَجْزَعْ على الربع المحيلِ وأطلالٍ وآثارٍ مُحولِ

وقوله تعالى : « إنَّ الذين اتّقَوا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِن الشَّيطانِ تَذكّروا فاذا هُمْ مُبْصِرونَ . وإخوانُهم يَمُدّونَهُمْ في الغيِّ ثمَّ لا يُقْصِرونَ »[١٦٨] .

وقال الباقلاني : « ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى المصارعة »[١٦٩] ، كقول الخنساء :

حامي الحقيقة ، محمودُ الخليقة ، مهـ ـديُّ الطريقة ، نفّاعٌ وضرّارُ

جوّابُ قاصيةٍ ، جزّار ناصية عقّاد ألوية للخيل جرّارُ

وقال ابن رشيق : « وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة »[١٧٠] ثم قال : « وللقدماء من هذا النوع إلاّ أنهم لا يكثرون منه كراهة التكلف » .

ولا يخرج كلام ابن سنان والتبريزي والبغدادي وابن منقذ وابن الزملكاني وابن مالك وابن الاثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني

---

(١٦٦) كتاب الصناعتين ص٣٧٥ .
(١٦٧) اعجاز القرآن ص١٤٥ .
(١٦٨) الاعراف ٢٠١-٢٠٢ .
(١٦٩) اعجاز القرآن ص١٤٦ .
(١٧٠) العمدة ج٢ ص٢٦ .

والنابلسي عن ذلك[١٧١] . وقال الرازي : « هو أن تكون الالفاظ مستويه الأوزان متفقه الاعجاز »[١٧٢] ، ونقل السكاكي وابن قيم الجوزية والحلبي والنويري هذا التعريف[١٧٣] .

وقال ابن الاثير : « هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية »[١٧٤] . ونفى أن يكون هذا الفن في كتاب الله العزيز لما فيه من زيادة في التكلف وقال: إنه قليل في الشعر ، وإذا جيء به لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون إذا جيء به في الكلام المنثور . وكان السابقون كابن منقذ والرازي والسكاكي قد ذكروا له أمثلة من القرآن الكريم كقوله تعالى : « وآتَيْناهُما الكتابَ المُسْتَبينَ . وهَدَيْناهما الصراطَ المستقيمَ »[١٧٥] .

وقال المصري : « الترصيع كالتسجيع في كونه يجزىء البيت اما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً ، أو أربعة إن كان ثمانياً وسجع على ثاني العروضين دون الأول ، وأكثر ما يقع الجزءان المسجع والمهمل في الترصيع مدمجين ، إلا اسجاع التسجيع على قافية البيت »[١٧٦] .

وأدخل القزويني هذا اللون في السجع وقال : « وقيل : السجع غير مختص بالنثر ومثاله من الشعر قول أبي تمام :

---

(١٧١) سر الفصاحة ص٢٢٣ ، الوافي ص٢٧٦ ، قانون البلاغة ص١٠٧ ، رسائل البلغاء ص٤٤٦ ، البديع في نقد الشعر ص١١٦ ، التبيان ص١٦٩ ، المصباح ص٧٨ ، جوهر الكنز ص٢٥٤ ، خزانة ص٤٢٢ ، معترك ج١ ص٤١٥ ، أنوار الربيع ج٦ ص١٦٢ ، نفحات الازهار ص

(١٧٢) نهاية الايجاز ص٣٥ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص٩ .

(١٧٣) مفتاح ص٢٠٣ ، الفوائد ص٢٢٩ ، حسن التوسل ص٢٠٧ ، نهاية الارب ج٧ ص١٠٤ .

(١٧٤) المثل السائر ج١ ص٢٦٤ ، الجامع الكبير ص٢٦٣ .

(١٧٥) الصافات ١١٧ .

(١٧٦) تحرير ص٣٠٢ .

تجلّى به رشدي ، وأثرت به يدي وفاض به ثـَمْدي وأورى به زَنْدي[177]

وذكر الحلي هذا المثال في «التسجيع» وقال : « هو أن يأتي المتكلـم في أجزاء كلامه أو بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين ، بشرط أن يكون رويّ الأسجاع على روي البيت »[178] .

وللآخرين كلام على الترصيع لا يخرج عما اختطه السابقون[179] .

التسبيغ :

شيء سابغ أي : كامل واف ، وسبغ الشيء طال[180] .

قال المصري : « هذا الباب سماه الأجـدابي التسبيغ وفسّره بأن قال : « هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليهـا ، والتسبيغ زيـادة في الطول »[181] ومنه قول النابغة الذبيـاني :

لعمـري وما عمري عليّ بهيّنٍ لقد نطقتْ بُطْـلاً عليّ الأقارعُ

أقارعُ عَوْفٍ لا أحاول غيرها وجوهُ قرودٍ تبتغي مَنْ تجـادعُ

وقول أبي حية النميري :

رَمَتْني وسِتْرُ الله بيني وبينها عَشيّةَ آرامِ الكِناس رَميـمُ

رميمُ التي قالت لجيران بيتها ضمنْتُ لكـم ألاّ يزال يهيـمُ

(177) الايضاح ص395 ، التلخيص ص400 . الثمد : الماء القليل .
(178) شرح الكافية البديعية ص194 ، وينظر الترصيع في ص190 .
(179) نضرة الاغريض ص118 ، معالم الكتابة ص71 ، حدائق السحر ص92 ، المنـزع ص509 .
(180) اللسـان (سـبغ) .
(181) تحرير التحبير ص520 ، بديع القرآن ص229 .

وذكر الحموي والسيوطي والمدني مثل ذلك[182] .

التسجيل :

أسجل الرجل : كثر خيره ، والاسجال : الاكثار[183] .

قال العلوي : « هو تطويل الكلام والمبالغة فيما سبق من أجله من مدح أو ذم . وهو نوع من الاطناب ، خلا أنّ الأطناب عام في كل مقصود من الكلام ، والتسجيل خاص في المبالغة في المدح أو الذم »[184] . والمثال فيه قوله — تعالى — في ذم عبادة الأوثان والاصنام وتهجين مَنْ عبد سواه فانه سجل عليهم غاية التسجيل ونعى اليهم أفعالهم ووبخهم ، وسفّه حلومهم ، واستركّ عقولهم على جهة التسجيل والتنويه بما عملوا . « إنّ الذين تدعون من دون الله لن يَخْلُقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذبابُ شيئاً لا يَسْتَنْقِذوه منه ، ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ »[185] .

ومثاله في المدح قوله — تعالى — في صفة المؤمنين في صدر سورة البقرة حيث ذكرهم بالصفات المحمودة ، وأثنى عليهم بالمناقب المعهودة وبما شرح الله صدورهم بالايمان بالله تعالى وبرسوله وكتبه المنزلة ، وبما كان منهم من التصديق بما جاءت به من أحوال القيامة والحشر والنشر وغير ذلك .

التسميط :

السمط : الخيط ما دام فيه الخرز وإلاّ فهو سلك ، والسمط : خيط النظم لأنه يعلق . وسَمَّطت الشيء : علقته على السموط تسميطاً[186] .

---

(182) خزانة ص102 ، شرح عقود الجمان ص149 ، أنوار الربيع ج3 ص45 .
(183) اللسان (سجل) .
(184) الطراز ج3 ص167 .
(185) الحج 73 .
(186) اللسان (سمط) .

وقال المدني : « التسميط مأخوذ من السمط ـ بكسر السين المهملة وسكون الميم ـ وهو خيط النظم كأنهم جعلوا القافية كالسمط والأجزاء المسجعة بمنزلة حبات العقد ، أو من السمط بمعنى القلادة كأنهم جعلوا البيت بمصيبة بالأجزاء المسجعة كالقلادة المفصّلة بالجواهر المتناسبة • وهو عبارة ان يجعل الشاعر أبيات من قصيدة أو كل بيت منها أربعة أقسام ، ثلاثة منها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع »[187] • وقال التبريزي : « التسميط اعتماد الشاعر تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع ، أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف والتمثيل • وسمي تسميطاً تشبيهاً بالمسمط في نظمه »[188] • كقول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمودِ صَخْرٍ حطّه السيلُ من علِ

ونقل البغدادي ذلك[189] ، وقال المصري : « هو أن يعتمد الشاعر تصيير بعض مقاطع الأجزاء أو كلها في البيت على سجع يخالف قافية البيت »[190] • وقال المظفر العلوي ان التضمين يسمى التسميط والتوشيح[191] • وقال ابن قيم الجوزية انه على قسمين[192] :

الأول : أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ، ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي ، أو رسالة حتى تنتهي فتصير كالسمط الذي احتوى على جواهر متشاكلة • ومنه

---

(187) أنوار الربيع ج6 ص190 • وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص17 ، شرح الكافية البديعية ص196 ، أنوار الربيع ج6 ص190 ، نفحات الازهار ص131 •
(188) الوافي ص292 •
(189) قانون البلاغة ص128 ، رسائل البلغاء ص456 •
(190) تحرير ص295 ، بديع القرآن ص101 •
(191) نضرة الاغريض ص190 •
(192) الفوائد ص230 ، وينظر الطراز ج3 ص97 ، عروس الافراح ج4ص438

قوله تعالى : « إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ • وإذا النجومُ انْكَدَرَتْ » الى قوله : « عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ »[193] •

وقول امرىء القيس :

ومستلئم كشَّفْتُ بالرمح ذيلَه أقمت بعضبٍ ذي شقاشِقَ ميلَه

فَجَعْتُ به في ملتقى الحرب خيلَه تركت عتاقَ الطير يَحْجِلْنَ حولَه

كأن على سرباله نَضْحَ جريال

الثاني : أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول الحريري :

خلّ ادكار الاربع والمعهد المرتبع

والظاعن المودع وعدٌ عنه ودَعِ

واندب زماناً سلفا سوّدت فيه الصحفا

ولم تزل معتكفاً على القبيح الشنّعِ

التسهيل :

السهولة : كل شيء الى اللين وقلة الخشونة ، والتسهيل : التيسير[194]. قال المدني : « التسهيل أدخلها بعضهم في نوع الانسجام ، وذكرها التيفاشي مضافة الى باب الظرافة وسماها « التظريف » ، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب « سر الفصاحة » وقال في مجمل كلامه : « هي خلو اللفظ من التكلف والتعقيد لا كما قال بعضهم :

وقبر حَرْب بمكانٍ قفر وليس قُرْبَ قبر حَرْبٍ قبرُ

(١٩٣) التكوير ١-٣ .
(١٩٤) اللسان (سهل) .

وهذا من أعقد الكلام وأشده تنافراً »[195] .

وعقد ابن منقذ باباً باسم « الظرافة والسهولة »[196] ، وفعل مثله الحلبي وقال : « السهولة ذكرها التيفاشي مضافة الى باب «الظرافة» ، وأشركها غيره بالانسجام ، وقوم بالظريف ، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب « سر الفصاحة » فقال في مجمل كلامه : « هي خلو اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك »[197] . ثم قال : « وقال التيفاشي : هي أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة ظريفة تتميز عما سواها عند من له أدنى ذوق في الأدب ، وهي مما يدل على رقة الحاشية وسلامة الطبع » . ومن أحسن أمثلة ذلك قول الشاعر :

أليس وَعَدْتني يا قلبُ أنّي إذا ما تُبْتُ عـن ليلى تتوبُ

فها أنا تائبٌ عـن حبِّ ليلى فما لك كلما ذُكِرَتْ تذوبُ ؟

وقال الحموي : « ومذهبي ان البهاء زهـير قائد عنان هذا النوع وفارس ميـدانه »[198] .

وسمّى المدني هذا النوع « التسهيل » وذكر كلام الحلي والحموي[199] وذكر القرطاجني فناً سماه « التسهّل » وقال : « والتسهل يكون بأن تكون الكلم غير متوعرة الملافظ والنقل من بعضها الى بعض ، وأن يكون اللفظ طبقاً للمعنى ، تابعاً له ، جارية العبارة من جميع أنحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة . هذا إذا لم يكن المقصد إغماض المعاني »[200] .

---

(195) انوار الربيع ج6 ص270 .
(196) البديع في نقد الشعر ص134 .
(197) شرح الكافية البديعية ص311 .
(198) خزانة الأدب ص454 .
(199) انوار الربيع ج6 ص270 .
(200) منهاج البلغاء ص223 .

التسهيم :

المسهّم : البرد المخطط ، وبرد مسهّم مخطط بصور على شكل السهام[٢٠١] . قال المدني : « التسهيم مأخوذ من البرد المسهّم أي المخطط ، وهو الذي يدل أحد سهامه على الذي يليه لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص بمجاورة الذي قبله أو بعده منه »[٢٠٢] . والتسهيم الارصاع — وقد تقدم — وسماه قدامة والعسكري « التوشيح »[٢٠٣] ، ويقال : إنّ الذي سماه تسهيماً علي بن هارون ، وسماه ابن وكيع المطمع[٢٠٤] .

قال الحلي : « والفرق بين التسهيم والتوشيح من ثلاثة أوجه :

أحدهما : ان التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره ويعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدم سجعة النثر أو قافية الشعر . والتوشيح لا تعلم السجعة والقافية منه إلاّ بعد تقدم معرفتها .

والآخر : ان التوشيح لا يدلك أوله إلاّ على القافية فحسب ، والتسهيم يدل تارة على عجز البيت ، وطوراً على ما دون العجز بشرط الزيادة على القافية .

---

(٢٠١) اللسان (سهم) .
(٢٠٢) أنوار الربيع ج٤ ص٣٣٦ .
(٢٠٣) نقد الشعر ص١٩١ ، كتاب الصناعتين ص٣٨٢ .
(٢٠٤) ينظر حلية المحاضرة ج١ ص١٥٢ ، المنصف ج١ ص٦٠ ، العمدة ج٢ص٣١، كفاية الطالب ، الوافي ص٢٧١ ، قانون البلاغة ص١٠١ ، رسائل البلغاء ص٤٤٣ ، البديع في نقد الشعر ص١٢٧ ، الرسالة العسجدية ص١٥٢ ، التبيان ص١٨٣ ، منهاج البلغاء ص٩٤ ، المصباح ص٨٩ ، حسن التوسل ص٢٦٦ ، نهاية الارب ج٧ ص١٤٢ ، جوهر الكنز ص٢٨٤ ، الفوائد ص٧٥ ، شروح التلخيص ج٤ ص٣٠٥ ، المطول ص٤٢٢ ، خزانة الأدب ص٣٧٤ ، الأطول ج٢ ص١٩٠ ، أنوار ج٤ ص٣٣٦ ، حلية اللب ص١٣٤ ، المنزع البديع ص٣٥٩ .

والثالث : ان التسهيم يدل تارة أوله على آخره ، وطوراً آخره على أوله بخلاف التوشيح »(٢٠٥) .

وتكلم المظفر العلوي على التسهيم كلاماً يختلف عن هذا قال : « سئل جماعة ممن يتعاطى علم البديع ونقد الشعر الصنيع عن التسهيم ، فما منهم أجاب بجواب التفهيم ، ولم يحصل من إشاراتهم اليه ولصوصهم عليه سوى أن المسهّم هو الذي يسبق السامع الى قوافيه قبل أن ينتهي اليه راويه . قلت : ليس هذا اللقب دالاً على هذا المعنى ، فان كان الملقب قصد الاغراب به فقد أبعد المرمى وزلّ عن النهج الأقوم ، وانما التسهيم التخطيط ، والبرد المسهّم : المخطط . وكان الأجدر أن يقال : إنّ التسهيم في الشعر هو التحسين له والتنقيح لالفاظه ومعانيه تشبيهاً بالبرد المحسّن بالتسهيم حتى يكون هذا النوع من الشعر معناه الى قلبك أسرع من ألفاظه الى سمعك ، ولو سمّي المطمع أي من سمعه يطمع في قول مثله وهو من ذاك بعيد لجاز »(٢٠٦) . ولكنه بعد ذلك فسّره كما فسره الآخرون .

التسويم :

السّومة والسيمة والسيماء والسيمياء : العلامة . سوّم الفرس : جعل عليه السيمة ، المسوّمة : المعلّمة »(٢٠٧) .

قال القرطاجني : « إنّ الحذّاق من الشعراء المهتدين بطباعهم ، المسددة الى ضروب الهيئات التي يحسن بها موقع الكلام من النفس من جهة لفظ أو معنى أو نظم أسلوب ، لما وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال الى حال ، ووجدوها تستريح الى استئناف الأمر بعد

---

(٢٠٥) شرح الكافية البديعية ص٢٦٩ ، وينظر نفحات الازهار ص١٣٥ .
(٢٠٦) نضرة الاغريض ص١١٦ .
(٢٠٧) اللسان (سوم) .

الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناهَ في الكثرة إذا أخذ مأخذاً واحداً ساذجاً ولم يتحيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله بتنويعه والافتنان في أنحاء الاعتماد به وتسكن الى الشيء وإن كان متناهياً في الكثرة إذا أخذ من شتى مآخذه التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معاريض مختلفة ، واحتيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله من تنويعه والافتنان في أنحاء الاعتماد به اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها الى فصول يُنحى بكل فصل منها منحى من المقاصد ، ليكون للنفس في قسمة الكلام الى تلك الفصول والميل بالأقاويل فيها الى جهات شتى من المقاصد ، فالراحة حاصلة بها لافتنان الكلام في شتى مذاهبه المعنوية وضروب مبانيه النظمية ، واعتنوا باستفتاحات الفصول وجهدوا في أن يهيؤوها بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتوقظ نشاطها لتلقي ما يتبعها ويتصل بها ، وصدّروها بالأقاويل الدالة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تتهيأ بها عند الانفعالات والتأثرات لأمور سارة أو مفجعة أو شاجية أو معجبه بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك وقصدوا أن تكون تلك الأقاويل مبادىء كلام من جهة ما نُحي بها من أنحاء الوضع أو محكوماً لها بحكم المبادىء وأن وصلها بما قبلها واصل لكونها مستقلة بأنفسها من جهة الوضع الذي يخصها فيكون استئناف الكلام على ذلك النحو وصوغه على تلك الهيئات مجدداً لنشاط النفس ومحسناً لموقع الكلام منها . ولما كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها أعلاماً عليها ، وإعلاماً بمغزى الشاعر فيها ، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة وازديان حتى كأنها بذلك ذوات غرر ، رأيت أن أسمي ذلك بالتسويم ، وهو أن يعلم على الشيء وتجعل له سيماً يتميز بها ، وقد كثر استعمال ذلك في الوجوه كالغرر كما قال ابن الرومي :

سما سَمْوَةً نحو السماء بغرّة مسوّمة قِدْماً بسيما سجودِها

فلذلك كان هذا اللقب لائقاً بما وضع عليه ، وأيضاً فانا سمينا تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية بالتحجيل ليكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحواً من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس • فاذا أطرد للشاعر أن تكون فواتح فصوله على هذه الصفة ، واستوسق له الابداع في وضع مباديها على أحسن ما يمكن من ذلك صارت القصيدة كأنها عقد مفصّل، وتألقت لها بذلك غرر وأوضاح ، وكان اعتماد ذلك فيها أدعى الى ولوع النفس بها وارتسامها في الخواطر لامتياز كل فصل منها بصورة تخصه »[٢٠٨] •

التشبيب :

تشبيب الشعر : ترقيق أوله بذكر النساء ، وهو من تشبيب النار وتأريثها • وشبّب بالمرأة : قال فيها الغزل والنسيب ، وهو يشبب بها أي : ينسب بها • والتشبيب : النسيب بالنساء[٢٠٩] •

قال ابن رشيق : « اشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة ، وأصله الارتفاع كأنّ الشباب ارتفع عن حال الطفولة أو رفع صاحبه ••• ويجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شبّ الخمار وجه الجارية إذا جلّاه ووصف ما تحته من محاسنه ، فكأنّ هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته لها وجلاها للعيون ••• قال ابن دريد : شببت في الشعر شبيباً مثل نسبت نسيباً • والنسيب أكثر ما يستعمل في الشعر »[٢١٠] • وقال :«والنسيب والتغزل والتشبيب بمعنى واحد»[٢١١] •

---

(٢٠٨) منهاج البلغاء ص٢٩٥ وما بعدها•
(٢٠٩) اللسان (شبب) •
(٢١٠) العمدة ج٢ ص١٢٧ ، وينظر كفاية الطالب ص٥٤ •
(٢١١) العمدة ج٢ ص١١٧ ، وينظر كفاية الطالب ص٥٤ •

وترددت لفظة «التشبيب» فقال ابن سلام : « وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدّم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً في النسيب »(٢١٢) . وقال عن ابن قيس الرقيات : « وكان عبدالله يشبب ولا يصرح ، ولم يكن له معقود عشق وغزل كعمر بن أبي ربيعة »(٢١٣) . وقال : « كان الأحوص الشاعر يشبب بنساء أهل المدينة »(٢١٤) . وقال ابن قتيبة في امرىء القيس : « وكان يشبب بنساء »(٢١٥) ، وقال في القطامي : « وكان حسنَ التشبيب رقيقه »(٢١٦) . وقال الجاحظ على لسان صاحب الجواري: «وهل كان البكاء والتشبيب والعويل إلاّ فيهن ، وعليهن، ومن أجلهن»(٢١٧). وقال : « وما قالت القدماء في النسيب أكثر من أن نأتي عليه . وأين قول من ذكرت في صفات الغلمان من قول امرىء القيس في التشبيب »(٢١٨) .

والتشبيب عند ثعلب من فنون الشعر كالمدح والهجاء والمراثي(٢١٩) .. وقال ابن طباطبا في الشاعر : « وليجتنب التشبيب بامرأة يوافق اسمها اسم بعض نساء الممدوح من أمه ، أو قرابته ، أو غيرهما »(٢٢٠) .

وليس فيما ذكر هؤلاء تبيان للتشبيب ، وقد قال العسكري : « وينبغي أن يكون التشبيب دالاً على شدة الصبابة وافراط الوجد والتهالك في الصبوة ، ويكون بريّاً من دلائل الخشونة والجلادة وأمارات الإباء والعزة...

(٢١٢) طبقات فحول الشعراء ج٢ ص٥٤٥ .
(٢١٣) نفسه ج٢ ص٦٤٨ .
(٢١٤) نفسه ج٢ ص٦٥٦ .
(٢١٥) الشعر والشعراء ج١ ص١٢٢ .
(٢١٦) نفسه ج٢ ص٧٢٣ .
(٢١٧) مفاخرة الجواري والغلمان ــ رسائل الجاحظ ج٢ ص١١٣ .
(٢١٨) نفسه ج٢ ص١١٤ .
(٢١٩) قواعد الشعر ص٣٠ .
(٢٢٠) عيار الشعر ص٢٠٦ .

ويستجاد التشبيب أيضاً إذا تضمن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بهبوب الرياح ولمع البروق وما يجري مجراهما من ذكر الديار والآثار ...وكذا ينبغي أن يكون التشبيب دالاً على الحنين والتحسر وشدة الأسف ... وينبغي أن يكون في النسيب دليل التدلّه والتحير »[٢٢١] . وفي هذا بعض ايضاح ، لأنه ذكر أهم سمات التشبيب ، وقرنه ابن شرف القيرواني بالنسيب فقال بعد أبيات أبي نواس التي أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيــورُ ... وميسورُ ما يُرجى لديك عســيرُ

« فلم أسمع بأوحش من هذا النسيب ، ولا بأخشن من هذا التشبيب »[٢٢٢]. ولعل تعريف ابن قيم الجوزية أوضح تعريف قال : « هو اللفظ الـدال على محاسن النساء ، ومحاسن أخلاقهن ، وتصرف أحوال الهوى معهن ، ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة وتغيرهـا بالرياح الهابة والبروق اللامعـة وأمثالها »[٢٢٣] . وأوصى أن يجتنب التشبيب بالاسم المستكره ، كقول جرير:

وتقول بَوْزَعُ قد دنيتَ لغيرنا ... هلاّ هويت لغيرنا يا بَوْزَعُ[٢٢٤]

وكان بعض خلفاء أمية قال لجرير بعد أن أنشد البيت : « أفسدت شعرك بهذا الاسـم ، وفتر »[٢٢٥] .

---

(٢٢١) كتاب الصناعتين ص١٢٩–١٣١ .
(٢٢٢) أعـلام الكـلام ص٤١ .
(٢٢٣) الفوائـد ص٢١١ .
(٢٢٤) الفوائـد ص١٣٩ ، والبيت في ديوان جرير ص٣٤٢ :
وتقول بوزع قد دببت على العصا ... هلا هزئت بغيرنا يا بـوزع
(٢٢٥) الشعر والشعراء ج١ ص٧٠ .

التشبيه :

الشبه والشبيه : المثل ، وأشبه الشيء : ماثله ، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليّ ، وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كل واحد منهما صاحبه(٢٢٦) .

والتشبيه من فنون البلاغة ، وقد اهتم به البلاغيون والنقاد كثيراً(٢٢٧) . وجاء بمعنى آخر فهو من فنون الشعر كالمدح والهجاء والرثاء . قال ثعلب : « ثم تتفرع هذه الأصول الى مدح ، وهجاء ، ومراثٍ ، واعتذار ، وتشبيب ، وتشبيه ، واقتصاص أخبار »(٢٢٨) . وفعل قدامة مثله فكان التشبيه عنده من أغراض الشعر وفنونه ، قال : « وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء وما هم له أكثر دوساً وعليه أشد دوماً ، وهو المديح ، والهجاء ، والمراثي ، والتشبيه ، والوصف ، والنسيب »(٢٢٩) . ثم تحدث عنه كما فعل البلاغيون(٢٣٠) .

وأدخله الرماني في باب الوصف وقال : « أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف »(٢٣١) . ويبدو أنهم رأوا في التشبيه معنى الوصف فأدخلوه في أغراض الشعر وفنونه .

التشريع :

شرع باباً الى الطريق : أنفذه ، وشرع البابُ والدار شروعاً : أفضى الى الطريق وأشرعه اليه(٢٣٢) . قال المدني : « التشريع في اللغة مصدر « شرّع »

---

(٢٢٦) اللسان (شبه)

(٢٢٧) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٢ ص١٦٦ وما بعدها .

(٢٢٨) قواعد الشعر ص٢٨ ، وتنظر ص٣٠ .

(٢٢٩) نقد الشعر ص٦١ .

(٢٣٠) نقد الشعر ص١٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢٣١) العمدة ج١ ص١٢٠ ، وينظر منهاج البلغاء ص٣٣٦ .

(٢٣٢) اللسان (شرع) .

ـ بالتضعيف ـ • يقال : شرّع باباً الى الطريق تشريعاً أي فتحه وبيّنه ك « أشرعه إشراعاً » • وشرّع الناقة تشريعاً إذا أدخلها في شريعة الماء ـ وهي مورد الإبل على الماء ـ • والتشريع أيضاً : إيراد أصحاب الابل إبلهم شريعة لا يحتاج معها الى الاستقاء من البئر ، ومنه حديث علي ـ عليه السلام ـ : « ان أهون السقي التشريع » • ومن المعنى الأول نقل الى الاصطلاح • وهو أن تبنى القصيدة على وزنين من أوزان العروض وقافيتين ، فاذا أُسْقِط من أجزاء البيت جزء أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر ، كأن الشاعر شرع في بيته باباً الى وزن آخر •

ولما خفي على ابن أبي الاصبع وجه مناسبة التشبيه بين اللغوي والاصطلاحي أو استبعده سمى هذا النوع « التوأم » ليطابق بين الاسم والمسمى »[٢٣٣] •

وذكر السيوطي[٢٣٤] أن الحريري ابتدع هذا النوع وان الاجدابي سمّاه بهذه التسمية • ويسمى أيضاً « ذا القافيتين »[٢٣٥] • قال السبكي : إنّ تسميته بالتشريع « عبارة لا يناسب ذكرها ، فان التشريع قد اشتهر استعماله فيما يتعلق بالشرع المطهر ، وكان اللائق اجتنابها »[٢٣٦] •

وسماه بعضهم « التوشيح » قال ابن الاثير : « وهو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين ، فاذا وقف من البيت على القافية الأولى

---

(٢٣٣) انوار الربيع ج٤ ص٣٤٣ .
(٢٣٤) شرح عقود الجمان ص١٥٥ •
(٢٣٥) المصباح ص٨١ ، الايضاح ص٣٩٩ ، التلخيص ص٤٠٥ ، شرح الكافية البديعية ص١١٣ ، عروس الافراح ج٤ ص٤٦١ ، المختصر ج٤ ص٤٦١ ، المطول ص٤٥٨ ، خزانة الادب ص١١٩ ، معترك ج١ ص٥٠ ، الاتقان ج٢ ص١٠٤ ، الاطول ج٢ ص٢٣٧ ، مواهب الفتاح ج٤ ص٤٦١ ، أنوار الربيع ج٤ ص٣٤٣ •
(٢٣٦) عروس الافراح ج٤ ص٤٦١ ، وينظر شرح عقود الجمان ص١٥٥ .

كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض ، وإذا أضاف الى ذلـك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف الى القافية الاولى كالوشاح ، وكذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور ، فان كل فقرة منهما تصاغ من سجعتين »[٢٣٧] •وقال العلوي في تسميته تشريعاً : « لأن ما هذا حاله من الشعر فان النفس تشرع الى تمام القافية وكمالها »[٢٣٨] •

وسماه المصري « التوأم » وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى ، قال : « انه متى اقتصر على القافية الأولـى كان من ضرب ذلك البحر الذي عمل الشاعر بيته منه ، فاذا استوفى أجزاءه وبناه على القافية الثانية كان البيت من ضرب غير ذلك الضرب من ذلك البحر ، وغالبه أن يختلف الرويان وإن جاز توافقهما »[٢٣٩] • قال السيوطي : « وهي تسمية مطابقة للمسمى »[٢٤٠] • ومن هذا الفن قول بعضهم :

وإذا الرياح مع العشيّ تناوحت هوج الرمـال بكثبهن شـمالا
ألفيتنا نَقْرِي الغبيط لضيفنا قبل القتـال ونقتـل الابطـالا

فانه لـو اقتصر على «الرمال» و «القتال» لكان الشعر من مجزوء الكامل :

وإذا الريـاح مع العشيّ تناوحت هـوج الرمـال
ألفيتنـا نقـري الغبيـط لضيفنـا قبـل القتـالِ

(٢٣٧) المثل السائر ج٢ ص٣٥٩ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٧
(٢٣٨) الطراز ج٣ ص٧٠ •
(٢٣٩) تحرير التحبير ص٥٢٢ ، بديع القرآن ص٢٣١ •
(٢٤٠) شرح عقود الجمان ص١٥٥ •

وفي هذا الفن فضل تكلف ، قال ابن الاثير : « ليس من الحسن في شيء »[٢٤١]، وقال الحموي : « ولا شك في أن هذا النوع لا يأتي إلاّ بتكلف زائد وتعسف ، فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة »[٢٤٢] .

التشطير :

الشطر : نصف الشيء ، والجمع أشطر وشطور ، وشطرته : جعلته نصفين[٢٤٣] . وهذا الفن من ابتداع العسكري[٢٤٤] ، وهو « أن يتوازن المصراعان والجزءان وتتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه »[٢٤٥] . كقول أبي تمام :

بمصعّدٍ من حسنه ومصوّبٍ ومجمعٍ من نعته ومفرّقِ

وقول بعضهم : « من عتب على الزمان طالت معتبته ، ومن رضي عن الزمان طابت معيشته » .

وجمع ابن منقذ التشطير والمقابلة في باب واحد ، وقال : « إنّ المقابلة والتشطير ، هو أن يقابل مصراع البيت الأول كلمات المصراع الثاني »[٢٤٦] ، كقول المتنبي :

أزورهم وظلامُ الليل يَشْفَعُ لي وأنثني وضياءُ الصبح يُغري بي

وقال المصري : « هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يصرّع كل شطر

---

(٢٤١) المثل السائر ج٢ ص٣٦٠ .
(٢٤٢) خزانة الأدب ص١٢٠ .
(٢٤٣) اللسان (شطر) .
(٢٤٤) ينظر كتاب الصناعتين ص٢٦٧ .
(٢٤٥) كتاب الصناعتين ص٤١١ .
(٢٤٦) البديع في نقد الشعر ص١٢٨ .

من الشطرين ، لكنه يأتي بكل شطر مخالفاً لقافية الآخر ليتميز من أخيه فيوافق فيه الاسم المسمى »[٢٤٧] كقول أبي تمام :

تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ   لله مرتغب ، في الله مرتقبِ[٢٤٨]

وعدّ القزويني التشطير من السجع وتبعه شراح التلخيص[٢٤٨] • ورجع الحلي والحلبي والنويري والحموي الى تعريف المصري[٤٢٩] ، واقترب من ذلك المدني غير انه جمع رأي القزويني ورأي السابقين فقال في تعريفه : « هو أن يقسم الشاعر كلاً من صدر بيته وعجزه شطرين ، ثم يسجع كل شطر منهما، لكنه يأتي بالصدر مخالفاً للعجز في التسجيع »[٢٥٠] • والتشطير : أن يأخذ الشاعر شطر بيت ويكمله ، ويأخذ الشطر الثاني ويضع له صدراً • وقد كثر التشطير في العهود المتأخرة ، ومن ذلك قول المتنبي :

تذكرت ما بين العُذيب وبارقِ   مَجرَّ عوالينا ومجرى السوابقِ

شطره المصري فقال :

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرَها   تذكَّرْتُ ما بين العُذيب وبارقِ

ويذكّرني من قدّها ومدامعي   مجرّ عوالينا ومجرى السوابقِ

وهذا ما سماه المصري «الايداع»[٢٥١] •

---

(٢٤٧) تحرير التحبير ص١٢٨ ، وينظر المصباح ص٧٨ •

(٢٤٨) الايضاح ص٢٩٧ ، التلخيص ص٤٠٢ ، عروس الافراح ج٤ ص٤٥٤ ، المختصر ج٤ ص٤٥٤ ، المطول ص٤٥٥ ، الاطول ج٢ ص٢٣٥ ، وينظر شرح عقود الجمان ص١٥٢ .

(٢٤٩) شرح الكافية البديعية ص١٨٩ ، حسن التوسل ص٢٧٣ ، نهاية الارب ج٧ ص١٤٧ ، خزانة الأدب ص١٧٣ ، نفحات الازهار ص٢٧٠ •

(٢٥٠) أنوار الربيع ج٦ ص٣١٠

(٢٥١) ينظر تحرير التحبير ص٣٨٠-٣٨٢.

التصرف :

صرّف الشيء : أعمله في وجه كأنه يصرفه عن وجه الى وجه(٢٥٢) .

التصرف : من مبتدعات المصري وهو : « أن يأتي الشاعر الى معنى فيبرزه في عدة صور ، تارة بلفظ الاستعارة ، وطوراً بلفظ الايجاز ، وآونة بلفظ الارداف ، وحيناً بلفظ الحقيقة »(٢٥٣) . كقول امرىء القيس :

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدوله ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلْتُ له لما تَمطّى بصُلْبه ... وأرْدَفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ

وهذه صورة الاستعارة ، أما صورة الايجاز فهي قوله :

فيا لك من ليلٍ طويلٍ كأنّه ... بكل مغارِ الفتل شُدَّت بيذْبُلِ

ثم أخرجه بصورة الإرداف فقال :

كأنّ الثريا عُلّقت في مصامها ... بأمراس كتّان الى صُمّ جَنْدَلِ

ثم عبّر عنه بأسلوب الحقيقة فقال :

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي ... بصبحٍ وما الاصباحُ منك بأمْثَلِ

وسمّى المصري هذا الفن « الاقتدار » أيضاً وقال : « هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم لكلام وتركيبه وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض ، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة ، وطوراً يبرزه في صورة الإرداف ، وآونة يخرجه مخرج الايجاز ، وحيناً يأتي به في ألفاظ الحقيقة »(٢٥٤) .

---

(٢٥٢) اللسان (صرف) .
(٢٥٣) تحرير التحبير ص٥٨٢ .
(٢٥٤) بديع القرآن ص٢٨٩ .

ونقل الحلبي والنويري هذا الفن وأمثلته منه وسمياه «التصرف»[٢٥٥] ، كما سماه المصري في « تحرير التحبير » .

التصريح بعد الابهام

صرّح فلان بما في نفسه وصارح : أبداه وأظهره ، والتصريح : خلاف التعريض[٢٥٦] .

التصريح بعد الابهام : هو التفسير ، وقد سماه كذلك ابن قيم الجوزية فقال : « التصريح بعد الابهام ، ويسمى التفسح »[٢٥٧] . والتفسير « في اللغة: تفعيل من الفسر ، وهو البيان والكشف ، وقيل : هو مقلوب السفر ، يقال : أسفر الصباح ، إذا أضاء »[٢٥٨] . وسماه بعضهم « التبيين »[٢٥٩] ، وعدّه قدامة من أنواع المعاني وسماه « صحة التفسير » وقال : هي « أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فاذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به ، ولا يزيد أو ينقص »[٢٦٠] ، كقول الفرزدق :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم طريدَ دَمٍ أو حاملاً ثقل مغْرَمِ

فلما كان هذا البيت محتاجاً الى التفسير قال :

لألفيتَ منهم مُعطيـاً ومُطاعناً وراءك شَزْراً بالوشيج المقوّمِ[٢٦١]

---

(٢٥٥) حسن التوسل ص٣١٥ ، نهاية الارب ج٧ ص١٧٧ ، الروض المريع ص١٦٧ .
(٢٥٦) اللسان (صرح) .
(٢٥٧) الفوائد ص١٧٩ .
(٢٥٨) أنوار الربيع ج٦ ص١٢٣ .
(٢٥٩) المصباح ص٩٥ ، خزانة ص٤٠٨ ، انوار ج٦ ص١٢٣ .
(٢٦٠) نقد الشعر ص١٥٤ .
(٢٦١) الوشيج : شجر الرماح ، وتستعمل للرماح .

ولم يخرج اللاحقون عما ذكره قدامة[٢٦٢] .

والتفسير على أقسام : فمنه ما هو ضروري ، ومنه ما هو غير ضروري ، فالضروري ما لا يتم إلاّ به . وغير الضروري ويسمى «تبرعا» وهو نوعان : نوع يتم الكلام دونه ولكن لا يكمل معناه إلا بالتفسير ، ونوع : يتم الكلام ويكمل تقسيمه ، ولكن يحتاج في معناه الى زيادة تكميل وتوكيد[٢٦٣] . ومثال الضروري قوله تعالى : « واللهُ خَلَقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ ، فمنهم من يَمْشي على رِجْلين ، ومنهم مَنْ يَمشي على أَرْبَعٍ »[٢٦٤] . فاستغرق بذلك أقسام أجناس كل ما دبّ ودرج مع حسن الترتيب . وهذا تفسير ضروري ، فانه لو اقتصر على قوله : « خلق كل دابة من ماء » ولم يفسر هذا التفسير لكان الكلام غير تام ، ولما فسّره بهذه الأقسام الثلاثة كمل به المعنى ولم يبق فيه قسم رابع .

ومثال تفسير التبرع قول الشاعر :

لئن كنتُ محتاجاً الى الحلم إنّني ... الى الجهل في بعض الأحايين أحْوَجُ

ثم فسّره بقوله :

---

(٢٦٢) كتاب الصناعتين ص٣٤٥ ، اعجاز القرآن ص١٤٣ ، العمدة ج٢ ص٣٥ ، سر الفصاحة ص٣١٨ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص٢٠ ، قانون البلاغة ص٣٦ ، رسائل البلغاء ص٤١٢ ، البديع في نقد الشعر ص٧٢، الرسالة العسجدية ص١٤٩ ، معالم الكتابة ص٨١ ، المثل السائر ج٢ ص٣١٠ ، الجامع ص٢١٢ ، كفاية الطالب ص١٨٢ ، التبيان ص١٧٦ ، البرهان الكاشف ص٣١٥ ، تحرير ص١٨٥ ، بديع القرآن ص٧٤ ،الاقصى القريب ص٩٧ ، جوهر الكنز ص١٤٨ ، الطوال ج٣ ص١١٤ ، البرهان ج٣ ص٣٦ ، خزانة ص٤٠٨ ، معترك ج١ ص٣٦١ ، الاتقان ج٢ ص٧٢ ، شرح عقود الجمان ص١٣٩ ، أنوار ج٦ ص١٢٣ ، حسن التوسل ص٢٤٦ ، نهاية ج٧ ص٩ .

(٢٦٣) جوهر الكنز ص١٤٨ .

(٢٦٤) النور ٤٥ .

ولي فَرَسٌ بالحلم للحلم مُلْجَمٌ   ولي فرسٌ بالجهل للجهـل مُسْرَجُ

ثم فسّره بقوله :

فمن رام تقويمي فاني مُقَوَّمٌ   ومـن رامَ تعويجـي فاني معـوَّجُ

فالثاني تفسير الأول والثالث تفسير الثاني وكلا التفسيرين من باب التبـرع ، لان البيت الأول تمّ به الكلام واستوفى المعنى .

وليس كل كلام يفتقر الى تفسـير بل ما كان منه مجملاً ومبهمـاً فيجب تفسيره وتبيانـه . وأفصح ما كانت الكلمـة وتفسيرها في بيت واحد كقول الشـاعر :

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا ببهجتهم   شمسُ الضُحى وأبو إسحاق والقمرُ

وفي بيتين كقول الشاعر :

ولمّا أبى الواشـونَ إلاّ فراقَنا   وما لَهُمُ عندي وعنـدك من ثارِ

غَزَوْتُهُم مـن مقلتيك وأدمعي   ومن نَفَسي بالسيف والماء والنارِ

وعدّ قدامة « فساد التفسير » من عيـوب المعاني ، وهـو ما كان على نقيض صحـة التفسير(٢٦٥) .

وفرق الحلبي بين التفسير والايضاح فقال : « ان التفسير تفصيل الاجمال، والايضاح رفع الاشكال ، لان المفسَّـر من الكلام لا يكون فيه الاشـكال البتة »(٢٦٦) .

---

(٢٦٥) نقد الشـعر ص٢٣١ ، وينظر الموشح ص٣٦٧ ، قانون البلاغـة ص ٤٣ ، رسائل البلغاء ص٤١٥ .

(٢٦٦) شـرح الكافيـة البديعية ص٢٨٢ .

التصريع :

صرع الباب : جعل له مصراعين • قال أبو اسحاق : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما بابا البيت • قال واشتقاقهما من الصرعين وهما نصفا النهار • قال : فمن غدوة الى انتصاف النهار صَرْع ، ومن انتصاف النهار الى سقوط القرْص صَرْع • قال الأزهري : والمصراعان من الشعر ما كان فيه قافيتان في بيت واحد ، ومن الأبواب ما له بابان منصوبان ينضمان جميعاً مدخلهما بينهما في وسط المصراعين • وبيت من الشعر مُصَرَّع : له مصراعان ، وكذلك باب مصرع • والتصريع في الشعر : تقفية المصراع الأول ، مأخوذ من مصراع الباب وهما مُصَرَّعان ، وانما وقع التصريع في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدىء إما قصة وإما قصيدة[٢٦٧] •

وقد سبق الى معرفة التصريع علماء العروض كالخليل ، وكانوا يعدونه من محاسن الكلام ، قال أبو تمام يمدحه :

وتقفو لي الجدوى بجدوى وانما   يروقك بيتُ الشِّعْر حين يُصَرَّعُ

قال قدامة في نعت القوافي : « أن تكون عذبة الحرف ، سلسة المخرج ، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها ، فان الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه ، وربما صرّعوا أبياتاً أخر من القصيدة بعد البيت الاول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره ، وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر »[٢٦٨] • ثم قال : « وانما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون الى ذلك ، لان بنية الشعر انما هو التسجيع والتقفية ، فكلما كان

(٢٦٧) اللسان (صرع) ، وينظر العمدة ج١ ص١٧٤ .
(٢٦٨) نقد الشعر ص٥١ ، وينظر أنوار الربيع ج٥ ص٢٧١ .

الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر »[٢٦٩] .

فالتصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور ،وفائدته انه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها . قال ابن رشيق : « فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته »[٢٧٠] ، وقال : « وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه آخذ في كلام موزون غير منثور ، ولذلك وقع في أول الشعر . وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء ، وذلك إذا خرج من قصة الى قصة أو من وصف شيء الى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع اخباراً بذلك وتنبيهاً عليه . وقد كثر استعمالهم هذا حتى صَرّعوا في غير موضع تصريع ، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة ، إلا انه إذا كثر في القصيدة دلّ على التكلف إلاّ من المتقدمين »[٢٧١] .

والتصريع عروضي وبديعي ، قال المصري : « فالعروضي : عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والاعراب والتقفية بشرط أن تكون العروض قد غيّرت عن أصلها لتلحق الضرب في زنته . والبديعي : استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز في الوزن والاعراب والتقفية ، ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر »[٢٧٢] .

والعروضي كقول امرىء القيس :

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطللُ البالي وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي

---

(٢٦٩) نقد الشعر ص٦٠ .

(٢٧٠) العمدة ج١ ص١٧٣ .

(٢٧١) العمدة ج١ ص١٧٤ .

(٢٧٢) تحرير التحبير ص٣٠٥ .

والبديعي قوله في أثناء هذه القصيدة :

ألا انني بالٍ على جَمَلٍ بالِ يقودُ بنابالٍ ويتبعنـا بالِ

ولا يخرج الآخرون عن هذا المعنى للتصريع(٢٧٣) ، وقد قسمه ابن الاثير الى سبعة أقسام أو سبع مراتب وتابعه العلوي في ذلك »(٢٧٤)

التصـوير :

في أسماء الله ـ تعالى ـ « المصوِّر » : وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها . وصوَّره الله صورة حسنة فتصوّر . وتصوّرت الشيء : توهمت صورته فتصوّر لي(٢٧٥) .

التصوير : استحضار صورة الشيء ليكون قريباً أو معروضاً عرضاً فنيـاً بديعاً يوحي بالمعنى ويؤثر في النفوس . وكان الجاحظ من أوائل المهتمـين به، قال : « فانما الشعر صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير »(٢٧٦). واهتم به عبدالقاهر وربط بينه وبين النظم ، وأوضح ابن الاثير أهمية التخييل والتصوير فقال : « إنّ فائدة الكـلام الخطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عياناً . ألا ترى أنّ حقيقة

---

(٢٧٣) ينظر سر الفصاحة ص٢٢١ ، قانون البلاغة ص١٢٨ ، رسـائل البلغـاء ص٤٥٦ ، نضرة الاغريض ص٢٨ ، منهاج البلغاء ص٢٨٣ ، شرح الكافيـة البديعية ص١٨٨ ، الاقصى القريب ص١١١ ، الايضاح ص٣٩٧ ، المطـول ص ٤٥٦ ، خزانة الأدب ص٣٦٦ ، أنـوار الربيع ج٥ ص٢٧١ ، نفحـات الازهار ص٢٨١ .

(٢٧٤) المثل السائر ج١ ص٢٤٢ ، الجامع الكبير ص٢٥٤ ، الطراز ج٣ ص٣٣ .

(٢٧٥) اللسـان (صور) .

(٢٧٦) الحيـوان ج٣ ص١٣٢ .

قولنا : « زيد أسد » هو قولنا : « زيد شـجاع » لكن فرق بين القولـين في التصوير والتخييل ، واثبات الغرض المقصود في نفس السامع ، لان قولنـا : « زيد شجاع » لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جريء مقدام ، فاذا قلنا : « زيد أسد » يخيل عند ذلك صورة الاسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة ودقّ الفرائس ، وهذا لا نزاع فيه »(٢٧٧) .

فالتخييل أساس التصوير ، ويتم ذلك بأساليب المجاز المختلفة ، قال ابن الاثير : « وأعجب ما في العبارة المجازية انها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى انها ليسمح بها البخيل ، ويشجع بها الجبان ، ويحكـم بها الطائش المتسرع ، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال ، أو ترك عقوبة، أو إقدام على أمر مهول ، وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغني عن إلقـاء العصا والحبال »(٢٧٨) .

التضمـين :

ضمّن الشيءَ الشيءَ : أودعه إياه كما تودع الوعاءَ المتاع ، والمضمّن من الشعر : ما ضمنته بيتاً(٢٧٩) .

التضمين في العروض : هو أن يبنى بيت على كـلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضيا له (٢٨٠) . أو هو « أن يكون الفصل الأول مفتقراً الى

---

(٢٧٧) المثل السائر ج١ ص٦٣ .
(٢٧٨) المثل السـائر ج١ ص٦٣ .
(٢٧٩) اللسـان (ضمن) .
(٢٨٠) ينظر الموشـح ص٢٣ ، الوافي ص٢٩٢ ، مفتاح العلوم ص٢٧٣ ، الاقصـى القريب ص١٠٢ ، جوهر الكنز ص٢٦٢ ، القوافي للاخفش ص٦٥ ، الحـور العـين ١٠٣ .

الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجاً الى الاخير »[٢٨١] أو هو « أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها »[٢٨٢] . قال أبو العلاء المعري : « هو أن لا يتم المعنى في البيت الواحد »[٢٨٣] . وقال ابن سنان : « هو ألاّ تستقل الكلمة التي هي القافية بالمعنى حتى تكون موصولة بما في أول البيت الثاني »[٢٨٤] كقول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفارَ على تميمٍ ... وهم أصحابُ يوم عكاظ إني

شَهِدْتُ لهم مواطنَ صالحاتٍ ... وثقت لهم بحسن الظن مني

وقول الآخر :

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدى ... بليلى العامرية أو يُراحُ

قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تجاذِبُه وقد علق الجناح[٢٨٥]

قال ابن رشيق : « وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين »[٢٨٦] . والتضمين من العيوب عند القدماء ، لان « خير الشعر ما قام بنفسه وكمل معناه في بيته ، وقامت أجزاء قسمته بأنفسها واستغني ببعضها لو سكت عن بعض »[٢٨٧] . ولا يعدّه ابن الاثير عيباً[٢٨٨] .

---

(٢٨١) كتاب الصناعتين ص٣٦ .

(٢٨٢) العمدة ج١ ص١٧١ .

(٢٨٣) الفصول والغايات ص٥٢٧ .

(٢٨٤) سر الفصاحة ص٢١٩ .

(٢٨٥) عزّها ـ بالعين المهملة والزاي ـ : قهرها وغلبها .

(٢٨٦) العمدة ج١ ص١٧١ .

(٢٨٧) المصون في الأدب ص٩ .

(٢٨٨) المثل السائر ج٢ ص٣٤٢ ، الجامع الكبير ص٢٣٢ ، كفاية الطالب ص٢١٢

والتضمين أيضاً : « حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه »[٢٨٩] . وهو على وجهين : ما كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار ، وما يدل عليه دلالة القياس . أي : ان العبارة تتضمن المعنى من غير إشارة صريحة اليه ، وهو تضمين توجيه البنية ، مثل « معلوم » يوجب انه لا بدّ من « عالم » ، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصحّ إلاّ به كالصفة بضارب يدل على «مضروب» . والتضمين أيضاً : هو « استعارتك الأنصاف والأبيات من غيرك ، وادخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك »[٢٩٠] . كقول الشاعر :

إذا دلّه عزم على الحزم لم يقُلْ   « غداً غدُها إن لم تَعُقْهْا العوائقُ »

ولكنه ماضٍ على عَزْمِ يَوْمه   فيفعل ما يرضاه خلْقٌ وخالِقُ

والشطر الثاني من البيت الأول مضمن .

وللتضمين معنى آخر ، قال الزركشي : « هو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف . فأما في الاسماء فهو أن تضمن اسماً معنى اسم لافادة معنى الاسمين جميعاً ، كقوله تعالى : « حَقيقٌ على أَنْ لا أقولَ على الله إلاّ الحقَّ »[٢٩١] . ضمن «حقيق» معنى حريص ، ليفيد انه محقوق بقول الحق وحريص عليه . وأما الأفعال فان تضمن فعلاً معنى فعل آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً ، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج اما

(٢٨٩) النكت – ثلاث رسائل في اعجاز القرآن – ص٩٤ ، اعجاز القرآن ص٤١٢ ، المنزع البديع ص٢١٣ .
(٢٩٠) كتاب الصناعتين ص٣٦ ، وينظر تحرير التحبير ص١٤٠ ، بديع القرآن ص٥٢ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٩ .
(٢٩١) الأعراف ١٠٥ .

الى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعدّيه به »[292] . وهذا هو التضمين اللغوي، أما التضمين البلاغي فهو استعارة كلام الآخر وادخاله في الكلام الجديد . وقد بدأ يتضح منذ عهد مبكر[293] ، وسماه المظفر العلوي تضميناً وتسميطاً وتوشيحاً . ولهذين الفنين معنيان مختلفان عن التضمين ، قال : « باب التضمين ويسمى التسميط والتوشيح ، وهذا في أشعار العرب قليل جداً ، وقد استعمل المحدثون من ذلك ما لا يأتي عليه الاحصاء كثرة وعدّاً ، واليسير منه على الكثير . قال الأخطل :

ولقد سما للخرّمي فلم يقُلْ بعد الونى : لكنْ تضايقَ مقدمي[294]

وهذا تضمين لعبارة « لكن تضايق مقدمي » وليس تسميطاً أو توشيحاً إلاّ إذا نظر الى أن العبارة المضمنة وشحت الكلام وسمطته .

وتحدث القزويني عن الاقتباس فقال هو « أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه »[295] ، وقال : « وأما التضمين فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء »[296] . أي انه فرق بين الفنين ، فالاقتباس يخص القرآن والحديث

---

(292) البرهان في علوم القرآن ج3 ص338 .

(293) ينظر كتاب الصناعتين ص36 ، العمدة ج2 ص84 ، الموشح ص23 ، قانون البلاغة ص130 ، رسائل البلغاء ص457 ، البديع في نقد الشعر ص249 ، منهاج البلغاء ص39 ، 276 ، الأقصى القريب ص102 ، جوهر الكنز ص262 ، كفاية الطالب ص212 ، الروض المريع ص134 ، حسن التوسل ص238 ، نهاية الأرب ج7 ص126 ، معاهد التنصيص ج4 ص153 ، الغيث المسجم ج1 ص73 ، الفوائد ص117 ، صبح الأعشى ج1 ص276 .

(294) نضرة الاغريض ص190 .

(295) الايضاح ص416 ، التلخيص ص422 .

(296) الايضاح ص419 ، التلخيص ص424 .

على أن لا يدمج قوله ــ تعالى ــ أو كلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكلام الآخرين ، والتضمين يخص الشعر . وتبعه شراح التلخيص[٢٩٧] .

ولخص السيوطي معاني التضمين فقال : إنه يطلق على أشياء[٢٩٨] :

الأول : ايقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه ، وهو نوع من المجاز .

الثاني : حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه ، وهذا نوع من الايجاز .

الثالث : تعلق ما بعد الفاصلة بها .

الرابع : ادراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى ، أو ترتيب النظم ، وهذا هو النوع البديعي .

التطويل :

الطول : نقيض القصر ، وطوّل : أطال . يقال : طوّل لفرسك يا فلان أي أرْخِ له حبله في مرعاه[٢٩٩] .

قال ابن سنان : « التطويل هو أن يعبر عن المعاني بألفاظ كثيرة كل واحد منها يقوم مقام الآخر ، فأي لفظ شئت من تلك الألفاظ حذفته وكان المعنى على حاله . وليس هو لفظاً متميزاً مخصوصاً كما كان الحشو لفظاً متميزاً مخصوصاً »[٣٠٠] .

---

(٢٩٧) شروح التلخيص ج٤ ص٥١٤ ، المطول ص٤٧١ ، الأطول ج٢ ص٢٥١ .

(٢٩٨) معترك ج١ ص٣٩٨ ، الاتقان ج٢ ص٤٠ ، ٥٦ ، ٩٠ ، شرح عقود الجمان ص١٦٩ .

(٢٩٩) اللسان (طول) .

(٣٠٠) سر الفصاحة ص٢٥٧ .

وقال ابن الاثير : « هو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه »[٣٠١] ، كقول العجير السلولي :

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق الى غاية من يبتدرها يُقَدَّمِ

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه ، وعجزه من محاسن الكلام . وقال القزويني : « هو أن لا يتعين الزائد في الكلام ، كقوله : « وألفى قَوْلَهَا كَذِباً ومَيْنا » فان الكذب والمين واحد »[٣٠٢] .

وعدّ بعضهم التطويل عيّاً ، قال الرماني : « فأما التطويل فعيب وعيّ ، لانه تكلف فيه الكثير فيما يكفي منه القليل فكان كالسالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب . وأما الاطناب فليس كذلك لانه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من النزهة والفوائد العظيمة فيحصل في الطريق الى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب »[٣٠٣] ، ونقل الصنعاني ذلك[٣٠٤] ، وقال ابن الاثير : « فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل مثال مقصد يسلك اليه في ثلاثة طرق ، فالايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه ، والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد اليه ، إلاّ أن طريق الاطناب تشتمل على منزّه من المنازه لا يوجد في طريق التطويل »[٣٠٥] .

التطريف :

الظرف : البراعة ، وقيل : حسن العبارة والحذق بالشيء ، وقد ظَرُفَ يظرُف ، وهم الظرفاء ، ورجل ظريف[٣٠٦] .

---

(٣٠١) المثل السائر ج٢ ، ص٧٤ ، وتنظر ص١٢٩ ، ١٥٦ .
(٣٠٢) الايضاح ص١٧٧ ، التلخيص ص٢١١ ، شروح التلخيص ج٣ ص١٧٣ ، المطول ص٢٨٥ ، الأطول ج٢ ص٣٤ .
(٣٠٣) النكت في إعجاز القرآن – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٧٢–٧٣ .
(٣٠٤) الرسالة العسجدية ص٩٩ .
(٣٠٥) المثل السائر ج٢ ص١٢٩ ، وينظر الروض المريع ص٨٧ .
(٣٠٦) اللسان (ظرف) .

والتظريف هو التسهيل(٣٠٧)، وقد تقدم .

التعزية :

العزاء : الصبر عن كل ما فقدت ، وعزّيت فلاناً أعزّيه تعزية : أسّيته وضربت له الأسى ، وأمرته بالعزاء فتعزى تعزياً أي : تصبر تصبراً(٣٠٨) .

التعزية هي : « أن يذكر ما يتوصل به الى تسلية مخلفي الميت وتصبيرهم واطفاء نار ثكلهم »(٣٠٩) . وفي القرآن الكريم من ذلك كثير ، وهي كثيرة في الاشعار ، أما القرآن الكريم فقوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة »(٣١٠) . ومن بديع التعزية شعراً :

أيتها النفس أجملي جزعا   إن الذي تحذرين قد وقعا

والتعازي مختلفة الأنحاء ، قال ابن الاثير : « فتعازي النساء غير تعازي الرجال وهي مستصعبات في الكتابة والشعر ، وتعازي الرجال أيضاً تختلف فلا يعزى بالميت على فراشه كما يعزى بالميت قتيلا ، ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق ، وهكذا يجري الحكم في المعاني جميعاً . وهذا شيء لا يتنبه له إلا الراسخون في هذا الفن من أرباب النثر والنظم »(٣١١) .

التعسف :

العسف : السير بغير هداية والأخذ على غير الطريق ، وكذلك التعسف والاعتساف . اعتسف الطريق اعتسافاً : إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه . واعتسف وتعسف ظلم(٣١٢) .

---

(٣٠٧) أنوار الربيع ج٦ ص٢٧٠ .
(٣٠٨) اللسان (عزا) .
(٣٠٩) الفوائد ص١٩٧ .
(٣١٠) الأحزاب ٢١ .
(٣١١) المثل السائر ج١ ص٣٤١ .
(٣١٢) اللسان (عسف) .

عقد ابن منقذ باباً للتكلف والتعسف وقال : « وهو الكثير من البديع كالتطبيق والتجنيس في القصد ، لانه يدل على تكلف الشاعر لذلك وقصده اليه . وإذا كان قليلاً نسب الى أنه طبع في الشاعر ولهذا عابوا على أبي تمام لانه كثر في شعره ، ثم انهم استحسنوه في شعر غيره لقلته »(٣١٣) .

التعقيـد :

العقد : نقيض الحل ، عقده عقداً ، وعقّده(٣١٤) .

التعقيد من الأساليب غير المستحسنة ، قال بشـر بن المعتمر : « وإيـاك والتوعر ، فان التوعر يسلمك الى التعقيـد ، والتعقيد هو الذي يسـتهلك معانيك ويَشين ألفاظك »(٣١٥) . وذكر المبرد أن من أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قول الفرزدق في مدح ابراهيم بن هشام :

وما مِثْلُه في الناس إلاّ مملكـاً ... أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربُه

« وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلاّ مملك أبو أم هذا الملك أبو هذا الممدوح ، فَدلَّ على أنه خالـه بهذا اللفظ البعيد . وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير ، حتى كأنّ هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

تصرّم مني ودُّ بكر بن وائلٍ ... وما كاد مني ودُّهـم يتصـرَّمُ

قوارصُ تأتيني ويحتقرونها ... وقد يملأ القطرُ الإناءَ فيفعـمُ

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

والشيب ينهض في السواد كأنّه ... ليلٌ يصيح بجانبيه نهـارُ

---

(٣١٣) البـديع في نقد الشـعر ص١٦٣ .
(٣١٤) اللسـان (عقد) .
(٣١٥) البيـان ج١ ص١٣٦ .

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ »[٣١٦] .

قال العسكري : « التعقيد والاغلاق والتقعير سـواء ، وهو اسـتعمال الوحشي وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى »[٣١٧] . وقد وقع المتنبي في استكراه اللفظ وتعقيد المعنى ، قال الثعالبي : « وهـو أحـد مراكبه الخشنة التي ينسخها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضـل ويُضـل ، ويَتعب ويُتعب ، ولا ينجح »[٣١٨] . واهتم ابن جني بهذه المسألة وبيّن أن التعقيد أثر من آثار الاخلال بقواعد النحو وأصوله ، وانه متعمد لاظهار قوة الطبع[٣١٩] . وقال عبدالقاهر : إن ذلك يسبب فساد النظم وسوء التأليف ،وان التعقيد يستهلك المعاني[٣٢٠] .

وأدخل السكاكي التعقيد في بحث الفصاحة وقال إنها قسمان : قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد . وفسّره بقوله : « والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك الى أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل ، كقول الفرزدق « وما مثله في الناس ... » وكقول أبي تمام :

ثانيه في كَبِدِ السماء ولم يكنْ   كاثنين ثانٍ إذْ هُما في الغـارِ

وغير المعقد أن يفتح صاحبه لفكرتك الطريق المستوي ويمهده ، وإن كان في معاطف نصب عليه المنار ، وأوْقَدَ الأنوار حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته،

(٣١٦) الكامـل ج١ ص٢٨ ، وينظر البلاغـة للمبرد ص٦٣ .
(٣١٧) كتاب الصناعتين ص٤٥ .
(٣١٨) يتيمة الدهـر ج١ ص١٦٩ .
(٣١٩) الخصـائص ج١ ص٣٢٩ ، ج٢ ص٣٩٢ .
(٣٢٠) دلائل الاعجـاز ص٦٥ ، ٢١٠ .

وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته »[٣٢١] . وتبعه في ذلك القزويني وقال : إنّ التعقيد « هو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به »[٣٢٢] . وله سببان :

أحدهما : ما يرجع الى اللفظ ، وهو أن يختل النظم ، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه الى معناه كقول الفرزدق . والكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو اضمار أو غير ذلك إلاّ وقد قامت عليه قرينة لفظية أو معنوية .

والثاني : ما يرجع الى المعنى ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناي َ الدموعَ لتجمدا

كنّى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب ، لان من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم : « أبكاني وأضحكني » أي : ساءني وسرّني ، كما قال الحماسي :

أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهرُ بما يُرضي

ثم طرد ذلك نقيضه فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر . وأخطأ ، لان الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرّة وانما يكون كناية عن البخل . فالكلام الخالي من التعقيد ما كان الانتقال من معناه الأول الى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهراً حتى يخيل

---

(٣٢١) مفتاح العلوم ص١٩٦ ، وينظر الأغاني ج٧ ص٢٤٨ ، ج٢١ ص٣٠٧ .
(٣٢٢) الايضاح ص٥ ، التلخيص ص٢٧ .

الى السامع انه فهمه من حاقّ اللفظ . وسار المتأخرون على مذهب السكاكي والقزويني ودرسوا التعقيد في مبحث الفصاحة الذي صدّروا به دراساتهم البلاغية(٣٢٣) .

التعمية :

عمي عليه الأمر : التبس ، والتعمية : أن تعمي على الانسان شيئاً فتلبّسه عليه تلبيساً . والتعمية : الاخفاء ، يقال : عميت معنى البيت تعمية (٣٢٤) .

تحدث ابن رشيق عن التعمية في باب الاشارة وقال : « ومنها التعمية ، وهذا مثل للطير وما شاكله »(٣٢٥) وقال العسكري : « وينبغي أن يتجنب الكاتب جميع ما يكسب الكلام تعمية ، فيرتب ألفاظه ترتيباً صحيحاً ، ويتجنب السقيم منه »(٣٢٦) .

وتحدث الحليّ عنها في باب الالغاز وقال : « ويسمى أيضاً التعمية »(٣٢٧) . وفعل مثله الحموي فقال : « هذا النوع ــ أعني الالغاز ــ يسمى المحاجاة والتعمية ، وهي أعم أسمائه . وهو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف، ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيرها وباطنها عليه»(٣٢٨) . كقول أبي العلاء في إبرة :

سعت ذات سَمٍّ في قميصٍ فغادرت   به أثراً واللهُ شافٍ من السّمِ

كَسَتْ قيصراً ثوبَ الجمال وتُبَّعاً   وكِسْرى وعادت وهي عارية الجسمِ

(٣٢٣) شروح التلخيص ج١ ص١٢ ، المطول ص١٠٢ ، الأطول ج١ ص٢٢ .
(٣٢٤) اللسان (عمي) .
(٣٢٥) العمدة ج١ ص٣٠٩ .
(٣٢٦) كتاب الصناعتين ص١٥٣ .
(٣٢٧) شرح الكافية البديعية ص٢١٢ .
(٣٢٨) خزانة الأدب ص٣٩٣ .

وأدخلها السجلماسي في الاشارة كما فعل ابن رشيق ، وقال إنّ تحت التعمية أربعة أنواع هي : اللحن ، والرمز ، والتورية ، والحذف(٣٢٩) .

التغـاير :

تغيّر الشيء عن حاله : تحوّل ، وغيّره : حوّله وبدّله كأنه جعله غير ما كان . وغيّر عليه الأمر : حوّله . وتغايرت الأشياء : اختلفت(٣٣٠) .

قال ابن رشيق : « هو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا جميعاً . وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم »(٣٣١) . ومن ذلك قول بعضهم يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلاّ القود(٣٣٢) دون الدية :

لا يشربون دماءَهم بأكفهم   إنّ الدماء الشافيات تُكالُ

وقال المصري : « هو تضاد المذهبين اما في المعنى الواحد بحيث يمدح انسان شيئاً ، ويذمه ، أو يذم ما مدحه غيره ، أو يفضل شيئاً على شيء ثم يعود فيجعل المفضول فاضلا ، أو يفعل ذلك مع غيره فيجعل المفضول عند غيره فاضلاً وبالعكس »(٣٣٣) .

وقال الحلبي والنويري : « هو أن يغاير المتكلم الناس فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمه أو يذمونه فيمدحه »(٣٣٤) .وعرّفه بمثل ذلك السبكي،واضاف أن التغاير اما من كلام شخصين كقوله تعالى : « قالوا : إنّا بما أُرْسِلَ به

(٣٢٩) المنزع البديع ص٢٦٨ .
(٣٣٠) اللسان (غير) .
(٣٣١) العمدة ج٢ ص١٠٠ ، وينظر كفاية الطالب ص١١١ .
(٣٣٢) القود : القصاص .
(٣٣٣) تحرير ص٢٧٧ ، بديع القرآن ص١٠٥ .
(٣٣٤) حسن التوسل ص٢٦٩ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٤٥ .

واما أن يتغاير كلام الشخص الواحد في وقتين كقول قريش عن القرآن الكريم: مؤْمنونَ . قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرونَ »[٣٣٥] . « ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلينَ »[٣٣٦] فانه اعتراف بالعجز ، ثم قالوا في وقت آخر : « لو نشاءُ لقلنا مثلَ هذا »[٣٣٧] . وكان الأصل أن لا يعدّ هذا حسناً بل عيباً ، لكنه لوقوعه في وقتين مختلفين في غير هذا المثال عُدّ من المحاسن[٣٣٨] .

وسماه العسكري « التلطف » وهو من زياداته[٣٣٩] ، قال : « هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه »[٣٤٠] . وقال الحلي : « وسماه قوم التلطف ، وهو أن يتلطف الشاعر في التوصل الى مدح ما كان قد ذمه من قبل هو أو غيره ، أو ذم ما كان مدحه هو أو غيره »[٣٤١] . ونقل الحموي هذا الكلام[٣٤٢] ، وقال السيوطي مثل ذلك[٣٤٣] . وسماه آخرون «المغايرة» قال المدني : «المغايرة والتغاير ، ويسميه قوم التلطف»[٣٤٤] .

والتغاير عند التنوخي لون من السرقة قال : « ومنه التغاير : وهو أخذ المعنى من ضده أيضاً ، ويخالف الالمام بانه لم يستعمل فيه شيء من ألفاظ المعنى المأخوذ منه »[٣٤٥] ، وهو كقول حبيب بن أوس :

---

(٣٣٥) الأعراف ٧٥–٧٦ .
(٣٣٦) المؤمنون ٢٤ .
(٣٣٧) الانفال ٣١ .
(٣٣٨) عروس الافراح ج٤ ص٤٦٨ .
(٣٣٩) كتاب الصناعتين ص٢٦٧ .
(٣٤٠) كتاب الصناعتين ص٤٢٧ .
(٣٤١) شرح الكافية البديعية ص١٠٢ .
(٣٤٢) خزانة الأدب ص١٠٢ .
(٣٤٣) شرح عقود الجمان ص١١٢ .
(٣٤٤) أنوار الربيع ج٢ ص٣٧١ .
(٣٤٥) الاقصى القريب ص١٠٨ .

يقول لـي الأمـير بغير علم   تقدم حين جـد به المراس

فما لـي إن أطعتك مـن حياة   وما لي غير هـذا الرأس راس

وقول عمـران :

لقـد زاد الحيـاة الي بغضاً   وحبـاً للخـروج أبو بـلال

أحاذر أن أموت على فراشـي   وأرجو الموت تحت ذرى العوالي

فمن يك همـه الدنيـا فاني   لهـا والله رب البيـت قالـي

فالمغايرة بين شعر حبيب وشـعر عمران تمت بالبيت الأول من شعر عمـران ، والثاني والثالث زيادة مؤكدة للمعنى •

وكان قد سمى القاضي الجرجاني هذا اللـون من السرقة النقض ، قال : « ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب ، وقصـد به النقض »[346] ، كقول المتنبي :

أ أحبه وأحب فيه ملامـة   إن الملامة فيه من أعـدائه

انما نقض قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمني اللوم

وأصله لأبي نواس في قوله :

إذا غـاديتني بصبوح عـذل   فممزوجـاً بتسـمية الحبيـب

فاني لا أعـد اللـوم فيه   عليك إذا فعلت من الذنـوب

(٣٤٦) الوسـاطة ص٢٠٦ •

التغيير :

التغيير من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن ، قال قدامة : « وهو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته الى صورة أخرى إذا اضطرته العروض الى ذلك »[٣٤٧] كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام :

« ونسج سُليم كل قضّاء ذائل » وكما قال الآخر : « من نسج داود أبي سلام » ، أي : سليمان .

التفسير :

التفسير : هو التصريح بعد الابهام ، وقد تقدم .

التفصيل :

الفَصْل : بون ما بين الشيئين ، وفصّلت الوشاح : إذا كان نظمه مفصلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد . والتفصيل : التبيين[٣٤٨] . قال المدني : « التفصيل ـ بصاد مهملة في اللغة ـ مصدر « فصّلت الشيء تفصيلا » إذا جعلته فصولاً متمايزة »[٣٤٩] .

التفصيل : من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن ، قال قدامة « هو أن لا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر »[٣٥٠] . كما قال دريد بن الصمة :

وبلّغ نُميراً إنْ عَرَضْتَ ابن عامر فأيّ أخ في النائبات وطالب[٣٥١]

ففرق بين « نمير بن عامر » بقوله : « إن عرضت » .

---

(٣٤٧) نقد الشعر ص٢٥٠ .

(٣٤٨) اللسان (فصل) .

(٣٤٩) أنوار الربيع ج٦ ص١٦٦ .

(٣٥٠) نقد الشعر ص٢٥١ ، وينظر الموشح ص١٢٧ .

وذكر ابن رشيق انه من تسميات قدامة ، وقال : إنه نوع من الحشــو ، وكان قد ذكر ان عبدالكريم يطلق التفصيل على التقطيــع وهو بعض أنــواع التقسيم[٣٥٢] ، وأنشد في ذلك :

بيض" مفارقنا ، تغلي مراجلنــا تأسو بأموالنا آثارَ أيدينــا

والتفصيل عند المصري هو الشرح والتفسير[٣٥٣] ، وقال الحلي : « التفصيل ـ بصاد مهملة ـ هو أن يأتي المتكلم بشطر بيت من شعر له متقدم في نثره أو نظمه ، سواء كان صدراً أو عجزاً ، يتفصّل به كلامه أو أن يوطىء له توطئــة ملائمة »[٣٥٤] . ثم قال : « وصــدر بيت القصيدة بحاله[٣٥٥] لي في قصيــدة أخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، أولها :

فيرُزَجُ الصبــح أم ياقــوتة الشــفق

بَدَتْ فهيّجت الورقــاءَ في الــورق

والبيت الذي أتيت بصدره منها لئلا تخلو القصيدة من هذا النوع هو :

صلّى عليه إلهُ العرش ما طلعت شمسُ النهار ولاحَتْ أنجمُ الغسقِ

وسار على خطى الحلي في هــذا المعنى الحمــوي ، والسيوطي ، والمــدني ، والنابلسي[٣٥٦] ، ونقلوا تعريفه .

---

(٣٥١) العمــدة ج٢ ص٧٢ .

(٣٥٢) العمــدة ج٢ ص٢٦ ، وينظر الروض المريع ص١٢٧ .

(٣٥٣) بديــع القرآن ص١٥٤ .

(٣٥٤) شرح الكافية البديعية ص٢٧٣ .

(٣٥٥) يريد قوله :

صلى عليه الــه العرش ما طلعت شمس وما لاح نجم في دجى الظلم

(٣٥٦) خزانة الأدب ص٢٢٢ ، شرح عقود الجمان ص١٧٠ ، أنوار الربيــع ج٦ ص١٦٦ ، نفحــات الأزهــار ص٣٠٣ .

التفعيلة :

كنى ابن جني بالتفعيل عن تقطيع البيت الشعري ، لأنه انما يزنه بأجزاء مادتها كلها (فعل)[357] .

التفعيلة : هي متحركات وسكنات متتابعة على وضع معروف يوزن بها الشعر . وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء : سبب ، ووتد ، وفاصلة . فالسبب نوعان : خفيف وهو متحرك بعده ساكن نحو «ما» و«هل» و «بل» . وثقيل : وهو متحركان مثل « لِمَ » و « بِمَ » . والوتد نوعان : مجموع : وهو متحركان بعده ساكن نحو « رَمى » و « سَعى » ، ومفروق : وهو ساكن بين متحركين نحو «قال» و «باع» .

والفاصلة : فاصلتان صغرى : وهي ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو: « بَلَغَتْ » وكبرى : وهي أربع متحركات بعدها ساكن مثل « بَلَغَني » . والأمثلة التي يقطع بها الشعر ثمانية : اثنان خماسيان وهما : فَعُولُن ، وفاعِلُن . وستة سباعية وهي : مفاعيلن ، وفاعلاتن ، ومستفعلن ، ومفاعلتن ، ومتفاعلن ، ومفعولات .

التقصير :

القصر : الحبس ، وقصر قيد بعيره قصراً : إذا ضيّقه . وقصّر : نقص ورخص ، ضد[358] .

قال ابن منقذ : « هو أن ينقص السارق من كلامه ما هو من تمامه »[359] كما قال عنترة :

---

(٣٥٧) اللسان (فعل) .
(٣٥٨) اللسان (قصر) .
(٣٥٩) البديع في نقد الشعر ص٢٠٤ .

وإذا سكرت فانني مستهلك   مالي ، وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى   وكما علمت شمائلي وتكرمي

أخذهما حسان فنقص منهما ذكر الصحو فقال :

فنشربها فتتركنا ملوكاً   وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

التقفية :

قفاه واقتفاه وتقفاه : تبعه ، وقفّيت على أثره بفلان : أتبعته إياه[٣٦٠] .

ذكر ابن منقذ باباً باسم « التقفية » وقال : « هو أن يأتي ذكر نكتة أو خبر أو غير ذلك يومىء اليه الشاعر أو الناثر »[٣٦١] كقوله تعالى : « فيهن قاصرات الطرف عين »[٣٦٢] فانه يومىء الى قول امرىء القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول

من الذر فوق الإتب منه لأثرا[٣٦٣]

وذكر ابن قيم الجوزية فناً باسم « التفقير »[٣٦٤] وذكر له الآية وبيت الشعر ، ولعل الأصح تسمية ابن منقذ . وقد يكون مصطلح ابن قيم الجوزية محرفاً ، لأن معنى التفقير اللغوي لا علاقة له بالامثلة .

وللتقفية معنى آخر ، قال التنوخي : « والتقفية والتصريع كثر استعمالهما في أول بيت في القصيدة جداً ، ولو لم يكن ذلك حسناً لما استكثر منه العرب . وربما كره العرب في القصيدة ... والفرق بين التصريع والتقفية ان التصريع

---

(٣٦٠) اللسان (قفا) .

(٣٦١) البديع في نقد الشعر ص٢٨٤ .

(٣٦٢) الرحمن ٥٦ .

(٣٦٣) المحول : الذي اتى عليه الحول . الإتب : ثوب رقيق له جيب وليس له كمان .

(٣٦٤) الفوائد ص٢١٧ .

رد العروض على وزن الضرب ورويه بزيادة أو نقص ، والتقفية لا يرد فيها العروض على وزن الضرب ، لانه قد يكون وزناهما واحداً فلا يفتقر الى ردّ وهذا اصطلاح الخليل ومن تابعه في علم العروض • وأما ما عرف العرب فاطلاق التصريع على النوعين • مثال التصريع قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفانِ ورسم عَفَت° آياتهُ منذ أزمانِ

عروض هذه القصيدة «مفاعلن» مقبوضة[٣٦٥] وضربها «مفاعيلن» صحيحاً سالماً ، فقد ردت العروض الى وزن الضرب بزيادة • وقوله أيضاً :

لمن طلل" أبصرته فشجاني كخطّ زَبورٍ في عَسيب يماني

عروض هذه القصيدة أيضاً «مفاعلن» ردّت الى وزن الضرب وهو «فعولن» محذوفاً ، فقد ردت اليه بنقص •

وأما التقفية فمثالها قوله أيضاً :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدّخول فحوملِ

عروض هذه القصيدة وضربها «مفاعلن» مقبوضين فلم يحتج في ذلك الى زيادة ولا نقص »[٣٦٦] •

التقليد :

قلّد فلان" فلاناً : عمل تقليداً ، وقد قلّده قلاداً وتقلدها ، ومنه التقليد في الدين وتقليد الولاة الاعمال • وقلّده الأمر : ألزمه إياه ، وتقلّد الأمر : احتمله[٣٦٧] •

(٣٦٥) القبض : هو حذف الخامس الساكن في (فعولن) فيصير (فعول) .
(٣٦٦) الأقصى القريب ص١١١ .
(٣٦٧) اللسان (قلد) .

ويقال : قلدته أمر كذا : إذا وليته إياه • قال الجوهري : وهو مأخوذ من القـلادة في العنق ، يقال : قلـدت المـرأة فتقلدت • قال : ومنه التقليـد في الدين(٣٦٨) •

فالتقليد : هو تقليد الحكام والوزراء والقضـاة والعمال وغيرهـم ، أي الأمر الذي تعهد به الوظيفة أو نوع العمـل • وقد اهتم المتأخرون بالتقاليـد ووضعوا لها شروطاً من أهمها :

١ ــ براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو المال أو قـدر النعمة أو لقب صـاحب التقليـد أو اسمه •

٢ ــ أن تراعى المناسبة وما تقتضيه الحال فلا يعطى أحد فوق حقه •

٣ ــ أن لا يصف المتولي بما يكون فيه تعريض بالمعزول وتنقص له •

٤ ــ أن يتخير الكلام والمعاني •

ويحسن أن يكون الكلام في التقليد « منقسماً الى أربعة أقسام متقاربة المقادير ، فالربع الأول : الخطبة ، والثاني ذكر موقع الانعام في حق المقلد وذكر الرتبة وتفخيم أمرها • والثالث : في أوصاف المقلد وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل ، وسياسة ، ومهابة ، وبعد صيت ، وسمعة ، وشـجاعة إن كان نائباً ، ووصف العدل والرأي وحسن التدبير والمعرفة بوجوه الأموال وعمارة البلاد وصلاح الاحوال وما يناسب ذلك إن كان وزيراً ، وكذلك في كل رتبة بحسبها • والرابع : الوصايا »(٣٦٩) •

والتقليد : متابعة الآخـرين قبل أن تكتمل أدوات الأديب الفنيـة ، قال القلقشندي : « طريقة الاتباع ، وهي نظر الكاتب في كلام من تقدمه من الكتاب

---

(٣٦٨) صبح الاعشـى ج١١ ص١٠١ .

(٣٦٩) حسن التوسل ص٣٦٨ ، وينظر نهاية الأرب ج٧ ص٢٠٢ ، ج٩ ص١٥٥ ، المثل السـائر ج٢ ص٢٤٨ .

وسلك منهجهم واقتفاء سبيلهم ، وسماها ابن الاثير التقليد »[٣٧٠] . وهي صنفان :

الأول : الاتباع في الالفاظ ، وهو اعتماد الكاتب على ما رتبه غيره من الكتاب ، وأنشأه سواه من أهل صناعة النثر .

الثاني : التقليد في المعاني ، وهذا ما لا يستغني عنه ناظم ولا ناثر .

قال السكاكي : « فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد صاحبها في بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك الى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق »[٣٧١] . وهذه قاعدة عامة تشمل المبدع والناقد ، ولا يعني ذلك أن يبقيا مقلدين ، لان باب التجديد مفتوح . قال الجاحظ : « وكلام كثير جرى على ألسنة الناس وله مضرة وثمرة مرة ، فمن أضر ذلك قولهم : « لم يَدَعِ الأول للآخر شيئاً » فلو أنَّ علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلاً »[٣٧٢] .

التكرار :

الكر : الرجوع على الشيء ، ومنه التكرار ، وكرّ عنه : رجع ، وكرر الشيء : أعاده مرة بعد أخرى ، وكررت عليه الحديث إذا رددته عليه[٣٧٣] .

التكرار : مصدر «كرر» إذا ردّد وأعاد وهو « تَفْعال » ــ بفتح التاء ــ وليس بقياس وليس بخلاف التفعيل . وقال الكوفيون : هو مصدر « فَعَّل » والألف عوض عن الياء في التفعيل ، والأول مذهب سيبويه[٣٧٤] .

---

(٣٧٠) صبح الأعشى ج٢ ص٢٩٢ .
(٣٧١) مفتاح العلوم ص٨١ ، وينظر الايضاح ص١٥-١٦ .
(٣٧٢) الايضاح ص١٦ .
(٣٧٣) اللسان (كرر) .
(٣٧٤) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٨ .

وقال السجلماسي : « والتكرير : هو مثال أول لقولهم : كرر تكريراً : ردد وأعاد . والتكرار فيه : هو بنية مبالغة وتكثير وهو من باب ما تكثر فيه المصادر من « فَعّلْت » بلحاق الزيادة وهي الفاء المفتوحة من أوله لقصد المبالغة فصار بناؤه بناء آخر على غير ما يجب للفعل كالتهدار والتلعاب والتعناق والترداد ــ المفتوحة ــ للمبالغة كما استقر في موضوع اللفظة نكبنا عن ترجمة الجنس بالتكرار ، لان الغرض انما هو مطلق االمثال فقط »(٣٧٥) .

التكرار هو : « أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده . وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني ، فان كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في اثباته تأكيد ذلك الامر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً ، فالفائدة في الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين »(٣٧٦) .

والتكرار من أساليب البلاغة والفصاحة وقد ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب ، ومن عادة العرب إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء كررته توكيداً . وله عدة أغراض أوجزها الزركشي بما يأتي :

الأول : التأكيد ، والتكرار أبلغ من التأكيد ، ومن ذلك قوله تعالى : « وما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدينِ . ثم ما أدْراكَ ما يَومُ الدينِ »(٣٧٧) .

الثاني : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، ومنه قوله تعالى : « وقال الذي آمَنَ يا قومِ اتّبعوني أهْدِكُمْ سبيلَ

(٣٧٥) المنزع البديع ص٤٧٦ .
(٣٧٦) الفوائد ص١١١ .
(٣٧٧) الانفطار ١٧ــ١٨ .

الرشـــادِ • يا قومِ إنّما هذه الحيـــاةُ الدنيا مَتاع »(٣٧٨) ، فانه كـــرر فيه النـــداء لذلك •

الثالث : إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانية تطرية له وتجديداً لعهده ، ومنه قوله تعالى : « إنّي رأَيْتُ أحَدَ عَشَرَ كوكباً والشـــمسَ والقَمَرَ ، رأيتُهُمْ لي ســـاجدينَ »(٣٧٩) •

الرابع : التعظيم والتهويل ، ومنه قوله تعالى : « إنّا أنْزلناهُ في لَيلَـــةِ القَدْرِ ، وما أدْراكَ ما ليلةُ القَدْرِ »(٣٨٠) •

الخامس : الوعيد والتهديد ، ومنه قوله تعالى : « كَلاّ سوف تعْلمونَ • ثُمَّ كَلاّ سوف تَعْلمونَ »(٣٨١) •

السادس : التعجب ، ومنه قوله تعالى : « فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ • ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر »(٣٨٢) •

السابع : لتعـــدد المتعلق ، ومنـــه قولـــه تعالى : « فبأيِّ آلاءِ ربِّكمـــا تكذِّبان »(٣٨٣) ، فانها وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله(٣٨٤) •

وفي آن الكريم صـــور مختلفـــة من التكرار ، ومنها تكـــرار القصص كقصة ابليس في الســـجود لآدم ، وقصة موسى وغيره من الأنبياء • وهنـــاك دواعٍ لمثل هذا التكرار ، منها :

---

(٣٧٨) غافـر ٣٨ـ٣٩ .
(٣٧٩) يوسف ٤ .
(٣٨٠) القـدر ١ـ٢ .
(٣٨١) التكـاثر ٣ـ٤ .
(٣٨٢) المـدثر ١٩ـ٢٠ .
(٣٨٣) الرحمـن ١٣ وما بعـدها .
(٣٨٤) البرهـان ج٣ ص١١ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص ، معترك الأقران ج١ ص٣٤١ ، نفحات الأزهار ص١٥٧ .

الأول : انه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً •

الثاني : انه أراد ــ سبحانه وتعالى ــ اشتراك جميع المسلمين في مختلف بيئاتهم فيها ، وليسمعها من لم يسمعها من قبل •

الثالث : تسلية لقلب النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

الرابع : إنّ ابراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة •

الخامس : إنّ الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام ، فلهذا كررت القصص دون الأحكام •

السادس : انه أراد أن يعلم القوم بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم جاءوا ، وبأي عبارة عَبَّروا •

السابع : انه أراد أن يدفع حجة من سخر من القرآن الكريم •

الثامن : انه لم يذكر القصص بأسلوب واحد ، فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الالفاظ[٣٨٥] •

وجاء التكرار في الشعر من ذلك قول مهلهل : « على أن ليس عدلاً من كليب » فكررها في أكثر من عشرين بيتاً ، وقول الحارث بن عباد : « قربا مربط النعامة مني » قال العسكري : « كررها أكثر من ذلك هذا لما كانت الحاجة الى تكريرها ماسة والضرورة اليه داعية لعظم الخطب وشدة موقع الفجيعة[٣٨٦] •

وتحدث البلاغيون والنقاد عن التكرار ، قال ابن الاثير : « وأما التكرير فانه : هلالة اللفظ على المعنى مردداً كقولك لمن تستدعيه : « أسرع

---

(٣٨٥) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٢٥ •

(٣٨٦) كتاب الصناعتين ص١٩٤ •

أسْرِع » فان المعنى مردد واللفظ واحد ••• وإذا كان التكرير هو ايراد المعنى مردداً فمنه ما يأتي لفائدة ، ومنه ما يأتي لغير فائدة • فأما الذي يأتي لفائدة فانه جزء من الاطناب وهو أخص منه ، فيقال حينئذ : إنّ كل تكرير يأتي لفائدة فهو اطناب وليس كل اطناب تكريراً يأتي لفائدة • وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فانه جزء من التطويل ، وهو أخص منه فيقال حينئذ : إنّ كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل ، وليس كل تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة »[٣٨٧] •

وقسم ابن الاثير الحلبي التكرير قسمين[٣٨٨] :

الأول : يوجد في اللفظ والمعنى مثل : « اسرع ، اسرع » •

الثاني : يوجد في المعنى دون اللفظ مثل : « اطعني ولا تعصني » ، فان الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية •

وكل قسم من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد •

وقال ابن شيث القرشي : « التكرير هو أن يأتي بثلاث أو أربع كلمات موزونات ثم يختم بأخرى تكون القافية اما على وزنهن أو خارجة عنهن • مثل أن يقال : « لا زال عالي المنار ، حامي الذمار ، عزيز الجار ، هامي النعم ، وافي المجد ، نامي الحمد ، جديد الجد ، وافر القسم » • أو تتكرر اللفظة الواحدة مثل أن يقال : « باسم الأيام ، باسم الأيادي ، باسم الخدام » • وفي الشعر :

كأنّ المُدامَ وصَوْبَ الغما م ونَشْرَ الخُزامى وريح القُطُرْ »[٣٨٩]

---

(٣٨٧) المثل السائر ج٢ ص١٢٨ ، وينظر كفاية الطالب ص٢٠٨ •
(٣٨٨) جوهر الكنز ص٢٥٧ •
(٣٨٩) معالم الكتابة ص٧٧ . القطر : العود الذي يتبخر به •

وهذا نوع من التقطيع الذي يورث تكريراً .

وقسمه السجلماسي قسمين[٣٩٠] :

الأول : التكرير اللفظي وسماه «المشاكلة»

الثاني : التكرير المعنوي وسماه «المناسبة»

وسمى ابن البناء المراكشي تكرير اللفظ والمعنى واحد « مواطـأة » وتكرير اللفظ والمعنى مختلف « المشاركة »[٣٩١] .

التكلف :

كلّفه تكليفاً : أمره بما يشق عليه ، وتكلفت الشيء : تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك . ويقال : فلان يتكلف لاخوانه الكلف والتكاليف ويقال: حملت الشيء تكلفة إذا لم تطقه إلاّ تكلفاً . وفي الحديث : « أنا وأمتي بـراء من التكلف »[٣٩٢] .

تحدث القـدماء عن التكلف ولم يحددوه تحـديداً دقيقاً ، ونظروا اليه نظرات مختلفة ، فابن سـلام قال عن النابغة : « كأنّ شـعره كلام ليس فيه تكلف »[٣٩٣] . أي : أن قيود الشعر لا تحدّ من شاعريته وتلجئه الى الكلام المعقد والتصنع في القول . وقال عن النابغة الجعدي إنه كان « مختلف الشعر مغلباً ، فقال الفرزدق : « مثله مثل الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز ، والى جنبه سمل كساء » . وكان الاصمعي يمدحه بهذا وينسبه الـى قلّـة التكلف »[٣٩٤] . وكأن التكلف هو أن لا يتفاوت شعر الشاعر لقلة العناية به.

---

(٣٩٠) المنزع البـديع ص٤٧٦ .
(٣٩١) الـروض المريـع ص١٥٧ .
(٣٩٢) اللسـان (كلف) .
(٣٩٣) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٥٦ ، وينظر الشعر والشعراء ج١ ص١٥٧ .
(٣٩٤) طبقات فحول الشـعراء ج١ ص١٢٥ .

وأشار الجاحظ الى عدة معان للتكلف منها : ان المتكلف هو من يكثر البديع في شعره كمنصور النمري ، ومسلم بن الوليد[٣٩٥] . والتكلف هو كدّ الذهن ، والكلام الجيد ما « سلم من فساد التكلف » و « أعفى المستمع من كدّ التكلف ، وأراح قارىء الكتاب من علاج التفهم »[٣٩٦] ، والتكلف هو المشقة[٣٩٧] ، وهو مذموم يتعوذ منه الناس[٣٩٨] .

والتكلف عند المبرد خلاف السهولة وانسياب العبارة ووضوحها ، قال : « ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبي حية النميري :

رَمَتْني وسِتْرُ الله بيني وبينها   عشيةَ آرامِ الكِناسِ رميمُ

ألا ربّ يومٍ لو رمتني رميتها   ولكنّ عهدي بالنضال قديمُ

يرى الناس أنّي قد سلوت وأنني   لمرميٌّ أحناء الضلوع سقيم[٣٩٩]

وقد يراد بالتكلف سوء النسج وفساده ، ومن ذلك قصيدة الأعشى التي مطلعها :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا   واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

فهي عند ابن طباطبا متكلفة النسج[٤٠٠] .

وقرن ابن وهب قلة التكلف بسهولة التأليف ، ومن سمات الشعر الفائق قلة التكلف[٤٠١] .

---

(٣٩٥) البيان ج١ ص٥١ ، وينظر اعجاز القرآن ص١٦٢-١٦٦ .
(٣٩٦) البيان ج٢ ص٨ .
(٣٩٧) الحيوان ج١ ص٣٨ .
(٣٩٨) البيان ج١ ص٣ ، ج٢ ص١٨ .
(٣٩٩) الكامل ج١ ص٢٩ .
(٤٠٠) عيار الشعر ص١١٠ ، ١١٩ ، وينظر الموشح ص٦٧ ، ٦٩ .

والتكلف : هو المجيء بما ينافر الطبع ، قال المرزباني : « فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون بما ينافر الطبع ، وينبو عن السمع »[402] . وسوء النسج كقول أبي تمام :

قَدْكَ اتئب أربيتَ في الغلواء كم تعذلون وأنتم سُجرائي[403]

والتكلف عند العسكري : « طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بالسهولة. فالكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد وتنولت ألفاظه من بعد ، فهو متكلف »[404] . ويأتي التكلف أيضاً بمعنى استعمال الغريب ، « قيل للسيد : ألا تستعمل الغريب في شعرك ؟ فقال : ذاك عيّ في زماني ، وتكلف مني لو قلته وقد رزقت طبعاً واتساعاً في الكلام ، فأنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير »[405] .

والتكلف : أن يخرج الكلام بكدّ ومشقة ، قال العسكري : « والكلام إذا خرج في غير تكلف وكدّ وشدّة تفكر وتعمل كان سلساً سهلاً ، وكان له ماء ورواء ورقراق وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه »[406] . وترك التكلف هو الاسترسال مع الطبع[407] .

لقد جاءت هذه الاشارات الى التكلف عرضاً ، وقد عقد ابن منقذ باباً سماه « التكلف والتعسف » وقال : « وهو الكثير من البديع كالتطبيق والتجنيس في القصد ، لانه يدل على تكلف الشاعر لذلك وقصده اليه ، وإذا

---

(401) البرهان في وجوه البيان ص175 ، 169 ، وينظر الموازنة ج1ص243-244
(402) الموشح ص540 .
(403) الموشح ص482 .
(404) كتاب الصناعتين ص44 .
(405) كتاب الصناعتين ص61 ، وينظر الوساطة ص19 .
(406) كتاب الصناعتين ص171 .
(407) سر الفصاحة ص343 .

كان قليلاً نسب الى أنه طبع في الشاعر ، ولهذا عابوا على أبي تمام ، لأنه كثر في شعره ، ثم انهم استحسنوه في شعر غيره لقلته . وقالوا : إنه بمنزلة اللثغة تستحسن فاذا كثرت صارت خرساً والشية تستحسن في الفرس فاذا كثرت صارت قططا[408] ، ولهذا قالوا : خير الأمور أوسطها ، والحسنة بين الشيئين والفضيلة بين الرذيلتين »[409] .

وفرّق ابن الاثير بين المتكلف وغير المتكلف فقال : « أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية ، وذلك أن يُنضى الخاطر في طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره ، وغير المتكلف يأتي مستريحاً من ذلك كله ، وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته ، والخطيب أو الكاتب في انشاء خطبته أو كتابته ، فبينا هو كذلك إذ سنح له نوع من هذه الأنواع بالاتفاق لا بالسعي والطلب »[410] .

وقرن القرطاجني التكلف بالتوعر قال : « ومن ذلك التسهل في العبارات وترك التكلف . والتسهل يكون بأن تكون الكلم غير متوعرة الملافظ والنقل من بعضها الى بعض ، وأن يكون اللفظ طبقاً للمعنى تابعاً له جارية العبارة من جميع أنحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة ، هذا إذا لم يكن المقصد إغماض المعاني . والتكلف يقع إما بتوعر الملافظ ، أو ضعف تطالب الكلم ، أو بزيادة ما لا يحتاج اليه ، أو نقص ما يحتاج ، واما بتقديم وتأخير ، وإما بقلب ، وإما بعدل صيغة عن صيغة هي أحق بالموضع منها ، وإما بابدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعاً في الكلام منها »[411] .

---

(٤٠٨) القطط : الجعد .
(٤٠٩) البديع في نقد الشعر ص١٦٣ ، وينظر تحرير التحبير ص٤٢٠ .
(٤١٠) المثل السائر ج١ ص٢٧٥ .
(٤١١) منهاج البلغاء ص٢٢٣ .

التلاؤم :

تلاءم القوم والتأموا : اجتمعوا واتفقوا[٤١٢] .

قال الرماني : « التلاؤم نقيض التنافر ، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف . والتأليف على ثلاثة أوجه : متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا »[٤١٣] . والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة ، وطريق الدلالة[٤١٤] . وقد تقدم الكلام عليه في الالتئام .

التلاحم :

لحم الشيء لحماً وألحمه فالتحم : لأمه . التحم الصدع والتأم بمعنى واحد ، ولحمة النسب : الشابك منه[٤١٥] .

قال الجاحظ : « وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ افراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِهان »[٤١٦] . قال ابن رشيق : « وإذا كان الكلام على هذا الاسلوب الذي ذكره الجاحظ ، لذّ سماعه ، وخف محتمله ، وقرب فهمه ، وعذب النطق به ، وحلي في فم سامعه ، فاذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه ، وثقل على اللسان النطق به ، ومَجَّتْهُ المسامع فلم يستقر فيها منه شيء »[٤١٧] . ومنه قول أبي حية النميري :

---

(٤١٢) اللسان (لأم) .
(٤١٣) النكت في إعجاز القرآن ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٨٧ .
(٤١٤) ينظر النكت ص٨٨ ، الانتصار ص٢٦٤ ، الرسالة العسجدية ص١٥٦ ، منهاج البلغاء ص٢٢٢ ، الروض المريع ص١١١ .
(٤١٥) اللسان (لحم) .
(٤١٦) البيان ج١ ص٦٧ ، وينظر المصون ص٦ـ٧ .
(٤١٧) العمدة ج١ ص٢٥٧ .

رمتني وسِتْرُ اللهِ بيني وبينها عشيّةَ آرامِ الكِناسِ رميمُ
رميمُ التي قالت لجارات بيتها ضَمِنْتُ لكم ألاّ يزالَ يهيمُ
ألا ربّ يومٍ لو رَمَتْني رَمَيْتُها ولكنّ عَهْدي بالنضال قديمُ

التلطف :

لطف : رفق . والتلطف للأمر : الترفق له[٤١٨] .

التلطف : من ابتداع العسكري[٤١٩] ، وهو « أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه ، والمعنى الهجين حتى تحسنه »[٤٢٠] . ومنه قول الحطيئة في قوم كانوا يلقبون بأنف الناقة فيأنفون فقال فيهم :

قومٌ همُ الأنْفُ والأذنابُ غَيْرُهُمُ
ومَنْ يسوّي بأنْفِ الناقةِ الذّنبا

فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا البيت .

وقال ابن منقذ : « هو أن يلفق كلاماً من كلام آخر فيولد من الكلامين كلاماً ثالثاً »[٤٢١] ، كما روي عن مصعب بن الزبير انه وشم على خيله : « عِدّة » فلما أخذها الحجاج كتب عليها «للفرار» .

وقال الحلي والحموي والمدني ان بعضهم سمى التغاير « تلطفاً »[٤٢٢] ، ولكن التغاير — وقد تقدم — أوسع من ذلك وإن كان لا يخرج عنه كثيراً .

---

(٤١٨) اللسان (لطف) .
(٤١٩) كتاب الصناعتين ص٢٦٧ .
(٤٢٠) كتاب الصناعتين ص٤٢٧ .
(٤٢١) البديع في نقد الشعر ص٢٨٤ .
(٤٢٢) شرح الكافية البديعية ص١٠٢ ، خزانة ص١٠٢ ، أنوار الربيع ج ٢ ص٣٧١ .

التلفيق :

لَفَقْتُ الثوب ألفقه لفقاً : وهو أن تضم شقة الى أخرى فتخيطهما ، ولفّقهما : ضم إحداهما الى الأخرى فخاطهما ، والتلفيق أعم[٤٢٣] .

التلفيق : من السرقات ، وهو أن يلفق الشاعر بيته من عدة أبيات لغيره ، مثل قول ابن الطّثْرِيّة :

إذا ما رآني مُقْبِلاً غضّ طَرْفَهُ كأنَّ شُعاعَ الشمس دوني يُقابِلُه

فأوله من قول جميل :

إذا ما رأوني طالعاً من ثَنِيّةٍ يقولون : مَنْ هذا وقد عَرَفوني

ووسطه من قول جرير :

فغضّ الطّرفَ إنك من نُميرٍ فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأنَّ الشمْسَ من حولي تدور[٤٢٤]

والتلفيق هو الالتقاط ، وقد تقدم .

التلميح :

لمح اليه : اختلس النظر ، وقال بعضهم : لمح : نظر[٤٢٥] .

قال التفتازاني : « وأما التلميح — صح بتقديم اللام على الميم — من لمحه : إذا أبصره ونظر اليه ، وكثيراً ما تسمعهم يقولون في تفسير الأبيات :

---

(٤٢٣) اللسان (لفق) .
(٤٢٤) حلية المحاضرة ج٢ ص٩٠ ، العمدة ج٢ ص٢٨٩ ، قراضة الذهب ص٥٢ ، ٥٧ ، كفاية الطالب ص١٢٠ .
(٤٢٥) اللسان (لمح) .

« في هذا البيت تلسيح الى قول فلان » و « قد لمح هذا البيت فلان » ، الى غير ذلك من العبارات »[426] .

وقال الرازي : « هو أن يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر ، أو شعر نادر ، أو قصة مشهورة من غير أن يذكره »[427] ، كقول الشاعر :

المستغيث بعمرو عند كربته كالمستغيث من الرمضاء بالنار

وقال القزويني في باب السرقات : « وأما التلميح : فهو أن يشار الى قصة ، أو شعر من غير ذكره »[428] . والأول كقول أبي تمام :

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى قلوباً عهدنا طيرها وهي وُقّعُ

فردت علينا الشمسُ والليل راغمٌ بشمس لهم من جانب الخدر تطلعُ

نضا ضوؤها صبْغَ الدجنّةوانطوى لبهجتها ثوبُ السماءِ المجزّعُ

فوالله ِ ما أدري أأحلامُ نائمٍ ألمّت بنا أم كان في الركب يُوشَعُ

وفيه اشارة الى قصة يوشع فتى موسى ــ عليهما السلام ــ واستيفائه الشمس .

والثاني : كقول الحريري : «بت ليلة نابغية » أومأ الى قول الذبياني :

فبتّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرقْش في أنيابها السمّ ناقعُ

ومن التلميح ضرب يشبه اللغز ، كما روي أن تميمياً قال لشريك النميري : « ما في الجوارح أحبّ اليّ من البازي » فقال : « إذا كان يصيد القطا » ، أشار التميمي الى قول جرير :

(٤٢٦) المطول ص٤٧٥ ، المختصر ج٤ ص٥٢٤ .
(٤٢٧) نهاية الايجاز ص١١٢ .
(٤٢٨) الايضاح ص٤٢٦ ، التلخيص ص٤٢٧ .

أنا البازي المطلُّ على نُمير　　أتيح من السماء لها انصبابا

وأشار شريك الى قول الطرماح :

تميم بطرْق اللؤم أهدى من القطا　　ولو سلكتْ طرُقَ المكارم ضلّتِ

وتبع القزويني في هذا الفن شراح التلخيص[٤٢٩] .

وقال الحلي إنّ ابن المعتز سماه « حسن التضمين » ووافقه قدامة ومن تبعهما وسماه المطرزي وصاحب المعيار ومن تبعهما التلميح ، وسماه صاحب التلخيص التلميح ، وسماه الرازي « التلويح » ثم قال : « وقالوا جميعاً : هو أن يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر ، أو شعر نادر ، أو قصة مشهورة من غير أن يذكر »[٤٣٠] . ولا يخرج كلام الآخرين عن هذه الدلالة[٤٣١] .

التلويح :

ألاح بالسيف ولوّح : لمع به وحرّكه ، وألاح بثوبه ولوّح به : أخذ طرفه بيده من مكان بعيد ثم أداره ولمع به ليريه من يحب أن يراه[٤٣٢] .

الوحي باللفظ ودلالة الاشارة والتلويح من أساليب العرب وقد أشار الجاحظ اليها[٤٣٣] . وذكر ابن جني التلويح مع التعريض والايماء[٤٣٤] ،

---

(٤٢٩) شروح التلخيص ج٤ ص٥٢٤ ، الأطول ج٢ ص٢٥٤ .

(٤٣٠) شرح الكافية البديعية ص٣٢٨ .

(٤٣١) الطراز ج٣ ص١٧٠ ، الفوائد ص١٦٢ ، خزانة الأدب ص١٨٤ ، شرح عقود الجمان ص١٧١ ، أنوار الربيع ج٤ ص٢٦٦ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص٢٢ ، حسن التوسل ص٢٤٢ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٢٧ ، الكليات ج١ ص٢٥٣ ، معاهد التنصيص ج٤ ص١٩٤ ، نفحات الأزهار ص١٨٤ .

(٤٣٢) اللسان (لوح) .

(٤٣٣) البيان ج١ ص٤٤ .

(٤٣٤) الخصائص ج١ ص٢٢٠ .

وأدخله ابن رشيق في باب الاشارة ، قال : « ومن أنواعها قول المجنون قيس بن معـاذ العامري :

فلو كنتُ أعلو حبَّ ليلى فلم يَزَلْ بي النقْضُ والابرامُ حتى علانيا

فلوَّح بالصحة والكتمان ، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً »[٤٣٥] .

وقال السكاكي : « متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسباً ، وإذا لم تكن كذلك نظر فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكني عنها متباعدة لتوسط لوازم كما في « كثير الرماد » وأشباهه كان اطلاق اسم «التلويح» عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير الى غيرك عن بعد »[٤٣٦] . وذكر القزويني وشراح التلخيص ذلك[٤٣٧] وقال السجلماسي : « هو اقتضاب الدلالة على الشيء بنظيره واقامته مقامه »[٤٣٨] .

التمكين :

التمكين : هو « ائتلاف القافية » وقد تقدم[٤٣٩] .

التمليط :

ملط الحائط : طلاه ، والمِلاط الطين ، والملاطان : جانبا السنام[٤٤٠] . قال ابن رشيق : « واشتقاق الملاط من أحد شيئين :

---

(٤٣٥) العمدة ج١ ص٣٠٤ .
(٤٣٦) مفتاح العلوم ص١٩٤ .
(٤٣٧) الايضاح ص٣٢٧ ، التلخيص ص٣٤٤ ، شروح التلخيص ج٤ ص٢٦٩ ، المطول ص٤١٣ ، الأطول ج٢ ص١٧٦ ، شرح عقود الجمان ص١٠٣ ، حلية اللب ص١٦٩ ، نفحات الأزهار ص٢٨٤ .
(٤٣٨) المنزع البديع ص٢٦٦ .
(٤٣٩) نقد الشعر ص١٩٠ ، تحرير ص٢٢٤ ، بديع القرآن ص٨٩ ، المصباح ص١١٧ ، جوهر الكنز ، ص٢٠٠ ، خزانة ص٤٣٩ ، معترك ج١ ص٣٩ ، شرح عقود الجمان ص١١٥ ، أنوار ج٦ ص١٥١ ، نفحات الازهار ص٣٢٢ .
(٤٤٠) اللسان (ملط) .

أولهما : أن يكون من الملاطين ، وهما جانبا السنام في مرد الكتفين . قال جرير :

تلاني حوالي خِدْرِ أسماءَ وانتحى باسماء موّارُ الملاطين أرْوَحُ

فكأن كل قسم ملاط أي جانب من البيت ، وهما عند ابن السكيت : العضدان .

والآخر : وهو الأجود ، أن يكون اشتقاقه من المِلاط وهو الطين يدخل في البناء يُملط به الحائط مَلْطاً ، أي : يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً . وأما المِلْث — وهو الذي لا يبالي ما صنع — والأملط — الذي لا شعر عليه في جسده — فليس لاشتقاقه منهما وجه »(٤٤١) .

وتحدث ابن رشيق عنه في باب « التضمين والاجازة » وقال : « ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط ، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هـذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه »(٤٤٢) . وفي الحكاية ان امرأ القيس قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعراً كما تقول فملط أنصاف ما أقول فأجزها . قال : نعم .

قال امرؤ القيس : أحارِ ترى بُريقاً هَبَّ وَهْناً

فقال التوأم : كنار مجوسَ تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس : أرقت له ونـام أبو شـريح

فقال التوأم : إذا ما قلت قد هـدأ استطارا

وكان الخطابي قد تحدث عن الاجازة وذكر طرفاً مما ذكره ابن رشيق(٤٤٣) .

---

(٤٤١) العمـدة ج٢ ص٩٢ ، وينظر كفاية الطالب ص٥٠–٥١ .

(٤٤٢) العمـدة ج٢ ص٩١ .

(٤٤٣) بيان إعجاز القرآن — ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٥٤ .

وقال علي بن ظافر : « التمليط : هو أن يجتمع شاعران فصاعداً على تجريد أفكارهم وتجريب خواطرهم في العمل في معنى واحد »[٤٤٤] . ثم قال : « فمن التمليط ما يكون بين شاعرين، ومنه ما يكون بين شعراء، ومنه ما يكون قسيم لقسيم ، ومنه ما يكون بيت لبيت ، ومنه ما يكون بيتين ببيتين » . وفرّق بينه وبين الاجازة فقال : « إنّ التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل ، أو يندبون لذلك وتتكرر منهم المناوبة . وهذا ليس من شروط الاجازة » . وما وقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم يسمى المماتنة ، والواقع بين شاعرين بيت لبيت يسمى الانفاذ . وهناك الواقع بين ثلاثة من الشعراء بقسيم لقسيم ،والواقع بين أربعة أو خمسة شعراء .

التناسب :

ناسبه : شركه في نسبه . المناسبة : المشاكلة[٤٤٥] . وتناسبا : تماثلا وتشاكلا .

تحدث بشر بن المعتمر في صحيفته عن التناسب بين الالفاظ والمعاني ، فقال « ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف »[٤٤٦] . وقال الجاحظ : « إلا أن أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني »[٤٤٧] . وقال : « ومتى شاكل — أبقاك الله — ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحالة وفقاً ولذلك القدر لفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمي عرضه

---

(٤٤٤) بدائع البدائه ص١٦٧ .
(٤٤٥) اللسان (نسب) .
(٤٤٦) البيان ج١ ص١٣٦ .
(٤٤٧) البيان ج١ ص١٤٥ .

من اعتراض العائبين ، وألاّ تزال به القلوب معمورة والصدور مأهولة»[448].

وقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف والجزل للجزل ، والافصاح في موضع الافصاح ، والكناية في موضع الكناية ، والاسترسال في موضع الاسترسال »[449].

وتحدث قدامة عن نعت « ائتلاف اللفظ والمعنى » وهو المساواة ، والاشارة ، والإرداف ، والتمثيل ، والمطابق ، والمجانس[450] . وقال التنوخي: « ومن البيان التناسب ، وهو في الألفاظ وفي المعاني ، وأكثر ما يحتاج اليه في الالفاظ ، لأن المعاني التي تطلب لا يلزم فيها ترتيب ولا مناسبة ، فان المتكلم قد يفتقر الى ذكر الأشياء المتناقضة والمتضادة والمتغايرة والمتنافرة ، وحيث لا يفتقر الى شيء من ذلك فهو التناسب فكأنه مضطر الى ما يأتي به إذا كان مراداً »[451].

وقال الحلبي والنويري : « والتناسب : هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر »[452] ويسمى « التشابه » أيضاً ، وقيل : إنّ التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة بل متقاربة في الجزالة والرقة والسلاسة ، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسو اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد ، بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتتلاءم . ومن التناسب قول النابغة :

---

(٤٤٨) البيان ج٢ ص٧ .

(٤٤٩) الحيوان ج٣ ص٣٩ .

(٤٥٠) نقد الشعر ص١٧١ .

(٤٥١) الأقصى القريب ص٩٢ .

(٤٥٢) حسن التوسل ص٢١٢ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٠٧ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٤ .

الرفقُ يُمْنٌ والأناةُ سعادةٌ فاسْتَأنِ في رزق تنال نجاحا

واليأسُ عمّا فاتَ يُعْقِبُ راحةً ولربَّ مطعمةٍ تعود ذُباحا

ونقل ابن قيم الجوزية ذلك(٤٥٣) ، وسمى الوطواط والقزويني وشراح التلخيص والحموي والسيوطي والمدني مراعاة النظير « تناسباً » أيضاً(٤٥٤) .

تناسب الأبيات :

تناسب الأبيات : أن تكون الأبيات أو أشطرها متناسبة ، قال ابن طباطبا: « وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وضعه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه فيُنسي السامعَ المعنى الذي يسوق القول اليه . كما انه يحترز من ذلك في كل بيت فلا يباعد كلمة عن أختها ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها . ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر فلا يتنبّه على ذلك إلاّ من دقّ نظره ولطف فهمه ، وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له فيسمعون الشعر على جهته ويؤدونه على غيرها سهواً ، ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه كقول امرىء القيس :

كأنيَ لم أركبْ جواداً للذّةٍ ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالِ

ولم أسبأ الزقّ الرويّ ولم أقلْ لخيليَ : كُرّي كرّةً بعد إجفالِ

---

(٤٥٣) الفوائد ص٨٧ .

(٤٥٤) حدائق السحر ص١٣٠ ، الايضاح ص٣٤٣ ، التلخيص ص٣٥٤ ، شروح التلخيص ج٤ ص٣٠١ ، المطول ص٤٢٠ ، الأطول ج٢ ص١٨٨ ، خزانة الادب ص١٣١ ، شرح عقود الجمان ص١٠٨ ، أنوار الربيع ج٣ ص١١٩ ، الروض المريع ص١١٢ ، ٤٣ .

هكذا الرواية ، وهنا بيتان حسنان ، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج ، فكان يروى :

كأني لم أركبْ جواداً ولم أقلْ … لخيليَ : كُرّي كرّةً بعد إجفالِ

ولم أسبأ الزقّ الرويّ للذّةٍ … ولم اتبطن كاعباً ذاتَ خلخالِ (٤٥٥)

ومن ذلك قول المتنبي :

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ … كأنّكَ في جَفْنِ الردى وهو نائمُ

تمرّ بك الأبطالُ كَلْمى هزيمةً … ووجْهُك وضّاحٌ وثَغْرُك باسِمُ

وحكي أنّ سيف الدولة الحمداني قال للمتنبي : قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرىء القيس قوله : « كأني لم أركب ... » فبيتاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرىء القيس ، وكان ينبغي لك أن تقول:

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ … ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمةً … كأنك في جفن الردى وهو نائمُ

فقال المتنبي : « إن صحّ أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف تفاصيله . وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة بسباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء . وكذلك لما ذكرتُ الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ، ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوساً وعينه باكية قلت : « ووجهك وضّاح وثغرك باسم » لأجمع بين الأضداد »(٤٥٦) .

---

(٤٥٥) عيار الشعر ص٢٠٩ .

(٤٥٦) المثل السائر ج٢ ص٣٠٣ ، الجامع الكبير ص٢١٧ .

فتناسب الابيات والاشطار والارتباط بينها من أهم ما ينبغي للشاعر العناية به لئلا يحدث خلل ، أو تختل الصورة الشعرية إذا وقع التنافر بين أجزائها . وقد تنبه ابن طباطبا لذلك وذكر قول ابن هرمة :

وانّي وتركي ندى الاكرمين ... وقَدْحي بكفي زناداً شَحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ... ومُلبسةٍ بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق :

وانك إذ تهجو تميماً وترتشي ... سرابيلَ قيس أو سحوق العمائم

كمهريقِ ماءٍ بالفلاة وغرّه ... سراب" أذاعته رياح السمائم

قال : « كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق ، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة فيقال :

واني وتركي ندى الاكرمين ... وقَدْحي بكفي زناداً شَحاحا

كمهريق ماءٍ بالفلاة وغرّه ... سراب" أذاعته رياح السمائم

ويقال :

وإنك إذ تهجو تميماً وترتشي ... سرابيلَ قيس أو سحوق العمائم

كتاركةٍ بيضها بالعراء ... وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً ، وإلا كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذي أريد له »(٤٥٧) .

---

(٤٥٧) عيار الشعر ص٢١٠-٢١١ .

التناسب بين المعاني :

عقد ابن الاثير باباً في الصناعة المعنوية سماه «التناسب بين المعاني»[٤٥٨]، وهو عنده ثلاثة أقسام : المطابقة ، وصحة التقسيم وفساده ، وترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد .

التنافر :

النَّفْرُ : التفرق ، نفر القوم ينفرون نفراً ونفيراً ، ونفر : فر . وتنافروا: ذهبوا وتفرقوا[٤٥٩] .

قال الجاحظ : « ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها إلاّ ببعض الاستكراه . فمن ذلك

بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها إلاّ ببعض الاستكراه . فمن ذلك

قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر ۞ وليس قرب قبر حرب قَبْرُ

ولما رأى من لا علم له أنّ أحداً لا يستطيع أن ينشدها هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : إنّ ذلك انما اعتراه إذ كان من أشعار الجن ، صدّقوا بذلك »[٤٦٠] . ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه :

لم يَضرها والحمدُ للهِ شيءٌ ۞ وانثنتْ نحو عَزْقِ نَفْسٍ ذَهولِ

قال الجاحظ : « فتفَقَّد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض »[٤٦١] .

---

(٤٥٨) المثل السائر ج٢ ص٢٧٩ ، الجامع الكبير ص٢١١ .
(٤٥٩) اللسان (نفر) .
(٤٦٠) البيان ج١ ص٦٥ .
(٤٦١) البيان ج١ ص٦٦ .

وتحدث ابن الاثير عن « المنافرة بين الالفاظ في السبك » وقال : « وحقيقة هذا النوع الذي هو المنافرة : أن يذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها مما هو في معناها أولى بالذكر »(٤٦٢) . وهذا النوع قسمان ، أحدهما : يوجد في اللفظة الواحدة ، وهذا إذا ورد في الكلام امكن تبديله بغيره مما هو في معناه سواء كان ذلك الكلام نثراً أو نظماً ، ومنه قول المتنبي :

فلا يبرمُ الأمر الذي هو حالِلٌ ولا يحللُ الأمْرَ الذي هو يبرمُ

فلفظة « حالل » نافرة عن موضعها ولو وضع الشاعر كلمة « ناقض » لجاءت قارّة في مكانها غير قلقة ولا نافرة .

والآخر : في الالفاظ المتعددة ، وهذا ما لا يمكن تبديله بغيره في الشعر، بل يمكن ذلك في النثر خاصة ، لانه يعسر في الشعر من أجل الوزن . ومنه قول المتنبي :

لا خَلْقَ أكرمُ منك إلاّ عارفٌ بك راءَ نفسك لم يقل لك هاتِها

فان عجز هذا البيت نافر عن مواضعه .

وتحدث القزويني عن تنافر الحروف وقال : « فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقته فقال : « تركتها ترعى الهُعْخُعَ » . ومنه ما هو دون ذلك كلفظ « مُسْتَشْزِر » في قول امرىء القيس :

غدائِرُه مستشزرات الى العلى تَضِلُّ العِقاصُ في مُثنّى ومُرْسَلِ (٤٦٣)

وتحدث عن تنافر الكلمات وقال : « والتنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها ، متتابعة كما في البيت الذي

(٤٦٢) المثل السائر ج١ ص٣٠٤ وما بعدها .
(٤٦٣) الايضاح ص٢ ، التلخيص ص٢٤ .

أنشده الجاحظ : « وقبر حرب ... » . ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معي وإذا ما لمته لمته وحدي

فان في قوله : « أمدحه » ثقلا ما لما بين الحاء والهاء من تنافر »[٤٦٤].

وسار شراح التلخيص على خطى القزويني في بحث التنافر[٤٦٥] . ولخص القلقشندي الآراء في التنافر في ثلاثة مذاهب[٤٦٦] :

الأول : ان المراد بتنافر الكلمات أن يكون في الكلام ثقل على اللسان ويعسر النطق به على المتكلم . وهذا ما ذهب اليه السكاكي[٤٦٧] والقزويني وشراح التلخيص . وهو نوعان : أن يكون فيه بعض ثقل كقول أبي تمام : « كريم متى أمدحه ... » أو أن يكون شديد الثقل بحيث يضطرب لسان المتكلم عند إرادة النطق به كقوله : « وقبر حرب ... » .

الثاني : أن المراد بتنافر الكلمات أن تكون أجزاء الكلام غير متلائمة ومعانيه غير متوافقة بأن يكون عجز البيت أو القرينة غير ملائم لصدره ، أو البيت الثاني غير مشاكل للبيت الأول أي ليس بينهما تناسب .

الثالث : ان المراد بتنافر الكلمات أن تذكر لفظة أو ألفاظ يكون غيرها مما في معناها أولى بالذكر فتجيء الكلمة غير لائقة بمكانها وهو ما اصطلح عليه ابن الاثير في « المثل السائر » ، كقول المتنبي : « فلا يبرم الأمر ... » .

---

(٤٦٤) الايضاح ص٢٥ ، التلخيص ص٢٦ .
(٤٦٥) شروح التلخيص ج١ ص٧٧ ، ٩٩ المطول ص١٦ ، ٢٠ ، الاطول ج ١ ص١٨ ، ٢٣ .
(٤٦٦) صبح الأعشى ج٢ ص٢٧٠ وما بعدها .
(٤٦٧) ينظر مفتاح العلوم ص١٩٩ .

التناقض :

النقض : افساد ما أبرمت من عقد أو بناء ، وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضاً : خالفه • والمناقضة في القول : أن يتكلم بما يتناقض معناه(٤٦٨) •

قال الشريف الجرجاني : « التناقض : هو اختلاف القضيتين بالايجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى »(٤٦٩) •

وقال قدامة : « إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسنا أيضا غير منكر عليه ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها »(٤٧٠) • ومن ذلك قول عبدالرحمن بن عبدالله القس :

فاني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها   يزال بنفسي قبل ذاك فأُقْبَرُ

فقد جمع بين «قبل» و«بعد» وهما من المضاف ، لأنه لا قبل إلا لبعد ولا بعد إلاّ لقبل حيث قال : « انه إذا وقع الموت بها » وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به ، وجوابه هو قوله : « يزال بنفسي قبل ذاك » وهذا شبيه بقول قائل لو قال : « إذا انكسر الكوز انكسرت الجرة قبله » •

التنبيه :

نبّهه وأنبهه من النوم فتنبّه وانتبه ، وانتبه من نومه : استيقظ ، والتنبيه

---

(٤٦٨) اللسان (نقض) .
(٤٦٩) التعريفات ص٧١ •
(٤٧٠) نقد الشعر ص٢٣٢ ، وينظر الموشح ص٣٥٣ ، تأويل مشكل القرآن ص٤٦ ، البرهان في وجوه البيان ص٢٣٠ ، نكت الانتصار ص٢١٦ ، سر الفصاحة ص٢٨١ ، قانون البلاغة ص٣٩ ، رسائل البلغاء ص٤١٣ ، البديع في نقد الشعر ص١٧٦ ، نضرة الاغريض ص٤٠٥ ، ٤٢٣ ، منهاج ص١٣٨ ، المنزع ص٣٠٥ .
(٤٧١) اللسان (نبه) .

مثله • ونبهه من الغفلة فانتبه ، وتنبه : أيقظه • وتنبه الى الأمر : شعر به • ونبهته على الشيء : وقّفته عليه فتنبه هو عليه[٤٧١] •

قال التبريزي : « هو أن يقول الشاعر بيتاً يرسله ارسال غير متحرز من المنتقد عليه ، ثم يتنبّه على ذلك فيستدرك موضع الطعن عليه بما يصلحه وربما كان ذلك في الشطر الأول من البيت فيتلافاه في الشطر الثاني ، وربما كان في بيت فيتلافاه في الثاني »[٤٧٢] • كقول بعضهم :

هو الذئب أو للذئبُ أوْفَى أمانةً   وما منهما إلاّ أزلُّ خؤونُ

كأنه لما قال : « أو للذئبُ أوْفَى أمانةً » تنبّه على أن قائلاً يقول له : وأية أمانة في الذئب؟ فقال مستدركاً لخطئه : « وما منهما إلاّ أزلُّ خؤون » فسلم له البيت • وهذا ما قاله ابن الزملكاني أيضاً[٤٧٣] •

وقال العلوي بعد أن ذكر كلام التبريزي وابن الزملكاني : « ومما هو منسحب في أذيال التنبيه التتميم ، وهو أن تأخذ في بيان معنى فيقع في نفسك أن السامع لم يتصوره على حدّ حقيقته وايضاح معناه فتعود اليه مؤكداً له فيندرج تحت ما ذكرناه من خاصة التنبيه »[٤٧٤]• كقول ابن الرومي :

آراؤكم ووجوهُكم وسيوفُكم   في الحادثات إذا دَجَوْنَ نجومُ

منها معالمُ للهدى ومصابح   تجلو الدجى والأخريات رجومُ

فقوله : «نجوم» ورد غير مشروح ، لانه يفهم منه ما ذكره من التفصيل في البيت الآخر ، فلهذا كان مبهماً ، فلما شرح تقاسيم النجوم في البيت الثاني جاء

---

(٤٧٢) الوافي ص٢٩٨ .
(٤٧٣) التبيان في علم البيان ص١٨٩ .
(٤٧٤) الطراز ج٣ ص٨٨ .
(٤٧٥) الطراز ج٣ ص٨٩ .

متمماً له ومكملاً لمعناه . قال العلوي : « فلا جرم كان معنى التتميم فيه حاصلاً ، وكان فيه التنبيه على ما ذكرناه فلهذا أوردناه على أثر التنبيه لما كان قريباً منه وملتصقاً به ، فكان أحق بالايراد على أثره [٤٧٥] .

التنـديـر :

ندر الشيء : سقط وشذّ ، ونوادر الكلام تندر وهي ما شذّ وخرج من الجمهور[٤٧٦] .

التندير من مبتدعات المصري وهو « أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو مجنة مستطرفة ، وهو يقع في الجد والهزل »[٤٧٧] . ومن لطيف ما جاء منه في الجد وبديعه قوله تعالى : « فاذا جاء الخوْفُ رأيْتَهُمْ يَنظُرونَ اليكَ تَدورُ أعْيُنُهم كالذي يُغْشى عليه من الموت »[٤٧٨] . وأما ما جاء منه في الهزل فكقول أبي تمام فيمن سرق له شعراً وهو محمد بن يزيد الرقي :

مَنْ بنو بحدلٍ مَن ابن الحباب ... من بنو تغلب غداة الكلابِ

من طفيل من عامر أم من الحا ... رث أم مَن عتيبة بن شهابِ

إنما الضيغمُ الهصورُ أبو الأَشْـ ... ـبال هتّاك كل خيس وغابِ

مَنْ عدَت خيلُه على سَرْح شعري ... وهو للحين راتعٌ في كتاب

يا عذارى الكلام صِرْتُنّ من بَعْـ ... ـدي سبايا تُبَعْنَ في الأعرابِ

لو ترى منطقي أسيراً لأصبَحْـ ... ـتَ أسيراً ذا عَبرةٍ واكتئابِ

طال رغبي اليك مما أقاسيـ ... ـه ورَهْبي يا ربّ فاحفظ ثيابي

---

(٤٧٦) اللسان (ندر) .

(٤٧٧) تحرير التحبير ص٥٧١ ، بديع القرآن ص٢٨٥ .

(٤٧٨) الأحزاب ١٩ .

والفرق بينه وبين التهكم والهزل الذي يراد به الجد « ان التنديز ظاهر لفظه جد وباطنه هزل ، بخلاف البابين »[٤٧٩] .

ـ وقال الحلبي والنويري : « هو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بأمر ، وغالباً ما يقع في الهزل »[٤٨٠] ، وذكرا أبيات أبي تمام أيضاً .

التنظير :

النظر : تأمل الشيء بالعين ، تقول العرب : نظرت الى كذا وكذا ، من نظر العين ونظر القلب ، وإذا قيل : نظرت في الأمر كان تفكراً وتدبراً بالقلب[٤٨١] .
قال المصري : « هو أن ينظر الانسان بين كلامين اما متفقي المعاني ، أو مختلفي المعاني ، ليظهر الأفضل منهما »[٤٨٢] . مثال الأول قول يزيد بن الحكم الثقفي من شعراء الحماسة :

يا بدرُ والأمثال يَضْـ ... ـرِبُها لذي اللبِّ الحكيمُ
دُمْ للخليل بودّه ... ما خيرُ ودٍ لا يدومُ
واعرفْ لجارك حقّه ... والحقّ يعرفه الكريمُ
واعلمْ بأنّ الضيفَ يَوْ ... ماً سوف يَحْمَدُ أو يلومُ

فنظر بين هذه الوصايا وقوله تعالى : « وبذي القُرْبى ، واليتامى ، والمساكين ، والجارِ ذي القُرْبى ، والجارِ الجُنُبِ ، والصاحِبِ بالجَنْبِ ، وابْنِ السَّبيلِ ، وما مَلَكَتْ أيمانُكم »[٤٨٣] .

---

(٤٧٩) تحرير ص٥٧٣ ، بديع القرآن ص٢٨٥ .
(٤٨٠) حسن التوسل ص٣٠٧ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٧٢ .
(٤٨١) اللسان (نظر) .
(٤٨٢) بديع القرآن ص٢٣٨ .
(٤٨٣) النساء ٣٦ .

ومثال الثاني ما اقتصه الأعشى من قصة السموأل في وفائه بأدرع امرىء القيس التي أودعه إياها عند دخوله بلاد الروم، وقصيدة الأعشى مطلعها :

كُنْ كالسموأل إذ طاف الهمام به   في جحفل كسوادِ الليل جرّارِ

قال المصري : « هذه القصيدة أجمع العلماء البصراء بنقد الكلام على تقديمها في هذا الباب على جميع الاشعار التي اقتصت فيها القصص وتضمنت الأخبار »(٤٨٤) .

التنكيت :

التنكيت : مصدر نكّت إذا أتى بنكتة ، وأصله من النكت : وهو أن تضرب في الأرض بقضيب ونحوه فتؤثر فيها ، لان المتكلم إذا أتى في كلامه بدقيقة احتاج السامع في استخراجها الى فضل تأمل وتفكر ينكت معه الارض كما هو شأن المتأمل(٤٨٥) .

قال ابن منقذ : « التنكيت : هو أن تقصد شيئاً دون أشياء لمعنى من المعاني ، ولولا ذلك لكان خطأ من الكلام وفساداً في النقد »(٤٨٦) . سئل الأصمعي عن قول الخنساء :

يذكرني طلوعُ الشمس صخراً   وأذكره لكل غروب شمْس

لِمَ خَصّتْ طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار؟ فقال : لان وقت الطلوع وقت الركوب الى الغارات ، ووقت الغروب وقت قِرى الضيفان فذكرته في هذين الوقتين مدحاً له بأنه كان يغير على أعدائه ، ويقري أضيافه .

(٤٨٤) بديع القرآن ص٢٤١ .
(٤٨٥) اللسان (نكت) وانوار الربيع ج٥ ص٣٥٣ .
(٤٨٦) البديع في نقد الشعر ص٥٦ .

وسئل ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ عن قولـه تعالى : « وأنّه هو رَبُّ الشِّعْرى »[487] لِمَ لمْ يقل : « الثريا » ؟ فقال : كان قد ظهر في العـرب رجل يقال له ابن أبي كبشة عبد الشعرى ، لأنها أكبر نجم في السماء فقصدها الله ــ تعالى ــ دون النجوم ، لأنها عُبِدت ولم تُعْبَد الثريا .

وأخذ المصري وابن الاثير الحلبي والحلي والحموي والسيوطي والمدني والنابلسي بتعريف ابن منقذ وأمثلته[488] . وقال الحموي : « هذا النوع أعني التنكيت يستحق لغرابتـه أن يُعـدّ مع المماثلـة والموازنة ومع التطـــريز والترصيع »[489] ، وعدّه السيوطي مختصاً بالفصاحة دون البلاغـة مثله في ذلك مثل الفرائد[490] .

التنقيـح :

التنقيح : تشذيبك عن العصــا أُبَنَهَا حتى تخلص ، وتنقيح الجــذع : تشذيبه . وكل ما نحيت عنه شيئاً فقد نقحته . ونقّح الشيء : قشره ، وأنقح شعره : إذا نقحه وحككه ، وتنقيح الشـعر تهذيبه[491] .

التنقيح : إعادة النظر فيما يكتب المؤلف أو الأديب ليخرج الكلام متسقاً دقيقاً . وقد سماه ابن منقــذ « تهذيباً »[492] ، وكذلك المصري الذي قال :

---

(٤٨٧) النجـم ٤٩ .

(٤٨٨) تحرير التحبير ص٤٩٩ ، بديع القرآن ص٢١٢ ، جوهـر الكنز ص٢١٦ ، شـرح الكـافية البديعية ص٢٧٤ ، خزانـة الأدب ص٣٧٥ ، معترك ج١ ص٣٩٦ ، الاتقان ج٢ ص٩٠ ، شرح عقود الجمان ص١٥٠ ، أنوار الربيـع ج٥ ص٣٥٣ ، نفحات الازهار ص١٧٣ .

(٤٨٩) خزانة الأدب ص٣٧٥ .

(٤٩٠) شرح عقود الجمـان ص١٥٠ .

(٤٩١) اللســان (نقح) .

(٤٩٢) البديع في نقد الشـعر ص١٥٦ .

« التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح ويتنبه منه لما مر على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره ، ويحذف ما ينبغي حذفه ، ويصلح ما يتعين اصلاحه ، ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه ، ويحرر ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه ، حتى تتكامل صحته وتروق بهجته »[٤٩٣] . وسماه «التهذيب» أيضاً الحلي وابن الاثير الحلبي والحموي والنواجي والمدني[٤٩٤] .

وقد اهتم العرب منذ القديم بالتنقيح والتهذيب وكان الجاحظ يدعو الى العناية بتنقيح المؤلفات قال : « وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً ، فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الأخلاط وعادت النفس وافرة ، أعاد النظر فيه فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب »[٤٩٥] . ودعا الى أن لا يثق الانسان برأي نفسه[٤٩٦] ، ونقل كلام من اهتم بالتنقيح كالحطيئة الذي قال : « خير الشعر الحولي المنقح »[٤٩٧] . وقد عرفت هذه الظاهرة منذ عهد بعيد ، وكان زهير بن أبي سلمى ممن ينقحون قصائدهم وكان يسمي كبار قصائده «الحوليات»[٤٩٨] . قال الجاحظ : « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً[٤٩٩] وزمناً طويلا يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله،

---

(٤٩٣) تحرير التحبير ص٤٠١ وتنظر ص٤٠٢–٤١٤ ، بديع القرآن ص١٥٨ .
(٤٩٤) ينظر شرح الكافية البديعية ص٢٥٩ ، جوهر الكنز ص٢٩٥ ، خزانة ص٢٣٥ ، مقدمة في صناعة النظم والنثر ص٣١ ، أنوار الربيع ج٥ ص١٤٩
(٤٩٥) الحيوان ج١ ص٨٨ .
(٤٩٦) البيان ج١ ص٢٠٤ .
(٤٩٧) البيان ج١ ص٢٠٤ ، وينظر ج٢ ص١٣ .
(٤٩٨) البيان ج٢ ص١٢ .
(٤٩٩) حول كريت : حول تام .

ويقلّب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زماماً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه ، واحرازاً لما خوّله الله تعالى من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد : «الحوليات» و«المنقحات» و«المحكمات» ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً »(٥٠٠) . وقد فسر سويد بن كراع العكلي ما قاله الجاحظ في قوله :

أَبيتُ بأبواب القوافي كأنما ... أُصادي بها سرْباً من الوحش نُزَّعا

أكالئها حتى أعرّسَ بعدما ... يكون سُحيراً أو بُعيداً فأهجعا

عواصيَ إلاّ ما جعلتُ أمامها ... عصا مِرْبَدٍ تغشى نحوراً وأذرعا

أهَبْتُ بغرّ الآبدات فراجعت ... طريقاً أملّته القصائد مَهْيَعا

بعيدُ شأوٍ لا يكاد يردّها ... لها طالب حتى يكِلَّ ويَظْلعا

إذا خِفْتُ أن تُروى عليَّ رَدَدْتها ... وراءَ التراقي خشيةً أن تطلّعا

وجَشّمني خوفُ ابنِ عفّانَ ردّها ... فثقّفتها حَوْلاً حَريداً ومَرْبعا

وقد كان في نفسي عليها زيادةٌ ... فلم أرَ إلاّ أن أطيع وأسمعا(٥٠١)

ولم يكن التنقيح سمة جميع الشعر بل كان يخص بعضه ، قال الجاحظ : « ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك

---

(٥٠٠) البيان ج٢ ص٩ .

(٥٠١) البيان ج٢ ص١٢ .

المصاداة : المداجاة والمخاتلة . النزع ـ كركع ـ جمع نازع وهو الغريب . أكالئها : أراقبها . التعريس : النزول في وجه السحر . المربد : كمنبر مجلس الابل . أهاب بها : دعاها . الآبدات : المتوحشات عنى بها القوافي الشرد . أملته : سلكته . طريق محل : مسلوك معلوم . المهيع : الواسع المنبسط . الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى النفس . الحريد : التام الكامل .

والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل ، لم يَرَ بدّاً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما ، فاذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود • ولم ترهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عنده كالمقتضب اقتداراً عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه ، وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا الى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور مَيَّثوه[٥٠٢] في صدورهم وقيدوا على أنفسهم، فاذا قوّمه الثقاف ، وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككاً منقحاً، ومصفّى من الأدناس مهذباً »[٥٠٣] •

وقال ابن جني : « ليس جميع الشعر القديم مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه والملاطفة له ، والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعته نحو مما يعرض لكثير من المولدين • ألا ترى الى مايروى عن زهير من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين فكانت تسمى « حوليات زهير » لأنه كان يحول القصيدة في سنة • والحكاية في ذلك عن ابن أبي حفصة انه قال : كنت أعمل القصيدة في أربعة أشهر ، وأحككها في أربعة أشهر ، وأعرضها في اربعة اشهر، ثم خرج بها الى الناس ، فقيل له : « فهذا هو الحول المنقح »[٥٠٤] •

---

(٥٠٢) ميثه : ذللـه ولينه .

(٥٠٣) البيان ج٢ ص١٣–١٤ ، وينظر الشعر والشعراء ج١ ص٧٨ ، عيون الاخبار ج٢ ص١٨٢ ، عيار الشعر ص٨ ، ١١ ، ١٤ ، الموشح ص٣ ، قانون البلاغة ص٨١ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، رسائل البلغاء ص٤٣٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ،كتاب الصناعتين ص١٣٩ ، العمدة ج١ ص٣ ، ٢٠٠ ، زهر الآداب ج١ ص١٢١ ، البديع في نقد الشعر ص٢٩٥ ، نضرة الاغريض ص٩٠ ، معاهد التنصيص ج٣ ص٢٢٢ •

(٥٠٤) الخصائص ج١ ص٣٢٤ .

ومن المولدين الذين عنوا بشعرهم أبو نواس فقد كان « يعمل القصيدة ويتركها ليلة ، ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها ، ويقتصر على العيون منها ، فلهذا قصر أكثر قصائده ، والبحتري الذي كان « يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً »(٥٠٥) .

واهتم المتأخرون بتنقيح الولايات والمناشير والمكاتبات وطلبوا من متولي الديوان أن يدققها ، قال أبو الفضل الصوري : « على متولي الديوان أن يتصفح ما يكتب من ديوانه من الولايات ، والمناشير ، والمكاتبات ، إذ الكاتب غير معصوم من الخطأ واللحن وسَبْق القلم ، وعيب اللسان يظهره لغيره ما لا يظهر له . فما أبصره من لحن أو خطأ أصلحه ونبّه كاتبه عليه فيحذر من مثله فيما يستأنفه ، فان تكرر منه زجره عن ذلك وردعه عن العودة الى مثله»(٥٠٦).

ويأتي التنقيح بمعنى « اختصار اللفظ مع وضوح المعنى »(٥٠٧) .

التنوير :

التنوير : هي الفقرة مثل الإضاءة ، وهي من تقسيمات القرطاجني «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» .

التهجين :

الهجنة من الكلام : ما يعيبك ، والتهجين : التقبيح(٥٠٨) .

قال ابن منقذ : « هو أن يصحب اللفظ والمعنى لفظ آخر ومعنى آخر

(٥٠٥) كتاب الصناعتين ص١٤١ ، وينظر الأغاني ج١ ص٤٣ ، ج٢ ص٢٧٦ ، ج٨ ص٨٤ ، ج١٦ ص٣٨٣ .
(٥٠٦) صبح الأعشى ج١ ص١١٣ .
(٥٠٧) التعريفات ص٧١ ، وينظر الكليات ج٢ ص١٠٥ .
(٥٠٨) اللسان (هجن) .

يزري به ولا يقوم حسن أحدهما بقباحة الآخر »[509] فيكون كمدح بعضهم لعبدالله البجلي حيث قال :

يقال عبدالله من بجيله   نعم الفتى وبئست القبيله

فقال عبدالله : ما مُدح من هُجي قومه .

ومن ذلك قول النابغة :

نَظَرَتْ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها   نَظَرَ العليلِ الى وجوه العُوَّدِ

ومنه قول بعض العرب :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة   إذا غمزوها بالأكفّ تلين

ذكر ابن قتيبة انه لما أنشده بشاراً قال له : هجّنت شعرك بقولك « عصا » ولو قلت : « عصامخ » أو « زبد » لم تَزُل الهجنة ، وأحسن من هذا قولي:

وحوراءُ المدامع من مَعدٍّ   كأنَّ حديثَها ثَمَرُ الجِنانِ

إذا قامت لطيتها تثنّت   كأنّ عظامها من خيزرانِ

ومنه قول أبي تمام :

تسعون ألفاً كآساد الشّرى نَضِجَتْ

جلودُهم قبل نَضْج التين والعنبِ

قيل : إنه هجين ، لانه لا فائدة في اختصاصه بالتين والعنب دون التمر .

التهذيب :

التهذيب ، كالتنقية ، هَذَبَ الشيء يَهْذِبه هَذْباً ، وهذّبه : نقاه وأخلصه[510] .

---

(٥٠٩) البديع في نقد الشعر ص١٥٦ ، وينظر كفاية الطالب ص٢١٥ .

والتهذيب هو التنقيح ولكن بعضهم سماه « التهذيب » ومنهم أسامة بن منقذ الذي عقد باباً سماه « التهذيب والترتيب » وقال : « ومن التهذيب أن يخلص المعنى قبل السبك للفظ ، والقوافي قبل الأبيات »[511] . واتبع الباب بجملة وصايا تتصل بنظم الشعر،وجودة الكلام ، وحسن سبكه وترتيبه. وعقد المصري باباً لهذا الفن وقال : « التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح ويُتنبه منه لما مرَّ على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره ويحذف ما ينبغي حذفه ، ويصلح ما يتعين اصلاحه ، ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه ، ويحرر ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه حتى تتكامل صحته وتروق بهجته »[512] . وقال : إنّ التهذيب ثلاثة أقسام :

الأول : قسم يكون بعد الفراغ من نظم الكلام باعادة النظر فيه لينقحه ويحرره ، وهذا القسم لا يقع في الكتاب العزيز .

الثاني : قسم هو حسن الترتيب في النظم أما في الارتقاء من الأدنى الى الأعلى ، أو بتقديم ما يجب تقديمه ، وتأخير ما يجب تأخيره .

الثالث : قسم يعضد المعنى أو يقل التركيب أو سوء الجوار ، أما في حروف مفردات الكلمة فيتجنب وقت التأليف تلك اللفظة التي وقع فيها ذلك من المواضع الأول ، أو سوء الجوار في مجاورة الكلام بعضه لبعض إذا كانت بهذه المثابة[513] .

---

(٥١٠) اللسان (هذب) .
(٥١١) البديع في نقد الشعر ص٢٩٥ .
(٥١٢) تحرير التحبير ص٤٠١ .
(٥١٣) بديع القرآن ص١٥٨ .

وقال : « إنّ التهذيب لا شاهد له يخصه ، لأنه وصف يعمّ كل كلام منقح محرر ، إلا أنا نلخص فيه ما يعرف به وهو أن تقول : كل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ، أو لو تقدم هذا المتأخر ، أو تأخر هذا المتقدم ، أو لو تمّ هذا النقص ، أو تكمل هذا الوصف ، أو لو حذفت هـذه اللفظة بتة ، أو لو طرح هذا البيت جملة ، أو لو وضح هذا المقصد ، أو تسهّل هذا المطلب لكان الكلام أحسن ، والمعنى أبين ، فهو خالٍ من التهذيب ، عارٍ من التنقيح والتأديب »[514] . ومن أمثلة ذلك قول سيف الدولة يخاطب أخاه ناصر الدولة:

وما كان لي عنها نُكول وإنّما   تجاوزْتُ عن حقي ليغدو لك الحقّ

فان سيف الدولة ــ كما قيل ــ كان قد عمل أولاً : « وما كان عنها لي نكول » ثم فطن الى أن هذا السبك يستثقل لقرب الحروف المتقاربة المخارج ، وإذا قدّم «لي» على لفظة «عنها» سهل التركيب وحصل التهذيب .

ولم يخرج البلاغيون والنقاد عما ذكره ابن منقذ والمصري[515] .

التهكم :

تهكم على الأمر وتهكّم بنا : زرى علينا وعبث بنا[516] . قال المـدني : « التهكم : التهدم في البئر ونحوها ، والاستهزاء ، والطعن المتدارك ، والتبختر ، والغضب الشديد ، والتندم على الأمر الفائت ، والمطر الكثير الذي لا يطـاق والتغني . والمقصود هنا المعنى الثاني وهو الاستهزاء ، وفي كونه منقولاً من التهدم ــ كما قال بعضهم ــ أو الغضب ــ كما قال آخرون ــ نظر ، لانه قـد

---

(514) تحرير ص٤٠٤ .

(515) جوهر الكنز ص٢٩٥ ، الفوائد ص٢١٨ ، شرح الكافية البديعية ص٢٥٩ ، خزانة ص٣٥ ، أنوار الربيع ج٥ ص١٤٩ ، الكليات ج٢ ص٩٦ ، نفحـات الازهـار ص١٨٠ .

(516) اللسان (حكم) .

ورد التهكم بمعنى الاستهزاء في اللغة فأي داعٍ الى كونه منقولاً من معنى آخر ؟ نعم هو في الاصطلاح أخص منه في اللغة ، لانه في اللغة بمعنى الاستهزاء مطلقاً ، وفي الاصطلاح هو الخطاب بلفظ الاجلال في موضع التحقير والبشارة في موضع التحذير والوعد في مكان الوعيد والعذر في موضع اللوم والمدح في معرض السخرية ، ونحو ذلك »(٥١٧) .

ذكر الزمخشري التهكم في تفسيره لقوله تعالى : « لو مُعَقِّبات" مِنْ بين يديه ومِنْ خَلْفِهِ يَحفظونَه من أمْرِ اللهِ »(٥١٨) ، قال : « يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله ، أو على التهكم به »(٥١٩) . وقال الحصري انه من مبتدعاته وذكر الآية السابقة وأشار الى الزمخشري وكلامه حق إذا أريد به أنه أول من عقد للتهكم باباً ، لان البلاغيين السابقين لم يذكروه(٥٢٠) . قال : « هو في الاستعمال عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء »(٥٢١) . ومثال البشارة قوله تعالى : « بَشِّر المنافقينَ بأنَّ لهم عذاباً أليماً »(٥٢٢)ة . ومثال الاستهزاء قوله « ذُقْ إنَّكَ أنْتَ العزيزُ الكريمُ »(٥٢٣) . ومثال المدح في موضع الاستهزاء قول ابن الرومي :

فيا له من عملٍ صالحٍ   يرفعه الله الى أسْفَلِ

(٥١٧) أنوار الربيع ج٢ ص١٨٥ .
(٥١٨) الرعد ١١ .
(٥١٩) الكشاف ج٢ ص٤٠٣ .
(٥٢٠) ينظر خزانة الأدب ص٩٨ ، أنوار الربيع ج٢ ص١٩٣-١٩٤ ، وشرح الكافية البديعية ص ، نفحات الازهار .
(٥٢١) تحرير ص٥٦٨ ، بديع القرآن ص٢٨٣ .
(٥٢٢) النساء ١٣٨ .
(٥٢٣) الدخان ٤٩ .

والفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد ، أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل ، وهو ضد الأول ، لان الهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلاً وباطنه جداً .

ولا يخرج كلام الآخرين كابن مالك والحلبي والنويري والعلوي والسبكي والحلي والحموي والسيوطي والمدني عما ذكره المصري في تعريف التهكم وأمثلته(٥٢٤) .

التهنئة :

التهنئة : خلاف التعزية ، يقال : هنّأه بالأمر والولاية ، وهنّأه تهنئة : إذا قلت له ليهنئك(٥٢٥) .

قسم النويري التهنئة والبشائر قسمين : الخصوص والعموم ، فالخصوص: هو ما يتعلق بالرجل من منصب يليه ، ونعمة تواليه ، وولد رزقه ، وشفاء من مرض ، وقدوم من سفر ، وزواج . والعموم : هو ما يتعلق بالجمهور من انصباب غيث عم البلاد ، وهزيمة عدو ، وفتح حصن(٥٢٦) .

وذكر القرطاجني طرق التهاني ، قال : « فأما طرق التهاني فيجب أن تعتمد فيها المعاني السارة والأوصاف المستطابة ، وأن يستكثر فيها من التيمن للمهنأ، وأن يؤتى في ذلك بما يقع وفقه ويتحذر من الالمام بما يمكن أن يقع منه في نفس

---

(٥٢٤) المصباح ص١١١ ، حسن التوسل ص٣١٨ ، نهاية الارب ج٧ ص١٧٩ ، الطراز ج٣ ص١٦١ ، عروس الافراح ج٤ ص٤٧٢ ، شرح الكافية البديعية ص٨٨ ، خزانة الادب ص٦٨ ، شرح عقود الجمان ص١٣٠ ، أنوار الربيع ج٢ ص١٨٥ .

(٥٢٥) اللسان (هنأ) .

(٥٢٦) نهاية الأرب ج٥ ص١٢٧ .

المهنّى شيء ، ويجتنب ذكر ما في سمعه تنغص له • ويحسن في التهـاني أن تستفتح بقول يدل على غرض التهنئة فان موقع ذلك حسن من النفوس»[٥٢٧].

التـوارد :

ورد فلان وروداً : حضر • وورد الماء وورد عليه : أشرف[٥٢٨] ، وتوارد القوم الماء وردوا معاً ، والشاعران اتفقا على معنى واحد يوردانه جميعاً بلفظ واحد من غير أخذ ولا سماع •

ذكر القاضي الجرجاني هذا النوع بمعنى توارد الخواطر والأفكار[٥٢٩] ؛ وقال ابن منقذ : «هو أن يقول الشاعر بيتاً فيقوله آخر من غير أن يسمعه»[٥٣٠] كما قال امرؤ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتَجَمَّلِ

وقال طرفـة :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلـك أسىً وتَجَلَّـدِ

وقال المظفر العلوي : « وانما سموه تواردأ أنفة من ذكر السرقة وتكبراً عـن السمة بها »[٥٣١] • وعرفه السبكي تعريفاً يختلف فقال : « التوارد ويسـمى الاغراب والطرفة ، وهو أن يذكر الشيء المشهور على وجه غريب بزيادة ، أو تغيير يصيّره غريباً • وقد تقدم هذا في أنواع التشبيه وهو أن يكون وجـه الشبه مشهوراً مبتذلاً ، ولكن يلحق به ما يصيّره غريباً خاصاً »[٥٣٢] •

---

(٥٢٧) منهاج البلغـاء ص٣٥٢ .
(٥٢٨) اللسـان (ورد) •
(٥٢٩) الوسـاطة ص٥٢ .
(٥٣٠) البـديع في نقد الشـعر ص٢١٧ •
(٥٣١) نضرة الاغريض ص٢١٨ .
(٥٣٢) عروس الافراح ج٤ ص٤٧٠ .

التــوأم :

التَّوْأَم من جميع الحيوان : المولود مع غيره في بطن من الاثنين على ما زاد ، وقد يستعار في جميع المزدوجات • وذهب بعض أهل اللغة الى أن توأم: « فَوْعَل » من الوئام وهو الموافقة والمشاكلة ، يقال : هو يوائمني أي : يوافقني[٥٣٣] •

والتوأم : هو التشريع ، وقد تقدم • وكان المصري قد سماه بهذا الاسم وقال : « وهذا الباب أيضاً سماه الأجدابي « التشريع » وفسّره بأن قال : هو أن يبني الشاعر البيت أو الناثر على قافيتين إذا اقتصر على إحداهما كان البيت له وزن ، وإن كمله على القافية الأخرى كان له وزن آخر ، وتكون القافيتان متماثلتين ، وتكونان مختلفتين • وهذه التسمية ــ وإن كانت مطابقة لهذا المسمى ــ فهي غير معلومة عند الكافة ، فسميته « التَّوْأم » وهو أن يكون للبيت ــ كما ذكر ــ قافيتان »[٥٣٤] •

التوثيــق :

وَثِقَ به : ائتمنه ، ووثقتُ فلاناً : إذا قلت إنه ثقة ، واستوثقت من فلان وتوثقت من الأمر : أخذت به بالوَثاقة[٥٣٥] •

التوثيق : هو كتابة الشيء للدقة في العمل وحفظه من الضياع ، قال الكلاعي : إنّ علم الوثائق « من أجلّ العلوم خطراً وأرفعها قدراً وأحمدها أثراً وأطيبها خبرا »[٥٣٦] • ثم قال : « فالواجب على من آتاه الله هذه الفضيلة،

---

(٥٣٣) اللسان (تأم) .

(٥٣٤) تحرير ص٥٢٢ ، بديع القرآن ص٢٣١ ، شرح الكافية ص١١٣ ، خزانة ص١١٩ ، معترك ج١ ص٥٠ ، الاتقان ج٢ ص١٠٤ ، شرح عقود الجمان ص١٥٥ .

(٥٣٥) اللسان (وثق) .

(٥٣٦) احكام صنعة الكلام ص٢١٠ .

وبوأه هذه الدرجة الرفيعة ، ألا يبخل بما علمه الله ولا يخون من ائتمنه » .
ومما يستحب للكتاب أن يعدلوا في هذا الباب عن اللفظ المتحمل ، والمعنى الملبس المشكل الى ما وضحت ألفاظه ومعانيه ولم تمتر الأفكار على تباينها فيه . وترخص فيه الالفاظ المتداولة ، والتكرار ، والتوكيد ، والتطويل ، والترديد ، لان « ذلك أبلغ في البيان وأيقظ لذي الغفلة والنسيان »[٥٣٧] .

التوجيه :

توجّه اليه : ذهب ، ووجهته في حاجة ووجّهت وجهي لله وتوجهت نحوك واليك[٥٣٨] .

قال الحموي : « التوجيه : مصدر توجّه الى ناحية كذا : إذا استقبلها وسعى نحوها »[٥٣٩] . قال المدني : « وهو غلط واضح دلّ على عدم معرفته باللغة والصرف وانه كان فيهما راجلاً جداً ، إذ لا يخفى على أصغر الطلاب أن « التوجيه » مصدر وجّهه الى كذا توجيهاً ، كما يقال : وجهت وجهي لله سبحانه . وقد يقال : وجهت اليك : بمعنى توجهت لازماً ، وأما توجّه فمصدره «التوجه» وهذا أمر قياسي ولا يحتاج فيه الى سماع »[٥٤٠] . قال التنوخي : « التوجيه له موضعان : المقيد ، والمطلق ، وهو حركة ما قبل الروي . فهو في المقيد مثل حركة الفاء في قوله :

لا وأبيكِ ابنة العامريّ　　　لا يدّعي القومُ أني أفِرْ

فكسرة الفاء توجيه ... والتوجيه في المطلق كحركة اللام في قول الشاعر وهو زهير :

---

(٥٣٧) احكام صنعة الكلام ص٢١١ .
(٥٣٨) اللسان (وجه) .
(٥٣٩) خزانة الأدب ص١٣٥ ، وينظر شرح الكافية البديعية ص١٢٢ .
(٥٤٠) انوار الربيع ج٣ ص١٤٣ .

بان الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا وزوّدوكَ اشتياقاً أيةً سلكوا

ففتحة اللام في « سلكوا » توجيه ... ولا يأتي التوجيه في المترادف »(٥٤١).
ثم قال : « ولم يذكر أصحاب القوافي المتقدمون من أي شيء أخذ التوجيه ، وذكر بعض المتأخرين أنه مأخوذ من توجيه الفرس ، وهو دون الصدف الذي هو تباعد ما بين الفخذين في تدانٍ من العرقوبين في ميل من الرسغين فيكون أصل ذلك الاختلاف » . وقال التبريزي : « وسمي بذلك لان حركة ما قبل الرويّ المقيد كأنها فيه ، فهو إذن قريب من الاقواء ، أي : كأن له وجهين : أحدهما من قبله ، والآخر من بعده . ألا ترى أنهم استكرهوا نحو «المخترَق» و«الحمِق» كما استقبحوا نحو «مزوّدِ» و«أسودُ» في قول النابغة »(٥٤٢).
وقال الحميري : «وقد رويَ عن الخليل انه كان يرى اختلاف التوجيه عيباً إلاّ أنه يجيز الضمة مع الكسرة ، ولا يجيز الفتحة معهما »(٥٤٣) .

والتوجيه أيضاً : ايراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين بأن يكون أحدهما مدحاً والآخر ذماً ، وقد التفت الفراء الى هذا الأسلوب ــ وإن لم يسمه ــ عند تفسيره قوله تعالى : « يا أيُّها الذين آمنوا لا تَقُولوا راعِنا ، وقولوا : انْظُرْنا »(٥٤٤) فيفهم منها الذم الذي أراده اليهود الذي قصده المسلمون حين رغبوا في أن يرعاهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ(٥٤٥) . وأدخله السكاكي في المحسنات المعنوية وقال : « هو ايراد الكلام محتملاً لوجهين

(٥٤١) القوافي ص١٠٦ ، وينظر القوافي للاخفش ص٣١ ، الموشح ص٨ ، العقد الفريد جـ٥ ص٤٩٧ .
(٥٤٢) الوافي ص٢٣٤ .
(٥٤٣) الحور العين ص٩٦ .
(٥٤٤) البقرة ١٠٤ .
(٥٤٥) معاني القرآن ج١ ص٦٩ .

مختلفين كقول من قال للأعور : « ليت عينيه سواء ، وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع باعتبار »[٥٤٦] .

وعرّفه القزويني بمثل ذلك[٥٤٧] ، وأضاف الى كلام السكاكي تفسير قوله تعالى : « واسمعْ غير مُسْمَعٍ وراعِنا »[٥٤٨] نقلا عن الزمخشري الذي سماه « ذا الوجهين »[٥٤٩] . وسار على خطى القزويني شراح التلخيص[٥٥٠] . وسماه الوطواط «المحتمل للضدين»[٥٥١] وسمى المصري التورية«توجعاً»[٥٥٢] وعرّفه العلوي بمثل تعريف السكاكي والقزويني[٥٥٣] ، وقال الزركشي في مبحث التورية : « وتسمى الايهام والتخييل والمغالطة والتوجيه »[٥٥٤] .

ومن التوجيه بأسماء سور القرآن قول السراج الوراق :

كل قلب عليّ كالصخر ملا ن وهيهات أنْ تلينَ الصخورُ

مغلق الباب ما تلا سورة الفَتْـ ـحِ وقاف» من دونها والطورُ

كل قلب عليّ كالصخـرِ ملا ن وهيهات أنْ تلينَ الصخـورُ

وفي كتاب « أنوار الربيع » كثير من ألوان التوجيه[٥٥٥] .

---

(٥٤٦) مفتاح العلوم ص٢٠٢ .
(٥٤٧) الايضاح ص٣٧٧ ؛ التلخيص ص٣٨٤ .
(٥٤٨) النساء ٤٦ .
(٥٤٩) الكشاف ج١ ص٤٠٠ .
(٥٥٠) شروح التلخيص ج٤ ص٤٠٠ ، المطول ص٤٤٣ ، الأطول ج٢ ص٢١٩ .
(٥٥١) حدائق السحر ص١٣٢ .
(٥٥٢) تحرير التحبير ص٢٦٨ ، بديع القرآن ص١٠٢ .
(٥٥٣) الطراز ج٣ ص١٣٦ .
(٥٥٤) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٤٤٥ .
(٥٥٥) أنوار الربيع ج٣ ص١٤٤ وما بعدها ، وينظر نفحات الازهار ص٩١ .

التوشيح :

الوشاح : حَلي النساء من لؤلؤو وجوهر تتوشح المرأة به ، ومنه اشتق توشّح الرجل بثوبه ، ووشّحتها توشيحاً فتوشحت أي : لبسته[٥٥٦] .

والتوشيح : هو الارصاد والتسهيم عند معظم النقاد والبلاغيين[٥٥٧] ،غير ان ابن منقذ قال : « هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه »[٥٥٨] ، كقول ابن المعتز :

آذريون أتاك في طبقه كالمسك في ريحه وفي عبقه
قد نفض العاشقون ما صنع الـ ـهَجْرُ بألوانهم على ورقه

فمدار البيت موضوع على أنه أصفر .

وقال ابن الأثير : « هو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض ، وإذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف الى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، وكذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور »[٥٥٩] . والى ذلك ذهب ابن قيم الجوزية[٥٦٠] ، وهذا هو «التشريع»

---

(٥٥٦) اللسان (وشح) .

(٥٥٧) نقد الشعر ص١٩١ ، كتاب الصناعتين ص٣٨٢ ، إعجاز القرآن ص١٤٠ ، العمدة ج٢ ص٣١ ، ٣٤ ، سر الفصاحة ص١٨٧ ، الوافي ص٢٧١ ، الرسالة العسجدية ، تحرير ص٢٢٨ ، بديع القرآن ص٩٠ ، منهاج ص٩٤ ، المصباح ص٩١ ، الاقصى القريب ص١٠٥ ، حسن التوسل ص٢٥٩ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٣٧ ، جوهر الكنز ، خزانة الأدب ص١٠٠ ، معترك ج١ ص٤٩ ، أنوار ج٣ ص٣٢ ، نفحات الازهار .

(٥٥٨) البديع في نقد الشعر ص٨٩ .

(٥٥٩) المثل السائر ج٢ ص٣٥٩ ، الجامع الكبير ص٢٤٢ .

(٥٦٠) الفوائد ص٢٣٢ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص١٧ .

أو « ذو القافيتين »[٥٦١] . وسمّى المظفر العلوي التضمين « تسميطاً » و « توشيحاً »[٥٦٢] على خلاف ما تعارف عليه النقاد والبلاغيون .

وكان ابن سلام قد ذكر هذا اللون من الشعر ولم يسمه « توشيحاً » ، قال : « سمعت سلمه بن عياش يقول : تذكرانا جريراً والفرزدق والأخطل فقال قائل : مَنْ مثل الأخطل؟ إنّ في كل بيت له بيتين إذ يقول :

ولقد علمتِ إذا العِشار تروّحتْ ... هَدْجَ الرِئال تكبهن شمالا

أنّا نعجّل بالعبيط لضيفنا ... قبل العيال ونقتل الأبطالا

ولو شاء لقال :

ولقد علمت إذا العشار ... تروّحت هَدْج الرئال

أنّا نعجّل بالعبيط ... لضيفنا قبل العيالِ

فكان هذا شعراً ، وكان على غير ذلك الوزن »[٥٦٣] .

وقال التنوخي بعد أن ذكر كلام السابقين : « ومن نوع التوشيح ما استعمله المتأخرون من الأراجيز التي هي بيتان بيتان من مشطور الرجز أو السريع ، ويجمع كل بيتين منها بيت من وافي الرجز أو السريع ، وأكثر من عمل ذلك خلط الرجز بالسريع في القصيدة الواحدة ومنهم من احترز من ذلك بحيث تأتي قصيدته من الرجز فقط أو من السريع فقط »[٥٦٤] .

---

(٥٦١) المطول ص٤٥٨ .

(٥٦٢) نضرة الاغريض ص١٩٠ .

(٥٦٣) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٤٨٨ .

(٥٦٤) الأقصى القريب ص١٠٥ .

التوطئـة :

وطّأ الشيء : هيّأه ، وسهّله ، وتقول : وَطَأْتَ لـك الأمـر : إذا هيأته[٥٦٥] .

التوطئة : أن ينظم شاعر أبياتاً لا تكون واضحة الدلالة فيوطيء لها آخر بأبيات ، ومن ذلك ان أبا العباس بن مكنون رأى اهتزاز الثمـار وتمايلهـا فأنشـد مرتجلاً :

حارت عقولُ الناس في إبداعها ألسكرِها أم شـكرِها تتأوّدُ

فيقول أربابُ البطالـة تنثني ويقول أربابُ الحقيقة تسـجدُ

قال الشيخ أبو البركات القميحي : قلت لابن مكنون : ما الذي يدل على أنهما في وصف الثمار ؟ فقال : وطيء أنت لهما ، فقلت :

يا مـن أتى متنزهـاً في روضـة أزهارُهـا من حُسْنها تتوقّـدُ

انظر الى الأشـجار في دَوْحاتها والريحُ تنسفُ والطيـور تغرّدُ

فترى الغصونَ تمايلت أطرافُهـا وترى الطيورَ على الغصون تعربد[٥٦٦]

التوفيـق :

التوفيق : هو الائتلاف ، والتناسب ، والمؤاخاة ، ومراعاة النظير[٥٦٧] .

التوقيـع :

التوقيع في الكتاب : إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه ، وقيل : هو مشـتق من التوقيع الذي هو مخالفة الثاني للأول . قال الأزهري : توقيع الكـاتب في

---

(٥٦٥) اللسـان (وطأ) .

(٥٦٦) نفح الطيب ج٤ ص١٢٢ ، وينظر ج١ ص٥٩ .

(٥٦٧) ينظر الايضاح ص٣٤٣ ، التلخيص ص٣٥٤ ، شروح التلخيص ج٤ص٣٠١ ، المطول ص٤٣٠ ، الأطول ج٢ ص١٨٧ ، خزانة ص١٣١ ، شرح عقود الجمان ص١٠٨ ، أنوار ج٣ ص١ .

الكتاب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول[٥٦٨].

التوقيع : « أصله من التوقيع على حواشي القصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة ، أو السلطان ، أو الوزير ، أو صاحب ديوان الانشاء ، أو كتاب الدست ، ومن جرى مجراهم بما يعتمد في القضية التي رفعت القصة بسببها ، ثم أطلق على كتابة الانشاء جملة . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف ، يقال : « جنب هذه الناقة مُوَقَّع » إذا أثرت فيه حبال الأحمال تأثيراً خفيفاً . وحكي أن أعرابية قالت لجارتها : « حديثك ترويع ، وزيارتك توقيع » تريد أن زيارتها خفيفة . قلت : ويحتمل أن يكون من قولهم : « وقع الأمر » إذا حقّ ولزم ، ومنه قوله تعالى : « وَوَقَعَ القَوْلُ عليهم بما ظَلَمُوا »[٥٦٩] ، أي : حقّ . أو من قولهم : « وقع الصيقل السيف » إذا أقبل عليه بميقعته يجلوه ، لانه بتوقيعه في الرقعة يجلو اللبس بالارشاد الى ما يعتمد في الواقعة ، أو من موقعة الطائر وهي المكان الذي يألفه من حيث ان الموقّع على الرقعة يألف مكاناً منها يوقع فيه كحاشية القصة أو نحوها ، أو من الموقعة ــ بتسكين ــ وهو المكان المرتفع في الجبل لارتفاع مكان الموقع في الناس وعلو شأنه أو غير ذلك »[٥٧٠] .

فالتوقيع : « الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات ، والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة ، والتحدث في المظالم »[٥٧١]. وقد عرفت التوقيعات منذ عهد مبكر فهناك توقيعات الخلفاء الراشدين ، والأمويين ، والعباسيين ، وتوقيعات الأمراء ، والكبراء[٥٧٢] ، ويبدو أنها كانت

---

(٥٦٨) اللسان (وقع) .
(٥٦٩) النمل ٨٥ ..
(٥٧٠) صبح الأعشى ج١ ص٥٢ـ٥٣ .
(٥٧١) صبح الأعشى ج١ ص١١٠ .
(٥٧٢) ينظر العقد الفريد ج٤ ص٢٠٥ وما بعدها .

تكتب في حواشي الكتب وأسافلها(٥٧٣) . وكانت موجزة وبها ضرب المثل فقيل: « إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا »(٥٧٤) . وقال الكلاعي : إنّ « هذا النوع من الكلام مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار الى الايجاز والاختصار »(٥٧٥) ، ولكن المتأخرين مالوا الى الاطالة ، قال الحلبي : « فأما التقاليد والتواقيع والمناشير وما يتعلق بذلك ، فالأحسن بسط الكلام ، وتعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب »(٥٧٦) .

ويأتي التوقيع بالكلمات ، ومن ذلك أن بعضهم رفع الى الصاحب بن عباد رقعة يذكر فيها أن بعض أعدائه يدخل داره فيسترق السمع ، فوقع الصاحب فيها : « دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان » .

ويأتي بالكلمة الواحدة ، ومن ذلك أن الضرابين رفعوا من دار الضرب الى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرابين فوقع تحتها « في حديد بارد » .

ويأتي بالحرف الواحد ، ومن ذلك زيادة الألف على عبارة : « فان رأي مولانا أن ينعم بذلك فعل » فأصبحت « افعل »(٥٧٧) .

ويأتي التوقيع بالقرآن وبيت الشعر(٥٧٨) .

التوليد :

ولّد الرجل غنمه توليداً كما يقال نتّج إبله(٥٧٩) . قال المدني : « التوليد

---

(٥٧٣) البيان ج١ ص١٠٧ .
(٥٧٤) البيان ج١ ص١١٥ ، وينظر العقد الفريد ج٢ ص٢٧٢ .
(٥٧٥) احكام صنعة الكلام ص١٦٠ .
(٥٧٦) حسن التوسل ص٣٦٨ ، وينظر نهاية الأرب ج٧ ص٢٠١ .
(٥٧٧) ينظر يتيمة الدهر ج٣ ص١٩٩ ، احكام صنعة الكلام ص١٦١ .
(٥٧٨) ينظر المصون ص١٠٨ ، ١١٢ ، إحكام صنعة الكلام ص١٦٢ ، خاص الخاص ص٨٤ .
(٥٧٩) اللسان (ولد) .

في اللغة مصدر « ولّدت القابلة المرأة » إذا تولّت ولادتها ، وولّدت الشيء عن غيره : أنشأته عنه ، وهو المنقول عنه الى الاصطلاح »[٥٨٠]

وقد تحدث البلاغيون والنقاد عن التوليد عند كلامهم على السرقة ، وكان هدف بعضهم نفيها ، قال ابن رشيق : « هو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر آخر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ، فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ، ولا يقال له أيضاً سرقة ، إذا كان ليس آخذاً على وجهه »[٥٨١] . ومنه قول امرىء القيس :

سَمَوتُ اليها بعد ما نام أهلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ

فقال عمرو بن أبي ربيعة وقيل : وضاح اليمن :

فاسْقُطْ علينا كسقوطِ النـدى ... ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجرُ

فولّد منه معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرىء القيس من غير أن يشركه في شيء من لفظه أو ينحو منحاه ، إلاّ في المحصول وهو لطف الوصول الى حاجته في خفية . وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل :

يخرجن من مستطير النقع دامية ... كأنَّ آذانَها أطرافُ أقْلامِ

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال :

تزجي أغنَّ كأنَّ أبرةَ رَوْقه ... قلمٌ أصاب من الدواة مدادها[٥٨٢]

---

(٥٨٠) أنوار الربيع ج٥ ص٣٢٣ .

(٥٨١) العمدة ج١ ص٢٦٣ ، وينظر عيار الشعر ص١٢٣ ، العقد الفريد ج٢ ص٢٦٢ ، كفاية الطالب ص٥ .

(٥٨٢) الروق : القرن .

فولّد بعد ذكر القلم اصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى إذ كان القرن أسود.

والتوليد ضربان: من الالفاظ والمعاني، وقد أفاض البلاغيون والنقاد في هذه المسألة[583] لأنها من طرائق توليد الصور والمعاني.

* * *

(٥٨٣) ينظر تحرير التحبير ص٤٩٤، بديع القرآن ص٢٠٧، المنصف ج١ ص١٦، البديع في نقد الشعر ص٢٨٤، المثل السائر ج١ ص١٠٠، ١٠٧، نصرة ص١٩١، جوهر الكنز ص٢٢٤، عروس الافراح ج٤ ص٤٧٠، خزانة الأدب ص٣٥٨، أنوار ج٥ ص٣٢٣، معاهد التنصيص ج١ ص٣٥٩، ج٣ ص٢٢٨، نفحات الازهار ص١٧٧.

الثنيـــان :

الثُّنيان ــ بالضم ــ الذي يكون دون السيد في المرتبة ، والجمع «ثِنية» وفلان ثنية أهل بيته أي : أرْذلهم .

أبو عبيد : يقال للذي يجيء ثانياً في السؤدد ولا يجيء أولاً : ثنى[1] .

الثُّنيان من الشعراء العاجز الواهن[2] . والثنيان من الشعراء يشـــمل الشاعر وابنه ، قال ابن رشيق : « وأما الشـــاعر ابن الشـــاعر فقط فيقال لـــه « الثُّنيان » حكاه عبدالكريم عن غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مســـافة الباب »[4] .

* * *

(١) اللســـان (ثنا) .
(٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٧٩ ، العمدة ج١ ص١١٨ .
(٣) العمـــدة ج٢ ص٣٠٨ .

الجيم

الجاهليون :

الجاهليون : هم الشعراء الذين سبقوا ظهور الاسلام ، وهي تسمية قديمة. وقد قسّم ابن سلام الشعراء الى جاهليين واسلاميين ، ووضعهم في طبقات . وتردد هذا المصطلح في كتب القدماء والمعاصرين .

الجد :

الجد : نقيض الهزل ، والاجتهاد في الأمور [1] .

قسّم القرطاجني الشعر الى طريق جد وطريق هزل وقال : « فأما طريقة الجد فهي مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة والهوى الى ذلك[2] . وقال : « أما طرق الجد وما لم يقصد المتكلم به مشاجرة ولا مغالبة فلا يوضع فيها واجب وضع ممتنع ، ولا الممتنع وضع الواجب ، ولا ممكن وضع ممتنع ولا واجب وضع ممكن ، وإنما يوضع الممكن وضع الواجب ، ويجوز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان المقصود بذلك ضرباً

(١) اللسان (جدد) .
(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٣٢٧ .

من المبالغة »(٣) . وذكر ما يجب اعتماده في طريقة الجد ، ومن ذلك ألاّ ينحرف فيما كان من الكلام على الجد الى طريقة الهزل كبير انحراف ، أو لا ينحرف الى ذلك بالجملة ، وأن يتجنب الجهات المختصة بالهزل والمعاني الواقعة في تلك العبارات . وجملة الأمر ألا يتعرض فيها الى منحى من مناحي الهزل ولو باشارة إلاّ حيث يليق ذلك بالحال والموطن .

وتختص الطريقة الجدية بتجنب الساقط من الألفاظ والمولد ، ويجب في معانيها أن تكون النفس فيها طامحة الى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط من مروءة المتكلم ، وأن تكون واقفة دون أدنى ما يحتشم من ذكره ذو المروءة . أو يكبر نفسه عنه ، وأن تطرح من ذلك ما له ظاهر شريف في الجد وباطن خسيس في الهزل . ومما تختص به العبارات في الطريقة الجدية أن يتحرى فيها المتانة والرصانة ، وقد تأخذ بطرف من الرشاقة كما تأخذ الطريقة الهزلية بطرف من المتانة .

الجدل :

الجدْل : شدة الفتل ، وجدلت الحبل : إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً ، وجَدَله جَدْلاً : صرعه . والجَدَل : اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالاً . والجدل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة(٤) .

الجدل : أحد أقسام النثر وأساليبه ، قال ابن وهب : « وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين»(٥) . وهو محمود ومذموم ، فأما المحمود : فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل فيه

(٣) منهاج البلغاء ص١٤٥ .
(٤) اللسان (جدل) .
(٥) البرهان في وجوه البيان ص٢٢٢ .

الصدق ، أما المذموم : فهو ما أريد به المماراة والغلبة ، وطلب به الرياء والسمعة .

وذكر ابن وهب أسس « أدب الجدل » من ذلك : أن يجعل المجادل قصده الحق وبغيته الصواب ، وأن لا تسحره الكثرة والقلة فيما يطلبه من الحق وأن لا يقلد الحكم الفاضل في كل ما يأتي به إذا كان غير مأمون منه الخطأ ، وأن يخرج من قلبه التعصب للآباء ، وأن يعتزل الهوى والانقياد لزخرف القول وظاهر رياء الخصم ، وأن لا يقبل من ذي قول مصيب فيه كل ما يأتي به لموضع ذلك الصواب الواحد ، ولا يردّ على ذي قول مخطىء قبل كل ما يأتي فيه لموضع ذلك الخطأ الواحد ، بل لا يقبل قولاً إلاّ بحجة ولا يردّه إلا لعلّة ، وأن لا يجادل ويبحث في الأوقات التي يتغير فيها مزاجه ويخرج عن الاعتدال ، وأن يتجنب العجلة ، ويأخذ بالتثبت ، وأن لا يستعمل اللجاج والمحك ، وأن لا يعجب برأيه وما تسوّله له نفسه ، وأن يتجنب الكذب في قوله ، وأن يتجنب الضجر وقلة الصبر ، وأن يكون منصفاً غير مكابر ، وأن يجتهد في نظم اللغة ويتمهر في العلم بأقسام العبارة فيها ، وأن يتحرز من مغالطات المخالفين ومشبهات المموهين ، وأن يحلم عما يسمع من الأذى والتّبز ، ولا يشغب إذا شاغبه خصمه ، ولا يردّ عليه إذا أربى في كلامه ، بل يستعمل الهدوء والوقار ، ويقصد مع ذلك لوضع الحجة في موضعها ، وأن يتجنب الجدل في المواضع التي يكثر فيها التعصب لخصمه ، وأن لا يستصغر خصمه ، ولا يتهاون به وإنْ كان الخصم صغير المحل في الجدال ، وأن ينصرف همته الى حفظ النكت التي تمرّ في كلام خصمه مما يبني منها مقدماته وينتج منها نتائجه ، وأن لا يكلم خصمه وهو مقبل على غيره ، أو يستشهد لمن حضر على قوله ، وأن لا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله ولا يبادر بالجواب قبل تدبره واستعمال الروية فيه ، وأن يعلم نه لا يعدّ في المجادلين حتى يكون بحسن بديهته وجودةعارضته وحلاوة منطقه قادراً على تصوير الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة

الحق متى شرع في ذلك ، وإقامة كل واحد منهما في مقام صاحبه • وليستشعر مع هذا أن الأنفة من الانقياد للحق عجز ، وان الاعتراف به والتجرع له عـز . فلا يمتنع من قبول الحق إذا وضح له[٦] •

الجرس :

الجرس : الصوت ، وقيل : الصوت الخفي ، وقيل : الحركة ، والصوت من كل ذي صوت • وأجرس : علا صوته[٧] •

قال عبدالقاهر : « فاذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً ، أو يستجيد نثراً ثم يجعل الثناء عليه من حيث هو اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن أنيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع الى أجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه العقل من زناده »[٨] •

وقد اهتم النقاد والبلاغيون بالجرس ، وأولوه عناية كبيرة على الرغم من أن عبدالقاهر أرجع مزية الكلام الى نظمه لا الى ألفاظه قبل دخولها في الكلام وانتظامها • وفي كتب القدماء حديث مستفيض عن الجرس ، إذ تحدثوا عن ضوابط الجرس ، وأولى ابن سنان فصاحة اللغة المفردة عناية عظيمة وذكر شروطها[٩] ، وتكلم عليها ابن الاثير وأبدى رأيه فيما ذهب اليه ابن سنان[١٠] • ولعل مباحث الفصاحة خير الفصول التي أوضحت موسيقى الألفاظ وايقاعها ، الى جانب الشذرات المتفرقة في كتب الجاحظ ، والبلاغة والنقد المعروفة •

---

(٦) ينظر البرهان في وجوه البيان ص٢٣٥ وما بعدها .
(٧) اللسان (جرس) .
(٨) اسرار البلاغة ص٤ •
(٩) سر الفصاحة ص٥٩ وما بعدها .
(١٠) المثل السائر ج١ ص١٤٢ وما بعدها ، الجامع الكبير ٧٦ وما بعدها .

الجزالـة :

الجزل : الحطب اليابس ، وقيل الغليظ . ورجل جزل الرأي وامرأة جزلة: بينة الجزالة جيدة الرأي . واللفظ الجزل : خلاف الركيك[11] .

قال ثعلب : «فأما جزالة اللفظ فمما لم يكن بالمغرب البدوي ولا السفساف العامي ، ولكن ما اشتد أسره ، وسهل لفظه ، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مراده وتوهّم امكانه »[12] . ولعل هذا التعريف أساس التعريفات الأخرى ، وقد ترددت لفظة الجزالة عند ابن سلام ولم يعرّفها[13] . ووضع الجاحظ الجزل مقابل السخيف أي أنهما متضادان[14] ، وربط بين الجزل والفخم[15] . وليست الجزالة عند المبرد الغرابة[16] ، ووصف ابن قتيبة النابغة بأنه أجزَلهم بيتاً[17] ، وذكر ابن وهب جزالة اللفظ ، وهو كقول الاشجع السلمي :

وعلى عدوّك يا ابنَ عمّ محمدٍ رصدانِ : ضوءُ الصبح والإظلامُ

فاذا تنبّه رُعْتَهُ وإذا غفا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ[18]

وقال : « وأما الكلام الجزل فهو كلام الخاصة ، والعلماء ، والعرب ، والفصحاء ، والكتاب ، والأدباء الذي تقدم وصفه في الشعر والخطابة ، وليس شيء أعون على جزالة الكلام وخروجه عن تحريف ألفاظ العوام من مجالسة

---

(11) اللسان (جزل) .
(12) قواعد الشعر ص٥٩ .
(13) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٥٦ .
(14) البيان ج١ ص١٤٤ ، وينظر مفاخرة الجواري والغلمان ـ رسائل الجاحظ ج٢ ص٩١ .
(15) البيان ج١ ص١٤٥ .
(16) الكامل ج١ ص٤٣ .
(17) الشعر والشعراء ج١ ص١٥٧ .
(18) البرهان في وجوه البيان ص١٧٧ .

الأدباء ، ومعاشرة الفصحــاء ، وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم والمختــار من رسائل المولدين الأدباء ومكاتباتهم »[19] .

والجزالة عند العسكري فخامة الألفـــاظ والقوة والشدة . وهي مقـــابل السهولة[20] ، قال : « وأما الجزل المختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامـــة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها »[21] ، وقال : « وأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً لا ينغلق معناه ، ولا يستبهم مغزاه ، ولا يكون مكدوداًمستكرهاً ومتوعراً متقعراً ، ويكون بريئاً من الغثاثة عارياً من الرثاثة »[22] . وهــذا ما ذهب اليه أبو الفــرج ، فالجــزل ليس باللــين ، أو برقيق الطبــع ولا بسهل اللفظ[23] . وعدّ المرزوقي الجزالة عموداً من أعمدة الشعر ، قال : « انهــم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته »[24] ثم قال: « وعيار اللفظ الطبع ، والرواية ، والاستعمال ، فما سلم مما يهجّنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم ، وهــذا في مفرداته وجملته مراعى ، لان اللفظــة تستكرم بانفرادها ، فاذا ضامّها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً » .

وقسّم ابن الاثير الالفــاظ الى جزلة ورقيقة ، والجــزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب ، وفي قوارع التهــديد والتخويف ، قال : « ولســت أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشياً متوعراً عليه عنجهية البداوة ، بل أعني أن يكون متيناً على عذوبته في الفم ولذاذة في الســمع »[25] . وقال :

---

(١٩) البرهـــان ص٢٤٨/٠

(٢٠) كتاب الصنـاعتين ص٢٤ ، ٥٧ .

(٢١) كتاب الصنـاعتين ص٦٤ .

(٢٢) كتاب الصنـاعتين ص٦٧ ٠

(٢٣) الأغـاني ج٤ ص٦٢ ، ج٢٣ ص٢٢ ، وينظر أمالــي المرتضى ج١ ص٥٨ ، زهـر الآداب ج١ ص١٠٩ .

(٢٤) شرح ديوان الحماسـة ج١ ص٩ .

(٢٥) المثل الســائر ج١ ص١٦٨ ٠

« فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة وقار ... ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطرد »[26] .

وقال ابن شيث القرشي عن الجزالة والسهولة : « وهذان النوعان من محاسن الكتابة ، فان الكاتب الكيّس يطلب أحدهما فان وجد فيه المقصود وكان الكلام له فيه منقاداً ، وإلاّ طلب الآخر . وأكثر المطبوعين يميلون الى النوع الثاني وهو لعمري خليق بالميل اليه لبعده من التكلف »[27] .

وقال العلوي : « ولسنا نعني بالجزالة في الكلام أن يكون وحشياً في غاية الغرابة في معانيه والوعورة في ألفاظه ، ولا نريد بالرقة أن يكون ركيكاً نازك القدر سفسافاً ، ولكن المقصود من الجزالة أن يكون مستعملاً في قوارع الوعيد ، ومهولات الزجر ، وأنواع التهديد ، وأما الرقة فانما يراد بها ما كان مستعملاً في الملاطفات واستجلاب المودّد والبشارة بالوعد »[28] .

وقال القرطاجني إنّ الجزالة تكون « بشدة التكالب بين كلمة وما يجاورها ، وبتقارب أنماط الكَلِم في الاستعمال »[29] . وقال الكفوي : « هي إذا اطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة ، وإذا أطلقت على غيره يراد بها نقيض القلة »[30] .

الجنس :

الجنس : الضرب من كل شيء ، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود

---

(٢٦) المثل السائر ج١ ص١٧٨ ، وينظر نضرة الاغريض ص٢٠٤ ، أعلام الكلام ص١٦ ، الرسالة العسجدية ص٨٥ .
(٢٧) معالم الكتابة ص٧٤ .
(٢٨) الطراز ج١ ص١١٥ .
(٢٩) منهاج البلغاء ص٢٢٥ .
(٣٠) الكليات ج٢ ص١٧٣ .

النحو والعروض والأشياء جملة ، والجمع : أجناس . والجنس أعمّ من النوع[٣١] .

الجنس : هو الضرب أو الغرض ، وقد استعمل القرطاجني الأجناس بمعنى الأغراض قال : « إنّ اغراض الشعر أجناس وأنواع تحتها أنواع . فأما الأجناس الأول فالارتياح والاكتراث وما تركب منهما نحو إشراب الارتياح الاكتراث أو إشراب الاكتراث الارتياح ، وهي الطرق الشاجية . والانواع التي تحت هذه الأجناس هي : الاستغراب والاعتبار والرضى والغضب والنزاع والنزوع والخوف والرجاء . والانواع الأُخر التي تحت تلك الانوأع هي : المدح والنسيب والرثاء ... »[٣٢] .

وأطلق السجلماسي على فنون البلاغة مصطلح « الجنس » وقسمها الى عشرة :

الجنس الأول : الايجاز .
الجنس الثاني : التخييل .
الجنس الثالث : الاشارة .
الجنس الرابع : المبالغة .
الجنس الخامس : الرصف .
الجنس السادس : المظاهرة .
الجنس السابع : التوضيح .
الجنس الثامن : الاتساع .
الجنس التاسع : الاثناء .
الجنس العاشر : التكرير .

---

(٣١) اللسان (جنس) .
(٣٢) منهاج البلغاء ص١٢ .

وهذه هي الأجناس العالية ، وقد ضم كل جنس عدة موضوعات بلاغية ، فجنس «التخييل» ــ مثلاً ــ ضمّ التشبيه ، والاستعارة ، والمماثلة ، والمجاز . وهذه الموضوعات الاربعة جنس واحد هو جنس «التخييل» .

الجهامـــة :

الجهم من الوجوه : الغليظ المجتمع في ســماجة ، وقد جَهُم جُهومــة وجَهامة . وجهمه : استقبله بوجه كريه[٣٣] .

قال ابن منقذ : « أما الجهامة فهي الكلمات القبيحة في السمع »[٣٤] كقول الشنفرى :

أو الخشرم المبعوث حَثْحَثَ دبره مخابيط أرساهنّ سأم المغبيلِ

قال : « فلا خلاف في جهامة هذه الألفاظ إن عرضت على صاحب ذوق ســليم وإن كانت صحيحة المعاني » .

وقال ابن قيم الجوزية إنّ « الجهامة لا تكون إلاّ عن غلظ طبع ، وشدة حصر »[٣٥] .

الجـــودة :

الجيد : ضد الرديء ، جاد الشيء جودة : أي صار جيداً ، وأجدت الشيء فجاد ، والتجويد مثله . وقد جاد جــودة وأجاد : أتى بالجيد من القــول أو الفعل[٣٦] .

---

(٣٣) اللســان (جهــم) .
(٣٤) البديــع في نقد الشعر ص١٦١ ، وينظر كفاية الطالب ص٢١٤ .
(٣٥) الفوائـــد ص٢٢٤ .
(٣٦) اللســان (جود) .

ترددت لفظة «الجيد» و «الجودة» كثيراً في كلام النقاد ، ومن أوضح الاشارات قول قدامة وهو يعرّف النقد بقوله : « ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً »(٣٧) • وأبرز جودة الشعر وميزه عن الشعر الرديء من خلال حديثه عن نعوت الشعر وعيوبه ، وهي كثيرة أدارعليها كتابه « نقد الشعر » وبذلك أوضح الأسس التي يبنى عليها نقد الكلام،وطلب « أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى النهاية المطلوبة »(٣٨) •

جودة القطـع :

قال شبيب بن شيبة : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ، وبمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع ، وبمدح صاحبه »(٣٩) •

وجودة القطع : هو الانتهاء ، وبراعـة المقطع ، وحسن الخاتمة ، وحسن الختام • وقد تقدم « الانتهاء » و « براعة المقطع » •

* * *

(٣٧) نقد الشعر ص١٣ •
(٣٨) نقد الشعر ص١٨ •
(٣٩) البيان ج١ ص١١٢ •

الحاء

الحار :

الحار : بخلاف البارد ، وهو الكلام الجيد أو النادرة الجيدة . وقد ذكر الجاحظ النادرة الباردة ، والنادرة الحارة فقال : « وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع ، وربما امتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الالفاظ والشريف الكريم من المعاني ، كما ان النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً »[1] . ثم قال : « وانما الشأن في الحار جداً والبارد جداً » .

الحديث :

الحديث : ما يُحدَّث به المحدث تحديثاً ، وقد حدَّثه الحديث وحدَّثه به[2] . الحديث : من أنواع النثر التي تحدث عنها ابن وهب وقال : « وأما الحديث فهو ما يجري من الناس في مخاطباتهم ومجالسهم ومناقلاتهم »[3] . وله وجوه كثيرة فمنها : الجد والهزل ، والسخيف والجزل ، والحسن والقبيح،

---

(١) البيان ج١ ص١٤٥ .
(٢) اللسان (حدث) .
(٣) البرهان في وجوه البيان ص٢٢٦ .

والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب ، والصدق والكذب ، والنافع والضار ، والحق والباطل ، والناقص والتام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبليغ والعيي .

وذكر ابن وهب أدب الحديث وقال : « فأما أدب الحديث فان أصله وعمدته وبهاءه وزينته اتقاء الخطأ فيه والزلل واللحن والخطل . ثم أن يكون حقاً سالماً مما يهجنه من معايب القول »(٤) . ثم أن يقدر المحدث مقدار كلامه ومقدار نشاطه مستمعه ، فلا يحمله منه ما يضجره ويقصر عنه شيئاً ، وأن لا يكون نزر الكلام فينسب الى العي ، ولا كثير الكلام فينسب الى الهذر ، وإذا أعجبه الكلام فليصمت ، وإذا أعجبه الصمت فليتكلم . ولا يبتدىء كلامه إلاّ بعد أن يروّي فيه ، وأن يخزن كلامه إلاّ عند اصابة المواضع ، وأن لا يحضر كلاماً لم يحضره ، ولا يدخل بين اثنين في شيء لم يسأل عنه ، وأن لا يجيب من خاصمه وأغضبه بجواب الغضب والشر ، وأن لا يتهاون بالكذبة تحفظ عليه في الجد والهزل ، وإذا سئل غيره فلا يسلب الجواب منه ، وإذا حُدِّث أنصت لمحدثه وإن كان يعرف الحديث ، وليدع التطاول في المجالس على أهلها بالقول مما يعرض له من الصواب لئلا يظنوا أنه يريد التكبر عليهم والوضع منهم فيعادوه . وليكن قصده بحضرة العلماء أن يعرفوا منه أنه على الاستماع أحرص منه على القول ، وليحدث الناس بما يعرفون ويصفهم مما يكرهون ، وليعلم أن لسانه آفة مرسلة عليه إذا أطلقه فليضبطه ، وإذا غلب على الكلام فلا يغلب على السكوت ، ولا ينبغي أن يمنعه حذر المراء من حسن المجادلة ولا خوف العي من استعمال الصمت . وليعلم أنّ مَن غاب الناس وذكر مساوئهم جمع من الاثم في الغيبة التي نهى الله الاستهداف لعيبهم والتعرض لسوء قولهم . وليعلم أنه ليس من علم يذكره عند غير أهله إلاّ عادوه واستثقلوه ، فلا تجالس

---

(٤) البرهان ص٣٠٤ ، وينظر العقد الفريد ج٢ ص٤٢٧ .

أحداً بغير طريقته ولا تحدثه إلا بما يستحقه ، وأن لا يستعمل المزاح إلاّ في الأحوال التي يخرج بها من حدّ العبوس ، وينبغي أن تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن القول .

حذف الشاعر :

ذكر ابن وكيع أن من السرقات المذمومة « حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه »[5] . كقول عنترة :

فاذا سَكِرْتُ فانني مستهلكٌ ... مالي ، وعِرضي وافرٌ لم يُكْلَمِ

وإذا صَحَوتُ فما أقصرُ عن ندى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرمي

أخذه حسان فقال :

ونشربها فتترنا ملوكاً ... وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنَا اللقاءُ

فوفّى عنترة الصحو والسكر صفتيهما ، وأفرد حسان الاخبار عن حال سكرهم دون صحوهم فقبض ما هو من تمام المعنى ، لانه قد يمكن أن يظن ظانّ بهم البخل والجبن إذا صحوا ، لان من شأن الخمر تسخية البخيل وتشجيع الجبان .

الحذو :

حذا حذوه : فعل فعله . والحذو : من أجزاء القافية حركة الحرف الذي قبل الردف ، ويجوز ضمته مع كسرته ولا يجوز مع الفتح غيره نحو ضمه « قُول » مع كسرة « قِيل » وفتحة « قَوْل » مع فتحة « قَيل »[6] .

قال التبريزي : « الحذو : الحركة قبل الردف نحو فتحة الصاد من «أصابا» وكسرة عين «سعيد» وضمة ميم «عمود» . وسمي بذلك ، لان الألف لا تكون

---

(٥) المنصف ج١ ص٢٦ .

(٦) اللسان (حذا) وينظر القوافي للأخفش ص٣٠ ، الموشح ص٧ .

إلاّ تابعة للفتحة أو صلة لها أو محتذاة على جنسها ، وكذلك الواو والياء في هذا الباب ، لانهما لا تكونان ردفين إلاّ اذا انكسر ما قبل الياء وانضم ما قبل الواو في الأعم الاكثر »[٧] .

وقال التنوخي : « والحذو : حركة ما قبل الردف واواً كان ، أو ألفاً ، أو ياءً ، فان كان الردف واواً فالحذو ضمة ، وإن كان الردف ألفاً فالحذو فتحة، وإن كان ياء فالحذو كسرة . وقد يجيء قبل الواو والياء فتحة ... وسمي الحذو حَذْواً من قولك : حذوت فلاناً : إذا جلست بحذائه ، فكأنه محاذٍ للردف »[٨] .

والحذو : « أن يكون البيت على صناعة البيت الآخر »[٩] ، كما قال سحيم :

فما بيضةٌ بات الظليمُ يحفّها ويرفعُ عنها جُؤجؤاً متجافيا

بأحسنَ منها حين قالت : أرائحٌ مع الركب أم ثاوٍ لدينا لياليا

تبعه على هذا الحذو قوم كثير منهم من قال :

وما قطرةٌ من ماء مُزْن تقاذفَتْ

به جانب الجودي والليل دامسُ

بأعذبَ من فيها وقد ذُقْتُ طَعْمَهُ

ولكنني فيما ترى العين فارسُ

(٧) الوافي ص٢٣٢ .
(٨) القوافي للتنوخي ص١٠٣ وما بعدها .
(٩) البديع في نقد الشعر ص٢١٢ ، وينظر المنصف ج١ ص٢٦ .

ومن ذلك لكثير :

وما روضةٌ بالحَزْنِ طيبةُ الثرى يَمُجُّ النـدى جثجاثها وعرارهـا
بأطيبَ من أردانِ عزّةَ موهنـاً إذا أوقدت بالمنْدل الرطب نارهـا

والحذو في هذه الأمثلة لا يراد به الاتباع في المعاني والالفاظ ، وانما الأخـذ بأسلوب السابق • والامثلة الاخرى التي ذكرها ابن منقـذ تظهر الحـذو في المعاني والالفاظ الى جانب الاسلوب ، من ذلك قول كثير :

واني وتهيـامي بعـزّة بعد ما تولّى شبابي وارْجَحَنَّ شبابُها
لكا لمرتجي ماءً بقفراء سَبْسَبٍ يَغُرّ به من حيث عنَّ سـرابُها

وقوله يحذو نفسه أيضاً :

وإني وتهيـامي بعـزّة بعد ما تخلّيت مما بيننا وتخلّتِ
لكا لمرتجي ظلَّ الغمامـةِ كلما تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ

أخذه جميل بن معمر فقال : « واني وتطلابي بثينة بعلما ••• » •

حسـن الابتداء :

هو الابتداء وقد تقدم • وهذه تسمية ابن المعتز[10] •

حسـن الاتباع :

وهذا النوع من السرقات الجيدة والأخذ الحسن ، قال المصري : « هـو أن يأتي المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق بوجه من وجوه الزيادات التي وجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم إما باختصـار لفظه أو قصر وزنه أو عذوبة قافيته وتمكنها أو تتميم لنقصه أو تكميل لتمامه

(١٠) البـديع ص٧٥ .

أو تحليته بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم ويوجب الاستحقاق »[١١] .
ونقل الحلبي والنويري والحلي والحموي والمدني هذا الكلام[١٢] ، ولم يبعد ابن الاثير الحلبي عنه كثيراً[١٣] .

ومن ذلك قول عنترة :

إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل

وقد أحسن منصور الفقيه اتباعه فقال :

من فاتني بأبيه ولم يفتني بأمه
ورام شتمي ظلماً سكتُّ عن نصف شتمه

حسن الأخذ :

يتصل هذا المصطلح بالسرقات ، وهي مسألة لا بدّ منها ، لان اللاحق يتأثر بالسابق ، قال العسكري : « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض تأليف ويوردوها في غير حليتها الأولى ، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها ، فاذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق اليها . ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين »[١٤] . ثم قال : « وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني

---

(١١) تحرير ص٤٧٥ ، بديع القرآن ص٢٠١ .
(١٢) حسن التوسل ص٢٩٨ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٦٥ ، شرح الكافية البديعية ص٢٢١ ، خزانة الادب ص٤٠٩ ، أنوار الربيع ج٦ ص٥ ، نفحات الأزهار ص٢٢٢ .
(١٣) جواهر الكنز ص١٦٠ .
(١٤) كتاب الصناعتين ص١٩٦ .

بينهم ، فليس على أحد فيه عيب إلاّ إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده ، وقصّر فيه عمن تقدمه »[15] • وهذا قريب من « حسن الاتباع » بل هو نفسه ، لان ما اشترطه العسكري ينطبق على النوعين ، وقد استعمل مصطلح « حسن الاتباع »[16] وهو يتحدث عن « حسن الأخذ » فكأنه يريد بهما معنى واحداً • ومن ذلك قول وهب بن حارث بن زهرة :

تبدو كواكبه والشمْسُ طالعةٌ تجري على الكأس منه الصابُ والمقرُ

أخذه النابغة فقال :

تبدو كواكبه والشمس طالعةٌ لا النور نورٌ ولا الإظلام إظلامُ

حسن الافتتاح :

هو حسن الابتداءات وقد تقدم ، وهذه تسمية ابن قيم الجوزية[17] •

حسن الانتهاء :

هو الانتهاء ، وقد تقدم[18] •

حسن البيان :

قال الجاحظ : « وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان »[19] وقال : « وقالوا في حسن البيان »[20] ، وكأنه يريد به حسن الأداء ، والوضوح• وقال الباقلاني : « فالبيان على أربعة أقسام » : كلام ، وحال ، واشارة ،

---

(15) كتاب الصناعتين ص197 •
(16) كتاب الصناعتين ص214 •
(17) الفوائد ص137 •
(18) ينظر الايضاح ص434 ، التلخيص ص434 ، شروح التلخيص ج4 ص534 ، المطول ص481 ، الأطول ج2 ص259 ، شرح عقود الجمان ص175 •
(19) البيان ج1 ص79 •
(20) البيان ج1 ص212 •

وعلامة ويقع التفاضـل في البيان »[٢١] وهذا ما ذهب اليه الجـاحظ . وقـد أوضحه المصري بقوله : « حسن البيان : عبارة عن الابانة عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة من اللبس »[٢٢] . وقال : « وحقيقة حسـن البيان إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له وايصاله الى فهم المخاطب بأقرب الطـرق وأسهلها فانه عين البلاغة »[٢٣] . وتأتي العبـارة عنه من طريق الايجـاز ، أو من طريق الاطناب بحسب ما تقتضيه الحال .

وقال المدني : « حسن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمـير، وإنما سمي هذا النوع بحسن البيان ، لانه عبارة عن الافصاح عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة عن اللبس من غير حشو مستغنى عنه يكاد يستر وجه حسن البيان ويغطي واضح التبيان »[٢٤] .

وسماه العلوي « كمال البيان »[٢٥] .

حسـن التأتي :

يراد به حسن التعبير ووضوح المعنى قال الآمدي : « وليس الشعر عنـد أهل العلم إلا حسن التأتي وقرب المأخذ »[٢٦] .

حسـن التأليف :

حسن التأليف : هو حسن صياغة الكلام ، قال الآمـدي : « وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ، ورداءة اللفظ ، يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ،ويفسده، ويعميه حتى يموج مستمعه الى طول تأمل ، وهذا مذهب أبي تمام في معظـم

---

(٢١) إعجـاز القرآن ص٤١٥ .
(٢٢) تحـرير التحبير ص٤٨٩ .
(٢٣) بـديع القرآن ص٢٠٤ .
(٢٤) أنوار الربيـع ج٦ ص٢٩٠ ، وينظر نفحات الازهار ص٣٢١ .
(٢٥) الطـراز ج٣ ص٩٩ .
(٢٦) الموازنـة ج١ ص٤٠ .

شعره ، وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً ، وحسناً ، ورونقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحتري ، ولهذا قالوا : « لشعره ديباجة » ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام »[27] . وذكر العسكري مثل ذلك فقال : « حسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية ، فاذا كان المعنى سَبِيّاً ، ورصف الكلام رديّاً ، لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة . وإذا كان المعنى وسطاً ، ورصف الكلام جيداً ، كان أحسن موقعاً ، وأطيب مستمعاً ، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه الى ما يليق بها كان رائعاً في المرأى ، وإن لم يكن مرتفعاً جليلا ، وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبة منه الى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقاً ثميناً »[28] .

وقال ابن الاثير : « حسن التأليف أن توضع الالفاظ في مواضعها وتجعل في أماكنها »[29] . ومعظم كلام البلغاء متصف بذلك وخلافه ــ وهو سوء التأليف ــ قول أبي تمام :

يا دهر قوّم من أخدعيك فقد　　أضْجَجْتَ هذا الأنامَ من خُرُقِك

وقول الفرزدق :

وما مثلُه في الناس إلاّ مُملَّكاً　　أبو أمه حيّ أبوه يقاربُه

(٢٧) الموازنة ج١ ص٢٠٤ .

(٢٨) كتاب الصناعتين ص١٦١ .

(٢٩) الجامع الكبير ص٦٥ ، وينظر منهاج البلغاء ص٢٢٢ .

حسن التخلص :

هو التخلص أو براعة التخلص[30] ، وقد تقدما .

حسن التضمين :

حسن التضمين : هو النوع الثامن من محاسن البديع عند ابن المعتز[31] ، وهذا الفن هو التضمين الذي تقدم ، ولكن السابقين نوعوه فشمل العروض والبلاغة واللغة . وهو عند المصري : « أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو آية أو معنى مجرداً من كلام ، أو مثلاً سائراً ، أو جملة مفيدة ، أو فقرة من كلمة »[32] . وقد سموا تضمين كلام الله « اقتباساً » وفرقوا بين التضمين والاقتباس[33] .

حسن الخاتمة :

هو الانتهاء ، وقد تقدم . وذكر المصري انه من مستخرجاته ولكن القاضي الجرجاني سماه « حسن الخاتمة » ، قال : « والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال ، والتخلص ، وبعدهما الخاتمة »[34] .

---

(٣٠) الوساطة ص٤٨ ، المصباح ص١٢٥ ، الايضاح ص٤٣٢ ، التلخيص ص٤٣٢ ، شروح التلخيص ج٤ ص٥٣٥ ، المطول ص٤٧٩ ، الأطول ج٢ ص٢٥٧ ، جوهر الكنز ص١٥٧ ، الطراز ج٢ ص٣٣٠ ، شرح الكافية البديعية ص١٣٠ ، خزانة الأدب ص٤٩ ، شرح عقود الجمان ص١٧٣ ، أنوار الربيع ج ٣ ص٢٤٠ ، نفحات الأزهار ص١٢٣ .

(٣١) البديع ص٦٤ .

(٣٢) تحرير التحبير ص١٤٠ ، بديع القرآن ص٥٢ .

(٣٣) حسن التوسل ص٢٣٨ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٢٦ ، الايضاح ص٤١٨ .

(٣٤) الوساطة ص٤٨ ، وينظر شرح الكافية ص٣٣٣ ، خزانة ص٤٦٠ ، انوار ج٦ ص٣٢٤ .

حسن الختام :

هو الانتهاء[٣٥] ، وقد تقدم •

حسن الخروج :

هو التخلص ، أو حسن التخلص ، أو براعة التخلص • وقد أشار الجاحظ اليه وسماه ثعلب وابن المعتز[٣٦] بهذا الاسم ، وسماه السجلماسي «التوجيه» قال : « وهو الخروج »[٣٧] •

حسن الديباجة :

الدبج : النقش والتزيين ، ودبج الأرض يدبجها دبجاً : روّضها •الديباج: ضرب من الثياب المتخذة من الابريسم • وديباجة الوجه وديباجه : حسن بشرته[٣٨] • ويراد بحسن الديباجة حسن النسج ، قال الآمدي : « وان شعر الوليد بن عبيدالله البحتري صحيح السبك ، حسن الديباجة »[٣٩] •

حسن الرصف :

قال العسكري : « حسن الرصف أن توضع الالفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف ، والزيادة ، إلاّ حذفاً لا يفسد الكلام ، ولا يعمي المعنى ، وتضم كل لفظة منها الى شكلها ، وتضاف الى لفظها »[٤٠] • ثم قال : « ومن تمام حسن الرصف أن يخرج الكلام مخرجاً

---

(٣٥) ينظر نفحات الازهار ص٣٣٩ .
(٣٦) البيان ج٣ ص٣٦٦ ، قواعد الشعر ص٥٠ ، البديع ص٦٠ ، المنصف ج١ ص
(٣٧) المنزع البديع ص٤٧٢ .
(٣٨) اللسان (دبج) .
(٣٩) الموازنة ج١ ص٥ .
(٤٠) كتاب الصناعتين ص١٦١ ، وينظر طبقات الشعراء ص١٣٤ .

له طلاوة وماء ، وربما كان الكلام مستقيم الالفاظ ، صحيح المعاني ، ولا يكون له رونق ولا رواء ، ولذلك قال الأصمعي : « لشعر لبيد كأنه طيلسان طبراني » أي : هو محكم الأصل ولا رونق له »[٤١] . وقال : « والكلام إذا خرج في غير تكلف ، وكدّ ، وشدّة ، وتفكّر ، وتعمل كان سلساً سهلاً ، وكان له ماء ورواء رقراق ، وعليه فِرِنْد[٤٢] لا يكون على غيره مما عسُر بروزه واستكره خروجه »[٤٣] . أما سوء الرصف فهو « تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرفه عن وجوهها وتغيير صيغتها ، ومخالفة الاستعمال في نظمها . قال العتابي : « الألفاظ أجساد والمعاني أرواح وإنما تراها بعيون القلوب . فاذا قدمت منها مؤخراً ، أو أخرت منها مقدماً ، أفسدت الصورة ، وغيّرت المعنى كما لو حُوّل رأس الى موضع يد ، أو يد الى موضع رجل لتحوّلت الخلقة وتغيرت الحلية » . وقد أحسن في هذا التمثيل وأعلم به على أن الذي ينبغي في صيغة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ، ليخرج بذلك من سوء النظم »[٤٤] .

حسن الروي :

حسن الروي : هو أن لا يكون كقول المرقش :

هل بالديار أن تجيب صمم ... لو أنّ حياً ناطقاً كلّم

يأبى الشباب الأقورين ولا ... تغبط أخاك أن يقال كلّم

قال ابن قتيبة : « والعجيب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى »[٤٥] .

---

(٤١) كتاب الصناعتين ص١٧٠ .
(٤٢) الفريد : وشي السيف .
(٤٣) كتاب الصناعتين ص١٧١ .
(٤٤) كتاب الصناعتين ص١٦١ .
(٤٥) الشعر والشعراء ج١ ص٧٢ .

حسن المطالع والمبادي :

هو براعة الاستهلال ، أو براعة المطلع ، أو حسن الابتداء ، أو حسن الافتتاح[٤٦] .

حسن المقطع :

هو الانتهاء ، وبراعة المقطع ، وحسن الخاتمة ، وقد سماه كذلك الثعالبي والوطواط وابن قيم الجوزية والتيفاشي[٤٧] . وكان العسكري قد تحدث عن ذلك فقال : « وقلما رأينا بليغاً إلا وهو يقطع كلامه على معنى بديع أو لفظ حسن رشيق »[٤٨] ، وقال : « فينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها » . وتحدث عن « حسن المقطع » فقال : « ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها ، وتمكنها في موضعها »[٤٩] . وهو ثلاثة أضرب :

الأول : أن يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قصير قليل الحروف فيتمم به البيت كقول النابغة :

كالاقحوان غداةَ غِبِّ سمائه جَفَّتْ أعاليه وأسفلُه نَدي

الثاني : أن يضيق به المكان أيضاً ، ويعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج الى إعراب ليتم بها البيت فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج الى الاعراب فيتمه بها ، كقول زهير :

صحا القلبعن سلمىوقد كاد لا يسلو وأقْفَرَ من سلمى التعانيق فالثِقْلُ

---

(٤٦) الفوائد ص١٣٧ .
(٤٧) يتيمة الدهر ج١ ص٢٣٧ ، حدائق السحر ص١٢٧ ، الفوائد ص١٣٨ . أزهار ج٦ ص٣٢٤ .
(٤٨) كتاب الصناعتين ص٤٤٣ .
(٤٩) كتاب الصناعتين ص٤٤٥ .

الثالث : أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر وتكون مستقرة في قرارها ومتمكنة في موضعها حتى لا يسدّ مسدها غيرها وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف ، كقوله تعالى : « وأنّه هو أضحك وأبكى • وأنه هو أمات وأحيا • وأنه خلق الزوجين : الذكرَ والأنثى »[50] • فأبكى مع أضحك ، وأحيا مع أمات ، والانثى مع الذكر • ومن الشعر قول الحطيئة :

هم القوم الذين إذا ألمّتْ من الأيام مظلمةٌ أضاءوا

وهذا معنى واسع لحسن المقطع ، لان حسن الانتهاء أو الخاتمة تخص الرسالة أو الخطبة أو القصيدة ، ولكن العسكري في هذا القسم يدخل نهاية أي كلام سواء أكان عبارة أم بيت شعر ، ويضم الفاصلة والقافية الى هذا النوع •

الحشو :

حشا : ملأ ، واسم ذلك الحشو على لفظ المصدر[51] •

سماه قوم « الاتكاء »[52] وقد تقدم • قال قدامة : « هو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج اليه لاقامة الوزن »[53] ، كقول أبي عدي القرشي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سَمَتْ في المجد للأقوام كالأذناب

فقوله : «للاقوام» حشو • ونقل المرزباني كلام قدامة ومثاله[54] ، وقال الحاتمي : « وهذا باب لطيف جداً لا يتيقظ له إلاّ من كان متوقد القريحة ،

---

(٥٠) النجم ٤٣-٤٥ •
(٥١) اللسان (حشا) •
(٥٢) العمدة ج٢ ص٦٩ •
(٥٣) نقد الشعر ص٢٤٨ •
(٥٤) الموشح ص٣٦٥ •

متبصر الآلة ، طباً بمجاري الكلام ، عارفاً بأسرار الشعر ، متصرفاً في معرفة أفانينه »[٥٥] .

وذكر العسكري ثلاثة أضرب للحشو : اثنان منها مذمومان وواحد محمود . فأحد المذمومين أن يدخل في الكلام لفظ لو سقط لكان الكلام تاماً مثل قول الشاعر :

أنعى فتى لم تذرّ الشمس طالعةً يوماً من الدهر إلاّ ضَرَّ أو نفعا

فقوله : « يوماً من الدهر » حشو لا يحتاج اليه ، لان الشمس لا تطلع ليلاً .

والضرب الثاني : العبارة عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله ويمكن أن يعبر عنه بأقصر منه كقول النابغة :

تبيّنت آياتٍ لها فعرفتها لستةِ أعوامٍ وذا العام سابع

كان ينبغي أن يقول : « لسبعة أعوام » ويتم البيت بكلام آخر ليكون فيه فائدة ، فعجز عن ذلك ، فحشا البيت بما لا وجه له .

وأما الضرب المحمود فكقول كثير عزة :

لو أنّ الباخلين ــ وأنتِ فيهم ــ رأوك تعلّموا منك المِطالا

فقوله : « وأنتِ فيهم » حشو إلاّ انه مليح ، ويسمي أهل الصنعة هذا الجنس : « اعتراض كلام في كلام »[٥٦] ، وهذه تسمية ابن المعتز الذي قال : « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد »[٥٧] وذكر بيت كثير : « لو أنّ الباخلين ... » ، فان

---

(٥٥) حلية المحاضرة ج١ ص١٩٠ .
(٥٦) كتاب الصناعتين ص٤٨ .
(٥٧) البديع ص٥٩ .

كان في القافية سمي « استدعاءً »[٥٨] • وقسمه الوطواط الى ثلاثة أقسام:[٥٩]

الأول : الحشو القبيح ، وذلك بأن يكون اللفظ الزائد لا محل لـه بحيث يفسد البيت بوجوده ، كقول القائل : « أورثني تكلمه صداع الرأس والقلقان فان لفظ «الرأس» زيادة مستكرهة ، لان الصداع لا يكون إلاّ في الرأس•

الثاني : الحشو المتوسط ، وذلك بأن يتساوى ذكر اللفظة الزائـدة وعدم ذكرها فلا تكون مستقبحة غاية القبح ، ولا مستحسنة غاية الاستحسان، كقول الوطواط نفسه :

وأنت لعمر المجد أشرف من حوى   على رغم آناف العدا قَصَبَ المجْدِ

فعبارة : « لعمر المجد » حشو متوسط ، وكذلك عبـارة : « لعمر المجـد » حشو متوسط ، وكذلك عبارة : « على رغم آناف العدا » •

الثالث : الحشو المليح ، وبهذا النوع من الحشو يزدان البيت فيحسن الكلام ويزداد رونقه ، ومن أجل ذلك يسميه الناس « حشـو اللوزينج » ، ومثاله قول عوف بن محلم الخزاعي :

إنّ الثمـانين وبُلّغتهـا   قد أحْوَجَتْ سَمْعي الى ترجمان

ومنه قول كثير : « لو انّ الباخلين ••• »•

وقال ابن سنان : « وأصل الحشو أن يكون المقصد بها اصـلاح الـوزن أو تناسب القوافي وصرف الروي إن كان الكلام منظوماً وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان منثوراً من غير معنى تفيده أكثرمن ذلك »[٦٠] •

---

(٥٨) العمـدة ج٢ ص٦٩ .
(٥٩) حدائق السحر ص١٥١–١٥٣ .
(٦٠) سر الفصاحة ص١٧٠ .

وقال عبدالقاهر : « وأما الحشو فانما كره وذُمّ وأنكر ورُدّ ، لانه خلا من الفائدة ولم يحلَ منه بعائدة، ولو أفاد لم يكن حشواً ولم يُدْعَ لغوز»[٦١].

ولم يخرج المتأخرون عن المتقدمين في تحديد معنى الحشو[٦٢] .

الحكاية :

الحكاية كقولك : حكيت فلاناً وحاكيته : فعلت مثل فعله ، أو قلت مثل قوله . وحكيت عنه الحديث حكاية[٦٣] .

قال ابن قيم الجوزية : « الحكاية أن يحكى كلام المتكلم إما بلفظــه أو بمعناه »[٦٤] . والقرآن الكريم مشحون بذلك وهو قسمان : ظاهر ومقدر ، أما الظاهر فكما حكاه الله ــ سبحانه وتعالى ــ من قول الملائكة : « قالــوا : أتَجعلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ، ويَسْفِكُ الدمــاءَ ونحنُ نُسَبِّحُ بحمدِكَ ونُقَدِّسُ لك »[٦٥] ، وكذلك ما حكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والأمم الماضية . وأما المقدر فكقوله تعالى:« ما أصابكَ مِنْ حَسَنَةٍ فمِنَ اللهِ ، وما أصابكَ من سَيِّئَةٍ فمن نَفْسِكَ »[٦٦] دليل ذلك انه ردّ عليهم بقولــه : « قُلْ كُلٌ من عنــد اللهِ فما لهؤلاءِ القَــوْمِ لا يكادونَ يَفْقَهون حَديثا »[٦٧] . ومثله في القرآن كثير .

---

(٦١) أسـرار البلاغــة ص١٩ .
(٦٢) ينظـر البــديع في نقد الشعر ص١٤٢ ، المثل السائر ج٢ ص١٨٣ ، الجامع الكبير ص١١٨ ، الطـراز ج٢ ص١٦٧ ، شـروح التلخيص ج٣ ص١٧٨ ، الايضــاح ص١٧٨ .
(٦٣) اللســان (حكى) .
(٦٤) الفوائــد ص١٩٩ .
(٦٥) البقـرة ٣٠ .
(٦٦) النســاء ٧٩ .
(٦٧) النســاء ٧٨ .

الحكاية المختلفة :

يراد بها مثل ما جاء في « كليلة ودمنة » وكتاب «القائف» لأبي العلاء المعري ، وقد دار الكلام فيه على ألسنة الحيوان وغير الحيوان • فمن كلام المعري على لسان الحيوان الناطق قوله : « ومن أجرى الى غير مدى كان مثله مثل الشيخ الجاهل لما سمع قول القائل :

أصبح عني الشباب قد حسرا   إن ينأ عنى فقد ثوى عصرا

قال : ما أرى الشباب إلا قد ظعن مع الظاعنين لأخرجن في طلبه ، فسار حتى لقيه رجل فقال له : أعندك خبر للشباب ؟ فقال : شبابك أو شباب غيرك؟ قال: بل شبابي • قال : إنه ذهب مع أمس ، وأمس خلفك فارجع وراءك وأسرع فلعلك تدركه • فرجع الشيخ يعدو وراءه ، فكلما عدا ازداد من أمس الشيب بعداً »[68] •

وكان أبان بن عبدالحميد اللاحقي قد نظم « كليلة ودمنة » في ثلاثة أشهر، وهو أربعة عشر ألف بيت ، وذكر حمدان ابنه « انه كان يصلي ولوح موضوع بين يديه فاذا صلى أخذ اللوح فملأه من الشعر الذي صنعه ثم يعود الى صلاته »[69] • ومطلع كتابه :

هـذا كتاب أدب ومحنه   وهو الذي يدعى كليله ودمنه
فيه دلالات وفيه رشـد   وهو كتاب وضعته الهند[70]

ولأبان قصيدة « ذات الحلل » حكى فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق • ولسهل بن هارون الكاتب كتاب « النمر والثعلب »[71] •

(٦٨) إحكام صنعة الكلام ص٢٠٨ •
(٦٩) الأوراق ص١ •
(٧٠) الأوراق ص٤٦ •
(٧١) أعلام الكلام ص١٣ •

الحكمـــة :

الحكمة : العدل ، وأحكم الأمر : أتقنه ، والحكيم : المتقن للأمور[٧٢] •

والحكمة : « اتفاق المعاني اللائقة بأحوال الناس والتعبير عما يقع لهم في غالب الأمور • ولا تصدر الحكمة في الغالب إلاّ عن العقلاء المجربين المتبصرين بعواقب الأمور ، فينطق الانسان عن أحوال الناس بكلمة تجمع أنواعاً كثيرة • والناس متناوتون في ذلك ، فمنهم من يتوسط ، ومنهم من يجيد »[٧٣] • وهي في عرف العلماء : « استعمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة قدر طاقتها »[٧٤] • فالحكمة : خلاصة تجربة يصوغها الانسان في عبارة موجزة ، قال النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالي من أي وعاء خرجت »• قال الفضيل بن عياض : « نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه »[٧٥] •

وكانوا يهتمون بأحكم بيت شعري ويتداولونه[٧٦] ، كقول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلمُّه　　على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

ولا تخص الحكمة النثر دون الشعر وانما ترد بهما ، وهي في الشعر من فنونه التي « تجمعها في الأصل أصناف أربعة هي : المديح ، والهجاء ، والحكمـــة ، واللهو »[٧٧] •

---

(٧٢) اللســـان (حكم) .
(٧٣) جوهـــر الكنز ص٥٦٧ •
(٧٤) الكليـــات جـ٢ ص٢٢٢ .
(٧٥) البيـــان جـ١ ص٢٥٨ .
(٧٦) ينظر حلية المحاضرة جـ١ ص٣٦٠ •
(٧٧) البرهـــان في وجوه البيـــان ص١٧٠ .

والحكمة ضالة المؤمن ، قال ابن الأثير : « والمراد بذلك ان الحكمة قد يستفيدها أهلها من غير أهلها كما يقال : « رمية من غير رامٍ » وهذا لا يخص علماً واحداً من العلوم بل يقع في كل علم ، والمطلوب منه ههنا هو ما يخص علم البيان من الفصاحة والبلاغة دون غيره • ومذ سمعت هذا الخبر النبوي جعلت كدّي تتبع أقوال الناس في مفاوضاتهم ومحاوراتهم ، فانه قد تصدر الأقوال البليغة ، والحكم والأمثال ممن لا يعلم مقدار ما يقوله ، فاستفدت بذلك فوائد كثيرة لا أحصرها عدداً»[٧٨] •

والحكم ضربان : ما روي في أثناء الخطب والرسائل ، ومنها ما يأتي جواباً مرتجلاً للسائل تقدمه القرائح بلا رويّة وتنتجه الطبائع بلا كلفة[٧٩] •

حلاوة اللفظ :

الحلو : نقيض المر ، والحلاوة : ضد المرارة ، والحلو : كل ما في طعمه حلاوة ، وقد حلي وحلا[٨٠] •

يراد بحلاوة اللفظ سهولته وجماله واستساغة الذوق له[٨١] ، والحلاوة مما يذاق بالطبع[٨٢] • وقد ترددت لفظة «الحلاوة» في كتب القدماء فقال ابن سلام عن عبد بني الحسحاس : « وهو حلو الشعر رقيق حواشي الكلام »[٨٣]، وهذا من صفات الشعر الجيد •

---

(٧٨) المثل السائر ج١ ص٥٣ ٠
(٧٩) ينظر إحكام صنعة الكلام ص١٨١ .
(٨٠) اللسان (حلا) .
(٨١) ينظر الموازنة ج١ ص٧ ٠
(٨٢) ينظر الامتاع والمؤانسة ج١ ص٦٥ .
(٨٣) طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٨٧ .

الحـــل :

حلّ العقدة يحلّها حلاً : فتحهـا ونقضها فانحلـت . والحلّ : حـل العقدة[٨٤] . الحل : من أساليب الكتابة المعروفة منذ القديم ، وقد أشار العتابي اليها ، سئل يوماً : « بماذا قدرت على البلاغة ؟ » فقال : « بحل معقود الكلام ، فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول »[٨٥] . وبحث ابن منقذ «الحل والعقد» في باب واحد ، وقال : « إنّ الحل والعقد : هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب ، وهو أن يأخذ لفظاً منثوراً فينظمه ، أو شعراً فينثره ويطارحه العلماء فيما بينهم »[٨٦] . وفعل مثله ابن الاثير الحـلبي وابن قيم الجوزية إذ جمعـا الحل والعقد في باب واحد[٨٧] . وتحدث العسكري عنه في « حسن الأخذ » وقال : « إنّ المحلول من الشعر على أربعة أضرب : فضرب منها يكون بادخال لفظة بين ألفاظه ، وضرب ينحلّ بتأخير لفظة منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم ، وضرب منه ينحل على هذا الوجه ولا يحسن ولا يستقيم ، وضرب تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك ، وهذا أرفع درجاتك »[٨٨] .

وتحدث ابن الاثير عن الحل في باب « الطريق الى تعلم الكتابة » وقال : « ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسـرارها وأظفرتني بكنـوز جواهرها إذ لم يظفر غيري باحجارها فما وجدت أعون الاشياء عليها إلاّ حلّ آيات القرآن الكريم والاخبار النبوية وحلّ الأبيات الشعرية »[٨٩] .

---

(٨٤) اللســـان (حلل) .
(٨٥) عيـار الشـعر ص١٢٧ .
(٨٦) البـديع في نقد الشـعر ص٢٥٩ .
(٨٧) جوهـر الكنز ص١٩٥ ، الفوائـد ص٢٢٥ .
(٨٨) كتاب الصنـاعتين ص٢١٦-٢١٧ .
(٨٩) المثل السـائر ج١ ص٧٧ .

ولا يخرج كلام المتأخرين عما ذكـره المتقدمون[٩٠] ، وهو ثلاثة : حـل الآيات ، وحل الأحاديث ، وحل الشعر .

حـل الآيـات :

قال ابن الاثير : « وأما حـل آيات القرآن العزيـز فليس كنثر المعـاني الشعرية ، لان ألفاظه ينبغي أن يحافظ عليها لمكان فصاحتها إلا أنه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بجملته ، فان ذلك من باب التضمين ، وإنما يؤخذ بعضه ، فأما أن يجعل أولاً لكلام ، أو آخراً على حساب ما يقتضيه موضعه ، وكذلك تفعل بالأخبار النبوية . على أنه قد يؤخذ معنى الآية والخبر فيكسى لفظاً غير لفظه ، وليس لذلك من الحسن ما للقسم الأول »[٩١] .

وذكر ابن الاثير الحلبي مثل ذلك ، وأشار الى اختلاف علمـاء الأدب في حل القرآن العزيز ، وادراجه في مطاوي الكلام[٩٢] .

حـل الأحـاديث :

قال ابن الأثـير : « وأما الاخبـار النبوية فكالقرآن العـزيز في حـل معانيها »[٩٣] . وقال ابن الاثير الحلبي : « وأما حل الآيات من القرآن العزيز وكذلك الأحاديث النبويـة ، فينبغي للمنشيء أن لا يأخـذ عند حل الآيـة

---

(٩٠) ينظر تحرير ص٤٣٩ ، حسن التوسل ص٣٢٥ ، نهاية الأرب ج٧ ص١٨٣ ، الايضاح ص٤٢٥ ، التلخيص ص٤٢٦ ، شـروح التلخيص ج٤ ص٥٢٣ ، المطـول ص٤٧٥ ، الاطول ج٢ ص٢٥٤ ، شرح عقـود الجمان ص١٧١ ، العقـد الفريـد ج٢ ص٢٦٣ ، صبح الأعشى ج١ ص٢٨١ ، مقدمة في صناعة النظـم والنثر ص٤٥ .

(٩١) المثل السـائر ج١ ص١١٤ .

(٩٢) جوهـر الكنز ص٦٠٩ .

(٩٣) المثل السـائر ج١ ص١٢٧ .

والحديث جملة اللفظ فان ذلك من باب التضمين ، ولا يأخذ المعنى مجرداً عن اللفظ بكماله إلاّ إن أراد بذلك الاستشهاد ، بل اذا وقع له معنى وكانت آيـة من الآيات الكريمة ، أو حديث من الأحاديث النبوية يتضمن ذلك المعنى فليجعل الآية والحديث في سـياق كلامه المناسـب للمعنى فيطرز كلامه بالآيـة أو الحـديث »[٩٤] .

حـل الأشـعار :

تكلم العسكري على حلّ الشعر وقسمه الى أربعة أضرب[٩٥] ، وقـد تقدمت في «الحل» ، وتحدث عنه ابن الاثير[٩٦] ، وقسمه ثلاثة أقسام :

الأول : وهو أدناها مرتبة ، أن يأخذ الناثر بيتاً من الشعر فينثره بلفظـه من غير زيادة ، وهذا عيب فاحش .

الثاني : وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبـة ، وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعزف عن بعضها بألفاظ أخر .

الثالث : وهو أعلى مرتبـة الاقسام الثلاثـة ، وذلك أن يؤخـذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه .

وذكر هذه الأقسام الثلاثة ابن الاثير الحلبي[٩٧] .

واشترط القزويني لكي يكون نثر النظم مقبولاً شيئين :

الأول : أن يكون سبكه محتاراً لا يتقاصر عن سبك أصله .

(٩٤) جوهـر الكنز ص٦٠٩ .
(٩٥) كتاب الصناعتين ص٢١٦ .
(٩٦) المثل السـائر ج١ ص٧٨ .
(٩٧) جوهر الكنز ص٦٠٧ .

الثاني : أن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق[٩٨] .

وذلك مثل قول بعض المغاربة : « فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذي اعتاده » حلّ قول المتنبي:

إذا ساءَ فِعْلُ المرء ساءَتْ ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهّمِ

ونهج المتأخرون نهج القزويني في حلّ المنظوم[٩٩] .

حلـو الشـــعر :

الحلو : نقيض المر ، والحلاوة : ضد المرارة ، والحلو : كل ما في طعمه حلاوة ، وقد حلي وحلا[١٠٠] .

يراد بحلو الشعر عذوبته ، قال ابن سلام عن عبد بني الحسحاس : « وهو حلو الشعر رقيق حواشي الكلام »[١٠١] . وقال عن القطامي : كان « شاعراً فحلاً رقيق الحواشي ، حلو الشعر »[١٠٢] .

الحماســـة :

حمس الشر : اشتد ، والحماسة : المنع والمحاربة ، والتحمس : التشدد ، وتحامس القوم تحامساً وحِماساً : تشادوا واقتتلوا[١٠٣] .

---

(٩٨) الايضاح ص٤٢٥ ، التلخيص ص٤٢٦ .
(٩٩) شروح التلخيص ج٤ ص٥٢٣ ، المطول ص٤٧٥ ، الأطول ج٢ ص٢٥٤ ، شرح عقود الجمان ص١٧١ .
(١٠٠) اللسان (حلا) .
(١٠١) طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٨٧ .
(١٠٢) طبقات فحول الشعراء ج٢ ص٥٣٥ .
(١٠٣) اللسان (حمس) .

الحماسة : من فنون الشعر المعروفة قبل الاسلام ، وكانت تلازم كثيراًمن المواقف كالحرب أو التحريض أو الدعوة الى القتال ، وفيها يتناول الشعر الفحر والاعتداد بالنفس أو القبيلة أو يستثير الهمم ويحمسها للحرب .

حواشي الكلام :

حاشيتا الثوب : جانباه اللذان لا هُدْب فيهما ، وفي التهذيب : حاشيتا الثوب : جنبتاه الطويلتان في طرفيهما الهدب ، وحاشية السراب : كل ناحية منه[١٠٤] .

ذكر ابن سلام مصطلح « حواشي الكلام » ولم يفسره ، وقال عن لبيد إنه كان « رقيق حواشي الكلام »[١٠٥] . وقال عن عبد بني الحسحاس : « وهو حلو الشعر رقيق حواشي الكلام »[١٠٦] .

ويريدون بحواشي الكلام جوانبه ، وبرقيق حواشي الكلام : رقة الكلام وجماله وجودته وحسن أسلوبه .

الحوشي :

الحوش : بلاد الجن ، والحوش والحوشية : إبل الجن ، وقيل : هي الإبل المتوحشة . ورجل حوشي : لا يخالط الناس ولا يألفهم وفيه حوشية ، والحوشي : الوحشي ، وحوشي الكلام : وحشيه وغريبه[١٠٧] .

قال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في وصف زهير بن أبي سلمى: « كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام »[١٠٨] . ويراد بالحوشي

---

(١٠٤) اللسان (حشا) .
(١٠٥) طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٣٥ .
(١٠٦) طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٨٧ .
(١٠٧) اللسان (حوش) .
(١٠٨) الشعر والشعراء ج١ ص١٣٨ ، وينظر الموازنة ج١ ص٢٧٦ ، ٢٨٢ .

الوحشي الغريب ، ويسمى الوحشي نسبة الى الوحش لنفاره ، وعدم تأنسه ، وتألفه ، وربما قلب فقيل : الحوشي نسبة الى الحوش وهو النفار • فالغريب والوحشي والحوشي بمعنى[١٠٩] •

ومن عيوب الشعر « أن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلاّ في الفرط ، ولا يتكلم به إلاّ شاذاً ، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته وتنكيه إياه فقال : « كان لا يتبع حوشي الكلام »[١١٠]•

الحوليـــات :

الحول : سنة بأسرها ، وحال عليه الحول : أتى[١١١] •

الحوليات : هي القصائد التي تمكث عند الشاعر حولاً كاملاً يعيد النظر فيها ، وينقحها قبل أن يظهرها للناس • وكان زهير بن أبي سلمى يسمي كبار قصائده « الحوليات »[١١٢] ، قال الجاحظ : « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كويتاً[١١٣] وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زماماً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، واشفاقاً على أدبه ، واحرازاً لما خوّله الله تعالى من نعمته • وكانوا يسمون تلك القصائد «الحوليات» و «المقلدات» و «المنقحات» و «المحكمات» ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً »[١١٤]•

* * *

(١٠٩) صبح الأعشى ج٢ ص٢١٣ •
(١١٠) نقد الشعر ص١٩٦ ، وينظر الموشح ص٥٩ ، ٥٣٩ ، العمدة ج١ ص٩٨ ، زهر الآداب ج١ ص٥٨ •
(١١١) اللسان (حول) •
(١١٢) البيان ج١ ص٢٠٤ ، وينظر ج٢ ص٢ ، الشعر والشعراء ج١ ص١٤٤ •
(١١٣) حول كريت : حول تام •
(١١٤) البيان ج٢ ص٩ ، وينظر المنصف ج١ ص٦ •

الخـاطر :

الخاطر : ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر • والخاطر : الهاجس ، وقـد خطر بباله وعليه : إذا ذكره بعد نسيان[1] • وكانوا يقولون عن الشاعر الحسن: « وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض يسارع »[2] •

قال الشريف الجرجاني : « الخاطر : ما يرد على القلب من الخطـاب ، أو الوارد الذي لا يعمل العبد فيه • وما كان خطاباً فهو أربعة أقسام : ربـاني : وهو أول الخواطر وهو لا يخطىء أبداً وقـد يعرف بالقوة والتسلط وعـدم الاندفاع ، وملكي : وهو الباعث على مندوب أو مفروض ، ويسمى إلهامـاً ، ونفساني : وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً ، وشيطاني : وهو ما يدعو الى مخالفة الحق • قال الله تعالى : «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء»[3] وقال الكفوي : « الخاطر : هو اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى ،سمي

(١) اللســـان (خطر) •
(٢) نفح الطيب ج١ ص٥٩٣ •
(٣) التعريفـات ص١٠١ . البقرة ٢٦٨ •

محله بأسم ذلك • وهو من الصفات الغالبة ، يقال منه : خطر ببالي أمر ، وعلى بالي أيضاً • وأصل تركيبه يدل على الاضطراب »[٤] •

ولا بدّ للأديب من خاطر يسرع الى الكتابة أو نظم الشعر •

الخرجـة :

قال ابن سناء الملك : « الخرجة : عبارة عن القفل الأخير من الموشـح ، والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحـن ، حارة محرقة حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ولغات الداصّة ، فان كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الابيات والأقفال خرج الموشح من أن يكون موشحاً اللهم ، إلاّ إن كان موشح مدح وذكر الممدوح في الخرجـة فانه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي :

إنما يحيى سـليل الكرام   واحد الدنيا ومعنى الأنام

وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح ، ولكـن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة جداً ، هزازة ، سحارة ، خلابة بينها وبين الصبابة قرابـة ، وهذا معجز معوز وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة، كقول ابن بقي :

ليـل طويل وما حصين   يا قلبَ بعض الناس أما تلين

فمن قدر أن يقول هكذا فليـُعـْرب وإلاّ فليغرب •

والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل الخروج اليها وثباً واستطراداً، وقولاً مستعاراً على بعض الأسنة ، إما ألسـنة الناطق أو الصـامت أو على الاغراض المختلفة الاجناس ، وأكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنسـوان

---

(٤) الكليـات ج٢ ص٣٠٩ . البقرة ٢٦٨ .

والسكرى والسكران • ولا بدّ في البيت الذي قبل الخرجة من « قال » أو « قلت » أو « قالت » أو «غنى» أو «غنيت» أو

«غنت» ••• وقد تكون

الخرجة عجمية اللفظ بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفسافاً نفطياً ورمادياً زطيا ، والخرجة هي أبزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره ، وهي العاقبة ، وينبغي أن تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة • وقولي «السابقة» لانها التي ينبغي أن يسبق الخاطر اليها ويعملها من ينظم الموشح في الأول وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية ، وحين يكون مسيباً مسرّحاً ومتبحبحاً منفسحاً ، فكيف ما جاءه اللفظ والوزن خفيفاً على القلب ، أنيقاً عند السمع ، مطبوعاً عند النفس ، حلواً عند التذوق تناوله وتنوّله ، وعامله وعمله ، وبنى عليه الموشح لانه قد وجد الأساس وأمسك الذنب ونصب عليه الرأس • وفي المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعير خرجة غيره وهو أصوب رأياً ممن لا يوفق في خرجته بأن يعربها ، ويتعاقل ، ولا يلحن فيتخافف بل يتثاقل »[٥] •

الخروج :

الخروج : نقيض الدخول[٦] • قال أبو دواد بن حريز : « والخروج مما بني عليه أول الكلام اسهاب »[٧] وذكر العسكري ذلك أيضاً[٨] ، وقال ابن رشيق : « وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به ، لان الخروج

---

(٥) دار الطراز ص٤٠-٤٤ .
(٦) اللسان (خرج) •
(٧) البيان ج١ ص٤٤ •
(٨) كتاب الصناعتين ص٣ .

إنما هو أن تخرج من نسيب الى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تتمادى فيما خرجت اليه »[9] ، كقول أبي تمام :

صبَّ الفراقُ علينا صبَّ من كثبٍ عليه اسحاق يوم الروع منتقما

سيف الامام الذي سمّته هيبته لما تخرَّم أهل الأرض مخترما

ثم تمادى في المدح الى آخر القصيدة .

وفرّق ابن رشيق بين هذا النوع والتخلص وقال : « ومن الناس من يسمي الخروج تخلصاً وتوسلاً ، وينشدون أبياتاً منها :

إذا ما اتقى اللهَ الفتى وأطاعه فليس به بأسٌ ولو كان من جَرْمِ

ولو أنَّ جَرْماً أطعموا شحم جفرة لباتوا بِطاناً يَضْرُطون من الشحمِ

وأولى أن يسمى الشعر تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ، ثم عاد الى الأول وأخذ في غيره ثم رجع الى ما كان فيه »[10] . وليس الخروج كذلك لانه لا يشترط فيه الرجوع الى ما كان عليه الشاعر .

الخطاب :

الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان[11] .

الخطاب : هو أقسام الكلام ، قال الكفوي : « هو الكلام الذي يقصد به الافهام » أو « هو اللفظ المتواضع عليه ، المقصود به إفهام من هو مهيء

(9) العمدة ج1 ص234 .
(10) العمدة ج1 ص236 .
(11) اللسان (خطب) .

لفهمه »[١٢] • ويأتي بأشكال مختلفة ، قال ابن فارس : « إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم ينص فيه على ذكر الرجال فان ذلك الخطاب شامل للذكران والإناث »[١٣] • وقسمه الكلاعي الى ثلاثة أقسام :

الأول : ما رفل ثوب لفظه على جسد معناه ، وهذا هو الاسهاب •

الثاني : ما ثوب لفظه كثوب المؤمن ، وهذا هو الايجاز •

الثالث : ما خيط ثوب لفظه على جسد معناه ، وهذا هو المساواة[١٤] •

وهناك الخطاب بأقوال اضطرارية ، وأقوال مشهورة ، وأقوال مقبولة ، وأقوال كاذبة مخيلة ، وأقوال كاذبة • ولكل لون فن ، فالاول هو البرهان، والثاني هو الجدل ، والثالث هو الخطابة ، والرابع هو الشعر ، والخامس هو المغالطة[١٥] •

وقد تحدث الزركشي بالتفصيل عن وجوه المخاطبات والخطاب فيالقرآن الكريم ، وهي أكثر من أربعين وجهاً[١٦] ، وذكرها السيوطي[١٧] • وكان الامام الشافعي قد تحدث عن بعض هده الوجوه فعقد أبواباً لما نزل من الكتاب العزيز عاماً يراد به العام ويدخله الخصوص ، وما نزل عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص ، وما نزل عام الظاهر يراد به كله الخصوص[١٨] ، ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يفصّل جميع وجوه الخطاب كما فعل الزركشي •

---

(١٢) الكليات ج٢ ص٢٨٥-٢٨٦ .
(١٣) الصاحبي ص١٨٨ •
(١٤) إحكام صنعة الكلام ص٨٩ .
(١٥) الروض المريع ص٨١ .
(١٦) البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٢١٧ وما بعدها .
(١٧) معترك الاقران ج١ ص٢٢٩ •
(١٨) الرسالة ص٥٣ .

خطاب التلون :

هو الالتفات وقد تقدم[19] .

الخطاب العام :

قال السبكي : « المقصود منه أن يخاطب به غير مُعَيَّن ايذاناً بأنَّ الامر لعظمته حقيق بأن لا يخاطب به أحد دون أحد »[20] ، كقوله تعالى : « ولو ترى إذ وُقِفُوا على النَّارِ »[21] وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : «بشّر المشّائين في الظلم» . وربما يخاطب واحداً بالتثنية كقول الشاعر :

خليليَّ مرّا بي على أم جُنْدُبِ   لنقضي لباناتِ الفؤاد المعذَّبِ

ثم قال السبكي : « قال الطيبي : والمراد به عموم استغراق الجنس في المفرد فهو كالألف واللام الداخلة على اسم الجنس . قال : وتسميته خطاباً عاماً مأخوذ من قول صاحب الكشاف : « ما أصاب يا أنسان » خطاب عام » .

الخطابة :

خطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة ، واسم الكلام الخطبة[22] والخطابة : « مأخوذة من خطبت أخطب خطابة ، كما يقال : كتبتُ أكتب كتابة. واشتق ذلك من «الخطب» وهو الأمر الجليل ، لانه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل وتعظم »[23] . قال ابن سينا : « الخطابة : قوة تتكلف الاقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة »[24] . وقال الشريف الجرجاني :

(١٩) ينظر المنزع البديع ص٤٤٢ ، الروض المريع ص٩٨ .
(٢٠) عروس الأفراح ج٤ ص٤٧٣ .
(٢١) الانعام ٢٧ .
(٢٢) اللسان (خطب) .
(٢٣) البرهان في وجوه البيان ص١٩٢ .
(٢٤) الشفاء ــ المنطق ــ الخطابة ص٢٨ ، وينظر تلخيص الخطابة ص٢٨ .

« الخطابة وهو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه . والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ »[٢٥] .

وأصل الخطابة الاقناع ، وقد يستعمل فيها القول الشعري فتكون قريبة من الشعر ، قال الفارابي : « والخطابة قد تستعمل أشياء من المحاكاة يسيراً ، وهو ما كان قريباً جداً واضحاً مشهوراً عند الجميع ، وربما غلط كثير من الخطباء الذين لهم من طبائعهم قوة على الأقاويل الشعرية فيستعملون المحاكاة أزيد مما شأن الخطابة أن تستعمله غير انه لا يوثق به فيكون قوله ذلك عند كثير من الناس خطبية بالغة وانما هو في الحقيقة قول شعري قد عدل به عن طريق الخطابة الى طريق الشعر . وكثير من الشعراء الذين لهم أيضاً قوة على الأقاويل المقنعة يضعون الأقاويل المقنعة ويزنونها فيكون ذلك عند كثير من الناس شعراً وإنما هو قول خطبي عدل به عن منهاج الخطابة . وكثير من الخطباء يجمع في خطبته الأمرين جميعاً وكذلك كثير من الشعراء »[٢٦] .

وسار بعض البلاغيين والنقاد على نهج الفلاسفة المسلمين الذين لخصوا كتابي «الشعر» و «الخطابة» لأرسطو ، فقال القرطاجني إن «الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والاقناع»[٢٧] .

وتعتمد الخطابة على تقوية الظن أكثر من اعتمادها على التخييل[٢٨] ، قال ابن البناء المراكشي : « الثالث : الخطابة ، وهو الخطاب بأقوال مقبولة يحصل

(٢٥) التعريفات ص١٠٤ .
(٢٦) جوامع الشعر ص١٧٣ ، وتنظر مجلة (شعر) البيروتية العدد (١٢) سنة ١٩٥٩م ص٩٠ـ٩٥ .
(٢٧) منهاج البلغاء ص١٩ .
(٢٨) منهاج البلغاء ص٦٢ .

فيها الاقناع »[٢٩] • وقد تأخذ الخطابة من القول الشعري فتقترب من الشعر، قال القرطاجني : « وكما أن في الشعر من يجعل أكثر معانيه وألفاظه مخيلة ولا يعرج على الاقناع الخطابي إلاّ في قليل من المواضع • وفيهم من يقتصد الاقناع في كثير من معانيه ، لان صناعة الشعر تستعمل يسيراً من الأقوال الشعرية لتقصد المحاكاة في هذه بالاقناع ، والاقناع في تلك بالمحاكاة »[٣٠] • وإنما ساغ ذلك « لأن الغرض في الصناعتين واحد ، وهو إعمال الحيلة في القاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه ، فكانت الصناعتان متؤاخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما ، فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب ولكن في الأقل من كلامه ، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه »[٣١]•

وكانت الخطابة من أهم ألوان كلام العرب قبل الاسلام وبعده ، وقد إن « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه »[٣٢] • وهذا الفهم للخطابة يختلف عن فهم ارسطو وشرّاحه وملخصيه من الفلاسفة المسلمين أو النقاد العرب المتأثرين بهم كالقرطاجني والسجلماسي وابن البناء المراكشي •

خطابية الشعر :

يراد بخطابية الشعر أن يكون في الشعر شيء من روح الخطابة وهي الاقناع ، قال ابن سينا : « وقد يعرض لمستعمل الخطابة شعرية كما يعرض لمستعمل الشعر خطابية • وإنما يعرض للشاعر أن يأتي بخطابية وهو لا يشعر

(٢٩) الروض المريع ص٨١ •
(٣٠) منهاج البلغاء ص٢٩٣ ، وينظر الشفاء ـ المنطق ـ الخطابة ص٢٠٤ •
(٣١) منهاج البلغاء ص٣٦١ •
(٣٢) العقد الفريد ج٢ ص٢٧٤ •

إذا أخذ المعاني المعتادة والأقوال الصحيحة التي لا تخييل فيها ولا محاكاة ثم يركبها تركيباً موزوناً »[٣٣] . وأوضح القرطاجني هذه المسألة فقال : « ان التخييل هو قوام المعاني الشعرية والاقناع هو قوام المعاني الخطابية ، واستعمال الاقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ إذا كان ذلك على جهة الالماع في الموضع بعد الموضع ، كما أن التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع . وإنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيراً فيما تتقوم به الأخرى ، لان الغرض في الصناعتين واحد ، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه فكانت الصناعتان متؤاخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما ، فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه ، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه »[٣٤] .

الخطبة :

الخطبة : اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب[٣٥] ، وفي رسالة بشر بن المعتمر كثير مما ينبغي أن يأخذ به الخطيب أو الشاعر[٣٦] . وكان الجاحظ من أكثر القدماء اهتماماً بالخطابة ، وقد نفى أن تكون لغير العرب خطابة[٣٧] . وفي كتابه « البيان والتبيين » شيء كثير عن الخطابة ، ولعل أهم ما ذكره أن كل خطبة تختلف عن اللون الآخر ، فخطبة النكاح غير خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب[٣٨] ، وذكر أن خطبة النكاح من أصعبها ، وكان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول : « ما يتصعدني كلام كما تتصعدني

---

(٣٣) الشفاء ــ المنطق ــ الخطابة ص٢٠٤ .
(٣٤) منهاج البلغاء ص٣٦١ .
(٣٥) اللسان (خطب) ، وينظر البرهان في وجوه البيان ص١٩٣ .
(٣٦) البيان والتبيين ج١ ص١٣٥ .
(٣٧) البيان ج٣ ص٢٧ وتنظر ص١٢ .
(٣٨) البيان ج١ ص١١٦ ، وينظر العقد الفريد ج٤ ص٥٤ .

خطبة النكاح »[٣٩] ، وكان يستحسن أن يكون في الخطبة يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن الكريم ، وأكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل إلا أن تكون الى الخلفاء[٤٠] .

وكان العرب يعلمون فتيانهم الخطابة[٤١] ، وكانوا لا يتكلفون الخطبة[٤٢] ومن صفاتها أن يأتي الخطيب بالكلام المتخير[٤٣] ، وكان بعضهم يتأمل في الخطبة أو يقيدها[٤٤] . والخطب قصار وطوال[٤٥] ، ولبعضها ألقاب منها « العجوز » وهي خطبة لآل رقبة ، و « العذراء » وهي خطبة قيس بن خارجة و « الشوهاء » وهي خطبة سحبان وائل و « البتراء » وهي الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد[٤٦] ومن القدماء من جمع بين الخطابة والشعر[٤٧] .

والخطب « تستعمل في اصلاح ذات البين ، واطفاء نار الحرب وحمالة الدماء[٤٨] . والتسديد للملك والتأكيد للعهد وفي عقد الإملاك وفي الدعاء الى الله ــ عز وجل ــ وفي الاشادة بالمناقب ولكل ما أريد نشره وشهرته في

---

(٣٩) البيان ج١ ص١١٧ ، وتنظر ص١٣٤ .
(٤٠) البيان ج١ ص١١٨ ، وينظر البرهان في وجوه البيان ص٧٩٤ .
(٤١) البيان ج١ ص١٣٥ .
(٤٢) البيان ج٢ ص١٤ .
(٤٣) البيان ج١ ص ٤٠٨ .
(٤٤) البيان ج٢ ص١٤ .
(٤٥) البيان ج١ ص٣٠٣ ، ج٢ ص٧ ، عيون الاخبار ج٢ ص٢٣١ ، العقد الفريد ج٤ ص٥٤ ، زهر الآداب ج١ ص١١٤ ، إحكام صنعة الكلام ص١٦٦ .
(٤٦) البيان ج٢ ص٦ ، ٦١ .
(٤٧) البيان ج١ ص٤٥ .
(٤٨) حمالة الدماء : دياتها .

الناس »[٤٩] . وينبغي « أن تفتح الخطبة بالتحميد والتمجيد ، وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال ، فان ذلك مما يـزين الخطب عند مستمعيها وتعظـم به الفائدة فيها ... ولا يتمثل في الخطب الطوال التي يقام بها في المحافل بشيء من الشعر ، فان أحب أن يستعمل ذلك في الخطب القصـار وفي المواعـظ و لرسـائل فليفعل إلا ّ أن تكون الرسالة الى الخليفة فان محلـه يرتفـع من التمثل بالشعر في كتاب اليه ولا بأس بذلك في غيرها من الرسائل »[٥٠] .

ووازن العسكري بين الرسائل والخطب وقال انهما « متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الالفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة ، وكذلك فواصـل الخطب مثل فواصل الرسـائل ولا فرق بينهما إلا ّ أن الخطبة مثل فواصـل الرسائل ولا فرق بينهما إلا ّ أن الخطبـة يشافه بها ، والرسائل يكتب بهـا ، والرسالة تجعل خطبة ، والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة . ولا يتهيـأ مثل ذلك في الشعر من سرعة قلبه وإحالته الى الرسائل إلا ّ بكلفة ، وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعراً إلا ّ بمشقة . ومما يعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان وعليهما مدار الدار ، وليس للشعر بهما اختصاص . أما الكتابة فعليها مدار السلطان ، والخطابة لها الحظ الأوفـر من أمر الدين ، لان الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجمعات والجماعات ، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الامام رعيتـه لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله ــ عز وجل ــ من ذلك في كتابـه الى غير ذلك من منافع الخطب »[٥١] .

---

(٤٩) البرهـان في وجوه البيان ص١٩١ .
(٥٠) البرهـان في وجوه البيان ص١٩٤ .
(٥١) كتاب الصناعتين ص١٣٦ ، وينظر صبح الأعشى ج١ ص٢٢٥ .

ويلزم في الرسائل والخطب أن تكون مزدوجة ، ولا يلزم فيها السجع فان جاءت مسجوعة كان أحسن ما لم يكن في السكع استكراه وتنافر وتعقيد(٥٢) .

وكان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجة العرب الى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة ، « فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة ، وتولوا به الأعراض صارت الخطابة فوقه »(٥٣) .

الخطبة البتراء :

الخطبة البتراء : هي الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد ونستفتح بالتمكيد مثل خطبة زياد بالبصرة التي أولها : « أما بعد فان الكهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغيّ الموفي بأهله على النار ... » . وقيل : إنه قال في أولها : « الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأل المزيد من نعمه واكرامه . اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً »(٥٤) .

قال ابن وهب : « فمن أوصاف الخطابة أن تفتتح الخطبة بالتحميد والتمجيد ، وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال ، فان ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها ، وتعظم به الفائدة فيها ، ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله — عز وجل — في أولها « البتراء »(٥٥) .

الخطبة الشوهاء :

الخطبة الشوهاء : هي الخطبة « التي لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — »(٥٦) . وقد يراد بها الخطبة الحسنة ،

---

(٥٢) كتاب الصناعتين ص١٥٩ .
(٥٣) العمدة ج١ ص٨٢ .
(٥٤) البيان ج٢ ص٦ ، ٦١ .
(٥٥) البرهان ص١٩٤ .
(٥٦) البيان ج٢ ص٦ ، وينظر البرهان ص١٩٤ .

قال الجاحظ : « والشوهاء : وهي خطبة سحبان وائل وقيل لها ذلك من حسنها، وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب »[٥٧] .

الخطبة العذراء :

الخطبة العذراء : هي الخطبة التي يكون صاحبها أبا عذرها ، وهي خطبة لقيس بن خارجة بن سنان . قال الجاحظ : انه خطب « يوما الى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى »[٥٨] .

الخطيب :

خَطُبَ خطابة : صار خطيبا ، ورجل خطيب : حسن الخطبة ، وجمع الخطيب : خطباء[٥٩] .

الاسم من الخطابة : خاطب مثل «راحم» فاذا جعل وصفا لازما قيل : «خاطب» كما قيل في راحم : «رحيم» وجعل «رحيم» أبلغ في الوصف وأبيَن في الرحمة ، وكذلك لا يسمى خطيبا إلا من غلب ذلك على وصفه وصار صناعة له[٦٠] .

وكان الجاحظ من أكثر القدماء حديثا عن الخطيب وصفاته وعيوبه ، وأدقهم في الكلام على ملابسه وجهارة صوته وذلاقة لسانه[٦١] . وقد ذكر

---

(٥٧) البيان ج١ ص٣٤٨ .
(٥٨) البيان ج١ ص١١٧ ، وينظر الحيوان ج٦ ص٢٦١ ، كتاب الصناعتين ص١٩٢ ، تحرير التحبير ص٤٢٣-٤٢٤ .
(٥٩) اللسان (خطب) .
(٦٠) البرهان في وجوه البيان ص١٩٣ .
(٦١) ينظر البيان ج١ ص٤٠ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٩١-٩٢ ، ١٠٤ ، ١٢٠-١٢٧ ، ج٢ ص ٢٤٩-٢٥١ ، ج٣ ص٦ ، ٩٢ ، ١١٦ ، ١٩٢ ، كتاب الصناعتين ص١٩ .

أن الخطيب أصبح أفضل من الشاعر بعد أن انتشر التكسب بالشعر ، قال : « قال عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيّب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة ، وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ، ولذلك قال الأول : « الشعر أدنى مروءة السري ، وأسرى مروءة الدني » . قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبياني ، ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة »(٦٢) . وقال : « وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ، وهم اليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر »(٦٣) .

ولخص ابن وهب صفات الخطيب بقوله : « أن يكون الخطيب أو المترسل عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين به ، فلا يستعمل الايجاز في موضع الاطالة فيقصر عن بلوغ الارادة ، ولا الاطالة في موضع الايجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة الى الاضجار والملالة ، ولا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة ولا كلام الملوك مع السوقة ، بل يعطي لكل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم ، فقد قيل : « لكل مقام مقال » . وإذا رأى من القوم اقبالاً عليه وانصاتاً لقوله فأحب أن يزيدهم زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم ، وإذا تبيّن منهم إعراضاً عنه وتثاقلا عن استماع قوله خفّف عنهم »(٦٤) .

---

(٦٢) البيان ج١ ص٢٤١ .
(٦٣) البيان ج٤ ص٨٣ .
(٦٤) البرهان في وجوه البيان ص١٩٤ .

ومن الأوصاف التي إذا كانت في الخطيب سمي سديداً وكان من العيب بعيداً « أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيته غير مستكره لطبيعته ولا متكلف ما ليس في وسعه »[٦٥] ، وأن يكون جهير الصوت ، وأن لا يحصر عند رمي الناس بأبصارهم اليه ، ولا يعي بالكلام عند إقبالهم عليه ، وأن يتقي خيانة البديهة في أوقات الارتجال ، ولا يغرّه انقياد القول له في بعض الأحوال فيركب ذلك في سائر الاوقات وعلى جميع الحالات ، وأن يقل التنحنح والسعال والعبث باللحية ، وأن لا يستعمل في الأمر الكبير الكلام الفطير ، وأن يكون لسانه سالماً من العيوب التي تشين الالفاظ[٦٦] •

وقسم ابن منقذ الخطباء الى حضري ، وبدوي ، ومخضرم[٦٧] ، ولم يذكر صفة كل واحد منهم •

الخطيب المصقع :

الخطيب المصقع : هو الخطيب المقتدر • ويفهم من كلام المبرد أنه أعلى الخطباء طبقة ، قال : « وقد يضطر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع، والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره »[٦٨] • وقال ابن الاثير : « وما من شاعر مفلق ، ولا كاتب بليغ ، ولا خطيب مصقع إلاّ وله الرديء »[٦٩] • فالخطيب المصقع يساوي الشاعر المفلق أي انه أرفع الخطباء قدراً •

---

(٦٥) البرهان ص٢٠٥ .
(٦٦) البرهان ص٢١١ وما بعدها .
(٦٧) البديع في نقد الشعر ص٢٩٨ .
(٦٨) الكامل ج١ ص٢٧ .
(٦٩) الاستدراك ص٢٤ .

الخطيب المغلب :

الخطيب المغلّب : هو الخطيب الذي غلب كالشاعر المغلّب ، قال يونس عن البعيث : « إن كان مغلباً في الشعر لقد كان غلب في الخطب »[٧٠] .

الخمريات :

الخمريات : فن من فنون الشعر تقال في وصف الخمرة ومجالسها ، وقد اشتهر بها بعض الشعراء كالأعشى والأخطل وأبي نواس . أدخلها ابن وهب في اللهو من فنون الشعر ، قال : « ويكون من اللهو : الغزل ، والطرد ، وصفة الخمر ، والمجون »[٧١] . وذكر ابن رشيق مثل ذلك[٧٢] .

الخيال :

خال الشيء : ظنه ، وخيّل عليه : شبه ، وأخال الشيءُ : اشتبه . وفلان يمضي على المخيل أي : على ما خيلت أي ما شبهت ، يعني على غرر من غير يقين . والخيال لكل شيء تراه كالظل ، وكذلك خيال الانسان في المرآة ، وخياله في المنام صورة تمثاله ، وربما مرّ بك الشيء شبه الظل ، فهو خيال. يقال : تخيل له خياله والخيال : خشبة توضع فيلقى عليها الثوب للغنم إذا رآها الذئب ظن أنه انسان . والخيال : ما نصب في الأرض ليعلم انه حمى فلا يقترب[٧٣] .

الخيال : هو الملكة التي يؤلف بها الأديب صوره ، قال الشريف الجرجاني: هو « قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة

(٧٠) البيان ج٤ ص٨٤ .
(٧١) البرهان ص١٧٠ .
(٧٢) العمدة ج١ ص١٢١ .
(٧٣) اللسان (خيل) .

المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت اليها فهي خزانة للحس المشترك »[٧٤] • وقد استعمل الفلاسفة المسلمون وكثير من النقاد والبلاغيين لفظة «التخييل» ، وعقد ابن الزملكاني له مبحثاً وقال : « هو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد ، وانه مما يظهر في العيان »[٧٥]•وقال المطرزي انه « تصور الشيء »[٧٦] وقال العلوي : « هو اللفظ الدال بظاهره على معنى والمراد غيره على جهة التصوير »[٧٧] • وتحدث عن الاستعارة الخيالية الوهمية وقال : إنها « أن تستعير لفظاً دالاً على حقيقة خيالية تقدرها في الوهم ، ثم ترد منها بذكر المستعار له إيضاحاً له ، وتعريفاً لحالها »[٧٨] ، كقول الهذلي :

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها ألفيْتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

وهذا من الاستعارة المكنية أو بالكناية ، ووازن بين الاستعارة المحققة والخيالية[٧٩] ، وفرق بين الأمور الخيالية والأمور الوهمية وقال : « ان الخيال أكثر ما يكون في الامور المحسوسة ، فأما الامور الوهمية فانما تكون في المحسوس وغير المحسوس مما يكون حاصلاً في التوهم وداخلاً فيه »[٨٠] •

والتخييل الجنس الثاني من أجناس البلاغة العشرة التي ذكرها السجلماسي، قال : « هذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية »[٨١] ، وأدخل فيه أربعة

---

(٧٤) التعريفات ص١٠٧ •
(٧٥) التبيان في علم البيان ص١٧٨ •
(٧٦) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص٢٢ •
(٧٧) الطراز ج٣ ص٥ •
(٧٨) الطراز ج١ ص٢٣٢ •
(٧٩) الطراز ج١ ص٢٥٨ •
(٨٠) الطراز ج١ ص٢٧٣ •
(٨١) المنزع البديع ص٢١٨ •

فنون بلاغية هي : التشبيه ، والاستعارة ، والمماثلة ، والمجاز ، وهي التي تكون أدوات التخييل وتولد الصور الجديدة .

فالخيال هو التخييل الذي تحدث عنه الفلاسفة المسلمون والنقاد والبلاغيون ، ولكنهم لم يعنوا به كثيراً إلاّ ما كان من حديثهم عن ألوان المجاز .

* * *

الـدال

الـدربة :

دَرِب بالأمـر دَرَباً ودُربـة : وتدرب : ضري بالشيء ، اعتـاده . والمدرَّب من الرجال : المجرَّب ، والذي أصابته البلايا ودرّبته الشدائد حتى قوي ومرن عليها[1] .

الدربة : هي التدرب على العمل الأدبي ، وقد أولاها الجاحظ اهتمامـاً ، لأنه لا يرى في الطبع وحده ما يجعل الأديب مقتدراً وإنما لا بدّ من الرياضـة والمعاودة والدربة قبل أن يستقيم السبيل ، قال : « ويقال : إنهم لم يروا خطيباً قط بدياً إلاّ وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلاً مستصلفاً أيـام رياضته كلها الى أن يتوقح وتستجيب له المعاني ، ويتمكن من الالفـاظ إلاّ شبيب بن شيبة فانه كان قد ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلـم يزل يزداد حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقـع بكثيره »[2] . وجعلوا الدربة أحد عناصر الابداع ، ونقل الجـاحظ عن أبي دواد بن حريز قوله : « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاهـا

(١) اللســان (درب) .
(٢) البيـــان ج١ ص١١٢ .

رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير الألفاظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه »[٣] . وقال القاضي الجرجاني : « إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه »[٤] . فالدربة تأتي بعد وجود الطبع والذكاء والثقافة ، وهي ضرورية للأديب ، وكم من قصائد مزقها الشاعر ولم يدعها بين الناس . وقد يطول زمن الدربة ولا يصل الأديب الى مبتغاه ، قال القرطاجني : « وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب ، وهي البحر الذي لم يصل أحد الى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها . وإنما يبلغ الانسان منها ما في قوته أن يبلغه ، ألا ترى أن كثيرا من العلوم قد نفد فيها قوم في أزمنة لا تستغرق إلا جزءاً يسيراً من العمر ؟ وهذا أبو الطيب المتنبي وهو إمام في الشعر لم يستقم شعره إلاّ من مزاولة الصناعة عشرين سنة ، ثم زاولها بعد ذلك زمناً طويلا ، وتوفي وهو يصيب فيها ويخطىء . وهذا ليس مختصاً به وحده ، بل كل إمام ناظم أو ناثر هذه غايته ، إذ كانت هذه الصناعة تتشعب وجوه النظر فيها الى ما لا يحصى كثرة »[٥] .

وقد تكون الدربة بملازمة الأديب لأديب آخر ، قال القرطاجني : « وأنت لا تجد شاعراً مجيداً منهم إلاّ وقد لزم شاعراً آخر المدّة الطويلة ، وتعلم منه قوانين النظم ، واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية »[٦] .

الدعاء :

الدعاء : الرغبة الى الله ــ عز وجل ــ دعاه دعاءً ودعوى[٧] .

---

(٣) البيان ج١ ص٤٤ .
(٤) الوساطة ص١٥ ، وينظر قانون البلاغة ص١٤٨ ، رسائل البلغاء ص٤٦٥ .
(٥) منهاج البلغاء ص٨٨ .
(٦) منهاج ص٢٧ .
(٧) اللسان (دعا) .

الدعاء : لون من ألـوان الأدب يكون بجمـل أو أبيات ويتوجه الى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو لعباده . وقد يكون في القصائد أو الرسائل أو الخطب أو الأحاديث ، ورأى الكلاعي أن « الاكثار من الدعاء في الرسائل من أبهـر الدلائل على ضعف البضاعة في الصناعة »[٨] . وقال : مما يجب أن يتحرى في الدعاء الألفاظ الرائقة والمعاني اللائقة ، ويتوخى من ذلك ما يناسب الحـال ويشاكل المعنى ويوافق المخاطب[٩] .

الدلالـة :

دلّ يدل : إذا أهدى ، ودله على الشيء دلاً ودلالة : سدّده اليه[١٠] .

قال الشريف الجرجاني : « الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العـلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول . وكيفيـة دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصـورة في عبارة النص ، واشارة النص ، ودلالة النص ، واقتضاء النص . ووجه معنى ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم أو لا ، والأول إن كان النظم مسوقا اليه فهو العبارة وإلا فالاشارة ، والثاني إن كان الحكم مفهومـاً مـن اللفظ لغة فهو الدلالة أو شرعاً فهو الاقتضاء ، فدلالة النص عبـارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهـاداً . فقوله : «لغة» أي يعرفـه كل من يعرف هـذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل كالنهي عن التأفيف في قوله تعـالى : « فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ »[١١] يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نـوع من الأذى بدون الاجتهاد »[١٢] .

---

(٨) إحكام صنعة الكلام ص٧٢ .
(٩) إحكام ص٧٣ ، وينظر نهاية الأرب ج٥ ص٢٨٤ .
(١٠) اللسـان (دلل) .
(١١) الاسـراء ٢٣ .
(١٢) التعريفـات ص١٠٩ ، وينظر الكليـات ج٢ ص٣٢٠ .

والدلالات عند الجاحظ خمس : اللفظ ، والاشارة ، والعقد ، والخط ، والحال التي تسمى نصبة[13] ، وكانت الدلالات عند ابن وهب كدلالات الجاحظ[14] ، وقد أدخل البلاغيون الدلالة في دراسة علم البيان وقسموه بموجبها الى أقسامه المعروفة[15] .

والدلالات التي تحدث عنها القدماء هي :

دلالة الاشارة :

دلالة الاشارة من دلالات المعاني الخمس التي ذكرها الجاحظ ، وتكون باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب وبالثوب والسيف ، وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجراً ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً. والاشارة واللفظ شريكان ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغني عن الخط[16] .

دلالة الالتزام :

أجمع البلاغيون على أن الدلالة الوضعية لا يقع فيها تفاوت ، لان «معرفتها التوقيف»[17] وإنما يقع التفاوت في الدلالة الالتزامية أو دلالة الالتزام، وهي مثل دلالة لفظ الانسان والفرس على كونها متحركة وشاغلة للجهة وغير ذلك من الأمور اللازمة[18] .

---

(13) البيان ج1 ص76 .
(14) البرهان في وجوه البيان ص60 .
(15) ينظر نهاية الايجاز ص8 ، مفتاح العلوم ص156 ، شروح التلخيص ج3 ص256 .
(16) البيان ج1 ص78 .
(17) نهاية الايجاز ص14 .
(18) ينظر مفتاح العلوم ص156 ، الايضاح ص212 ، الطراز ج1 ص38 ، المنزع البديع ص213 .

دلالة التضمـن :

دلالة التضمن : هي اعتبار اللفظ الى جزئه من حيث هو كذلك ، وذلك نحو دلالة الفرس والانسان والأسد على معانيها التي هي متضمنة لها كالحيوانية والانسانية ، فان هذه المعاني كلها تدل عليها هذه الالفاظ عند الاطلاق ، لانها متضمنة لها من حيث أن هذه الحقائق لا تتعقل من غير هذه الصفات وهي أصل في معقول هذه الحقائق متضمنة لها . فدلالتها عليها من جهة تضمنها إياها(١٩) .

دلالـة الخـط :

دلالة الخط : إحدى الدلالات التي ذكرها الجاحظ وتكون بالقـلم لانه أبقى أثراً(٢٠) .

دلالـة العقـد :

دلالة العقد : هي الحساب دون اللفظ والخط(٢١) .

الدلالـة العقليـة :

الدلالة العقلية : قال الرازي : « وأما العقلية فاما على ما يكون داخلا في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهـوم البيت ، ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضـع اللفظ إزاء حقيقة مركبة ولا يكـون متناولا لأجزائهـا . وإما على ما يكون خارجاً عنه لدلالـة لفظ السقف على الحائط ، فانه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المقيد لحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالة الاول فتكون هذه الدلالة عقلية »(٢٢) .

---

(١٩) ينظر البرهـان الكاشف ص٩٨ ، شروح التلخيص ج٣ ص٣٦٦ ، المطـول ص٣٠٣ ، الاطول ج٢ ص٥٤ ، الطراز ج١ ص٣٧ .

(٢٠) البيـان ج١ ص٧٩ ، البرهان الكاشف ص٨٣ .

(٢١) البيـان ج١ ص٨٠ ، البرهان الكاشف ص٨٣ .

(٢٢) نهاية الايجاز ص٨ ، شروح التلخيص ج٣ ص٢٦٦ .

دلالـة اللفظ :

دلالة اللفظ : أعلى الدلالات الخمس التي ذكرها الجـاحظ منزلة ، واللفظ هو الذي يتبارى فيه الأدباء ، ويجولون في ميادينه(٢٣) .

دلالـة المطابقـة :

دلالة المطابقة : هي أن يعتبر اللفظ بالنسبة الى تمام مسماه وذلك نحـو دلالة الانسان والفرس والأسد على هذه الحقائق المخصوصة ، فانها مرشـدة بالوضع عند اطلاقها على معانيها المعقولة . وتختص دلالة المطابقة بأحكام كثيرة منها ثلاثة أحكـام هي :

الأول : ليس يلزم في كل معنى من المعاني أن يكون له لفظ يدل عليه ، بل لا يبعد أن يكون ذلك مستحيلا ، لان المعاني التي يمكن أن يعقل كل واحـد منها غـير متناهية .

الثاني : الحقيقة في وضع الالفاظ إنما هو الدلالة على المعـاني الذهنيـة دون الموجودات الخارجية .

الثالث : الألفاظ المشهورة من جهة اللغة المتداولة بين الخاصـة والعامـة لا يجوز أن تكون موضوعة بمعنى خفي لا يعرفه إلا الخاص ولا يصلـح أن تكون موضوعة بازاء المعاني الدقيقة التي لا يفهمها إلا الأذكياء(٢٤) .

دلالـة النصبـة :

دلالة النصبة : هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد ، وذلك

---

(٢٣) البيـان ج١ ص٧٦ ، البرهان الكاشف ص٨٣ .

(٢٤) الطراز ج١ ص٣٥ ، مفتاح العلوم ص١٥٦ ، الايضاح ص٢١٢ ، التلخيص ص٢٣٧ ، شروح التلخيص ج٣ ص٣٦٦ ، المطول ص٣٠٣ ، الأطول ج٢ ص٥٤

ظاهر في خلق السماوات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ، وجامد ، ونـام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص[٢٥] .

الدلالـة الوضعيـة :

الدلالة الوضعية : هي دلالة المطابقة ، وقد تقدمت .

الدليـــل :

قال الشريف الجرجاني : « الدليل في اللغة : هو المرشد وما به الارشاد ، وفي الاصطلاح : هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر »[٢٦] .

وقال قدامة : « الدليل : هو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحـد ليظهر لمن يفهمه ويتأكد عند من فهمه »[٢٧] .

الـدوائر العروضية :

حصر الخليل بن أحمد الفراهيدي الشـعر العربي في خمسة عشر بحـراً تجمعها دوائر هي :

الأولى : دائرة المختلف وتضم ، الطويل ، والمديد ، والبسيط .

الثانية : دائرة المؤتلف ، وتضم الوافر ، والكامل .

الثالثة : دائرة المجتلب ، وتضم الهزج ، والرجز ، والرمل .

الرابعة : دائرة المشتبه ، وتضم السريع ، والمنسرح ، والخفيف ،والمضارع، والمقتضب ، والمجتث .

---

(٢٥) البيان ج١ ص٨١ ، البرهان الكاشف ص٨٣ .
(٢٦) التعريفات ص١٠٩ ، وينظر الكليات ج٢ ص٣٢٠ .
(٢٧) نهـاية الأرب ج٧ ص٨

الخامسة : دائرة المتفق ، وتضم المتقارب ، والمتدارك[٢٨].

وأنكر بعضهم الدوائر أصلاً، وجعل كل شعر قائماً بنفسه، وأنكر ان تكون العرب قصدت شيئاً من ذلك، قال الدماميني: « والاكثرون على خلاف هذا، لأن حصر جميع الشعر في الدوائر المذكورة واطراد جريه فيها دلّ على ما اختص الله به العرب دون من عداهم فكان ذلك سراً مكتتماً في طباعهم أطلع الله عليه الخليل واختصه بالهام ذلك وان لم يشعروا هم به ولا نووه»[٢٩].

دواعي الشعر :

دواعي الشعر: هي الدوافع الى قوله ، قال ابن قتيبة : «وللشعر دواعٍ تحث البطيء وتبعث المتكلف منها: الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب»[٣٠].

الدوبيت :

الدوبيت: من الفنون المستحدثة في العصر العباسي، وهو بيتان وقد شاع في العهود المتأخرة . قال المدني: « ومن بحر الدوبيت وهو المسمى عند العجم الرباعي والنزانة، وهو بحر مخترع مستحدث لطيف: « انْ كانَ اللهُ يُريدُ أنْ يَغْوِيَكُمْ »[٣١]، ومثله : « وما كان له عليهم من سلطانٍ »[٣٢]. وقد أكثر المتأخرون من العرب والعجم من النظم على هذا البحر لعذوبته وسلاسته. وزعم بعضهم أنه مأخوذ من الكامل بطريقة متكلفة ، بعضهم أوصل أوزانه

---

(٢٨) ينظر الوافي ص ٣٣، العيون الغامزة ص ٤٣.
(٢٩) العيون الغامزة ص ٤٤ .
(٣٠) الشعر والشعراء ج١ ص ٧٨، وينظر قانون البلاغة ص ١٥١، رسائل البلغاء ص ٤٦٦ .
(٣١) هود ٣٤ .
(٣٢) سبأ ٢١ .

الى عشرة آلاف»[٣٣]. وقال التنوخي: «انه ليس من أوزان العرب»[٣٤] وقال القرطاجني انه من وضع المتأخرين من شعراء المشرق وسماه «الدبيتي» وقال: انّ شطره المستعمل : « مستفعلتن مستفعلن مفتعلن » نحو قول القائل:

هذا ولهي وقد كتمت الولها   صوناً لحديث من هوى النفس لها

يا آخر محبتي ويا أولها   أيام عنائي فيك ما أطولها

وقد يجيء الجزء الأخير على «مستفعلن» وهو الاصل، ولكن في الاقل . ويستعمل أيضاً مقطوعاً فيصير «مستفعلن» الى «مفعولن» نحو قول بعضهم:

ما أشوقني الى نسيم الرند   يشفي كمدي اذا أتى من نجد

ويشعثون الفاصلة التي في الجزء الاول فيصير «مستفعلتن» الى «مفعولاتن» نحو قوله: « شوقي شوقي به ووجدي وجدي »[٣٥].

قال أبو الفرج انّ مسلم بن محرز « أول من غنى بزوج من الشعر وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به»[٣٦]. ومن ذلك قول بعضهم:

الصبّ بحبكم عراه الوله   في طوع هواكم عصى عذّله

ايضاح غرامه غدا تكمله   اذ صار مفصّل الهوى مجمله[٣٧]

الديباجة:

الدبج : النقش والتزيين، ودبج الأرض يدبجها: روّضها، الديباج:

---

(٣٣) أنوار الربيع ج٤ ص ٨.
(٣٤) الأقصى القريب ص ١٠٦ .
(٣٥) منهاج البلغاء ص ٢٤١–٢٤٢ .
(٣٦) الأغاني ج١ ص ٣٩١ .
(٣٧) أنوار ج٣ ص ١٥٩، ينظر ج٣ ص ٢٤٩، معاهد التنصيص ج١ ص٦٧.

ضرب من الثياب المتخذة من الابريسم . وديباجة الوجه وديباجه : حسن بشرته[38] .

الديباجة : هي النسج ، وديباجة الشعر نسجه ، وقد ترددت هذه اللفظة في كتب البلاغة والنقد ، وذكرها ابن سلام ولم يحدد معناها ، وإنما قال : « وقال من احتج للنابغة : كان أحسنهم ديباجة شعر »[39] . وذكر الجاحظ « الديباجة الكريمة »[40] ، وقالوا : «خير ديباج الشعر ما لم يتفاوت نمطه»[41] ووصفوا شعر البحتري بحسن الديباجة وقالوا : « لشعره ديباجة » ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام[42] .

ويبدو أنهم يريدون بالديباجة استواء نسج الشعر وحسنه ، ولذلك كانت « الديباجة تستعار للوجه في الوصف بالحسن »[43] فقالوا : «ديباجة الوجه». ويؤيد ذلك أن الشعر قد يكون جيداً إذا كان حسن الديباجة وإن عري من المعنى البديع[44] .

الديـوان :

الديوان : مجتمع الصحف ، وهو من دوّنت . وقال ابن الأثير : هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء . وأول من دوّن الدواوين عمر ــ رضي الله عنه ــ[45] .

---

(٣٨) اللسان (دبج) .
(٣٩) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٥٦ ، الشعر والشعراء ج١ ص١٥٧ ، الموشح ص٨٣ .
(٤٠) البيان ج٤ ص٢٤ .
(٤١) طبقات الشعراء ص٣٠ .
(٤٢) الموازنة ج١ ص٤٠٠ ، ٤٠٢ ، وينظر المثل السائر ج٢ ص٣٩٨ ، ٤٠٩ .
(٤٣) ثمار القلوب ص٥٩٧ .
(٤٤) شرح ديوان الحماسة ج١ ص٧ ، عيار الشعر ص١٣٦ .
(٤٥) اللسان (دون) ، وينظر الكليات ج٢ ص٩٧–٩٨ .

الديوان : هو مجموعة أشعار الشاعر ، قال ابن سلام : « وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به ، صار ذلك الى بني مروان أو صار منه »[٤٦] .

فالتسمية قديمة ، وكانوا يقولون : « ديوان الرسائل » ، و « ديوان الكتاب » ، و « ديوان الشعر » ، و « ديوان الجند » وغير ذلك .

* * *

(٤٦) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٥ ، وتنظر رسالة الغفران ص٢٢-٢٣ .

الـدال

الـذكاء :

ذكت النار: اشتد لهبها واشتعلت، والذكاء : حـدة الفؤاد وسرعـة الفطنة[1]. قال الكفوي: «الذكاء: شدة قوة النفس معـدة لاكتساب الآراء بحسب اللغة. وفي الاصطلاح : قد يستعمل في الفطانة يقال: رجل ذكي، وفلان من الأذكياء، يريدون به المبالغة في فطانته»[2].

الذكاء : يراد به في الشعر الفطنة وتوقد الذهن ، قال القاضي الجرجاني: « الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه لطبع والرواية والذكاء »[3] ، أي: الموهبة، والثقافة، والفطنة، وتوقد الذهن، ثم تأتي بعد ذلك الدربـة مـادة له وقوة لكل واحد من أسبابه.

الـذم :

الذم: نقيض المدح، وهو اللوم في الاساءة[4].

---

(١) اللسان (ذكا) .
(٢) الكليات ج٢ ص ٣٥٠ .
(٣) الوساطة (ذمم) .

الذم: أصناف الشعر عند القدماء أربعة وهي: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو ، ويكون من الهجاء : «الذم والعتاب والاستبطاء»[٥].

الذم في معرض المدح :

قال الحلبي والنويري : «هو أن يقصد المتكلم ذم انسان فيأتي بألفاظ موجهة ، ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم انه يمدحه وهو يهجوه »[٦]. ومنه قول بعضهم في الشريف ابن الشجري:

ما فيك من جدّك النبي سوى   أنك لا ينبغي لك الشِّعْرُ

يا سيدي والذي يعيذك من   نظم قريض يَصْدأ به الفِكْرُ

وهذا الفن هو «الهجاء في معرض المدح »[٧].

الذوق :

الذوق: مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً، والمذاق: طعم الشيء. وذقت فلاناً: خبرته، وتذوقته: ذقته شيئاً بعد شيء. والذوق يكون فيما يكره ويحمد[٨]. والذوق: «قوة مرتبة في العصبة البسيطة على السطح الظاهر من اللسان من شأنها ادراك ما يرد عليه من خارج الكيفيات الملموسة ، وهي الحرارة ، والرطوبة، والبرودة، واليبوسة . والذوق في الأصل: تعرف الطعم. ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة». الذوق والطبع «قد يطلقان على القوة المهيئة للعلوم من حيث كمالها في الادراك بمنزلة الاحساس من حيث

(٥) العمدة ج١ ص ١٣١ .
(٦) حسن التوسل ص ٣٠١ ، نهاية الأرب ج٧ ص ١٧٧ .
(٧) ينظر تحرير التحبير ص ٥٥٠ ، عروس الافراح ج٤ ص ٤٧٣، شرح الكافية البديعية ص ٨٥، خزانة الادب ص ١١٧، نفحات الازهار ص ١٥٥ .
(٨) اللسان (ذوق) .

كونها بحسب الفطرة . وقد يخص الـذوق بما يتعلق بلطائف الكـلام لكونه بمنزلة الطعام اللذيذ الشهي لروح الانسان المعنوي . والطبع بما يتعلق بأوزان الشعر لكونها بمحض الجبلّة بحيث لا ينفع فيها اعمال الجبلة إلا قليلا »(٩) .

وقد اهتم القدماء بالذوق وأظهروا دوره في نقد الكلام وتمييز جيده من رديئه ، وعني به عبدالقاهر فقال وهو يتحدث عن اللفظ والنظم : « لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع ، ولا يجد لديه قبولاً حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة . وحتى يكون ممن تحدّثه نفسه بانه لما يومىء اليه من الحسن واللطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الاريحية تارةً ، ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب ، وإذا نبّهته لموضع المزية انتبه . فأما من كانت الحالان والوجهان عنده أبداً على سواء ، وكان لا يتفقد من أمر النظم إلاّ الصحة المطلقة وإلاّ اعراباً ظاهراً ، فما أقل ما يجدي الكلام معه ، فليكن مَنْ هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به ، والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه ، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه ، في أنك لا تتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها تعرف والحاسة التي بها تجد ، فليكن قدْحُك في زنادٍ وارٍ والحكّ في عود أنت تطمع منه في نار »(١٠) . وختم كتابه « دلائل الاعجاز » بفصل عن الذوق والاحساس الروحاني(١١) . وليس بقادر على إدراك إعجاز كتاب الله وروعة كلام العرب من عدم الذوق « الذي هو أنفع من ذوق التعليم »(١٢) .

---

(٩) الكليات ج٢ ص٣٦١ .
(١٠) دلائل الاعجاز ص٢٥٥ ، وينظر الايضاح ص١٦ .
(١١) ينظر دلائل الاعجاز ص٤١٨ ، وما بعدها .
(١٢) المثل السائر ج١ ص٥ ، وتنظر ص٢٨٧ .

وربط السكاكي بين الذوق وإدراك الاعجاز وقال : « ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس إلاّ ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين »[١٣] ، وذهب الى مثل ذلك ابن خلدون فقال : « وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته »[١٤] ، وعرف الذوق بقوله : « إن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ، ومعناها : حصول ملكة البلاغة للسان »[١٥] . والذوق السليم هو الذي هذبته الثقافة ، والدربة ، والرياضة .

ذو القافيتين :

ذو القافيتين هي تسمية الوطواط ، قال : « وتكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر قصيدة أو مقطوعة ويجعل لها قافيتين متجاورتين »[١٦] . ومثاله قول مسعود بن سعد :

يا ليلة أظلمت علينا ليلة قارية الدجنّه
قد ركضت في الدجى علينا دُهماً خدارية الأعنّه
فبت أقتاسها فكانت حُبلى نهارية الأجنه

ففي هذه الأبيات قافيتان : الاولى هي الكلمات « قارية » و « خدارية » و « نهارية » ، والثانية هي «الدجنة» و«الأعنة» و «الأجنة» .

وسماه التفتازاني « ذا القافيتين »[١٧] أيضاً ، وهو التشريح والتوشيح وقد تقدما .

---

(١٣) مفتاح العلوم ص١٩٦ ، ويريد بالعلمين : المعاني والبيان .
(١٤) مقدمة ابن خلدون ص٥٥٢ .
(١٥) مقدمة ابن خلدون ص٥٦٢ .
(١٦) حدائق السحر ص١٥٧ .
(١٧) المطول ص٤٥٨ ، المختصر ج٤ ص٤٦١ .

المصطلح النقـدي

الموضوع	الصفحة

الهمـزة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

التـــاء

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الجيم

الحاء

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
حواشي الكلام	٤٥٥
الحوشي	٤٥٥
الحوليــات	٤٥٦

الخــاء

الــدال

الموضوع	الصفحة